منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي
سلسلة الدراسات المترجمة - ١٥




تأليف
د. باري فل

ترجمة
فؤاد الكعبازي
د. عبدالقادر مصطفى المحيشي



مراجعة
د. فوزي جاد الله
د. امين توفيق الطيبي

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

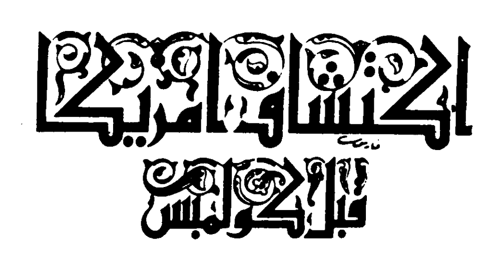
١٩٨٨

# تصويبات كتاب
# اكتشاف أمريكا قبل كولومبس

| رقم الصفحة | السطر | الخطأ | الصواب |
|---|---|---|---|
| ٦١ | الفقرة الأخيرة | | تجدر الاشارة إلى أن هذا الشرح يعود للصورة العليا من الصفحة رقم (٦٢) |
| ٩٩ | ١ | صانعوا | صانعو |
| ٩٩ | ٣ | الصناعة | صناعة |
| ٩٩ | ٩ | الشعوب | شعوب |
| ٩٩ | ١٢ | ـ | إلدورادو (كلمة واحدة) |
| ٩٩ | ٧ مقطع ثاني | نقص كلمة لاحظت قبل كلمة كاتي | تضاف كلمة لاحظت فتصبح الجملة لاحظت كاتي ابنة حفيدة المكتشف |
| ٩٩ | ٢٠ مقطع ثاني | الشبونة | لشبونة |
| ١٠٠ | ٥ | طريق تجار | عن طريق تجار |
| ١٠٣ | الفقرة (٣) | الاتقال | الاتقان |
| ١٠٦ | ١٤ | باناما | بنما |
| ١٦٩ | ٦ | المعلونتان | العلويتان |
| ١٧٠ | ١ | تهجء | تهاجي |
| ١٧٠ | ٣ | تفي | تحذف كلمة تفي |
| ١٧١ | ١ | للكلتيين | للسلتيين |

خالد علي بورقيبة

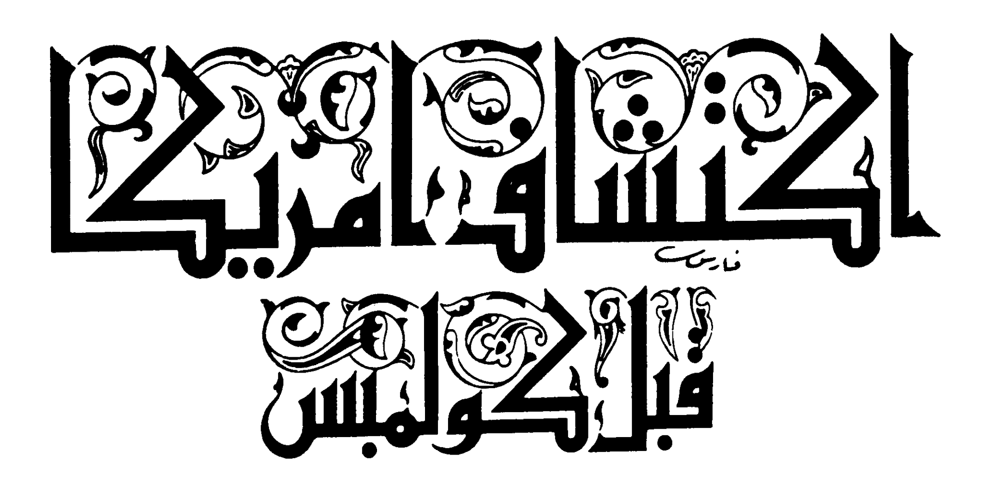




خالد علي بورقيبة

منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي

سلسلة الدراسات المترجمة - ١٥



# اكتشاف أمريكا قبل كولمبس

تأليف

د. باري فل

ترجمة

فؤاد الكعبازي

د. عبدالقادر مصطفى المحيشي

مراجعة

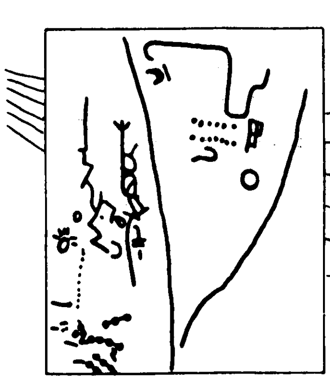
د. فوزي جادالله

د. امين توفيق الطيبي

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية

١٩٨٨

# Saga America



**Barry Fell**

Times BOOKS

Published by TIMES BOOKS, a division
of Quadrangle/The New York Times Book Co., Inc.
Three Park Avenue, New York, N. Y. 10016

Published simultaneously in Canada by
Fitzhenry & Whiteside, Ltd., Toronto



**Library of Congress Cataloging in Publication Data**

Fell, Barry.
Saga America.

Bibliography: p. 407
Includes index.
1. America—Discovery and exploration—Pre Columbian.
2. Inscriptions—United States 3. United States—
Antiquities I. Title.
E103.F34 1979 970.011 79-51440
ISBN 0-8129-0847-3

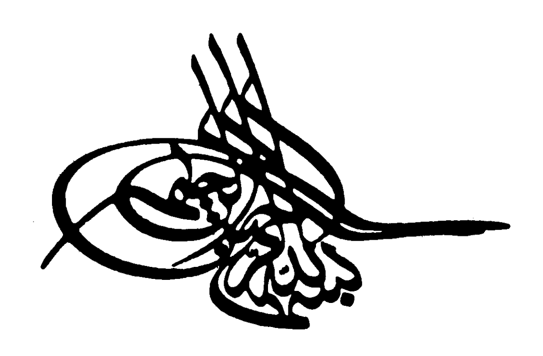
رقم الايداع : ١٩٨٨/٤٨١ - دار الكتب



مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي

ص.ب : ٥٠٧٠ طرابلس

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية



# المحتويات

الصفحة

# تقـــديم

استفسرت قبل عدة سنوات من متحف الأحياء المقارنة بجامعة هارفرد عن شخص يساعدني على تصنيف الأحفوريات التي حصلت عليها في أريحا بالأردن سنة ١٩٦١، فتوجهت الى قادة الخبراء العالميين في قنفذيات الغشاء، الدكتور باري فل.

وصلت بيته على موعد بعد ظهر يوم أحد، آملا في عشرة دقائق من جدول أعمال أستاذ مشغول، فرأى الأحفوريات، وعلم أن همي الأول منصب على خدشة قديمة منحوتة على كل واحد منها تشبه في الأغلب حرف ألف أفرنجي، فكانت تلك بداية حوار مكثف مدهش حول النقوش القديمة دام عبر مائدة العشاء الى ما بعد منتصف الليل.

وقد انصرفت ورأسي في دوامة من عجيب الاجتهاد في فقه اللغات الذي استهلك ساعات بارى الخاصة لمدة عدة أعوام، فشعرت بأني كنت قد اطلعت على اطار للبحث سوف يتمخض عن فتوحات جديدة في فهمنا للماضي، وان لم يستطع أحد منا أن يدركها على وجه التحديد.

قبل ثلاث سنوات، استلمت خطاباً من الدكتور لينوس برونر (Linus Brunner) خبير اللغويات المرموق في سانت غالين (St. Gallen) بسويسرا ـ ولعله المرجع العالمي المتقدم في علم اشتقاق اللغات ـ الهندو ـ الأوروبية والسامية ـ يقول:

**«إن نشاط بارى فل مدهش... انه لعلامة كبير في مسائل فك الرموز الكتابية. انني أعتقد مثلك أنه سيخلد كأحد كبار علماء فك الرموز لكافة الأزمان.»**

وتقاسم معيثباري، مؤخراً، رسالة بتاريخ غرة سبتمبر ١٩٧٨م من المكتشف ذي الصيت العالمي (Australopithecus) عالم المستحاثات (الباليونتولوجي) من جنوب أفريقيا، الدكتور ريموند دارت (Raymond-Dart) يقول:

**«ان ما تقوم به وزملائك في نيوانجلد (New England) لأساسي وان مشهد انعكاساته المحتملة على البشر... لخيالي التصور...»**

ان باري لرجل رائع، فهو موهوب وخبير في عدة ميادين. فانه قد أصدر عدة مجلدات وكتب مئات المقالات، وألف أو اشترك في تأليف العديد من الكتب. انه زميل بمجمع الفنون والعلوم الأمريكي وجمعية الفنون الملكية وجمعية النقوش والجمعية الملكة النيوزيلندية ونادي المستطلعين وجمعية الفنون والآثار العلمية.

وأثناء نشأته بنيوزيلندا، درس باري اليونانية واللاتينية والألمانية والفرنسية ثم الدانماركية.

انه حائز على دكتواره فلسفة وعلوم من جامعة أدنبرة، وقد درس الغيلية لمدة سنتين مع ما يرى نيك أزغيل (Mairi Nic-Asgail) وقد حصل على معرفة عمل السانسيكريتة والهيروغليفية المصرية والكتابة العربية الكوفية وغيرها من النظم الكتابية القديمة في أفريقيا، آسيا وأمريكا.

ان فك رموز الكتابات نوع خاص من اللغات يحتاج الى موهبة احصائية وطرق في التفكير يملكها القليل من اللغو يين.

لقد قام باري بفك رمز نصف دستة من اللغات القديمة والكثير من المخطوطات. أي اكثر من أي شخص آخر في التاريخ.

ولما كان هذا الكتاب قد جاء إثر المعلومات الخارقة للعادة المنشورة في كتابه «أمريكا قبل المسيح»، فانه يحتوي على نتائج أساسية ومثيرة تتعلق بالاكتشافات المستمرة وإحياء الماضي الأمريكي.

**نورمن توتن**
**قسم التاريخ**
**معهد بنتلي والتهام ـ ماساتشوستس**

# توطئة

في الوقت الذي تدخل فيه أمريكا قرنها الثالث من استقلالها، قد تبدى بأنه قد اجتاح البلاد تعطش جارف للمعلومات التاريخية.

لقد اعطيت في «أمريكا قبل المسيح» الصادر بمناسبة الاحتفال بمرور القرن الثاني للأستقلال سنة ١٩٧٦، صورة كافية لمعرفتنا بالمراحل الأولية لاستيطان معمرين من أوروبا وشمال أفريقيا إبان الألف سنة الأولى قبل المسيح. و يدفع هذا الكتاب بالقصة عبر عصر المسيح الى نهاية الألف سنة الأولى بعده، كما يشير في الوقت ذاته إلى وصول معاصرين لمعمرين قدماء الى السواحل الغربية (West Coast) بعد أن عبروا المحيط الهادي بحثا عن عالم جديد.

ان الرجال والنساء في هذه المأثرة من القرطاجين والأغريق والكلت والرومان والايبيريين والليبيين والنرويجيين، وبالنسبة للسواحل الغربية من الليبيين والأغريق والعرب مع تجار من الصين والهند.

تتحدث كتب تاريخنا كثيراً عن رومان روما وأغريق بلاد الاغريق وعن كل الآخرين من المذكورين دائما نسبة لأوطانهم، ولكن ليس ذلك هو اللحمة التي نسج منها التاريخ الأمريكي، فقد غاب المعمرون عن أوطانهم ولم يبق أحد خلفهم لكتابة مآثرهم، فان التاريخ الأمريكي يجب البحث عنه منقوشا على وجوه الصخور الأمريكية وقد كتبته أيدي خطاطين وردوا الى هنا، ولأجل العثور على سوابقهم، لا نرحل الى روما ولا الى أثينا ولا الى صور ولا الى صيدا، كلا، بل الى الموانىء التي انطلقوا منها صوب العالم الجديد الى سوال البرتغال ومستعمرات شمال أفريقيا الأغريقية ـ الرومانية والى مرافىء النروجيين في الجزر القطبية، انها الأماكن التي انطلق منها الرجال باحثين عن نهاية الأرض.

انني أروي في هذا الكتاب اذن ليس تحرياتنا بأمريكا فحسب، بل أيضا رحلاتنا الى أنقاض عفا عليها الزمن في الأقطار التي ذكرتها ولا زال الكثير مما وجدناه في أمريكا بالنسبة للذين لا زالوا يعيشون على بقاع الرحيل القديمة تلك، يبدو قابلا للقراءة، فاذا أردت أن تعرف ماذا يقول نص أمريكي قديم، خذه الى أرض بالعالم القديم حيث مثل تلك النصوص يمكن رؤيتها منقوشة على وجوه الصخور وشواهد

القبور ومذابح المعابد، وأسأل الأهالي كيف يقرؤون كتابات أجدادهم اذ المتعلمون من بينهم لا زالوا يتذكرون.

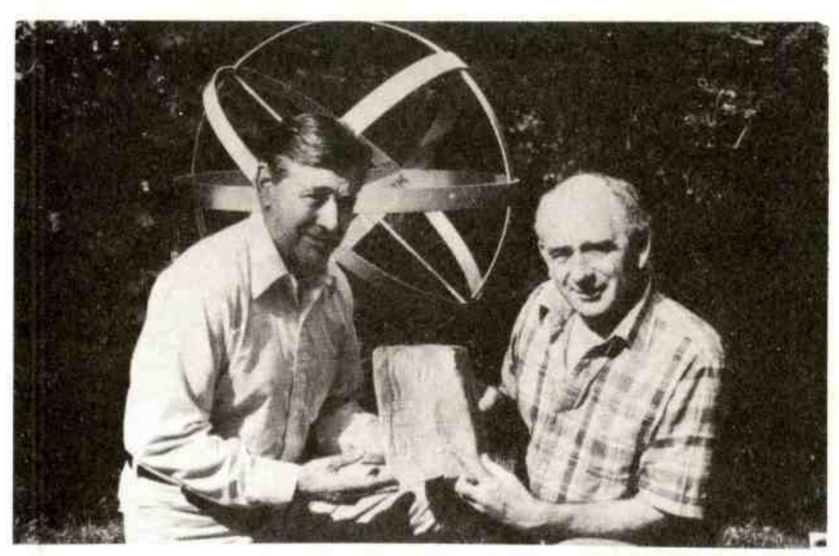
اننا في أمريكا قد أمضينا أكثر من قرن في التنقيب عن نقوش حجرية قديمة وتسجيلها، مبوبين اياها في اثنتي عشر فئة متنوعة، مع عشرات من التقاسيم الأصغر، وهي جميعها علامات لرموز دينية أو سحرية تعتبر عديمة المعنى، مرتبة جميعها تحت عنوان «خطوط منحنية الحوض الأكبر» (Great Basin). والله يعلم ماذا غيرها، وقد أنجز العمل جيدا وسجلت النقوشات بدقة بآلة التصوير والقلم، واننا لشاكروون لباحثي الآثار الذين أثبتوا بذلك الكثير مما هو مهدد حالياً بالضياع من الاستغلال الحديث للأرض.

الا أنه قد أهمل شيء واحد: فمن الواضح أن أحدا لم يفكر في حمل نسخ من الصور أو القوالب للنقوش الى العالم القديم لمعرفة ماذا يمكن أن يستنتج منها، وفي هذا الكتاب أتحدث عن كيفية استدراك هذا السهو وعن سكان المنطقة الساحلية للبحر المتوسط المهتمين الذين أطلعتهم على الكتابات الأمريكية وعن تفسيراتهم، وهكذا فاني مدين بدون شك، ليس لزملائي الأمريكيين الطيبين فقط، وعددهم الآن متضخم بآخرين كثيرين، فضلا عن قراء لطفاء كتبوا آلاف الرسائل الى بعد صدور «أمريكا قبل الميلاد»، بل كذلك للعديد من الأصدقاء عبر الاطلنطي وعلماء الآثار والنقوش في أيبيريا وشمال أفريقيا، أساتذة في جامعات البرتغال وأسبانيا وليبيا. وفوق كل ذلك أنا شاكر لمضيفي اللطفاء الكرماء بطرابلس وبنغازي، دارسين عرب ومؤرخين اسلاميين وغيرهم كثيرين، ربما حملوا دم هانو وهانيبال في عروقهم، خلفاء أباة من سلالة ماسينيسا مع بدو من الأصقاع الفقيرة، فان الكرم العربي يتعدى جميع الحدود وان نزولي ضيفا عليهم لتجربة لا تنسى.

هناك الآن تبادل للمعلومات مزدوج الاتجاه: يزور علماء آثار من جامعات ايبيريا وشمال افريقيا، يزورون أمريكا لرؤية وقراءة نقوشاتنا، فانها بالنسبة لهم ايضا تجربة مشوقة أن يطلعوا على انتاج ضائع منذ القدم لأجداد منسيين أو شبه منسيين. ويمكننا نحن أهل العالم الجديد أن نتطلع الى مدى أبعد في الماضي، ومن ثم الى تاريخنا السحيق، أكثر من أي زمن سابق. وان ما نراه خلال تلك المتاهات الزمانية المديدة، لمحات لرواد بحار مغامرين في ماضي هو ارث مشترك للعالمين القديم والجديد.




المناطق التقريبية للاستقرار ونقاط الدخول عن طريق النظم النهرية للمستوطنين والزوار الأوائل من أوروبا، وشمال أفريقيا، وشرق آسيا. كما تظهر أيضاً بعض القبائل الهندية الامريكية، التي يعتقد بانها قد كانت على صلة بالزوار. ويعتقد أن قبائل الجنوب الشرقي تنحدر جزئيا من مستوطني البحر المتوسط حيث يظهرون هنا كمستوطنين لذلك الاقليم. كما يعتقد بان الاروكوازيين The Iroquois قد وصلوا أمريكا الشمالية بعد أن اكتملت معظم هذه المستوطنات، ولعلهم وصلوا من أمريكا الجنوبية، حوالي سنة ١٢٠٠ بعد الميلاد، بعد عبور الميسيسيبي Mississippi ليستقروا في جيب من منطقة الجونكويان Algonquian.



جوليان فرناندز Julian Fernandes مع فيل Fell يعرضان نسخة من لوحة ثنائية اللغة Latin-Ogam لمذبح كنيسي من سان ميجويل دا موتا San Miguel da Mota، بالبرتغال، اشير له في الفصل التاسع. وعرف في الأساس من قبل الأستاذ سكارلات لامبرينو Lambrino Scarlat على انه مكرس للاله الكلتي Celtic اندوبوليس Endobolius على أساس نصه اللاتيني، وتبين فيما بعد انه حروف أجام Ogam تتطابق مع الكتابة الكلتي الامريكي، وتعطى الحروف الصحيحة لاسم الاله. (تصوير: بيتر ج. جارفل Peter J. Garfall).



حدد جيمس واتول Whittall James، خلال زيارته البرتغال في سنة ١٩٧٦، مكان هذا الحجر الكلتي لالهة تم اكتشافها حديثا، مع غيرها، من قبل فلاح. وتلقى دراسات واتول المستمرة لأسلوب البناء وتوزيع الغرف الحجرية في شبه الجزيرة الايبيرية وفي شرق أمريكا الشمالية ضوءاً جديداً على الحركة السابقة لسكان إيبيرية في العالم الجديد. (تصوير: مالكوم بيرسون Malcolm Pearson).



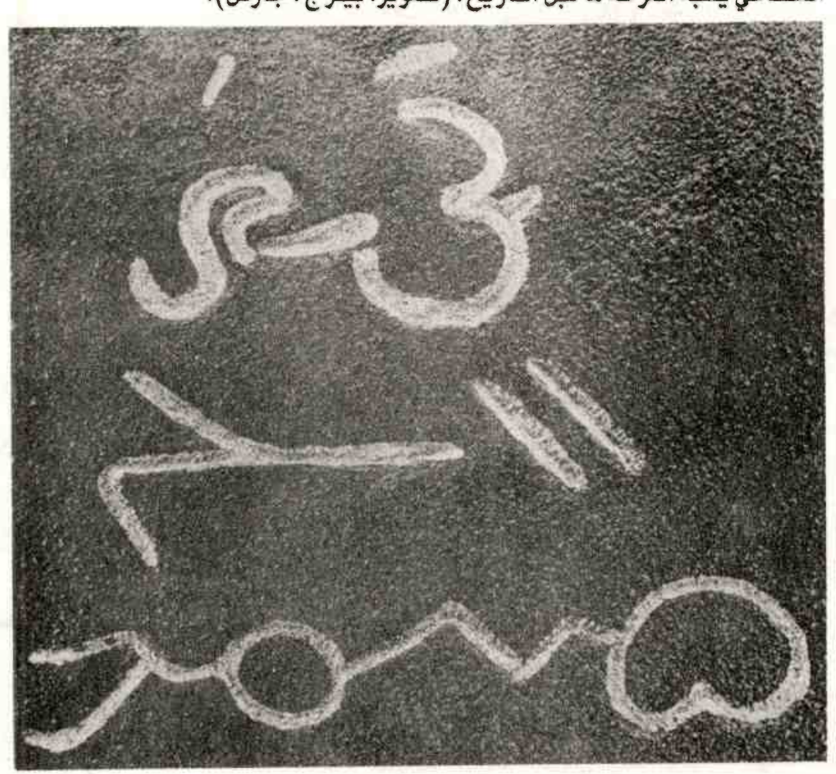
فيما يتعلق بالكتابة المنقوشة لشمال أفريقيا وأمريكا الشمالية، فان الجزء الأكبر من المفردات، ما زال يستخدم إلى الآن ما بين أهالي الشمال الأفريقي، حيث يمكن معرفة المنقوشات الأمريكية عادة بمجرد الاطلاع عليها. وهنا شابان تونسيان بوعزيزي محمد الامين وبوعزيزي عبد السلام تاوب مع فيل Fell، قد وجدا في اللغة الفرنسية الحديثة وسيلة للتفاهم. (تصوير: بيتر ج. جارفل).

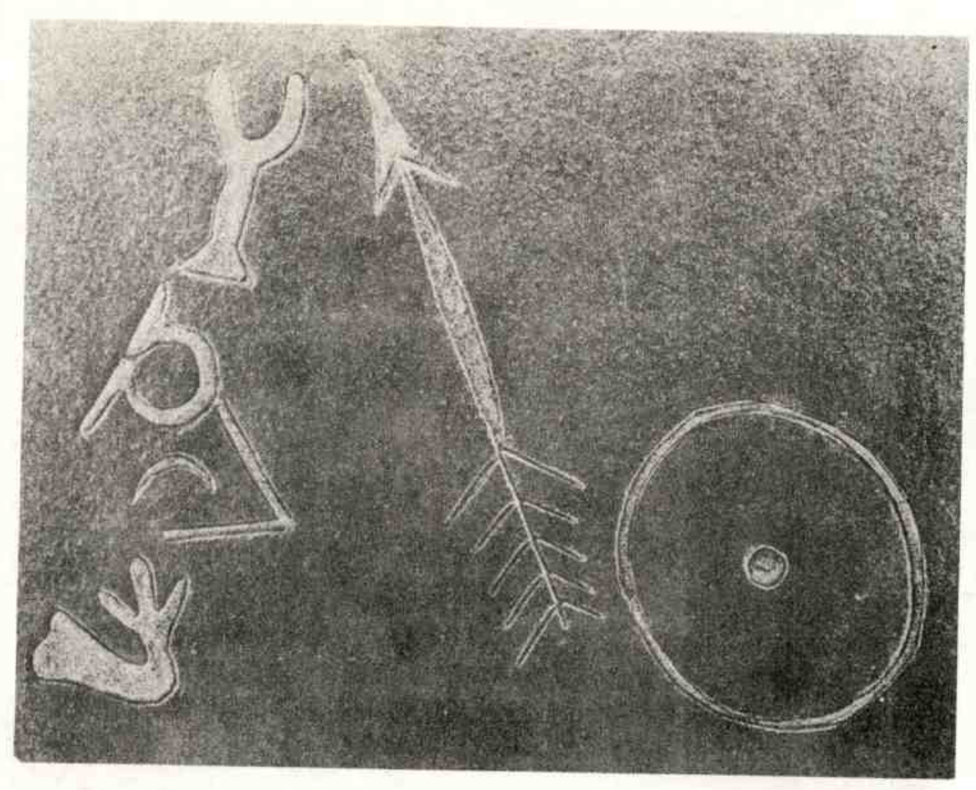
Fell
Whittall
Totten
Runic
Ogam
Ogam
Iberic
Punic
Tifinag
Punic
Libyan
Campanian
Byzantine
Cypriot
Hebrew
Kufic
Nabatean
Greek
Hieroglyphs
Sabean

المراكز الكبرى لأصل الحروف الهجائية القديمة لأمريكا الشمالية أدخلها السكان البحريون للعالم القديم. ولا يشار هنا إلى اللغة اللاتينية المنتشرة عالميا في أيام الرومان. وتوضح المسالك الرحلات الأساسية لفيل (١٩٣٩-١٩٧٧) وواتول (١٩٧٠-١٩٧٧) لتحديد مواقع المصادر والتعرف عليها. وقد جمعت حصيلة العمليات الأثرية المستقلة التي قام بها توتن Totten (١٩٦٠-١٩٧٦) مع أعمال البحث عن الكتابات المنقوشة المشابهة للمنقوشات في أمريكا.



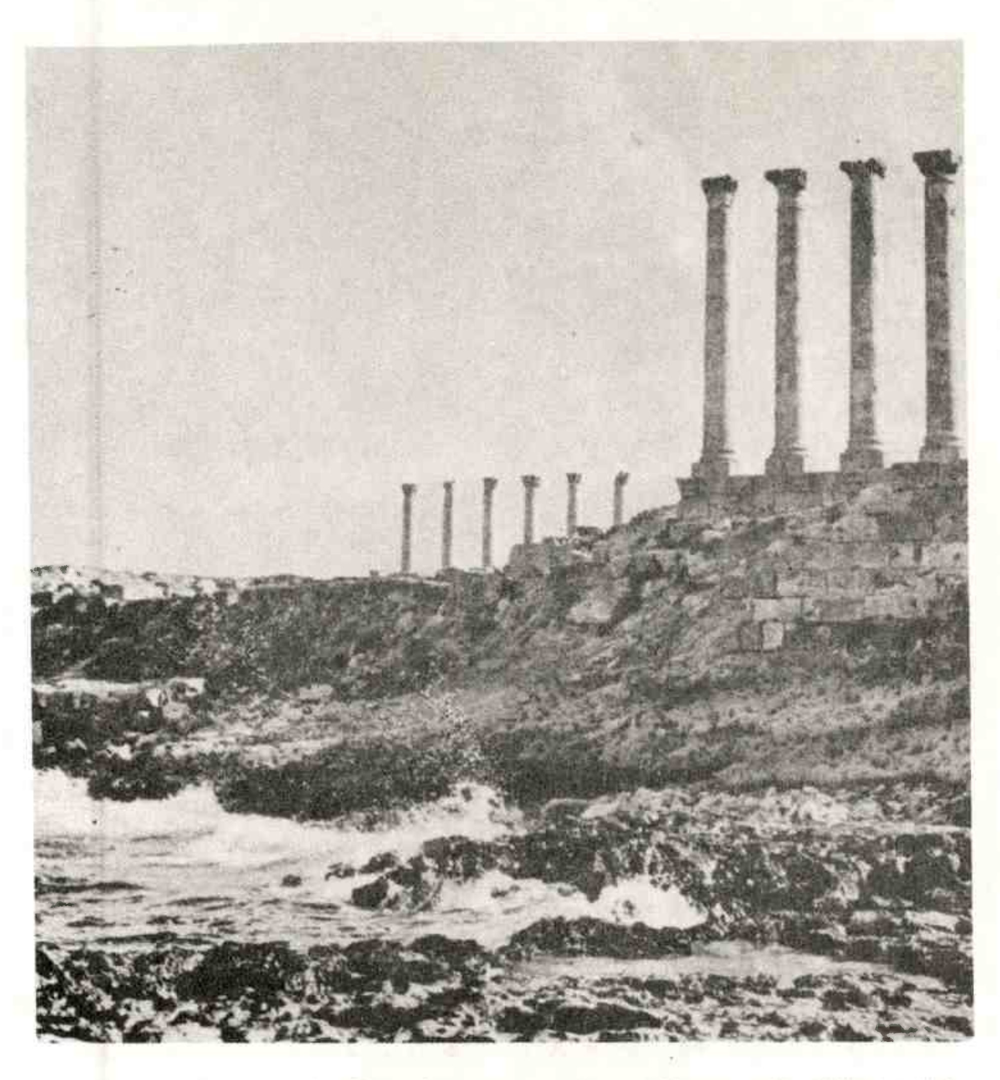
الاستاذان جانيت Janet وجاريت دنليفي Gareth Dunleavy، من جامعة وسكنسن University of Wisconsin، مع نسخة مطابقة ومصغرة إلى نصف حجمها الطبيعي لما يعتقد بانه شكل من أشكال كتابة أجام لولاية كولارادو Colorado عثر عليه الدكتور دون ريكي Don Rickey، من مكتب إدارة الأراضي. لقد وجد النقش مع غيره في بناء حجري اصطناعي يشبه أضرحة ما قبل التاريخ. (تصوير: بيتر ج. جارفل).





شريطة قديمة للبروج خاصة باليوم ٢٥ للشهر القمري من نوفمبر، وتقع الشمس في برج القوس (إلى أسفل اليمين، السهم المركزي علامة برج القوس). يوجد برج العقرب إلى أعلى الشمال، وتحته برج الميزان وتحته برج العذراء. ومنزل القمر في برج الميزان ويشار إليه بالهلال، أما العلامة ذات الزاوية فهي رمز فلكي (in sextile) وتعني أن القمر يبعد عن الشمس بستين درجة. واكتشف هذا النقش على الحجر الكابتين ج. هـ. سيمبسون Captain J.H. Simpson في سنة ١٨٥٩ هـ في الممر الذي سمي باسمه. وتعرف عليه ككتابة، اشار إليها على أنها كتابة «هيروغليفية». ونسبها البيتون الهنود Paiute خطأ إلى قبيلة مودوك Modoc، التي يقال بأنها شغلت ذلك الموقع قبل ٥٠٠ سنة. إلا أنه ليس لقبيلة مودوك معرفة بالبروج Zodiac اليوم. ولابد أن أصحاب الكتابة الحقيقيين هم فلكيو نيفادا Nevada القدامى. نسخة مطابقة بتحف المنقوشات Epigraphic Museum. (تصوير: بيتر ج. جارفل).

الصفحة المقابلة: استخدم الخط الكوفي القديم في كتابة اللغة العربية قبل أن تستخدم الحروف الهجائية العربية الحديثة، فهو زمن الحملة الصليبية لريتشارد قلب الأسد في القرن الثاني عشر. ان هذا المثال الذي قد يعود تاريخه إلى حوالي عام ٧٠٠ م، عثر عليه في نيفادا حيث ظن خطا بانه من علامات الهنود الأمريكيين لحوالي سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد. وهو في الواقع نص ديني يقول نبي الله محمد و ولعله نقش في الصخر كجزء من الدروس المدرسية الثابتة للمستوطنين الليبيين الناطقين بالعربية، الذين نزلوا في الصحراء الجنوبية الغربية. انظر ايضا: الفصل الثالث عشر. (تصوير: جوليان فيل Julian Fell).



كانت لبدة العظمى Leptis Magna إحدى موانى المغادرة القديمة للرحلات المحيطية في خليج سرت على ساحل المتوسط لليبيا. وكان للقرطاجيين، في الأساس، مركز ومحطة تجارية تدعى لبكس Lepqis. وكان للبدة أهمية مرموقة في زمن الرومان وشيدت بها مباني عامة فخمة من قبل كثير من الأباطرة والعائلات القرطاجنية الموسرة التي وجدت ملاذاً فيها، بعد دمار قرطاج ذاتها. ويظهر هنا جزء من رصيف شحن السفن وتفريغها. (مصلحة الاثار، طرابلس).

start 1

2 3

end

من أجل تعلم كيف تقرأ النقوش الأمريكية القديمة، بالحروف الليبية، فان أفضل مدرسة هي ليبيا نفسها. ان العلامات التي سماها علماء الآثار «الجفنة العظيمة منحنية الاضلاع» او ما شابهها من الأسماء، والتي افترض انها علامات سحرية هندية لا معنى لها، معروفة لدى الليبيين.

إن هذه الرسالة قد كتبت من قرن مضى. وتوضح العديد من مبادىء الكتابة في النقوش الليبية القديمة. فعلى سبيل المثال، فان الكتابة متصلة، وليست مجزأة إلى أسطر منفصلة، وبدلا من ذلك، فهي تلتوي مثل وشاح مطوي، ويقرأ السطر الأعلى من اليمين إلى اليسار، ويقرأ السطر التالي من اليسار إلى اليمين، ويقرأ السطر الثالث من اليمين إلى اليسار. ويسمى هذا الترتيب القديم، بالبطرفة وهي طريقة قديمة في الكتابة استخدمها أقدم الكتاب الاغريقيين، ويعني الاسم «السير كحارث الأرض». ولقد حذفت جميع حروف العلة تقريباً، كما هو في جميع الكتابة القديمة إلى حد بعيد. وتشير القرنية إلى أصواب حروف العلة التي يجب استخدامها. ويمكن التعرف على الحروف الصحيحة بالرجوع إلى الحروف الهجائية في صفحة ٢٢٧. وتشير المجموعة التالية إلى كيفية إعادة تكوين الكلمات عن طريق ادخال حروف العلة:

(1) W(a) N(a)k Abd-S(u)l(i)m(a)n w(i) h(u)l h(a)n(a) l(a)h(i) z(e)q d(a)y(i).
(2) T(a)br(a) kit(a)b (e)lh(me)d (a)s(a)d (a)m z(e)r in(i) m(e)d(i)n(a).
(3) W(a)r(ia) n(a)y(a) r(i)h(a)l(a)h(u) (*misspelt*) (a)k(a)m m(e)d(i)n(a) n(i) t(e)n(a)t n(i) m(ai)t(e)n.

أما ترجمة ذلك فهي: «إنه أنا، عبد ـ سليمان الذي يحييك، ويدعو من أجل سعادتك من هنا. كتبت هذه الرسالة من أجل إعلامك بمجيئي في زيارة إلى مدينة مسقط رأسي. علاوة على ذلك، فانني أعتزم الاقامة في منزل بالمدينة لكي أنعم بصحبة إخوتي». إن العبارة الافتتاحية **Wa Nak** تستهل بها المخطوطات في شمال أفريقيا وفي أمريكا الشمالية على حد سواء.

حالما صدر كتاب «أمريكا قبل الميلاد» طفقت أتلقى خطابات ـ ثم زيارات شخصية ـ من رجال ونساء من سلالة أمريكية هندية. بعضهم من أصل مشترك، بعضهم أمريكيون هنود خلص. فتحدثوا عن كيفية تعليم أجدادهم التقاليد القبلية القديمة لهم وهم أطفال وعن كيفية عبور أسلافهم للمحيط الكبير الواقع شرقي أمريكا للوصول لهذه القارة وعن مدى حيرتهم وارتباكهم بسبب التناقض بين التقاليد القبلية وبين ما أجبروا على تعلمه في المدرسة، وخاصة فيما يتعلق بصلة عرقية تمتد عبر مضيق بيرينج (Bearing Strait) الى آسيا. ان هؤلاء الزوار قد أحضروا معهم القوة والتشجيع والحكمة، وفي بعض الحالات ببعض المطبوعات من العالم القديم مثل الفخار الروماني. فتلك الآثار الثمينة للماضي أصبحت الآن مفهومة في ضوء التحريات الجديدة، فالى أولئك الأمريكيين الهنود، سليلي رواد التحار الذين نتقفى حاليا آثارهم، أرسل تحياتي وعبارات التقدير.

والى جميع أولئك الذين قد يقرؤون بالصدفة هذا الكتاب، أرسل تحيات وتمنيات الباحثين الذين أثبتت عملهم على هذه الصفحات.

كانت قد مضت تسعون دقيقة فقط منذ غادرنا لندن، واذا بالبرك والخلجان طوال السواحل التونسية المتعرجة تمر من تحتنا الى الخلف فكان الشمال الأفريقي، من ارتفاع ثمانية أميال، يبدو وكأنه مجرد خارطة مطبوعة على صفحة كتاب وكانت جبال الأطلس محجوبة ببحر من السحب.

لم تكن تلك زيارتي الأولى للقارة التي مررت بسواحلها في سنوات مضت ولكني لم أشاهد من قبل تلك الأراضي من الجو.

اننا نأتي الآن لبس كضيوف مدعوين من طرف علماء عرب كانوا قد زاروا أمريكا لأجل الاطلاع على نقوشات قديمة فحسب، بل أيضاً كحجاج لتحية أرض قد أنجبت العديد من الادباء المؤسسين لأقدم حضارة أمريكية، وفوق كل شيء كنت متطلعا للسير عبر آثار قورينا والاطلاع على مخلفات الأمة الملاحة التي تمخضت عن أعظم بحارة عرفهم العالم أبدا.

لاحظت بفيض من الغبطة أننا نحلق فوق آثار قرطاج، المدينة الأم التاريخية للفنيقيين الأفريقيين. يبرز نفوذهم بالمحاريث في الوقت الحالي كانساس (Kansas) وكونيكتيكات (Connecticut) واركانساس (Arkansas) وألاباما (Albama)، كان ذلك اذن هو الموقع من البسيطة الذي أتت منه تلك القطع المعدنية المعبرة عبر الأطلنطي في مسالك عرفها بلوطارخ لتستعمل كعملة في مستعمرات بعيدة أو لتقدم كتذكار لرؤساء أمريكيين هنود مضيافين مقابل قيامهم بمعروف منذ ألفي سنة مضت، ولكن رغم عثورنا على كتابات قرطاجية وغيرها في أمريكا. لم تكن تلك المدينة المشهورة مقصدنا الحالي، اذ كنا متجهين الى ليبيا، تلك البلاد الشاسعة التي نعرف عنها القليل، الواقعة غربي مصر، لأنني علمت أننا سنجد في ليبيا الجواب للعديد من الطلاسم الأثرية بالعالم الجديد.

وكانت الشمس آخذة في الغروب، وقد جعل وهج الأصيل من البحر الأبيض بحرا من الذهب وكانت أمامنا، نحو الجنوب الشرقي، تمتد رقعة مهبطنا، ليبيا بأسرها تحت رداء الليل، حيث كان ظل الأرض ينتشر غربا في أثر الشمس الغائصة. وهنا شرع قائد الطائرة الليبي في انحداره الطويل نحو طرابلس، حيث، كما علمت، سوف نلاقى قريبا بترحيب العلماء الذين أتينا بناء على دعوتهم، وكانت لدينا معلومات جديدة سنلقيها على مستمعين جامعيين، كما تطلعنا من جهتنا لزيارة حفرياتهم لمعرفة مكتشافاتهم الخاصة.

وقد رجوت أيضا أن أعرف المزيد عن سفن موانىء البحارة الليبيين القدامى وقد اعتزمت زيارة الأماكن التي أبحرت منها سفنهم في الماضي.

ان الصحراء الليبية ضعف مساحة تكساس، وربما وعورة الشريط الخلفي لتلك السواحل هي التي قدحت زند الدافع لأولئك الجوابين الى البحث عن سبل عيش في البحار، وعندما احتل الخلف الأمريكي الولايات الفقيرة بالغرب البعيد المسمى (Far West)، أقاموا هم أيضا أسطولا وقضوا معظم أوقاتهم ماخرين مياه الباسفيك.

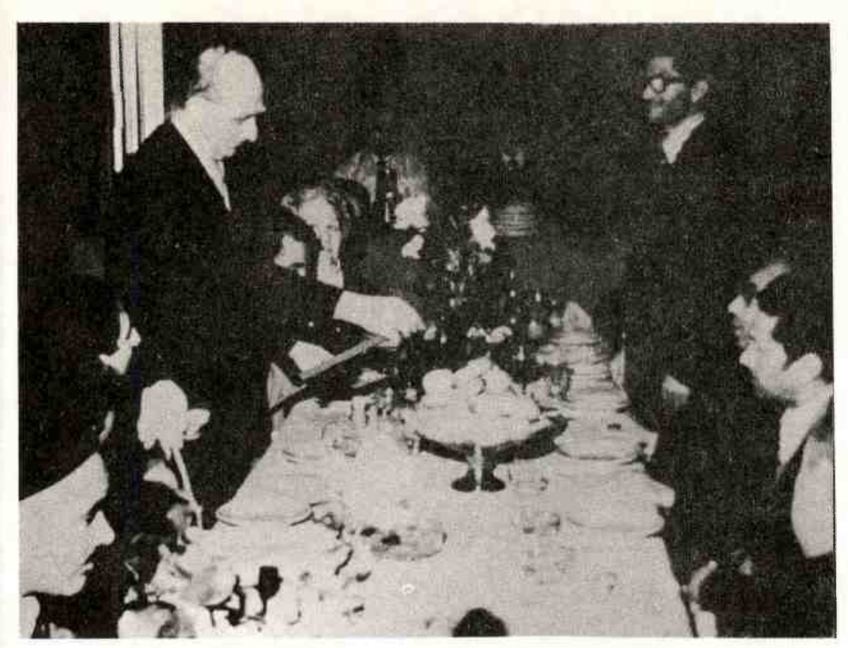
من بين العينات التي كانت هنا صور مكبرة لوجوه منحوتة والشروح المرافقة لها تعرف عليها حديثا بأنها لابطال ليبيين قدامى مشهورين. عثر عليها مؤخرا في العالم الجديد. وقد بقيت الأصول بأمريكا. أما النسخ المزمع عرضها عن طريق الاذاعة المرئية على نطاق قومي، فستكون رمزا للأمانة العلمية، وهي تمثل ملفا لآثار ليبية قديمة أرسلت الى موطنها من العالم الجديد تتعلق بأحداث وشخصيات كان لهم دور في الحروب بين روما وقرطاج وكان أسما العاهلين المشخصين في النقوش معروفين جيدا في ليبيا، حيث يعتبران كوطنيين قوميين تحديا سلطة روما قرنين قبل المسيح. ولكن لم تشاهد صورتاهما من قبل، ولذلك كان من دواعي الفخر أن أكون حاملا لمثل تلك الأنباء.

تلك أفكاري عندما هبطنا في سحابة سوداء كانت تغطي طرابلس وكنا ملفوفين في عاصفة كهربائية بدت لنا ومضاتها ورعودها لتحكي قصة آثار الليبيين العائدين الى موطنهم، وعلى كل، فان العواصف الرعدية، كما قيل لي فيما بعد، تعتبر من البشائر السعيدة بأرض للماء فيها ثمن. وسرعان ما انطلقنا تحت وابل من المطر الى احضان أصدقائنا المرحبين.

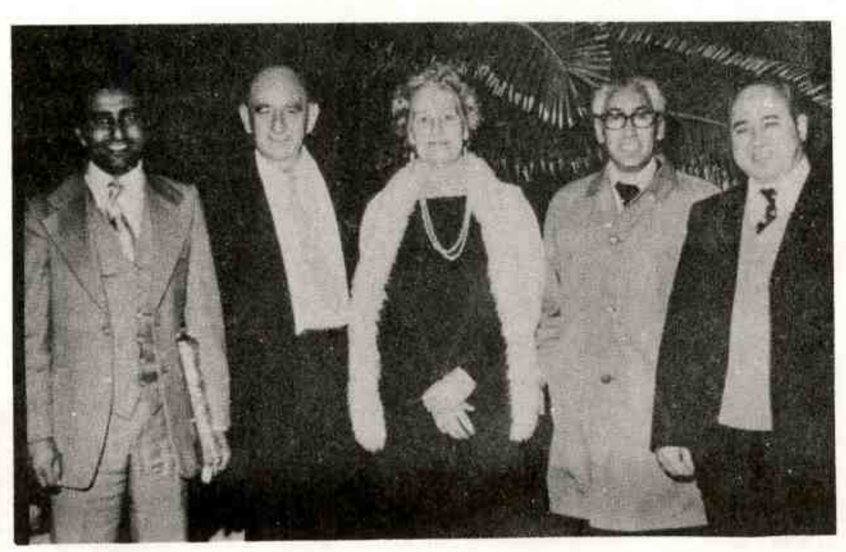
كان العلماء العرب المرحبون بنا قد اشتغلوا معنا بجامعة هارفارد في الصيف السابق. أما مجموعتي فكانت تشمل حرمي ريني والمصور البحثي بيتر قرفال، وكنا الخمسة نعرف بعضنا بعضا من اجتماعات سابقة، بحيث أصبح الموقف كانه عودة الى الديار بدلا من زيارة. وهكذا استمر أبان الأسابيع اللاحقة، وعندما حان الوقت للعودة الى أمريكا بنظرات جديدة، حصلنا عليها نتيجة عملنا في ليبيا، صار البلد الذي تركناه ذكرى سعيدة لشعب دافىء القلب، فنان وأرض علماء وشعراء وأناس عمليين، بلد واغل في التاريخ وهو اليوم متوثب بهمة في القرن الحادي والعشرين.

كانت طرابلس تدعى «أو يا» (Oea) عند القدامى، ولوجود مدينتين قديمتين أخريين: صبراتة ولبدة (وهما حاليا أنقاض مهجورة، لكن جميلة، عريت من رمال الصحراء) سمى الاقليم تريبوليس، أي المدن الثلاث. ولقد اغتبطت لما وجدت أن «فندق الشاطىء» الذي نزلنا به، قد شيد بقرب نسبي لموقع النزل القديم الذي أقام فيه أديب القرن الثاني أبولييوس (Apuleius) أثناء زيارته لأحد زملائه القدامى في الدراسة (والذي تزوج بعدئذ من أمه المطلقة مسببا قضية مشهورة حول ملكية متنازع عنها). و يمكن للشخص أن يشاهد بالنهار من شرفة الفندق خليج طرابلس وكان جو الصحراء صافيا بدرجة تسمح بتتبع رتل السفن المنساب باستمرار من الميناء الى الأفق حيث يرى المرء جرم كل سفينة يغيب وراء خط انحناء الأرض، ولا زالت سارياتها ظاهرة للعيان، فلا غرو أن تم في ليبيا البرهنة على كروية الأرض للمرة الأولى، إذ ان السفن في أجوائنا الشمالية المضببة تتلاشى في الغيوم البعيدة قبل بلوغها الأفق.

عاش اولوس جاليوس (Aulus Gellius) في عهد هدريان والأباطرة الأنطونيين وهي فترة سعيدة في تلك الحقبة من تاريخ روما الامبريالي الذي هو في حد ذاته مقيت، وفي المدى القصير الممثل في عمر الانسان، ألا هو أربعون عاما، قد استطاع أن يولد و ينمو و يهضم مقدارا عظيما من الأدبين اللاتيني واليوناني وأن يكتب ملخصات لمئات من كتب القدامى الذين ضاعت أعمالهم في القرون المظلمة والتي بقيت ذكراها الى يومنا هذا بفضل النقولات التي قام بها أولوس غاليوس، ومن الصدف أن تنجو مخطوطات هذا الكاتب غير المشهور، من الكارثة عندما أردى الفندال روما صفصفا.



لقد جعل الكرم العربي من الامسيات في طرابلس، أحداثا جديرة بأن تنكر بالنسبة لنا. وفي هذه المناسبة، أقام الدكتور محمد الشريف وزير التعليم وخريج جامعة هارفرد Harvard (إلى الشمال) حفلة عشاء للفريق الأمريكي والعلماء الليبيين البارزين، ممثلين لجامعتي طرابلس وبنغازي. ويقوم فيل، إلى اليسار من الدكتور الشريف، بتقديم لوحة معدنية للدكتور أحمد الفنيش وكيل رئيس جامعة طرابلس كتحية من جمعية النقوش Society Epigraphic صممها العقيد روبرت فينسنت Robert Vincent عضو تشيروكي Cherokee للجنة الاستشارية لجمعية الهنود الأمريكيين. وبالاضافة إلى هيئة أعضاء التدريس بمركز الدراسات الليبية، ضم الحفل علماء آخرين، هم الدكتور علي الحوات من كلية التربية، جامعة طرابلس، والدكتور عمر الشيباني رئيس جامعة بنغازي سابقاً، والدكتور مصطفى التير رئيس جامعة بنغازي سابقاً أيضاً، والدكتور عبد الرحمن قنيوة من وزارة التعليم. (تصوير: بيترج. جارفل).





تطغى الفسيفساء الرائعة للفترة الرومانية في ليبيا على معظم مساحة معرض المتحف الأثري بطرابلس. ويظهر هنا فيل وزوجته، ومن الشمال عبد الله وهب مراقب مصلحة الآثار، والى اليمين، الدكتور عبد الحميد، وفي الوسط، حسين أبو ستة الخبير الفني، الذي قدم مع زميليه عبد الله نعال وسالم ابو زيد بلقاسم، وقتهم بسخاء في سبيل مساعدتنا للقيام بعملنا. وتكرر لطفهم وحماسهم في جميع الأماكن التي قمنا بزيارتها في ليبيا. (تصوير: بيتر ج. جارفل).

الصفحة المقابلة إلى أسفل: من الممكن أن تكون ليالي فصل الأمطار باردة، كما هو واضح من هذه المجموعة إلى جانب أشجار النخيل. من الشمال، الدكتور محمد الجراري مدير مركز الدراسات الليبية، جامعة طرابلس، باري ويني فيل، الاستاذ علي خشيم عضو منظمة اليونيسكو (باريس) الاستاذ بكلية التربية جامعة طرابلس، وإلى اليمين، الاستاذ عمر الشيباني رئيس جامعة بنغازي سابقا. (تصوير: بيتر ج. جارفل).




الاستاذ علي فهمي خشيم من أوائل العلماء العرب الذين زاروا متحف النقوش، ولقد كتب منذ ذلك الوقت على نطاق واسع للصحافة العربية حول الاكتشافات الأمريكية للكتابات الليبية القديمة. ويظهر هنا ممسكاً بأحد المقالات لسلسلة نشرت بطرابلس. وهو الآن معروف كمحاضر في جامعات أمريكا الشمالية، وكذلك في الوطن العربي، وأصبح موضع تقدير واحترام كمستشار وخبير. (تصوير: بيترج. جارفل).



الدكتور محمد الجراري مدير مركز الدراسات الليبية، جامعة طرابلس (إلى اليسار) مع فيل Fell (إلى اليمين) أثناء تقديمه بالجامعة في ليبيا، والتي أصبح فيها بيان ميكوسن Mekwsen معروفاً لدى علماء الآثار والمؤرخين، ثم بث على الاذاعة المرئية فيما بعد. (تصوير: بيترج. جارفل).

لقد أسمى مؤلفه «ليالي أغريقية»* مذكراً بعهد سابق كان زعماء أثينا المتعلمون يجتمعون فيه بالأمسيات لتلاوة مختارات من نتاجهم أو للنقل عن أقلام أخرى يحترمونها. فقد كان ذلك عهد ندوات حيث مزج الراح بالماء ليلقي الشعراء قصائدهم بدون خشية السكر وقد كانت القاعدة الأغريقية تفرض مزج كميات النبيذ بثلاثة أضعافها من الماء.

وقد نسيت الليالي الأغريقية حتى جئنا لنعيش فترة قصيرة بطرابلس، حيث وجدنا الشعراء والمؤرخين وغيرهم من الكتاب، دائبين على التلاقي مسائيا بفندق الشاطىء، وهو على بعد خمسن ياردة من رابطة الأدباء، للتحدث والانشاء بالطريقة الأغريقية، الا أن قول بندار «الماء أفضل» كان متبعا عرفيا، لأن ليبيا بلد أسلامي فيه قول الرسول هو ذات القانون (ولكن العرب يجيدون صنع القهوة بدرجة من القوة تجعل القوافي تنسال طليقة عندما تدعو الحاجة).

وهنا، متكئين على أرائك مريحة بالفندق العربي في عاصمة عربية بديعة المشاهد نهارا، يجد المرء أن لليل مباهجه أيضا، لا سيما عندما يجتمع ثلاثة أو أكثر من الأدباء وينساب الحوار بين وقعي اللغتين العربية والانجليزية المتناوبتين، فهناك يأتي «علي» أو «محمد» يسمع كيف أمضينا يومنا أو لتخطيط الغد أو لتقديم أحد معارفهما، اذ العرب مشهورون بالتزامهم بأكرام الضيف، وانهم لجديرون بشهرتهم هذه، وهناك وجدت فرصة ملاقاة كتاب وشعراء ليبيا الحديثة والعديد من الزوار من أقطار أخرى.

والآن، هنا في مكتبتي بماساتشوستس، فان نظرة الى الرفوف العربية تفيدني لتذكر تلك الليالي الأغريقية بطرابلس. ان الآثار الأدبية المهداة الي للعودة بها لدياري بأمريكا من طرف كتاب عرب بارزين تقدح زند ذاكرتي وهم كثيرون.

وفي مثل ذلك المجمع بعثنا كتاب الماضي البارزين بالشمال الأفريقي فذكرنا أسماءهم و ينقلنا عنهم، و بالطبع ذكر كاليماخوس من قورينا، أعظم شاعر العصر الاسكندري، لأنه ليبي الأصل وكان من شأن تردد اسمه في المجمع، أن استدعى لذاكرتي صديقه هيراكليتوس (Heraclitus) من كاريا في (تركيا الحالية) الذي أهداه كاليماخوس أكثر القصائد تأثيرا في النفس في اللغة اليونانية، عندما بلغ الاسكندرية نعى هيراكليتوس. وفي الواقع، لم تبق ولو قصيدة واحدة من انتاج هيراكليتوس بعد

(*) أعتقد أن العنوان الصحيح هو «ليالي أتيكية» من أتيكا المقاطعة التي عاصمتها أثينا المعروفة بالأدب والذوق الراقي وكأنها باريس العالم القديم الأفضل «ليالي هيلينية» ف. ك.

الألفي سنة الفاصلة بيننا وبين عصره، وأقصى ما نعلمه عنه أن أشعاره أعتبرت جميلة من طرف معاصريه لدرجة أنهم أشاروا اليها ببلابل هيراكليتوس، ولما علم كاليماخوس أنه سوف لن يرى صديقه أبدا، عبر عن ألمه بكلمات سبكها ويليم جونسون كوري، وهو معلم انجليزي بايتون كولج (Eton College) سبكها في عبارات انجليزيةسامية منذ قرن مضى بحيث ضمن خلود نفسه مع خلود أساتذته اليونانيين، قائلا:

**قالوا لي يا هيراكليتوس، قالوا لي أنك مت لقد جاؤوني بأنباء موجعة ودموع مرة فبكيت عند تذكاري كم مرة أنت وأنا أعيينا الشمس كلاما حتى هبطت من السماء والآن وأنت طريح، يا ضيفي العزيز منكاريا، كحفنة من رماد أشهب، هامد منذ زمن،لا زال صوتك الحلو، بلابلك، حيا اذ الموت أخذ كل شيء الا هذه لم يقدر عليها.**

قلت هذ الأبيات لأصدقائي العرب، وهي من الفقرات الكلاسيكية القليلة التي يروق لي حملها في ذاكرتي، فألفيتهم مسحورين هم الآخرون بالمعنى القريب لهم للقصيدة المترجمة الى لغة بعيدة عنهم، وقد سرني أن أجد هذا التراث الأدبي وغيره من الماضي الهليني للشمال الأفريقي حيا في مخيلات الليبيين المعاصرين الذي أنجبت أرضهم مثل هذا التمكن والسيطرة على الكلمة المنطوقة.

نتعلم نحن الغربيين في المدرسة أن العرب حافظوا على المعرفة اليونانية عندما انحدر العالم القديم الى الهمجية، ولكننا لا نقدر فعلا عمق الأثر اليوناني القديم على العرب ولا عمق الشعور الذي يمكننا أن نجده بين العرب المتعلمين نحو الأغريق الغابرين. فان الليالي والأيام التي خص بها أصدقائي العرب شخصي وأعمالي كانت درساً في عالمية الأدب والعلم الملتحمين بتأثير أثينا الخالد وحيث المعيار الوحيد المعترف به هو الكمال. فاذا فتشت عن منافس لفحل الخط في أيرلند، فسوف تجده بكل احتمال في رائعة من روائع الخط العربي.

في الفصل الختامي لكتابي السابق «أمريكا قبل الميلاد» أكدت بأنه قد ساهم الكثير من الشعوب المختلفة في الماضي الغابر في تاريخ وحضارة الأمريكيين. وقلت لو أني أعطيت أهمية مبالغاً فيها لدور الكلت (CELTS) في ايبيريا فذلك لأني استطعت التعرف عن الآثار الكلتية بقدر أوفر من السهولة.

وفي الثلاث سنوات التي انقضت منذ اصداري ذلك الكتاب، ساقتنا آثارنا الى مناطق أخرى من أمريكا، حيث الرواد الأفريقيون، وبصفة خاصة العرب الأفريقيون، نقشوا أسماءهم وأحداثهم عبر قرون كثيرة مضت منذ زمن بعيد وبفضل منن عديدة لعلماء عرب زائرين، قد أصبحت وزملائي أكثر ارهافاً لاستشفاف آثار حضارة المعمرين الأفريقيين الغابرة ــ وهم أغريق وفنيقيون وليبيون وعرب ــ عبر العهود الوثنية والمسيحية والاسلامية. وقد سيطرت على هذا الكتاب ــ في نهاية الأمر ــ هذه المظاهر لتاريخنا الطويل المعقدة، مع أنه ليس سوى مجموعة بعض الانطباعات الأولية.

كم يستطيع المرء أن يتعلم في بضع سنوات من بحث متعثر خلف ركب من الأحداث دام ألفي سنة، فانني كالسابق، أعترف بغبطة بأنه ستكون هناك عدة أخطاء خافية في عمل استطلاعي مثل هذا، ولكني أشك في أن الاطار الرئيسي لقصتي هو على خطأ مقصود، كما أقول نفس الشيء بالنسبة لعملي السابق.

وعلى كل حال، سيكون الزمن كالمعتاد الحكم النهائي.



# المستر جيفرسون يتأسف

عندما بددت قرقعة «الدينونة» شفق الفجر الهادىء بكنكتكت (Connecticut) الغربية يوم ١٤ ديسمبر ١٨٠٧، فانه من المحتمل أن أضاع الكثير من سكانها نومهم الجميل. قبل كل شيء، الساعة كانت السادسة والنصف صباحاً (حسب أدق الساعات، كما ثبت فيما بعد التحري العلمي) ولم يكن سوى أكبر الكسالى بفراشهم في ذلك الوقت من مجموعة نشيطة وتقية مثلهم. زد على ذلك أنه كان يوم اثنين، أي أول يوم الأسبوع، وهو من الدواعي الاضافية لبداية حثيثة للستة أيام المقررة للعمل في الكتاب المقدس.

فلم تظهر في السماء جوقة من الملائكة ولم ينفخ في الصور ولم يسفر عن أدنى علامة لانفطار في القبة الزرقاء من فوق ولا في الأرض من تحت، بل في غضون بضعة دقائق، بعد محاولات استفسارية بين الجيران، عاد كل شيء الى ما كان عليه وانصرف الناس الطيبون الى الشغل. لكنه لم يكن كذلك في مدينة ويستون (Weston) الصغيرة بناحية فيرفيلد (Fairfield) حيث حصل هناك فعلا، كما تم اثباته سريعاً، أمر غير اعتيادي الى حد كبير، إذ لم تؤكد القرقعة الصاخبة فحسب، بل هناك من سمع صفيراً وضجيجاً خاطفاً صادر عن شيء يشبه قنبلة مدفع تطير عبر الفضاء، الى جانب دليل آخر في هيئة صخرة سوداء لطمت الأرض. وكان هناك من صرح بأنه شاهد الحادثة بكاملها التي وقع أثناءها، بعد ظواهر سماوية مثل أصوات مختلفة ونفثات من الدخان في العلى. وقع نيزك من السماء ليهبط على الأرض الأمريكية.

انتشرت الاشاعة وتحدثت الصحف في نيوهيفن (New Haven) عن الحادث بصفته واقعة عامة جديرة بالتنويه واضطرت جامعة ييل (Yale) الى ارسال استاذين مترددين ومتشككين للتحري عن الموضوع، ومع الوقت، بعد استنطاق الشهود والحصول على الحجة المادية في هيئة الحجر السماوي المزعوم، عاد الأساتذة الى ييل لابلاغ الكلية بأنه «قد سقط فعلا حجر من السماء».

هذا، وهناك من بين الاسرة الجامعية، وأكثر عناصر الطبقة الشعبية ثقافة، من سبق وأن علم عن طريق المراسلين الأجنبيين للمجمع الأمريكي للفنون والعلوم بأن اللجنة الحكومية الفرنسية المؤلفة سنة ١٨٠٣ للتحري عن حادثة مزعومة مشابهة في مدينة ليغل (L'Aigle) بفرنسا قد أفادت المجمع في باريس بنفس النتيجة: أي الحجارة تقع فعلا من السماء. ولما كان من غير المعروف أن أحدا قد علق تلك الحجارة في السماء منذ البداية، فقد انتهى العلماء الفرنسيون الى أن الحجارة كانت دائما هناك، ولذا تعتبر أنها سقطت فعلا من الفضاء الخارجي، أما في ييل، فقد استقبل ذلك الحادث الخارق للعادة كتقدم علمي من الدرجة الأولى وشرع اخصائيو المعادن في فحص المكونات الكيماوية للعينة النادرة التي سلمتها لهم العناية الالهية. وهكذا مع الوقت بلغ واشنطن خبر نيزق ويستون (Weston) وكانت واشنطن تلك الأيام لا زالت حلما عالقا في ذهن مهندسيها المعماريين وليس العاصمة الأنيقة البداية لدولة عظمى ولو أنها أخذت تعرض أوائل الواجهات الكلاسيكية والجادات الواسعة تحت عيني الرئيس جيفرسون الساهرتين. وقد كان الرئيس نفسه الأستاذ المعترف به في المضمار العلمي بين الاداريين والمثقفين رفقائه اليوميين. وان كان أولئك الرجال رغم ذلك قد يختلفون في حكمته في شئون أخرى، ولكن جيفرسون كان الحكم النهائي في جميع المسائل الخاصة بالحكمة الطبيعية.

فتساءلوا ماذا كان تعليق المستر جيفرسون حول التقرير المحير الوارد من جماعة نيوانجلند (New England) الصغيرة المدعمة بطريقة مذهلة من طرف الأستاذين العالميين من جماعة ييل (Yale)، ولكن للمرة الأولى، خذلته نجمة فرجينيا (Virginia) العظيمة. الا أنه، كما يبدو، ولسبب لا يفهم، لم يسمع عن النتائج التي توصل اليها المجمع الفرنسي قبل أربع سنوات مضت، ولذلك ــ وتاريخ علم النجوم الأمريكي ينقل التعليق ــ كان رد جيفرسون يعني أنه «أسهل عليه أن يصدق أن أستاذين أمريكيين يكذبان بدلا من قبول المبدأ أن الحجارة قد تسقط من السماء».

وانني أميل للتفكير في هذه النادرة من التاريخ الأمريكي كلما اطلعت عن اتهام ملتهب أو أكثر لكتابي «أمريكا قبل الميلاد». فهو ممدوح في بعض الأوساط، وفي أخرى عديدة اعتبر جنونا على غير هداية. لكل أسود هناك أبيض وافترض أن الطريقة الوحيدة التي يجب أن ينظر بها للموضوع هي مناظرة التعليقات الايجابية مع السلبية واعبتار النتيجة متعادلة، اذ أنه من الاكيد أنني لا زلت أجد نفسي على

خلاف مع شطر كبير من الأكاديميين، ولكن، ألم يكن جيفرسون نفسه الذي قال: «تمرد بسيط بين الفينة والفينة شيء طيب».

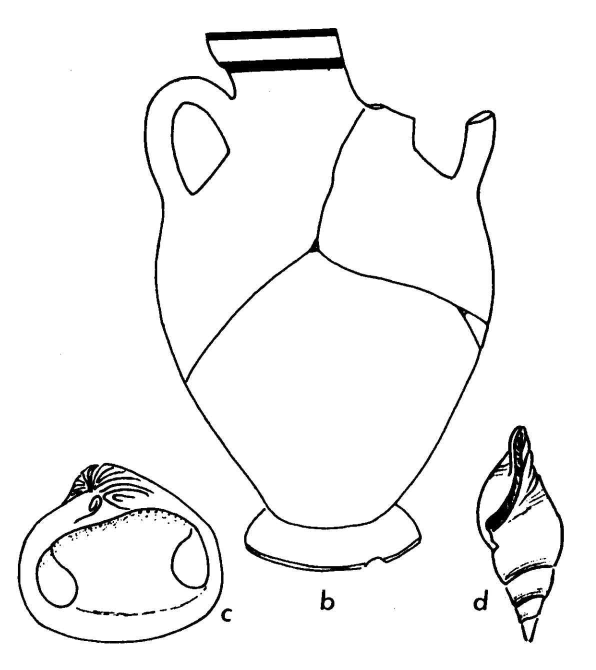
انني أود أن أفكر فيما تبع جدال و يستون (Weston)، فمثل كل باحث أصيل، قام توماس جيفرسون فورا بتصحيح خطئه ولم نسمع بعد عن أساتذة أمريكيين كذابين، اذ اعترف بالنيازك بحيث يمكنها حاليا الهبوط على الأرض الأمريكية بدون موانع و بكامل موافقة واشنطن.

وخلافا لموقفه المتحفظ نحو النيازك، قد يصنف اليوم جيفرسون من الراديكاليين المؤمنين بالنسبة لآرائه عن علم الآثار والتاريخ الأمريكي القديم، فأثناء مدته كرئيس للجمعية الفلسفية الأمريكية صرح بأنه في فترة مبكرة من حياته، قبل أن يضطلع بأعباء الوظائف العامة، قام شخصيا بحفر ركام هندي في فرجينيا، وأكثر من ذلك، أنه عني بالتعارف بزعماء هنود وكون منهم رأيه بأن أجدادهم جاؤوا الى أمريكا من خلف البحار، واعتقد بأن دراسة اللغة الهندية الامريكية قد تكشف موطنهم الأصلي، فأفكاره هذه لم تهز معاصريه ولا أجيال لاحقة عديدة، وانه لبعد سنة ١٨٦٠ فقط تطور مبدأ بأن الهنود الأمريكان ينحدرون من آسيو بين أجتازوا مضيق بيرنج (Bearing) وأنه لم يأت الى هذه السواحل أي زائر من أورو با أو أفريقيا قبل كولومبس (Columbus)، وحتى ١٩٤٠ لم يكن حتى النورس قد أخذوا في الاعتبار، أو أنهم على الأكثر اعتبروا مدعين مشكوكا فيهم بأنهم زاروا أرض «فينلاند» (Vinland) الواردة في الأساطير، أن كل من يعارض عصمة الرابطة الجامعية في هذه المواضيع يتعرض لتأديب شبيه بسياسة العصور البائدة، فالمؤرخون وعلماء الآثار نزاعون لخلط القذح بالمنطق، بحيث لا يصبح الخصم مهضوم الحق، بل حتى مخذولا وله نزعة انسان نياندرتال (انسان الكهف) في الصفقة. ان ذلك يخلق جدالا حادا ــ وان لم يكن مفيدا دائما ــ على المستوى العام.

فمن يفضل من بيننا الضغمائية ــ أو التشبت برأي محدد ــ على المنطق فانه يكرر، كما يبدو لي، ما قام به بعض أسلافنا في القرون الوسطى. واسمحوا لي بأن أشرح هذا الرأي بايجاز بذكر بعض الطرائف حصلت في سوابق الموضوع.

أحد شخصياتي التاريخية المفضلة هو البابا سيكستوس الخامس العلامة الكبير (Sixtus the Fifth) فبغض النظر عن أسمه الحسابي الطريف (اذ سيكستوس

a




لقد فقدت ذكرى الاتروسكيين القدامى، وهم سكان أتروسكيا البلاد القديمة التي تقع في غرب إيطاليا، أثناء العصور المظلمة في أوروبا، وتعرض علماء الآثار الأوائل للتشكيك في عملهم ورميهم بالمروق، عندما قاموا بالتفتيش عن بقايا الشعوب القديمة. ففي سنة ١٤٩٨، لما نشر الراهب الدومينكاني جيوفاني ناني Giovanni Nanni الكتابات المنقوشة الاتروسكية الأولى (a) والتي وجدها في قبور تحت الأرض بالقرب من فيتربو Viterbo بايطاليا، اتهم بالتزوير إلى أن أكدت حفريات سويدية في القرن العشرين نتائج اكتشافاته. وجمع الكردينال بيريتي والذي أصبح فيما بعد البابا سيكستس Sixtus الخامس) الأصداف المتحجرة وقام بوضعها في متحف الفاتيكان، إلا أنه تم الاعلان عن اكتشافاته في سنة ١٥٧٤، على أنها مجرد أحجار وقعت تحت «تأثير الاجرام السماوية» كما نبذت زهريات أثرية (b) اكتشفت تحت الأرض بمونتي تستاسيا Monte Testacea، على نحو مشابه ووصفت بأنها «انطباعات تحجيرها». وأكد من جديد عالم طبيعي فرنسي في سنة ١٥٨٠ بباريس يدعى باليسي Palissy، الرأي الاغريقي ـ الروماني القائل بأن المتحجرات هي بقايا كائنات عضوية حية. ثم بزغ علم الآثار في إيطاليا في النهاية كفلسفة جديرة بالاحترام، عندما اكتشف فلاح من نابولي صدفة آثار مدينتي هيركولنيوم Herculaneum وبومبي Pompeii، حوالي ٦٠ قدماً تحت سطح الأرض، عندما كان يحفر بئراً ـ ولم يجد ماء وإنما عثر على تماثيل.



لقد أدى اكتشاف مدينة هيركولنيوم المدفونة ـ من خلال الصدفة في سنة ١٧١٠ ـ إلى قيام المرحلة الحديثة من الاكتشافات للمدن المطمورة القديمة. ويظهر هذا المشهد جزءاً من بويبلو بونيتو Pueblo Bonito التي تقع في تشاكو كانيون Chaco Canyon بولاية نيو مكسيكو New Mexico، وهو أثر لحضارة جرى بحثها في الفصلين العاشر والحادي عشر، وربط بينها وبين كتابات منقوشة تدل ـ ضمناً ـ على صلتها بالشمال الافريقي. (تصوير: الاستاذ نورمان توتن).

يعني السادس، فكيف يكون السادس خامساً؟ ــ المترجم)، كان رجلا قريبا الى قلبي لأنه قام في أوقات فراغه بأعمال قمت بها أنا في الشطر الأكبر من حياتي: أنه كان يجمع المستحجرات، ولكن بخلاف المستحجرات العادية أو الحقلية التي يجمعها معظمنا من الهواة. فعيناته كانت غريبة، بل وحيدة، اذ خلافا لأمثال من المجموعات، كانت عينات سيكستوس الخامس تحظى بشرف عرضها في مكان لا يقل عن متحف الفاتيكان، الا أنه، لسوء الحظ، فهالة القدس التي كان المرء يتوقع أن تظهر حول قسم الآثار القديمة البابوي لم تتجسد فعلا وقد حالفه هذا الحظ السيء في المقام الأول، كما ساقتني تحرياتي لاكتشافه، لسبب تافه، الا وهو أنه لم يحتط فوضع عيناته في عرض عام بالمتحف المبجل قبل انتخابه للمنصب الأعلى. كان ذلك سنة ١٥٧٤ أي ست سنوات قبل أن يصبح سيكستوس الخامس لمن يحمل ذلك الاسم لا حق له أن يدعي العصمة، اذ كان فيليكس بيريتي (Felix Berretti) في ذلك التاريخ مجرد كاردينال.

وكان ذلك انهيار سمعته كعالم أحافير، اذ صرح شخص مقيت عرفناه باسم ميركاتي (Mercati) وهو كاتب، بحث عن غرائب الطبيعة بعد وصف عينات الكاردينال، بأنها محارات، ثم صرح بأنها ليست البقايا المستحجرة لحيوانات بحرية بل مجرد تقليد لها تكونت في الأرض بفعل تصاعدات خفية للأجرام السماوية جعلت لغش الانسان، وأيد زملاء ميركاتي رأيه جميعا، وبنفس الطريقة، رفض الأستاذ أوليفي (Olivi) من كريمونا (Cremona) متحفا كاملا من الأحافير في كريمونا، كما استقطع عالم نبات معاصر له، الأستاذ أندريا ماتيولي (Andrea Mattioli) من وقته في اعداد طبع مخطوط عن النباتات الأغريقية القديمة لديوسكوريدس (Dioscorides) لأجل التفرغ لفحص ما زعم أنها آنية فخارية كانت قد اكتشفت مؤخرا بجبل تيستاتشيو (Testaceo) كانت تلك الأشياء ما قد نصفه اليوم بكل احتمال كفخارات اتروسكية (Etruscan)، لكن الدكتور ماتيولي لم يقبل بذلك ابدا. فانه أعلن عن اكتشافه بأنها لم تكن آنية البتة، بل «أجساما نتجت عن تخمرات» لمادة أصلية غريبة أسماها «عصارة محجرة» فحصيلة التفاعلات الكيماوية تحت الأرض النهائية هي تلك الآنية. لكنه ترك تفاصيل مثل تلك التفاعلات بدون شرح.

نسي في تلك الايام الأدباء الايطاليون ــ وان بدا الأمر غريبا ــ أنه كان هناك أناس أسمهم الأثروسكيون. وفي عام ١٤٩٨، ست سنوات بعد قيام كولومبس بأول

رحلة الى العالم الجديد، أكتشف قسيس دومينكاني أسمه جوفاني (أي يوحنا) ناني (Geovanni Nanni) ونشر نقوشا قديمة من بينها ما زعم أنها من انتاج الأثروسكيين المنسيين، وذلك لأنه عثر على مقابر اتروسكية تحت الأرض بمدينة فيتربو (Viterbo) الواقعة على بعد عشرين ميلا شمال روما حيث كان يعيش، فلقي عمل الأب جوفاني جحود الكتاب اللاحقين، ودعي لعدة قرون بألقاب، مثل: «التافه الصفيق» و«المدلس الشنيع»، (من طرف فيليب كلوفر Philippe Cgluver عالم الأثار الألماني) بينما أسماه دارس انجليزي للأتروسكين «مزيف بالجملة» مع عدة أسماء أخرى مشينة. وعندما قامت الجمعية السويدية بحفريات بفيتربو في القرن العشرين، أنصف الأب جوفاني، والآن يدافع عنه البروفيسور أولاف دانيلسون (Olaf Danielson) بسبب كشف مخلفات قبور عليها كتابات أتروسكية ـ أو بالأحرى مقاطع فيها ـ وهي كما يبدو كانت أساس كتاب القديس. أن تفسيراته لم تعد مقبولة، لكن الآثار التي اكتشفها حقيقية.

وعندما خلع الكاردينال فيليكس بيريتي (Felix Berretti) القلنسوة المربعة لحمل تاج الحبر الأعظم، لم يبق له من العمر سوى خمس سنوات. فكان مضطرا ومتحفزا لتزو يد الفاتيكان بروائع معمارية، فحفز المهندسين المعماريين في عصره على اعادة كشف سر بناء القبة البيزنطية، وهكذا حبا بازيليقا القديس بطرس بالقبة العظيمة التي تحملها حاليا. والظاهر أن هذه الأعمال وأمثالها العديدة لم تترك له الوقت لاستئناف دراساته في المستحاثات، ولم تكن في تلك الأيام دراسة المستحاثات منفصلة عن دراسة مخلفات الانسانية الضائعة بحيث بقي علم الاثار وعلم المستحاثات (الباليونتولوجي) محفوفين بغيمة من الارتياب. أما في فرنسا، في جو أكثر تنورا، أعاد عالم أحياء فرنسي أسمه باليسي (Palissy) النظرة (أخذ بها سابقا الأغريق والرومان) بأن المستحاثات بقايا حيوانات عاشت على الأرض وفي البحار.

فأقام مواطنوه بعد مائة وخمسن سنة، في ١٧٣٠، المؤتمر الخمسيني بعد المائة لاحياء ذكرى باليسي كمؤسس لعلم الباليونتولوجي الحديث، وفي تلك الأثناء حدث أمر مدهش وأصبح العالم بأكمله مستعدا لتقبل حقيقة المدن المردومة والشواهد الأخرى عن حياة وعصور أسلافنا الأوائل.

كان العام ١٧١٠. وثبت أن الصيف الايطالي مقبل على جفاف غير عادي، فاعتزم مزارع بقرب من بورتيشي (Portici) على خليج نابولي حفر بئر أعمق، بحثا عن الماء

اللازم لمزروعاته، فنزل الى ستين قدما بدون العثور على سائل، الى أن ضرب ببالغ النقمة صخرا كان من نوع غريب: رخام منحوت على شكل أعمدة هياكل ومدارج، فكأنه عثر على مدينة تحت الأرض، وأسفر العائق الكريه عن أعجوبة غير عادية، فأخبر جيرانه.

بلغ خبر الاكتشاف أذني مهندس سو يسري اسمه ديلبوف (D'elboeuf) الذي كان موجودا صدفة في المنطقة وهو شبه عالم كلاسيكي، فتذكر الأسطورة القديمة في رسالة بليني الأصغر (Pliny The Younger) الى تاشيتوس (Tacitus) ردا على استفساره عن انفجار بركان الفيزوف سنة ٧٩م، وقد قال بليني أن مدينتين قد ردمتا كليا بسبب انفجار البركان وهما بومبي (Pompel) وهيركولانيوم (Herculaneum)، في القرن الثامن عشر لم يصدق أحد تلك القصة غير المقبولة بشكل واضح. لقد قيل أن بليني خدم كحاكم لمقاطعة يهودا (Giudea) في عهد تراجان وبدون شك سمع معارفه اليهود يتحدثون عن دمار سدوم وعمورة الأسطوريتين والظاهر، كما قال العلماء، أن بليني قد أختلق نصا لاتينيا لرواية التوراة لتسلية تاشيتوس.

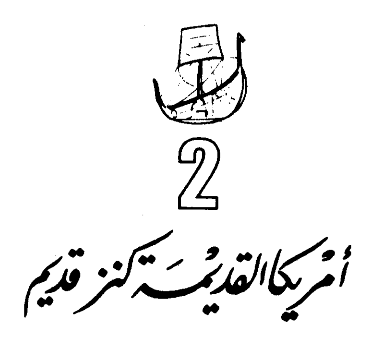
لكن ديلبوف فكر في أحتمال خطأ العلماء، أفلا يحتمل أن بركان الفيزوف كان قد ثار وغمر المدينتين، كما قال بليني؟، فقرر الوقوف على الأمر، وكان صاحب الحقل جد مستعد لبيع ملكه وأجر ديلبوف خفارين لاثبات نظريته.

«الى أي عمق تريدنا أن نصل» سألوه.

«لا تعمقوا، بل أحفروا أفقيا» أجاب ديلبوف «وأخبروني اذا ما عثرتم على جدار».

وقد تم كل شيء حسب تعليمات ديلبوف، وبعد قليل وجد نفسه يحبو وسط صحن نصف معرى لمنزل روماني لا زالت بقايا الأثاث داخله. فاستمر عمل الحفر يتعثر واجتاز النفق جدارا بعد جدار متوغلا من جانب وخارجا من الثاني ليدخل منزلا جديدا. وظهرت تماثيل من الخندق العجيب واندهشت أوروبا بأسرها لخبر اكتشاف هيركولانيوم وبعدها حدد موقع بومبي وأصبح علم الآثار الغرام الطاغي بين وجهاء جميع الأصقاع حيث حكم الرومان سابقا. بل انتشر الى أقصى من ذلك كما هو مروي في الفصل القادم.

كانت نهاية عهد وبداية آخر أكثر أثارة، اذ علم الناس للمرة الأولى كيف كانت البيوت في المدن القديمة، فبعث التاريخ الى الحياة واستحوذ على مخيلة الناس ولم يفقد منذ ذلك الوقت فتنته التي أوقدتها بئر جافة ومهندس ألمعي خالجه حس باطني بأن العلماء قد لا يكونون على صواب.



# أمريكا القديمة كنز قديم

كان العالم الغربي لمدة خمسة عشر قرناً، من ٤٠٠ الى ١١٠٠ قبل الميلاد، خاضعاً لسيطرة ست دول بحرية، فطافت أساطيلهم في تتابع منتظم البحر المتوسط والبحار المحيطة به منشئين مستعمرات أو متاجرين فقط، تاركين خلفهم سجلا من النقوش والمصنوعات وآثار ثقافية كشواهد مستديمة على زياراتهم. تلك الدول الست حسب ظهورها على المسرح العالمي، هي: (١) قرطاجيو تونس. (٢) أغريق وليبيو شمال أفريقيا، وغالباً بالاشتراك مع قرطاج أو مصر. (٣) الرومان. (٤) اليونان البيزنطيون، الذين خلفوا روما. (٥) الدول الاسلامية بالشمال الأفريقي وآسيا. (٦) رواد البحار النورس.

وفي نفس الحقبة الزمنية تركت ست موجات من الزوار لأمريكا كتابات ومصنوعات، وفي بعض الأحيان معمرين أيضاً، فان الشواهد التي تركوها وراءهم تقول لنا بأنهم ليسوا سوى الدول الست التي سيطرت أساطيلها على البحر المتوسط والبحار الأوروبية، فهكذا اشتركت أمريكا في تاريخ العالم القديم وربما كان الأمريكان القدامى على بينة جيدة بذلك التاريخ عند حدوثه.

ولم تكن هذه هي الشعوب البحرية الوحيدة التي زارت شواطئنا وصعدت أنهارنا وبحيراتنا الداخلية، اذ أتى قبلهم آخرون: كلت وايبيريون وباسك من أسبانيا وليبيون قدامى ورجال من مصر وكريت، واستقر بعضهم، كما قلت في كتابي السابق، كمعمرين دائمين هنا، وغيرهم أتوا بعدهم، ان أثر الزوار الأوائل مشوش بسبب مضى الزمن وغامض بسبب قلة الدقة في تحديد تاريخ وصولهم ومغادرتهم، بحيث أصبح تاريخنا الأقدم محفوفاً بالشكوك.

الا أنه، بعد القرن الرابع قبل الميلاد، أخذ ضيوفنا يجلبون معهم ويتركون وراءهم معايير زمنية لا تخطىء، يبحث عنها المؤرخ الحديث: تلك القطع المعدنية المستديرة التي تدعى نقوداً، فخلاصة هذا الكتاب حول أمريكا القديمة، تدور غالباً

حول اكتشاف وتأويل عملات مفقودة من زمن طويل ظهرت حالياً الى النور بواسطة الحاسبات الألكترونية.

يحدد طرفي أمريكا الشرقي والغربي للأمريكتين محيطان وقد عبر معظم زوارنا البحرين الأطلنطي، ثم وصلوا الى داخل القارة بارتياد الطرق المائية الداخلية وخاصة المسيسيبي (Missisipi) وفروعه القابلة للملاحة ونهر سينت لورانس (St. Lawrence) والبحيرات المرتبطة به وقد كانت السفن القديمة مصنوعة قصداً قليلة العمق ومسطحة القاع حتى تستفيد من الأنهر كطرق للتجارة، وفعلا كانت الأنهر الطرق الوحيدة المفتوحة في الأراضي العذراء حيث تغطي الأدغال مساحات شاسعة ولم تكن هناك مسالك، وكان من الضروري ايجاد مستوطنات على طول مجاري المياه الطبيعية وكانت المستوطنات هي أهم مقاصد التجار، اذ كانت أفضل وسيلة للحصول على المواد الأولية من أي بلد هي استبدال السلع المستوردة بالتي يرغب فيها للتصدير.

وكان الجانب البحري الثاني لأمريكا يقع بطول المحيط الهادي. هنا أيضاً وصل تجار قدامى ومعمرون، ولو بعدد أقل، وعلى فترات متباعدة. ان المحيط الهادي ضعف مساحة الأطلنطي وهو حاجز أصعب الاجتياز بكثير على قدماء الملاحين، ورغم ذلك، فقد وجد شعوب الصين والهند طريقهم الى شطوطنا الشرقية وهم بدورهم تركوا شواهد باقية يمكننا التعرف بواسطتها على تذاكر زياراتهم. أما الليبيون القدامى. أحفاد صيادي السمك الأغريق والعرب القرطاجيين الذين عاشوا على سواحل شمال أفريقيا. وتفوقوا على الآخرين جميعاً برحلاتهم. وقام أحدهم، ايراتوستين قورينا. بقياس محيط الأرض ثم برهن على أنه لو كان المحيط متواصل الأطراف. فانه يمكن للمرء ركوب البحر حول الكرة الأرضية في أي الاتجاهين ويعود الى نقطة اقلاعه.

أبحر الليبيون لاثبات نظريته. فوجدوا أن أمريكا تقسم المحيط. وبدلا من العودة الى ليبيا من الجهة الأخرى وجدوا أنفسهم راسين على طرفي أمريكا المتقابلين. وراقهم ما شهدوه واستقروا نهائيا وأقام بعضهم مدارس هناك حيث علموا بها الرياضيات والفلك والملاحة والجغرافيا وترك أولئك الأمريكان. اذ هم أصبحوا كذلك. سجلات مقتضبة لاتقانهم العلوم. فأصبحت أمريكا القديمة قبل ألفي سنة مأوى لجوء لرجال من أرجاء البحر المتوسط نقلوا معارفهم الى النشىء وربطوا علاقات

ودية بالأمريكيين الهنود الذين لم يروا داعيا للعداوة، وبزغ فجر ذهبي على جبال الغرب، حيث اتخذ أولئك العلماء موطناً لهم وطفق جيل من الملاحين لعدة قرون يبحر من سواحلنا لاستكشاف المحيط الهادي، والتجارة مع شعوب آسيا، ثم بعد ألف سنة أخذت تلك الحضارة تنهار ولما وصل المحتلون الأسبان لم يجدوا الكثير من الروعة الغابرة.

إن هذا الكتاب يروي قسماً من هذه الأحداث وانه لا يدعي بأي قدر من العصمة ولا شك أنه يحتوي على أخطاء غير مقصودة، لكنه يقترب أكثر للحقيقة مما كان في الامكان من قبل عند انعدام مصادر المعلومات المقدمة من النقوش والنقود الدفينة.

في سنة ١٩٧٤، عندما كتبت للمرة الأولى عن النقوش، مع شرح لكيفية ارجاع كل علامة الى شكل حروف الأبجديات المعروفة في أوروبا وشمال أفريقيا وكيف أن تلك الحروف تكون كلمات يمكن التعرف عليها في لغات قديمة بتلك المناطق، وجدت نفسي أؤدي دور جواب منفرد يتحدث الى نفسه في الخلاء، ولم يعبأ أحد، إلا مؤخراً عندما أخذ بعض العلماء الذين توجسوا بأن رحالة قدامى وصلوا الى أمريكا، يهتمون بعملي وشجعوه، وعقب ذلك قد تعرض أولئك العلماء وأنا نفسي لهجوم منظم من طرف علماء آثار تقليديين على أساس أن الأفكار المعروضة كانت خيالية وغير علمية، وكثرت بصفة خاصة الانتقادات بأنه لا يستطيع أي شخص آخر قراءة الكتابات المزعومة بحيث «بقيت رزمة أوراق اللعب بأكملها جاثية على تخيلات الأستاذ فل الطائشة» وقد وجه لي هذا الانتقاد حتى عندما ظهر شرح لأعمالي على هيئة غير فنية في كتاب.

ان ذلك الانتقاد لم يعد محقاً بعد، اذ أن علماء اخصائيين، يشكلون مراتب مسئولة في جامعات ومتاحف، يأتون الآن الواحد تلو الآخر بتأكيدات لفك تلك الرموز، وجاءت أول التأكيدات من لغويين في أوروبا وشمال أفريقيا والشرق الأوسط، ونشرت في بحوث علمية كتبوها، ومؤخراً صدرت تأكيدات من علماء أمريكيين، وفي تلك الأثناء زارني علماء من الخارج متشوقين لمعرفة المزيد من تفاصيل تقدم التنقيب في أمريكا، وتلت ذلك دعوات لمحاضرة مستمعين جامعيين هنا وفي الخارج وللقيام بالبحث في مواقع بالبحر المتوسط على ضوء نقوش مشابهة.

والآن، في سنة ١٩٧٦، أصبحت مسألة اتصالات أمريكا القديمة بحضارات ما وراء البحار موضوعاً حياً لنقاش في الجامعات والجمعيات الأثرية هنا في أمريكا وفي الخارج.

في سنة ١٩٧٦، ضمن كتابي «أمريكا قبل الميلاد»، شرحت الكثير من الغرف الصخرية الموجودة في نيوانجلند، وبرهنت على أن الكتابات الكلتية المنقوشة والمتعلقة بها تؤدي الى الجزم بأنها معابد قديمة موجهة حسب حركة الشمس والقمر بحيث يستنتج بأنها بمثابة مراصد فلكية قديمة متعلقة بعبادة الشمس، فكان ذلك التأويل المتمشى مع الآراء المستقلة لبحاثين مثل جيمس هو يتال (James Whittall) وبايرون ديكس (Byron Dix) مرفوضاً في البداية، لكن الفلكيين المحترفين الذين جاؤوا للتحري عن تلك المزاعم أكدوا صحة المواليات الفلكية وسرعان ما قامت علمية اسمها «أركيوأسترونومي» (Archaeo Astronomy) بتسجيل الوقائع الجديدة. وقد تفوه بعض النقاد أيضاً، ولو بدون برهان، بأن الحجرات الصخرية كانت في الواقع مجرد «خزانات جعة» أنشئت في أزمنة حديثة من طرف مزارعين نيوانجلندا في تاريخ يرجع لعهد الملكة فيكتوريا، إلا أن فرقة برئاسة جيمس وهو يتال، اكتشفت فحماً نباتياً أثناء حفر حجرة في باتنى (Putney) بمقاطعة ڤيرمون (Vermont). وفي سنة ١٩٧٨ أعلن هو يتال أن العمر المحتسب بالفحم المشع في التحاليل التي أجراها مختبر جيوقرون (Geochron) في كيمبربدج ينبىء عن تاريخ انشاء يمتد لما لا يقل عن أربعة عشر قرناً، أي ألف سنة كاملة قبل كولومبوس، وبالاضافة الى ذلك، في مواقع أخرى بنيوجيرسي (New Jersey) قيل عنها في السابق أنها حديثة لوجود مصنوعات نحاسية بها، كشف التاريخ حالياً بواسطة الفحم المشع أن المواقع مأهولة حوالي سنة ١٢٥٠م.

في كتاب «أمريكا قبل الميلاد» أنبأت عن كتابات قرطاجية منقوشة على الصخور بقرب الحجرات الصخرية أو بالأحرى على أعالي الأعتاب والجدران للحجرات ذاتها، وسرعان ما ظهرت بعدها مصادر جديدة للمعلومات، إذا اكتشفت في غضون ستة أشهر نقود قرطاجية وكلتية في الحقول بنفس أودية الأنهر حيث عثر فيها على الكتابات.

وقد وجد هذه العملة مزارعون وأبناء مزارعين حادي البصر ومنقبين عن الكنوز وباستعمال جساسات معادن الكترونية، وهكذا، بعد مضي مهلة ٣٥٠ سنة بعد

العهد الاستيطاني، تظهر الآن فقط الى النور الشواهد الخفية من وقت طويل عن عهد استيطاني أقدم، لكن هذه الاكتشافات، ولو أنها تمثل أقدم نقود في أمريكا (وهي أيضاً أكثر الآثار روعة لكونها مسكوكة بقوالب نحتها فنانون أغريق)، لم تكن قط أول مثال لنقود قديمة وجدت في الأمريكتين، اذ لدينا في الواقع، تاريخ طويل لاستخلاص نقود قديمة من التربة الأمريكية، نقود عملنا على تجاهلها لأسباب لا تفهم، وخذ كمثل، الأحداث التي وقعت قبل قرنين على مسافة من الطريق العام، على بعد بضعة دقائق فقط من منزلي بماتشاتشوست.

كان الزمن وعام ١٧٨٧، وكان القس تادييوس ماسون هاريس (THADDEUS MASON HARRIS) يمشي راجلا على طريق كمبردج ـ مالدن (CAMBRIDGE-MALDEN)، (المعروف حالياً بالطريق رقم ١٦)، ربما مقلباً في ذهنه مستقبل الجمهورية الفتية التي كان دستورها الخاص على وشك الصياغة آنذاك من طرف الكونغرس، المدعو للانعقاد لذلك الغرض، وعندما دار في منعطف، شاهد جمهرة من الناس متجمعة حول شيء غريب، وكما سجل في رسالة كتبها بعدئذ الى جون كوينسي آدامس (JOHN QUINCY ADAMS) علم أن بعض العمال كانوا منهمكين في توسيع قسم من الطريق، عندما صدم أحد الفئوس بلاطة أفقية من الحجر مردومة تحت السطح وعندما عريت ورفعت اتضح أنها استعملت كغطاء واق لمخبأ احتوى على نقود قديمة ـ معروض منها الآن ربعان ـ. وهي مئات من القطع مربعة صغيرة من معدن أساسي (مؤشب نحاس وفضة)، تحمل كل واحدة علامات مجهولة مطبوعة على الوجهين، فقرر المكتشفون بأنها غير ذات قيمة، ودعى المارة، من بينهم هاريس نفسه، بأن يغرفوا منها حفنات، فضاعت هكذا المئات من تلك النقود.

ومن جملة الذين حملوا معهم عينات من تلك النفائس، قام هاريس وحده بتسجيل ما وقع، وبعد محاولات فاشلة للتعرف على النقوش (وهي في الواقع من الخط الكوفي العربي القديم) وبحوث في مكتبة هارفرد بدون نتيجة، كلف من يرسم له الأشكال، وقد نشرت هذه مع رواية الأحداث لجون كوينس آدامس من طرف مجمع الفنون والعلوم الأمريكية ببوسطن، ونام الموضوع لمدة مائتي سنة تقريباً حتى عثر جيمس هو يتال، التابع «لجمعية التنقيب على المواقع الغابرة»، عثر صدفة على التقرير القديم لهاريس، وهم باعلامي واعلام «جمعية جمع النقود الأمريكية». ودعوني الآن أنتقل الى مكتشفات أخرى في ولايات أخرى.

منذ الأيام الأولى للاستيطان، اعتاد المزارعون الامريكان العثور على رووس نبال هندية في التربة عند حرثهم لها وكان نادراً أن يوجد ابن مزارع لم يمتلك مجموعة خاصة من تلك الشواهد المبنية عن عصر يوشك الآن أن يدخل التاريخ.

لكن في سنة ١٧٩٧، عندما أخذ نوع جديد من المحاريث يتجسم في مخيلة تشارلس نيوبولد (CHARLES NEWBOLD) الخلاقة وخلفائه، وأمكن حينئذ أن يفتح أخدوداً بمحراث حديدي تستطيع شفرته أن تصل الى مدى لم يبلغ من قبل. أعطت الأرض العذراء انتاجاً لم يتوقع اطلاقاً: نقوداً رومانية مردومة، كما اكتشفت غيرها في أسفل الطبقات عندما عمقت مهاوي الآبار.

لقد تم بلا شك الكثير من أمثال تلك المكتشفات، ولم يعلن عنها في قرى صغيرة، حيث لم يكن هناك من يتقن اللاتينية ليتعرف على القطع المستديرة الصغيرة الخضراء. لكن تلك الاكتشافات الصدفية النادرة أثارت تأملات ومناقشات بين الجماعات التي حظيت بقاضي محلي أو طبيب ريفي وهي أيام كانت اللاتينية والتاريخ الروماني من المواد المقررة للحصول على شهادة جامعية، بحيث استطاع العديد من الرجال المهنيين أن يعودوا بأذهانهم الى أيام دراساتهم و يتذكروا بأنهم لقنوا أن أعظم المعارك البحرية في جميع الأزمان هي التي أحتدمت بين الرومان والصقليين والقرطاجيين، فالأسطول الأكبر (GRAND ARMADA) الذي أرسله فيليب ملك أسبانيا ضد انجلترا سنة ١٥٨٨ يتلاشى عند المقارنة بأساطيل اكتافيان وأنطوني. وهكذا، بتذكر تلك الأمور، توصل رجال الجمهورية المثقفون الى استنتاج منطقي بأنه ربما قد عبرت سفن روما الأطلنطي لزيارة الأمريكتين فتركت وراءها تلك الشواهد غير المتوقعة، إلا أنه، فيما بعد، عندما تطور الافتتان بكولومبس في الكتب المدرسية الأمريكية، وكان الأطفال يتعلمون أن الأرض مسطحة حتى سنة ١٤٩٢، فنبذت النقود المحيرة من الاعتبار. كما أهملت في غالب الحالات، الاكتشافات اللاحقة، فلا يمكن أن تكون أمريكا، كما ساد الافتراض، قد عرفها الرومان، اذن يجب أن يكون أصحاب تلك النقود الرومانية نوعاً من الدخلاء المحدثين، ولا صلة لها بكل تأكيد بأمريكا القديمة.

ولما تطورت المحاريث الحديدية في أوروبا، أبان القرن الثامن عشر، أصبحت هي الأخرى تستطيع أن تستقطب كتل أكبر من ذي قبل، ونبشت هي الأخرى نقوداً رومانية وظهرت في انجلترا وفرنسا وألمانيا، وجميعها مقاطعات سابقة من

الامبراطورية الرومانية. النقود العتيقة بكميات هائلة. كما تظهر حتى يومنا هذا. وقال لي زائر من انجلترا مؤخراً. أنه أمضى طفولته في سيلتشيستر (SILCHESTER) بمقاطعة هيمبشر (HEMPSHIRE) كان بعض الأحيان يقتفي أثر حارث الأرض. وكان يعتبر محصوله ضئيلا جداً. ان لم يؤت له سعيه اليومي بثلاثة أو أربعة نقود. وقد عرت محاريث أوروبا رؤوس نبال ومخلفات مماثلة من مخلفات الماضي الهمجي. إلا أنه بينما تقع هذه الأشياء في التربة الأمريكية. قريبة من السطح. توجد في العالم القديم على مناسيب أعمق من التي يعثر فيها على نقود رومانية. فاستنتج الأثريون البريطانيون أن الأمر يعني بأن الآثار الحجرية هي مخلفات البريطانيين القدامى. وهي أقدم من النقود الرومانية التي توجد فوقها. فبدأ كل شيء منطقياً ومطابقاً للتوقعات.

إلا أنه قام مشكل الآن. فعندما أدخلت المحاريث الجديدة في اسكندنافيا. أعطت الأخاديد العميقة نفس المحاصيل النقدية. مثل أخاديد انجلترا أو فرنسا أو أرض الرايخ. وجميعها أقسام من الامبراطورية الرومانية. في حين أن الدانمارك والسو يد وجزر البلطيق لم تكن في العهد الروماني سوى قفار موحشة. وانتهت المحاولة ابان حكم أوغسطس لادخال ألمانيا تحت النير الروماني. انتهت بكارثة. فلما زحف سنة ٩ بعد الميلاد جيش مكون من ثلاثة فيالق تحت أمرة فاروس (VARUS) واخترق ألمانيا في اتجاه شبه جزيرة الدانمارك. قامت مجموعات من المحاربين الجرمان بنصب كمين للقوات الرومانية في مكان مهجور بغابة تيوتوبورغ (Teutoburg). وبنهاية النهار أردى ١٢٠٠٠ جندي قتيلا وانسحب الباقون المندحرون وراء نهر الراين. ولم يجرؤا ثانية دخول أرض التيوتون أبداً. فكيف يمكن لنقود رومانية من شتى العصور الامبرايالية أن توجد في تربة أوروبا الشمالية بذلك الانتشار. حيث جلب منها ٤٠٠٠ قطعة من جزيرة غوتلاند (Gotland) وحدها؟. رأى العلماء الأسكتلنديون أنه بالرغم من بقاء الأصقاع الشمالية متوحشة في العهد الروماني. إلا أن التجار الرومان كانوا زواراً منتظمين لهذه الجهات وبعدد وفير. الأمر الذي يبرر كل تلك النقود التي عراها المحراث. وهنا يختلف العلماء الأمريكيون والأسكندنافيون ففي كوبنهاجن، كان ملك الدانمارك محتاراً أزاء الاكتشافات المدهشة لدرجة أنه عين لجنة ملكية لجمع وحفظ الآثار القومية. وفي سنة ١٨١٦ عين حجة في النقود القديمة، كريستيان جوزغنسن تومسين (Christian Jorgensen Thomsen) سكرتيرا لتلك اللجنة وكلف باعداد معارض عامة

لشرح المكتشفات. أما في أمريكا، فلم يتخذ أي اجراء مماثل. فكانت الصحف المحلية تنبىء بين الفينة والفينة عن بعض النقود تكشف عنها المحاريث في بعض الحقول بالمنطقة، لكن العلماء أهملوها لمدة مائة سنة، حتى جلب فريدريك ج. بوهل (Frederick J. Pohl) الانتباه سنة ١٩٦١ الى المسألة الغامضة التي أثارتها. فعدد كتاب بوهل «عبورات أطلنطية قبل كولومبس» بعض الاكتشافات الهامة لنقود رومانية في التربة الأمريكية، ومنذ ذلك الوقت نشر مؤرخون آخرون. بالأخص البروفيسور سايكلون كوفي (Cyclone Covey) بجامعة و يك فورست (Wake Forest) و بروفيسور دوغلاس س. بريثو يت (Douglas C. Braithwait) بجامعة ماتساتشوست (M.S.T.) ودكتور جوزف ماهان (Joseph Mahan) بجورجيا، نشروا معلومات اضافية، ومؤخراً، ساعد اختراع جاسات المعادن الألكترونية، على زيادة القدرة على اكتشاف مثل تلك الأشياء في الحقول وأصبحت الاستنتاجات المستخلصة منها قسطاً هاماً من المعلومات التاريخية التي نمتلكها الآن عن أمريكا القديمة.

ودعوني الآن اعود الى أحداث الدانمارك عند تعيين اللجنة الملكية، اذ أنها تنطوي على مضامين واسعة النطاق، وقد لعبت دوراً مرموقاً في الثورة التي حصلت في علم الآثار في عشرات السنين التي عقبت تعيين تومسين مسئولا عن مجموعات كو بنهاجن.

كان قد اعتلى فردريك الرابع العرش الدانماركي في زمن عصيب بالنسبة للدول الشمالية المحايدة، أثناء تصاعد كفاح البريطانيين الطو يل ضد نابوليون فكان الأسطول البريطاني يطالب بنفس حقوق المطاردة والحجز التي عكرت العلاقات الانجليزية الأمريكية سنة ١٨١٢، ولكن الدانيين، بخلاف الأمريكان لم يتمكنوا من التحكم في مواردهم الطبيعية حسب مشيئتهم، فتكبدوا هجمات مهولة ضد أساطيلهم ــ وفي بعض الأحيان ضد كو بنهاجن نفسها ــ على يد البريطانيين، فوجد فريدريك مهرباً من تلك الأ يام المضطربة في اهتمامه الشخصي المباشر بالبحوث الأثرية القائمة في بلاده. وقد واصل ذلك الاهتمام بعد وفاته سنة ١٨٣٩ خلفه كريستيان الثامن الذي جمع بنفسه بهض النقود القديمة، وعين أثرياً آخر، العالم الكلاسيكي بروندستيد (Brondsted) كأمين على مجموعاته الخاصة. و بعد وفاة كريستيان الثامن ضمت المجموعة الملكية الى المجموعات القومية، وهكذا اضطلعت الدانمارك بدور مرموق في جمع التحريات والنشرات المعنية بالنقود القديمة وأهميتها في علم الآثار. ولهذا السبب وغيره، تعلمت حرمى رينيه وأنا اللغة الدانماركية فيما

بين سنتي ١٩٥٠ و١٩٥٢. ثم قضينا عاماً في الدانمار سنة ١٩٥٣ لهضم خبرات ذلك البلد الكلاسيكية بدون أن نحلم أننا بعد خمس وعشرين سنة سنلاقي في العالم الجديد دسته من المسائل غير المحلولة. كان العلماء الدانيون قد وجدوا مفتاحها.

في سنة ١٨١٦. وجد تومسين نفسه يواجه مجموعات مختلطة من الأشياء الحديدية والحجرية المختلفة. انتزعت من التربة الدانمركية وأركام دفن قديمة بدون أي ترتيب اطلاقاً. وكان يقف وراء ذلك كله. ملك متشوق فارغ الصبر يسأل عن حلول لتلك الأحاجي الخاصة بتاريخ بلاده المجهولة في حقب زمنية تسبق الفايكنيغ.

وبعد التفكير في الأمر لمدة ثلاث سنوات. اهتدى تومسين الى طريقة عملية محضة. إذ قسم المجموعة الى ثلاث فئات. فاشتملت احداها على مصنوعات حجرية وأخرى على مصنوعات برونزية أو نحاسية. والأخيرة على مصنوعات حديدية، ثم أضاف الى كل واحدة من تلك الفئات أشياء أخرى مثل الأواني أو الأدوات الخشبية الملتقطة في المستنقعات مع شتات من أنسجة وملابس جلدية إذا عرف بأن تلك الأشياء وجدت متعلقة بالمصنوعات الحجرية أو المعدنية.

ثم وجد بعد مراجعة أقدم النصوص المكتوبة الباقية من الأزمنة الغابرة مثل الأليادة والأوديسيا (والمعتقد أنها ترجع الى حوالي ٨٠٠ قبل الميلاد ــ ولم يتم فك رموز وثائق أقدم منها حتى عام ١٨١٦). وجد أنها تشير بصفة قليلة جداً للحديد، بينما هناك اشارات عديدة للبرونز والنحاس. فاستنتج من ذلك أن استعمال الحديد ــ أو بصفة أوضح. فن صهر خام الحديد ــ قد يكون اكتشافاً متأخرا على تطور مؤشرات البرونز. ولربما كانت الاشارات القليلة الى الحديد في الوثائق العتيقة جدا لا تتعلق بخام الحديد (مثل الأكسيد الأحمر) بل الى حديد النيازك كالذي يعرفه الأسكيمو في غرينلاند. وفي النهاية. اعتمادا على المعقولية. استنبط أن الحجر استعمل من طرف الانسان البدائي قبل أن يتعلم فن معالجة المعادن. وفي سنة ١٨١٩ عرضت المجموعة للجمهور في معرض بمكتبة جامعة كوبنهاجن وقدمت كروت الشرح اقتراحاً بأنه قد كان هناك عصر حجري تبعه عصر برونزي تبعه هو الآخر عصر حديدي. وأشارت النقود المتعلقة ببعض اللقيات الى أن العصر الحديدي قد ابتدأ في الدانمارك حوالي ٤٠٠ قبل الميلاد. عندما أخذت أوائل النقود الأغريقية تستعمل من طرف التجار في أوروبا. وبهذا اتضح أن العصر البرونزي يمثل فترة أقدم في تاريخ الانسان وأن العصر الحجري أقدم منه.





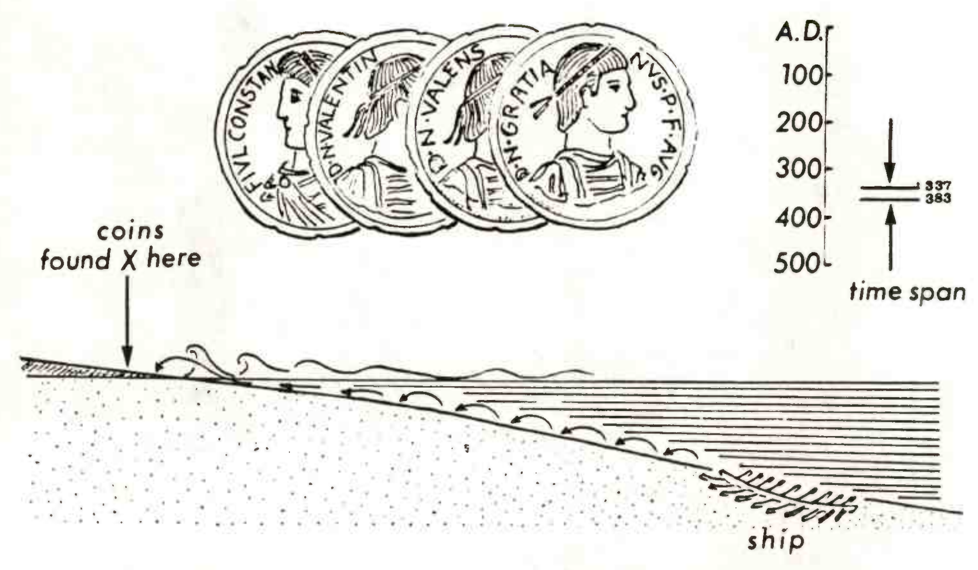




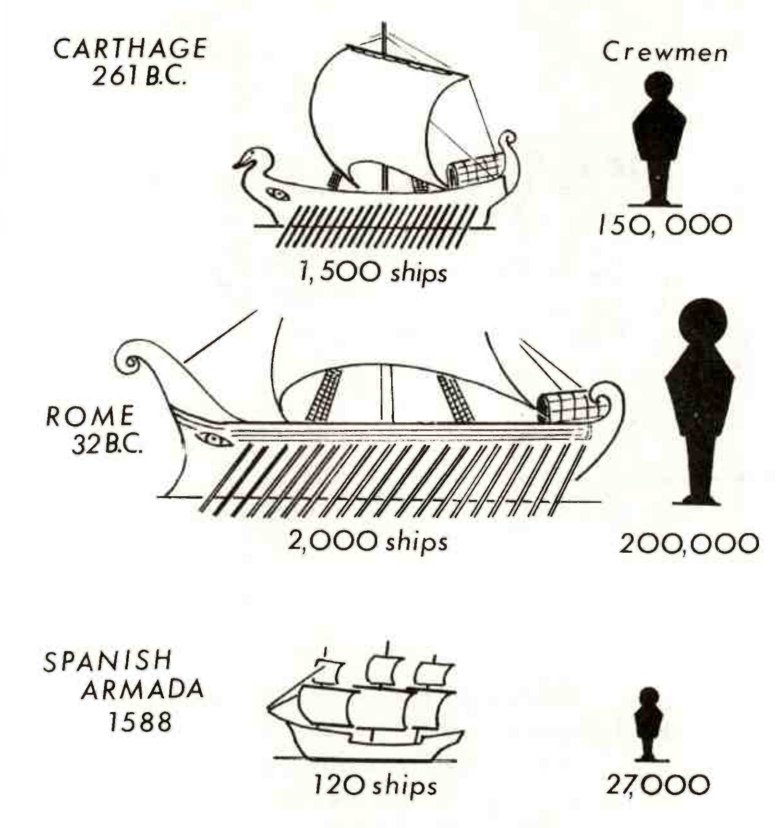

لقد تم العثور على النقود الاسلامية، في دفائن بالمئات، في كل من أمريكا وأسكنديناڤيا Scandinavia. ومن المحتمل أن النقود التي وجدت بأمريكا قد أحضرها الشماليون (نورسمن) معهم، حيث عثر على الآلاف من تلك القطع وهي تعود إلى الفترة ما بين القرنين التاسع والحادي عشر في تراب اسكنديناڤيا. (A) قطعة نقدية من سمرقند ضربت في سنة ٩٠٣ بعد الميلاد، وعثر عليها في جولاند Gulland بالدانمارك. وتقرأ الكتابة الموجودة بوسطها: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له». أما الكتابة الجانبية فتقرأ: «باسم الله ضرب هذا الدراخما [الدرهم] في سمرقند». أما (B) و (C) فهما قطعتان نقديتان إسلاميتان ضربتا خلال القرون الوسطى في شمال أفريقيا، من دفينة عثر عليها في سنة ١٧٨٧، أثناء شق طريق ما بين كامبردج Cambridge ومالدن Malden بولاية ماساشوستس Massachustts. (أعاد رسمها فيل، نقلا عن نقوش أصلية وجدها واتول).



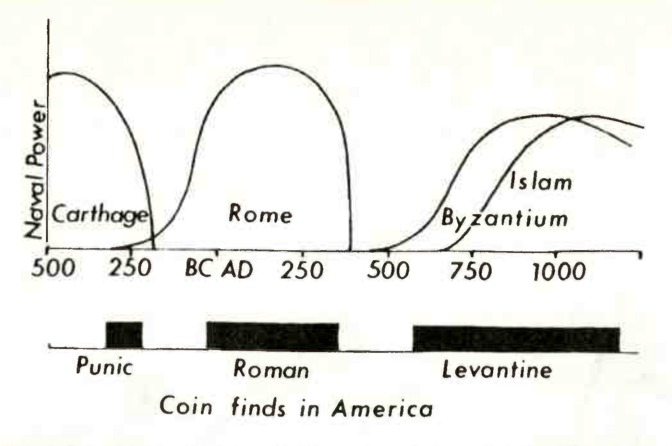
نقود رومانية تعود للفترة ٣٣٧-٢٨٣ بعد الميلاد وقد تم العثور عليها جميعاً في سنة ١٩٧٧، بواسطة جهاز الكشف عن المعادن، في مساحة من الشاطىء بلغت حوالي ياردة مربعة، في بفرلي Beverly بولاية ماساشوستس. وهو اكتشاف نموذجي بأن توجد مثل هذه النقود على الشاطىء، بمثل تلك التواريخ، متقاربة في مساحات محدودة. وتحدث مثل هذه الاكتشافات للنقود الاسبانية من القرنين السادس عشر والسابع عشر، ومن المعروف أن هذه النقود تأتي من السفن التي تتحطم قرب الشاطىء. وتزداد الدلائل الآن على أن السفن الرومانية كانت تتحطم أيضاً قبالة الساحل الامريكي الشرقي. (تصوير: مالكوم بيرسون، القطع المعدنية من مجموعة واتول).




تشتمل النقود من حطام بفرلي الروماني على أمثلة فقط لنقود حملت في أواخر القرن الرابع. وقد تبين بأنها تعود إلى عهود أربعة من الأباطرة المتتاليين: قنسطنتيوس الثاني Constantius (٣٣٧-٣٦١ م)، فالانتينيانوس الأول Valentinianus (٣٦٤-٣٧٥ م)، وأخوه الأصغر فالينس Valens (٣٦٤-٣٧٨ م)، وابن أخ فالينس، جراتيانوس Gratianus (٣٦٧-٣٨٣ م). وأصدر أباطرة روما الثمانية والخمسون العديد من القطع النقدية، وجد منها حوالي ٣٠٠٠ صنف في أوروبا. واذا ما كان وجود بقايا القطع النقدية نتيجة لفقدان عشوائي، فان الفرصة لايجاد أية عملة امبراطور معدنية، هي ف المعدل تقريباً ١:٦٠. أما بالنسبة للعثور في موقع واحد، على عدة أنواع من القطع النقدية لعدد من الحكام لفترات متقاربة تماماً، فيمكن عندئذ تقدير الفرصة بأقل من ١:١٠٠٥٠٠٠. وعلى هذا، لم يكن العثور على القطع النقدية نتيجة لفقدان عرضي (كما كان دائماً يفترض علماء الآثار) وإنما يرتبط على نحو وثيق ببعض العوامل الأخرى التي ترتبط بفترة زمنية قصيرة من ٣٣٧ إلى ٣٨٣ م. إن التفسير المنقول الوحيد هو أن خزانة النقود في سفينة تجارية تحمل النقود المتداولة حوالي عام ٣٧٥ م هي المصدر الحقيقي لمجموعة بفرلي للقطع النقدية. لقد دفعت التيارات البحرية قرب الشاطيء خلال الـ ١٦٠٠ سنة الماضية بالقطع المعدنية نحو الشاطيء. حيث تقذفها الأمواج أثناء سوء الأحوال الجوية.

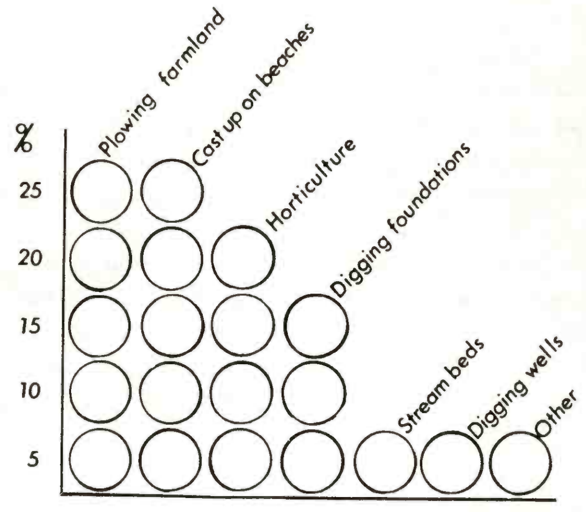



نسبة القوى البحرية لدول الأطلسي على أساس السجلات الخاصة بأساطيل المعارك والسفن المساعدة المشتركة في الحروب البحرية. وتعتبر القوة البحرية إنعكاساً للموارد البحرية ككل، بما فيها السفن التجارية وأطقمها التي لم يشملها الحصر. وكما يذكر المؤرخون القدماء فانه كان لكل من قرطاج وروما ما يكفي من الاحتياطات كافية للابحار عبر المحيط لأطلسي.

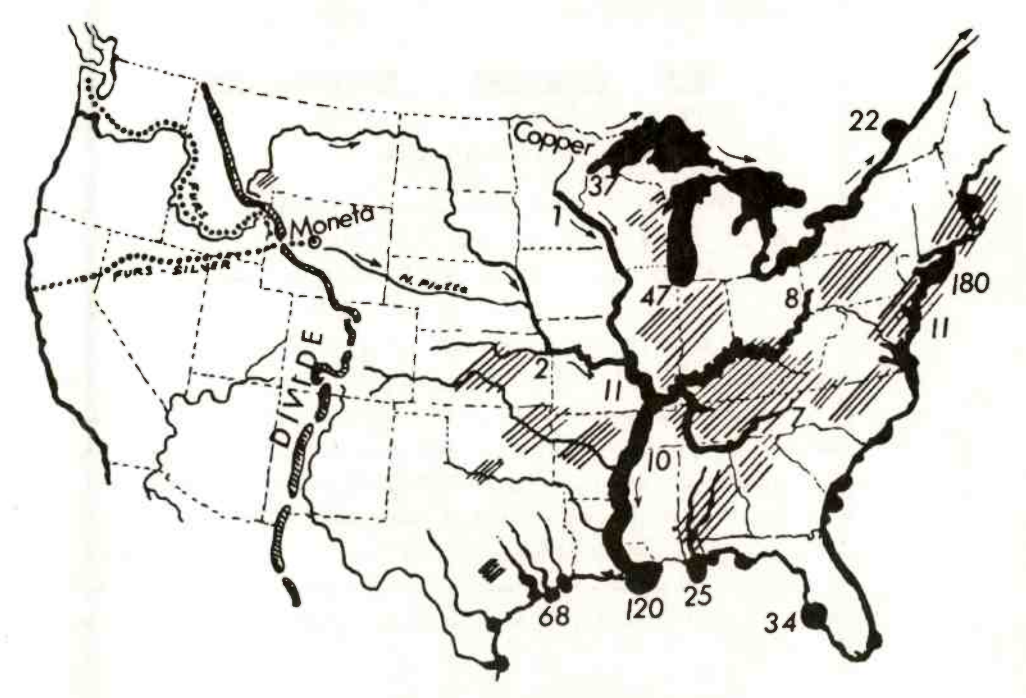


Coin finds in America

يعتبر تكرر وجود البقايا ومداها عبر التاريخ، فيما يتعلق بالقطع النقدية القديمة، في التراب الأمريكي، انعكاساً مباشراً لقيام وتدني القوة البحرية في البحر المتوسط. وهذا يدل على أن القطع النقدية القديمة لابد وأنها قد أحضرت إلى أمريكا أثناء تلك الفترات الخاصة بنشاط السفن من جانب القرطاجنيين، والرومان، والبيزنطيين، والعرب. وكان علماء الآثار، يؤكدون من قبل بأنه لم تأت شحنات منها إلى أمريكا أثناء الأزمنة القديمة، وأن جميع القطع النقدية القديمة التي عثر عليها في أمريكا هي قطع معدنية فقدت مصادفة في العصور الحديثة من قبل جامعي هذه القطع. فلو كان ذلك صحيحاً، لكانت جميع القطع النقدية لمختلف العصور والدول غير المطلة على البحار والمحيطات، وكذلك الدول البحرية ممثلة بالتساوي في البقايا التي اكتشفت في أمريكا. وقد أدرك الباحثون عن الكنوز ـ بالتجربة ـ بأن العثور على قطع نقدية قديمة متعاقبة هي دليل على وجود سفن محطمة. ولا داعي إلى الافتراض بأن القطع النقدية الرومانية في الشواطىء الأمريكية تسلك مسلكاً يختلف عن مسلكها عند شواطىء البحر المتوسط ـ أو أن تلك القواعد التي تقبل التطبيق على القطع النقدية الاسبانية الغارقة لا يمكن تطبيقها على القطع النقدية الرومانية الغارقة.




كيف تم اكتشاف القطع المعدنية القديمة في أمريكا؟ كما هو الحال في أوروبا، تمت معظم الاكتشافات عن طريق فلاحين وتلاميذ المدارس الريفية. ومع تطور أجهزة اكتشاف المعادن، فان اكتشافات هامة تتم الآن على الشواطىء بعد وقوع العواصف. كما وجدت أيضاً خلال القرن التاسع عشر قطع معدنية في تلال الهنود، بيد أنه لسوء الحظ لم يحتفظ بسجلات مفصلة عنها.



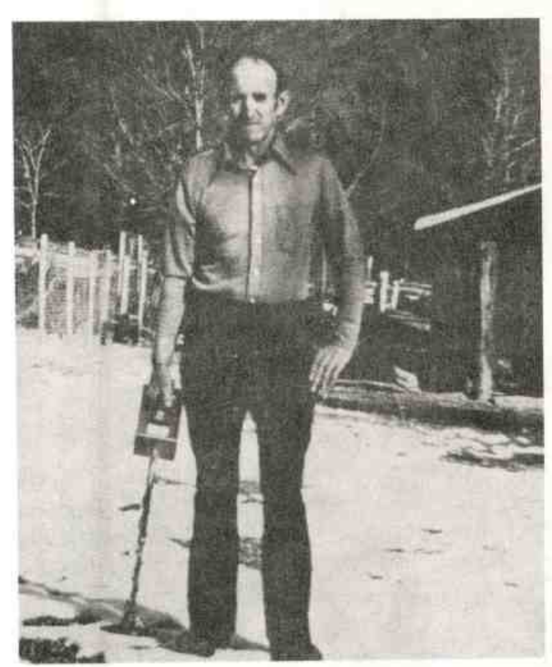

يظهر التوزيع الجغرافي للقطع النقدية التي عثر عليها في أمريكا الشمالية ترابطاً وثيقاً مع الطرق المائية الساحلية والنهرية الصالحة للملاحة. ويشار إلى نسبة كثافة المواصلات في الوقت الحاضر بأرقام تخينة، والتي تمثل نقل ملايين الاطنان سنوياً. وتوسع النقوش الصخرية التي تصور القطع المعدنية القديمة المجال إلى ما يقابل في القدم ممر أوريجون Oregon Trail، فيمتد عبر السهول إلى مونيتا Moneta في ولاية وايومنج Wyoming. ويبدو أن المدينة الأخيرة كانت موقع سوق الفراء السنوي في العهد الروماني، وهي تقع بالقرب من الممر الشمالي في الخط الفاصل العظيم Great Divide، وعلى هذا، كان ملائماً بالنسبة للصيادين القدماء، كما هو بالنسبة لصيادي وبائعي أسواق القرن التاسع عشر لوايومنج الخاصة بشركة أستور Astor. كما أن الطريق كان يؤدي أيضاً إلى مناجم الفضة بنيفادا وكاليفورنيا. أما في الشمال، فان مناجم نحاس ميشجان Michigan ربطت كليهما بتجار أعالي الميسيسيبي وبسفن البحيرات العظمى Great Lakes.

استغلت أساليب التقنية الجديدة للاسراع في فك وقراءة النقوش الصعبة من أسبانيا والبرتغال وشمال أفريقيا وأمريكا الشمالية. ويظهر هنا الدكتور سنتيال رومل Sential Rommel، بجامعة مين Maine، وقد برمج عقلا آليا ليحدد نسبة التكرر في الأصوات في عينات لغوية، لمقارنتها بمجموعات مماثلة من تكرر العلامات في نقوش لم يتم فكها أو قراءتها. (تصوير: جولياز فيل).

يستعد مالكوم بيرسون ـ وهو عالم آثار ومصور منذ ثلاثينيات القرن العشرين ـ للاقلاع في رحلة فوق موقع حدده جيمس واتول، والذي سيرافقه أيضاً. أما الطيار شارلز بيرنهام Charles Burnham، فهو عضو في Early Sites، Society Research و Epigraphic Society. (تصوير: جيمس واتول).







إلى أعلى: تعتبر الجغرافيا الجوية وتحليل صور السفن الفضائية من المهارات الخاصة بالاستاذة نويل رنج Noel Ring من جامعة نوروتش Norwich، بولاية فيرمونت Vermont، التي تبدو أثناء محاضرة حول بقاء استمرار الحدود الحقلية القديمة إلى وقتنا الحاضر. (تصوير: بيتر ج. جارفل).

إلى اليسار: يبدو في الصورة جيسي ري كيلي Jesse Ray Kelly من والدرون Waldron بولاية أركنساس Arkansas، وهو يستخدم جهاز الكشف عن المعادن، ولقد برهن عن فعالية الجهاز في تحديد مواقع القطع النقدية القديمة وغيرها من الأشياء المعدنية. وتشتمل اكتشافاته على عينة من نفس القطعة النقدية القرطاجنية التي عثر عليها في كونيكتكت Connecticut والمبينة في الصفحة ٥٦. (تصوير: الأستاذ نورمان توتن).



مع أنه تم العثور على العديد من النقوش الأمريكية في نص اجام الفريد للكلت بايبيريا، إلا انه لم يتم اكتشاف المثال الأول لنقش كلتي في كتابة بالحروف الهجائية حتى ربيع عام ١٩٧٧. ان علامة الحد هذه مكتوبة باللهجة الكلتبرية للغة جايلك القديمة Gaeli، وتستخدم حروفا تشبه الارلندية، بيد أنها ذات علاقة بالفينيقية أيضا قد عثرت عليها باربارا جين وودوارد Barbara Jean Woodward بغابات أردمور Ardmore بولاية أوكلاهوما Oklahoma. وسرعان ما تحصلت جلوريا فارلي Gloria Farley رئيسة جمعية شرق أوكلاهوما التاريخية Eastern Oklahoma Historica Society على طبعة بعصارة الشجر لجمعية النقوش، وبذلك أمكن تجصيص هذه النسخة المطابقة ودراستها. وتقرأ الثلاثة أسطر للنص من أعلى إلى أسفل، ومن الشمال إلى اليمين.

AOS NOUG

---

FIRID
AILG

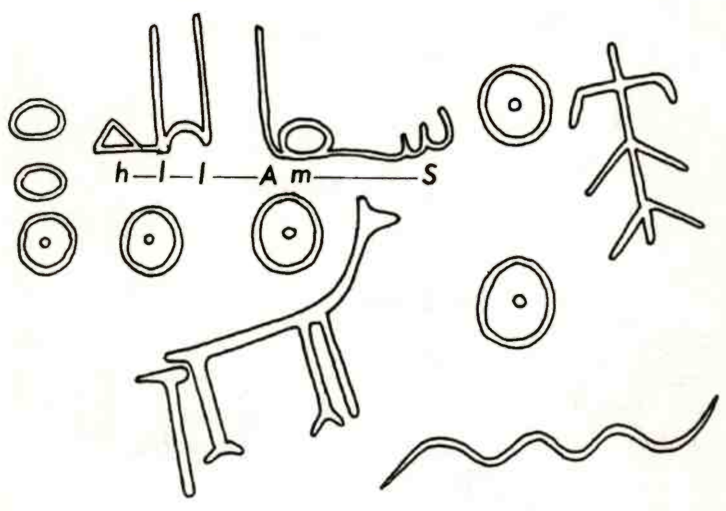
والتي يمكن ترجمتها إلى «أرض قبلية إلى حجر الحد هذا». ولا زالت مثل هذه الكلمات توجد في لغة جايلك الارلندية الحديثة حتى اليوم. ويعتقد أن تاريخ هذا النقش يعود إلى زمن المسيح تقريبا. (النسخة المطابقة من عمل جلوريا فارلي. تصوير: بيتر ج. جارفل).



أخذ الآن علماء الدراسات الكلتية من بريطانيا وكندا والولايات المتحدة في زيارة المواقع باقليم نيو إنجلاند New England التي يعتقد بأنها من عمل كلتيين أيبيريين منذ ألفي سنة أو أكثر مضت. ولقد أعلن عن اكتشاف نقوش أجام في مناطق متعددة من أمريكا الشمالية، وقدمت قطعة نقدية عثر عليها في شامبين Champaign بولاية ألينوي Illinois تاريخا في حدود القرن الثالث الميلادي. ويظهر هنا الاستاذان جاريت وجانت دنليفي، من جامعة وسكنسن، مليواكي Milwauke وهما يفحصان قالب أردمور. (تصوير: بيتر ج. جارفل).

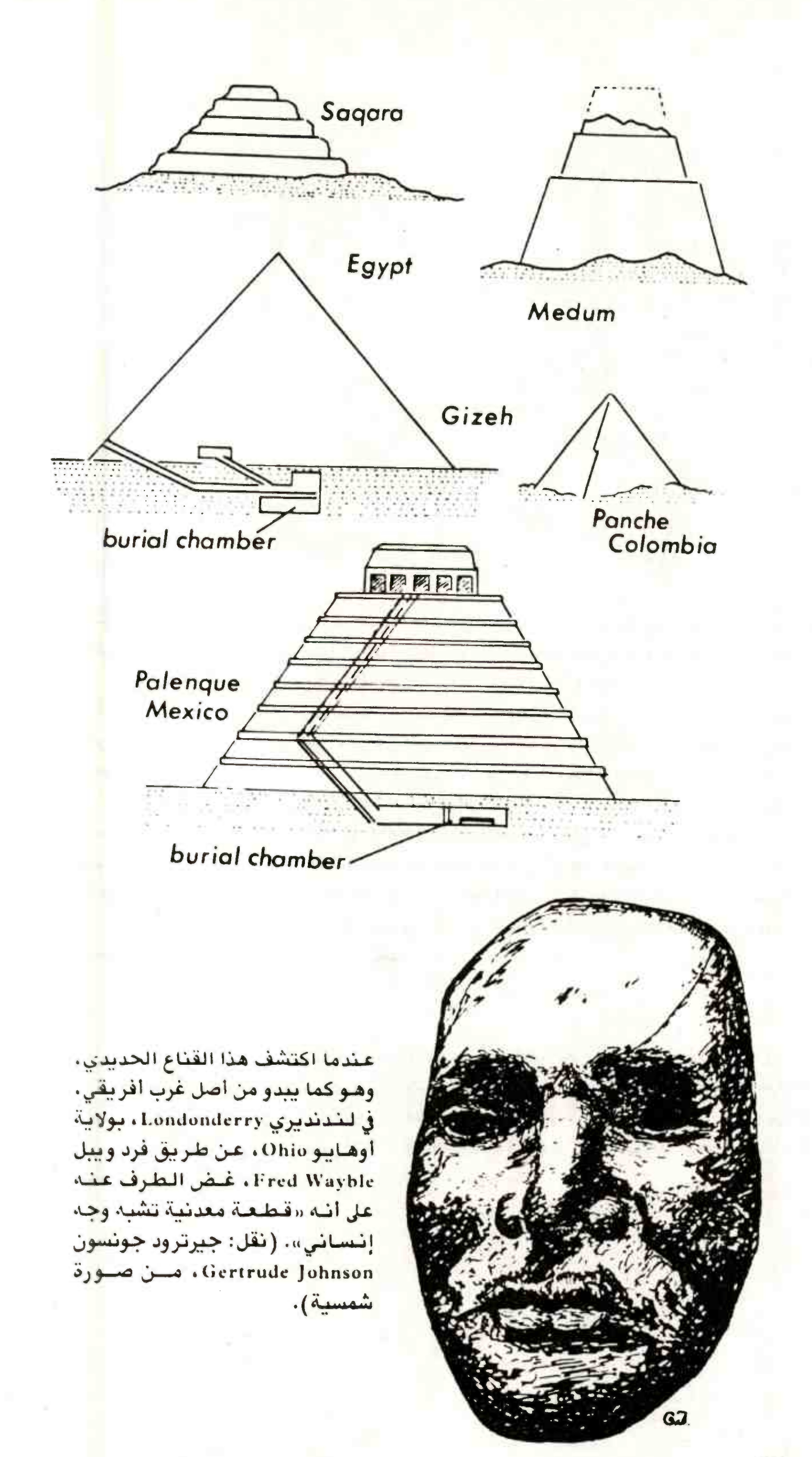


يتباحث علماء الآثار بجامعة بنغازي، في سنة ١٩٧٧، حول الاكتشافات الجديدة من أمريكا. من اليسار فيل، الدكتور م. الغناي (رئيس قسم التاريخ)، الدكتور فوزي جاد الله (أستاذ التاريخ القديم) وكلاهما من جامعة بنغازي، الدكتور محمد الجراري (جامعة طرابلس) والدكتور أ. د. المهدوي (الادارة التعليمية، جامعة بنغازي). (تصوير: بيتر ج. جارفل).




نقشان من قرنين مختلفين عثر عليهما معاً على سطح صخرة عند تقاطع طرق قوافل، قرب واحة فقيق إلى الجنوب من وهران بشمال أفريقيا. أقدم هذه الخربشة graffito وهي Allah Sam (الله أكبر) يعود تاريخها إلى فترة ما بعد ٦٥٠ م. أما يبدو من رموز قبل تاريخية ـ الشمس، ماء، جمل، وشكل يشبه أعواد الثقاب ـ وهي ذات توزيع متناسق حول الكتابة العربية، فقد تكون أضيفت فيما بعد من قبل أميين لعلهم من البدو الوثنيين. كما يبدو طلاء صحراوي خفيف على العلامات المحفورة. (تدوين: فلاماند Flamand (١٩٠١)، ترجمة: فيل). وكثيراً ما يعثر على نقوش أضيفت فوقها في فترات لاحقة زيادات وعلى هذا، فاذا كان التعامل مع نصوص مقروءة فان المحلل يهمل أجزاء النقش التي لا علاقة لها بالموضوع وتمثل عمراً مختلفاً، تماماً كما تتجاهل دراسات أحجار شواهد القبور للفترة الاستعمارية التاريخية لنيو إنجلاد التشويه الحديث ما أضافه العابثون إن هذا الاجراء، الذي كثيراً ما لا يفهمه علماء الآثار، يؤدي إلى الشكوك من أن المحلل «يختار أن يقرأ أجزاء من نقش ما ويهمل الأجزاء الأخرى».

لا زال النفور من تقدير صلات العالم القديم يميز مواقف العديد من علماء الآثار. فالى سنة ١٩٧٧، أنكر متحدث إنجليزي بارز وجود أي ارتباط بين أهرامات مصر وبين الأهرامات القائمة بامريكا، واعتبر الأخيرة مجرد «منصات قبور» خالية من أي قبر ملكي. وكما يوضح الرسم التخطيطي، فان للقبر الملكي، في الحقيقة، في الهرم المكسيكي ببالينك Palenque، نفس العلاقة الأساسية التي تظهر في الأهرامات المصرية.




عندما اكتشف هذا القناع الحديدي، وهو كما يبدو من أصل غرب افريقي، في لندنديري Londonderry، بولاية أوهايو Ohio، عن طريق فرد ويبل Fred Wayble، غض الطرف عنه على أنه «قطعة معدنية تشبه وجه إنساني». (نقل: جيرترود جونسون Gertrude Johnson، من صورة شمسية).





إلى أعلى: يظهر الأستاذ إيفان فان سرتيما Ivan Van Sertima، وهو حجة باللغة والأدب الافريقي، ويكلف على البحث حول الاتصالات الأمريكية القديمة مع أفريقيا السوداء. (تصوير: معهد السمتسونيا Institution Smithsonian).

إلى أسفل: الدكتور إدجارد إي تورس موسكويرا E. Torres Mosquera Edgard من كولومبيا Colombia، والذي كشفت حفرياته من آثار هرم بانش Panche عن دليل جديد على وجود صلات امريكية قديمة بمصر.

قدم تومسين هذه الاقتراحات كمجرد استنتاجات منطقية مع نصائح عن كيفية احتمال اجراء التحريات المقبلة لأجل الوقوف على صلاحية اقتراحاته أو عدمها. وأصبح العلماء السويديون جد مهتمين بتلك الأفكار، وهموا بتحريات اضافية في السويد. وأصبح للعلماء الدانمركيين مزيد من التحفز لتكثيف تحرياتهم في بلادهم، بمطلع عام ١٨٣٦ نمت المجموعات الى أكثر مما يتحمله اتساع المعرض بالجامعة، فنقلت الى متحف جديد أقيم في ثلاث ردهات في قصر كريستيانبورغ سلوط (Christianborg Slot) وخصص تومسين هذه المرة بهوا للعصر الحجري وبهوا للعصر البرونزي وبهوا للعصر الحديدي، وكتب أيضاً أول دليل صففت فيه اللقيات بطريقة أصبحت تعرف حالياً باسم «نظام العصور الثلاثة». وكانت أول دولة أجنبية درست وقبلت اقتراحات تومسين هي السويد، ثم النرويج، فألمانيا، وجميعها كانت تفتقد شواهد مباشرة على هيئة أنقاض وكتابات من عهد الاحتلال الروماني.

وهكذا، جاء من الشواهد في اسكنديناقيا، والتي بدت أقل المناطق احتمالا لاستكشاف التاريخ القديم، أتى تصنيف عملي ومنطقي في جوهره جعل حالياً علم الآثار في البلدان الشمالية أكثر تقدماً من أي بلد آخر في العالم. وفي سنة ١٨٤٩ ظهرت ترجمة انجليزية للكتاب الذي يشرح النظام وقد كتبه مساعد تومسين وخلفه اسمه وورساي (Worsaac) ولكن البريطانيين لم يكونوا ذلك الوقت على مزاج يدفعهم لتقبل تلك الأفكار إذ كان معظم علماء الآثار متشبثين بالايمان التوراتي القديم بالطوفان الكوني (فبناء عليه كانت الأخافير معتبرة بقايا وحيوانات غرقت في الفيضان). وهكذا كان ادراك التطور الانتقالي من مستوى معين من الحضارة الى أخرى أعلى مستوى منها غير مألوف وجائز، وعندما أضاف دارون ـ بعد مضي ثلاثة عشر عاماً، أي ١٨٥٩ ـ حطبا للنار باقتراح نظرية عامة للتطور، هوجم علم الآثار من طرف أساقفة ثائرين وغيرهم من الكهنة الغاضبين الذين شجبوا غباء الاسكندنافيين وكفر علماء الأحياء، ورغم ذلك في غضون عشرة أعوام، أخذ معظم المفكرين يفقهون معقولية نظام العصور الثلاثة الأساسية وقبلوه في هدوء.

وبينما كان كل من بريطانيا وفرنسا تتعودان بصعوبة على سيل الأفكار الواردة من اسكندنافيا، كان الدانمركيون يخوضون الميدان أمامهم بمسافة كبيرة، فكان تومسين وبرونستيد خبيري نقود حذقين متزعمين حجج النقود الأغريقية والرومانية في العالم، وكانا قد لاحظا التشابه الظاهر بين بعض أنواع النقود القديمة وبعض

أنواع المصنوعات وتمكنا من تقسيم العصر الحديدي الى ثلاث فترات: الأولى من حوالي ٤٠٠ ق.م. الى زمن المسيح. وأرخت على أساس نقود الدول الأغريقية والجمهورية الرومانية. ولما كانت المخلفات الأثرية تنم عن تأثير كلتي. أسماها العصر الحديدي الكلتي. تأتي بعدها الفترة التي أسماها العصر الحديدي الروماني. وهي تمتد من العام الأول بعد الميلاد الى حوالي ٤٠٠ م. وزامنت تقريباً مدة الامبراطورية الرومانية. وتشير إليها مصنوعات تظهر تأثيراً رومانياً واضحاً أو هي مستوردة فعلا من ايطاليا. مقترنة بنقود رومانية للأباطرة. أخيراً تأتي فترة غير محددة المعالم. أسماها الدانمركيون العصر الحديدي النوردي. وهي ممتدة من حوالي ٤٠٠ ب.م. الى ٨٠٠ب.م. و يشير إليها وجود بعض النقود المختلفة التواريخ من دور سك للنقود. فرنسية و بيزنطية وانجلوساكسونية. أما في انجلترا حيث ضربت هذه التفاصيل جذورها بشكل أسهل من الافتراضات الأصلية. اعترف بتسميات مشابهة: اتخذ العصر الحديدي الآنجليزي (نسبة الى الآنجليز) بدلا من العصر الحديدي الشمالي. وفي نفس الوقت اعترف بالعصر الحجري والعصر البرونزي وأدخلت عبارات معروفة ومستعملة عالمياً مثل باليوليتي ونيوليتي. الأول والأقدم. مميز بأدوات الحجر المشفر والثاني الأقرب عهداً مميز بأدوات الحجر المصقول. كما وجد أن العصر البرونزي يختلف من منطقة الى منطقة مع أساليب متبادلة في دفن أو حرق الموتى اعتمدت كعلامات للتمييز.

هذه التطورات النشطة في علم الآثار بأوروبا، استقبلت بقدر أقل من الحماس في أمريكا لسبب واضح هو أن معظم قبائل الأمريكان الهنود كان لها عناصر ثقافية تختلف عما هو معروف، فكانت رؤوس النبال منحوتة من الصخر، أي أنها باليوليشية مع أنها معاصرة لأشياء مثل أساور وأمواس نحاسية وتمائم وغلايين تدخين حجرية مصقولة ـ خليط حقيقي من العصور حسب النظام الأوروبي ـ فهذا الشذوذ، الى جانب منجم متضخم باستمرار من المعلومات الخاطئة حول ما يزعم بأنها الرحلة الوحيدة لكولومبس، ساقاً الى اختلاف عميق في التفكير الأثري الأمريكي عن مثيله الأوروبي، الى أن أديا في النهاية الى طريق مسدود وجد فيه علم الآثار الأمريكي نفسه تحت سيطرة اعتقاد بحكم مسبقاً على جميع الشواهد الجديدة حول العلاقات بالعالم القديم بأنها غش وتفسيرات خاطئة ومجلوبات سرية في الزمن الحاضر في العصور الحديثة. وأحد أهداف هذا الكتاب، كما هو في «أمريكا قبل الميلاد»، احياء شواهد أهملت لمدة طويلة واضافة شواهد جديدة، وبالتالي الاستدلال منها.

و يجب الآن تأكيد نقطة هامة: أن الأساس الأول لعلم الآثار الحديث هو نظام العصور الثلاثة الذي طوره العلماء الدانمركيون الى جانب التعديلات التي أضافوها فيما بعد، فان تصنيف الحقب من ٤٠٠ ق. م. فما فوق، أقيم برمته تقريباً على أساس التواريخ المأخوذة من شواهد النقود. وإن الرجال الذين بدؤوا ونفذوا تلك التعديلات كانوا خبراء نقود متخصصين في العملات اليونانية والرومانية وأن جميع الامتدادات الحديثة تقريباً لهذه الطريقة في تحديد التاريخ الى جهات أخرى في العالم أجريت على أساس العملات القديمة، وتبقى أمريكا منفردة في تجاهلها تلك التطورات الهامة وقد حان الوقت لتصحيح الاهمال. وهنا، كما هي الحال في أماكن أخرى، تقدم لنا دراسة النقود القديمة، الوسيلة لضبط تاريخ الحضارات الأمريكية خلال الألفي سنة الفارطة ولتحديد علاقات المعمرين الأمريكيين عبر المحيطات، والكثير منهم يحتلون جزءاً من السلم السلالي لكبريات القبائل الأمريكية الهندية.

هناك في جهات من شمال أفريقيا، شمالي الصحراء الكبرى، طرق للكتابة قديمة جداً يرجع تاريخها الى حوالي ألفي سنة وهي لا زالت توجد مستعملة لدى قبائل منعزلة، وقد كانت أكثر انتشاراً من اليوم بحيث يمكن العثور الآن على نقوش بالأبجديات القديمة في مناطق يتحدث و يكتب فيها الآن بالعربية فقط. و بعض الكتابات القديمة تتفق كثيراً مع مثيلاتها في أمريكا الشمالية. وكذلك بعض الكتابات العربية البدائية المنقوشة بحروف تسمى كوفية، تتفق كثيراً مع كتابات في أمريكا الشمالية سواء من حيث الحروف ومن حيث اللغة.

اذن، أهمية دراسات الشمال الأفريقي بالنسبة للتاريخ الأمريكي واضحة بل زد على ذلك، كما لاحظت في «أمريكا قبل الميلاد»، فان اللغة القديمة للأناشيد الدينية لبعض القبائل مثل البيما (Pima) في أريزونا غنية بالمفردات العربية لدرجة تمكن من ترجمة الأناشيد بنفس الطريقة التي تترجم بها اللغات القديمة في شمال أفريقيا.

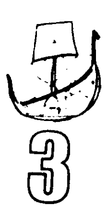
إن الأساليب الحديثة أنسب لزماننا كلما وضعها التقدم التقني في متناول أيدينا، فتخطيطات الذبذبات المرسومة بالكمبيوتر لمختلف الأصوات أو الأحرف في الكتابات لقديمة تكون أحياناً عوناً مفيداً لتشخيص اللغة الأم، فقام الدكتور سينتيل رومل (Sentiel Rommel) من جامعة مين (Maine) باعداد برنامج سهل هذه العملية.

وليس التصو ير الجوي وسيلة جديدة في البحث الأثري، ولكن بعض تطبيقاته لم تستعمل في هذا الصدد. فمثلا برفيسور نو يل رينغ (Noel Ring) تستعمل الآن المسح الجوي ليس بواسطة طائرات تقودها هي فقط، بل حتى بصور ألتقطت بأشعة ما بين الحمراء من طائرات «و٢» (U2) والكواكب الصناعية المرسلة من طرف وكالة الفضاء القومية الأمريكية (Nasa) وهي تعتقد أن دراسة تلك الصور تسفر عن نماذج حقلية قديمة وعن الطريقة التي أدمجت بها الحقول القديمة في الجديدة التي تشترك في نفس الحدود المساحية.

ثم هناك وجه آخر لعلم الآثار الأمريكي، ألا وهو امتداده لفحص ومسح مواقع محتملة مغمورة حالياً تحت البحار، فجمعية الاستكشاف العلمي والأثري ومركزها بواشنطن دي.س. أنشئت أساساً لذلك الغرض من طرف عالم الآثار البحري جون جيفورد (John Gifford) مع محامين دوليين: تالبوط ليند ستروم (Talbot Lindstrom)، وستيف بروكتر (Steve Procter) سنة ١٩٧١، وتعرف بالاختصار بعبارة سيس (Seas) وقد مدت المجموعة نشاطها الاستكشافي الى البحر الأحمر والعربية السعودية مكتسبة في العالم القديم خبرة في الاستدلال على طرق التجارة بفحص السفن الغارقة والموانيء وأنواع أخرى من المواقع المغمورة وهي حالياً منهمكة في البحث عن متشابهات بالعالم الجديد، و ينظر أعضاء «سيس» لعملهم كمجرد مسح لفحص وتحديد مناطق غائصة مهمة تمهيداً لتحريات أدق من طرف كبريات المؤسسات الجامعية. وكلما تقدم انشغالنا بالكتابات وبالمصنوعات المتعلقة بالسفن (مثل النقود التي رمت بها الأمواج الى الشواطىء) كان من الطبيعي أن نلجأ الى «سيس» للمزيد من الاستشارة والتخطيط وكلما كانت هذه ملائمة ومعقولة، استجاب هؤلاء الأثريون البحريون بحماس، شارعين في عمليات الغوص الفردي بوسائل التنفس الصناعي (Scuba-Diving).

ولكن مهما كانت مزايا الوسائل الحديثة والأدوات الجديدة، لا يمكن أن يعوض شيء عن الطرق المفضلة منذ زمن من طرف أسلافنا في الميدان. فان الاستكشاف مهما تيسر بوسائط النقل العصرية، لا زالت تتطلب في النهاية زيارات فعلية لمواقع المعيشة القديمة وتحرياً شخصياً عن واجهات الصخر والكهوف بحثاً عن كتابات تركها زوار سابقون. ففي الولايات الغربية بأمريكا وفي كولومبيا البريطانية قامت جماعة متفانية من المستكشفين بتسجيل بآلة التصوير وبالريشة تفاصيل آلاف الكتابات القديمة المنقوشة أو المرسومة على أديم الصخر، وهذه التسجيلات دقيقة

وأمينة وأصبح اسما روبرت هايزر (Robert Heizer) وجون كورنر (John Corner) جزءاً من مصادرنا بحكم دقة التفاصيل التي نشرا بها اكتشافاتهما. ومع أني قطعت مع عدة رفقاء ما يقرب عن عشرين ألف ميل عند بحثي لأجل هذا الكتاب، فان أعظم مصدر لي هو عمل أسلافي، فاليهم، كلما أمكن، رجعت للمشورة والهد'ية، وكذلك لأثريين اقليميين مطلعين جيداً على بعض المناطق بما فيها أقصى أجزاء الصحراء القفرة، وقدأعطياني العون المطلوب بكرم وان بعض الصور في هذا الكتاب تأتت من ذلك العون.



# 3

# القرطاجيون في أمريكا

في سنة ١٥٥٨ التي توجت فيها اليزابيت الأولى ملكة على انجلترا، أصبح راهب مجهول من فرنسا هو الأب آميوه (Amiot) بدعة أوروبا الأدبية، اذ أنه اكتشف مخطوطات يونانية قديمة لمؤرخ اسمه بلوطارخ في مكتبات الأديرة في ايطاليا، ونشر ترجمة لما وجد. وتتضمن لقيته سلسلة من التراجم الذاتية للعديد من مشاهير رجال بلاد الأغريق وروما القدامى مع بحوث أدبية وعلمية في مواضيع مختلفة.

وفي لندن، أخرج السير توماس نورث (Sir Thomas North) ترجمة انجليزية لنص آميوه الفرنسي، أصبحت بدورها مصدر العديد من حبك مسرحيات شيكسبير التاريخية، ولم يصدر الأصل الأغريقي مطبوعاً إلا في سنة ١٦٢٤ ومن بين كتابات بلوطارخ الذائعة الانتشار هناك واحد أقل شهرة تبدو كأنها مسودة مقتضبة لنقاط محاضرة كان يستعملها كأستاذ فلسفة في أكاديميات بلاد الأغريق، ويناقش بلوطارخ فيها مخطوطاً قرطاجياً قديماً قال إنه وجده بين أنقاض تلك المدينة، يتناول رحلات عبر الأطلنطي. فقليلون من الأدباء الانجليز والفرنسيون في زمن آميوه ــ هذا إن لم يكن أحد منهم قد فعل على الاطلاق ــ عبروا الأطلنطي، وعلى العموم فلم يلاحظ أحد منهم أي شيء غير عاد يدل على رحلة القرطاجيين.

وهكذا، وحتى أن احتفلت أمريكا بمرور الذكرى الأربع مائة لرحلة كولومبس في سنة ١٨٩٢، أن لاحظ مؤرخ من نيو يورك رواية بلوطارخ المكتوبة على الرق من قرطاج، وشعر بأنه يقدم وصفاً صادقاً وحقيقاً للرحلات النظامية السابقة الى ومن أمريكا. وفي شهر مايو ١٩٤٢، عندما اشتد حصار بريطانيا من طرف غواصات الجيب الألمانية (U-Boats)، وضعني قرار عرضي للسلطات العسكرية والبحرية على متن سفينة كان ربانها مكلف بالابحار من بريطانيا الى نيو يورك عن طريق ما سمى بالمسير الآيسلاندي وهي التي استنبطت كوسيلة لتجنب الحصار وكانت السفينة «بورت نيكولسون» وقد قامت بالعبور بسلامة وألقتني على ساحل نوفا اسكوشيا (Nova Scotia) ثم أقلعت الى مصيرها المحتوم. وفي اليوم التالي استقرت مع سفينتين

أخربين على قاع البحر خارج كيب كود (Cape Cod) بعد أن مزق جانبها انفجار طوربيد، وبعد عدة سنوات، عندما قرأت رواية بلوطارخ وتعليقات فير بلانك كولفين (Verplanck Colvin) عليها أمام معهد البني (Albany) سنة ١٨٩٣ بنيو يورك، أصبح فجأة واضحاً لي مثل ما كان لكولفين نفسه أن رواية بلوطارخ حول اتجاهات القرطاجيين حقيقية، إذ سارت رحلتي سنة ١٩٤٢ على نفس الدرب وكان تسلسل بروز اليابسة والمناظر مطابقة لما وصفه هو.

نشرت مناقشات كولفين من طرف المعهد سنة ١٨٩٨ وقد أثارت، مع الأسف، قليلا من الاهتمام. وبعد مضي ربع قرن، نبذ ساموبل ايليوت موريسون (Samuel Eliot Morison) مترجم حياة كولومبس، جميع الرحلات المزعومة قبل كولومبس كأنها هراء. فمنذ ذلك الوقت مضى خمسون عاماً، وبمضيها حصل تغير في الآراء، فهناك العديد من المؤرخين الأمريكان يقبلون حقيقة الرحلات النرويجية في القرن الحادي عشر والبعض يقبلون حتى احتمال رحلات قبلها. لكن هناك أمراً جمد التفكير في الموضوع، ألا وهو عدم توفر دلائل ملموسة عن حدوث تلك الرحلات، وكان حيز التشكك هذا هو الذي يحتاج للتحري الدقيق.

وكما حدث بالنسبة للعمل التمهيدي لتأليف كتابي السابق، كنت أحتاج الى أسفار بعيدة المدى، فزرت مع رفقائي مواقع الاستيطان القرطاجية القديمة في شمال أفريقيا وأسبانيا وكذلك المدن الراجعة للشعوب الحليفة لقرطاج أو التي ركب ملاحوها على متن السفن القرطاجية، وزرنا علماء الآثار والمؤرخين المشتغلين في تلك المواقع بالعالم القديم وناقشنا معهم اكتشافاتنا الأمريكية وبتشجيع حماسهم وثقتهم الواضحة في صلاحية بحوثنا هنا، عمدنا الى أمريكا لتنفيذ اقتراحاتهم، كما تشاورنا مع باحثين أمريكيين مهتمين بالموضوع والتمسنا مساعدتهم ونلناها حيثما احتجنا الى حنكة تخصصية. ثم في النهاية جاء الى أمريكا بعض الزملاء الأجانب الذين زرناهم ليطلعوا بأنفسهم على الشواهد التي حدثناهم عنها حتى يقدموا لنا خبرتهم. ولكن قبل أن أتناول عملنا في أمريكا، دعوني أستعرض أولا ما تم في أوروبا وشمال أفريقيا من طرف مستكشفين سابقين قبل أن تتضح الجوانب الأمريكية للموضوع.

## من هم القرطاجيون، ولماذا نربطهم بالرحلات البحرية الطويلة؟

كان الفنيقيون، كما يعلم معظم الناس، شعباً تجارياً قديماً من أصل سامي (أو على الأقل جزئياً). وكانوا يتكلمون لغة مشابهة للعبرية القديمة وغالباً ما كتبوها بحروف كثيراً ما تشبه تلك التي استعملها اليهود. وكان موطنهم المعروف البلد الممزق بالحروب حالياً، لبنان. وأشهر مدنهم صور وصيدا. ورغم ذلك، قاموا حوالي ٨٠٠ قبل الميلاد بانشاء مراكز قوية للتجارة طوال سواحل شمال أفريقيا غربي مصر وحتى المغرب وجنوب أسبانيا. ونمت احدى هذه المستوطنات الى حجم مدينة ـ دولة قوية سميت عما يبدو «خرخيدون»، وكانت تقع على رأس شبه جزيرة تونس. وسماها الأغريق والرومان ـ ونحن اليوم ـ قرطاج.

وهكذا أصبح الفينيقيون منقسمين الى فرع شرقي أو لبناني. وآخر غربي أو قرطاجي. وكان كلا الفرعين مشهورين بصناعة منسوجات حمراء تصبغ بطريقة سرية تستخدم افراز محارة تسمى «موريكس» فأسمى الأغريق التجار الذين استوردوا تلك المنسوجات «الشعب الاحمر ـ فوينكوي ـ وهي العبارة التي تشتق منها الاسم «فينيقي». أما الرومان، فأسموهم «بونيقي» وهو بنفس المعنى. ولكن، بما أن معظم الأحداث التاريخية التي ربطت بين الرومان والفينيقيين بأحلاف (ثم بعداوات) تعلقت بالفينيقيين الغربيين فقط. فانحصر استعمال كلمة بونيقي لتقوم مقام مرادفتها القرطاجيين. وهكذا نتحدث عن القرطاجيين، فنقول أنهم يستعملون اللغة البونيقية.

وبمرور الزمن، أخذت اللهجة البونيقية في الاختلاف عن لهجة فينيقي لبنان. إذ كثيراً ما نجد للبونيقية ذيول طويلة للحروف وهي قابلة لأن تكتب بدون اكتراث بحيث تشبه الحروف المختلفة بعضها البعض. وهي لغة سهلة الادراك مكتوبة ولكن قرائتها صعبة لرداءة الخطوط.

وكان القرطاجيون من أقدم العصور مشهورين بالملاحة ولم تكن لهم مندوحة من ذلك، إذ كانت منتجاتهم الأساسية تقليداً رخيصاً لسلع أفريقية ومصرية وكان مشترو بضاعتهم من الشعوب المتوحشة أو النصف متحضرة بأقطار بعيدة كانت تنتج المواد الخام التي يحتاجها القرطاجيون لتزويد مصانعهم بها.

كان القصدير من المواد الخام اللازمة لصنع البرونز المقسى، ومن ثم لصنع السيوف وغيرها من الأسلحة والدروع والأدوات المنزلية لأن البرونز خليط من القصدير والنحاس وقد علم القرطاجيون بطريقة ما أنه هناك كميات من القصدير في أرض مجهولة شمالي أسبانيا وكانوا يتحصلون عليه بالمقايضة مع الكلت بشمال غرب فرنسا، وكما لم يكن أمام الأغريق والرومان أي مصدر آخر، أصبح القرطاجيون محتكرين للمادة وحافظوا عليها بشدة بمحاصرة مضيق جبل طارق، بحيث لا تتمكن أي سفينة أجنبية من دخول الأطلنطي أو العودة منه بدون معرفتهم أو أذنهم.

يقص علينا المؤرخ الأيبيري سترابو (Strabo) الذي عاش في يوغسلافيا في نفس القرن الذي ولد فيه المسيح، يقص كيف حاول الرومان اكتشاف مصدر القصدير. فتنكر ربان روماني كحليف قرطاجي وأدخل سفينته ميناء قادس بجنوب الأندلس وعندما أخبره جواسيسه أن تاجراً قرطاجياً يعتزم الابحار الى جزر القصدير، اقتفت السفينة الرومانية أثره، ولكن الربان القرطاجي سرعان ما اكتشف بأنه متبوع، فدفع بسفينته الى اليابسة على شطوط البرتغال وعاد مع طاقمه راجلا الى مدينة قادس.

ولما روى قصته، كافأه كبار التجار بالمدينة وأعطوه سفينة جديدة بدلا من التي خسرها.

ومع الوقت، مل القرطاجيون أنفسهم اعتمادهم على الوسطاء الكلت فرنسا وقرروا البحث عن موقع المناجم المضبوط. فأبحر نوتى، اسمه «هيميكلو» من قادس متبعا المسلك الشمالي محاذيا ساحل البرتغال ثم شمال شرق عبر خليج بيسكاي إلى بريتاني (Brittany) وهناك سأل عن هوية السفن التي كانت تحمل القصدير للسوق البريتانية، وعلم أنها سفن يقودها كلتيون ينتمون للبرتانيين عرقا ولغة يأتون من جزيرة تقع شمال بريتاني. وباتباع تلك الاتجاهات، يبدو أن هيميكلو عثر على جزر القناة (Channel Islands) ثم شطوط بريطانيا ـ أما كورنوول (Cornwall) أو ديفون (Devon). ولما كانت المصالح التجارية تحكم بدون شك السياسة القرطاجية، فلا يدهشنا أن يكون تقرير هيميكلو عن الرحلة غير تام قصدا. فلا يمكن أن نجزم أنه ربط علاقات تجارية مع البريطانيين القدامى أم لا، لأن المصادر البونيقية صامتة عن الموضوع وليس هناك ما يشير إلى دلائل أثرية على هيئة كتابات بونيقية في بريطانيا بالنسبة لهذه الرحلة بالذات، إذ أنه من البديهى ألا تعلن قرطاج مثل تلك الأمور للعالم أجمع، إذ أن الأمراء التجار الذين يكونون حكومتها لم يكونوا ليسمحوا بالطبع بنشر معلومات من ذلك النوع.

يقال عادة ــ دون تبرير كاف ــ بأنه ليس هناك دلائل أثرية تؤكد أن القرطاجيين بلغوا بريطانيا، بل حمل أحد الأثريين الأسبان، البروفيسور أنطونيو أريباس (Antonio Arribas)، إلى الجزم بأن انعدام الدلائل على زيارة القرطاجيين لبريطانيا معناه أن مناجم القصدير بكورنوول كانت قد استنفذت بحلول القرن الرابع قبل الميلاد. ولكن هذا الاستنتاج يمكن تفنيده، لأنه من المعروف أن مناجم القصدير بكورنوول البريطانية قامت بدور المصدر الوحيد للقصدير لأوروبا المسيحية طيلة العصور الوسطى بأكملها حتى اكتشاف خامات قصدير في بوهيميا. وكانت كميات معتبرة من القصدير لازالت تستخرج من المناجم الكرنوولية حتى نهاية القرن الثامن عشر بعد الميلاد.

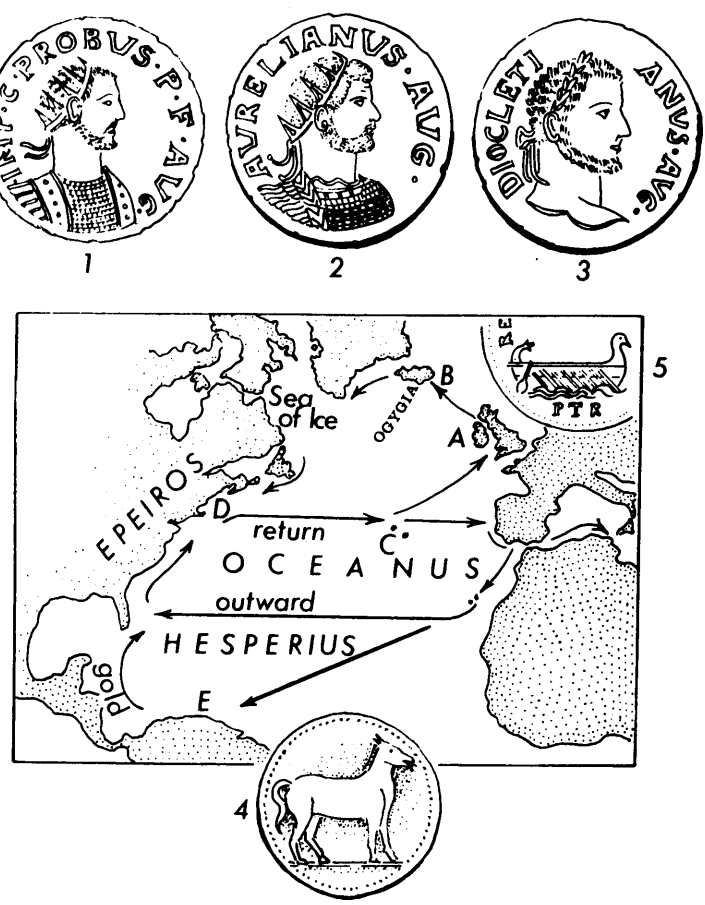
هذا إلى أن حفريات جديدة بكورنوول قد أسفرت مؤخرا عن أنه بالقرب من تشان كاسل (Chun Castle) بمقاطعة مورفا (Morvah) كانت صناعة قديمة لاستخراج القصدير في العصر الحديدي لا تزال قائمة في العصور المظلمة، إذ بعض أرضيات الأكواخ الراجع تاريخها للقرن السادس بعد الميلاد أسفرت عن مواقد بها أرمدة إلى جانب شواهد أخرى تدل على أنه كان يصهر هناك القصدير والحديد في نفس الوقت. وبنفس القطيعة، طهرت لقيات أخرى في موقع روماني بقرب تشايسوتر (Chysauter) بمقاطعة مادرون (Madron) بكورنوول، حيث كان يستخرج ويصهر القصدير من مائة سنة قبل الميلاد إلى زمن ما في القرن الثالث بعد الميلاد ويبدو أن العمليات كانت بيد البريتانيين أنفسهم فلم تظهر أي سيطرة رومانية على الصناعة التي، لا شك، كانت مشجعة من طرف الرومان. ولذا، يجب الحكم بأن القصدير استخرج كما يبدو بكورنوول باستمرار من عصر البرونز ثم خلال الاحتلال الروماني، ثم خلال القرون المظلمة والوسطى، إلى العصر الحديث. اذن، ليس من الحكمة تفسير انعدام دلائل زيارة القرطاجيين بما معناه نفاذ مناجم كورنوول أثناء فترة السؤدد القرطاجي، إذ جميع الدلائل تشير إلى خلاف ذلك.

ثم هناك أمر آخر. فخلال العشرين سنة الفارطة أجريت حفريات جديدة في كورنوول، وأسفرت عن وجود ما يبدو أنه يشبه كثيرا بعضا من أبرز بضائع التبادل التي سوقها القرطاجيون، وهي خرز زجاجي كانت صناعته أساسا سرا صناعيا للفينيقيين حتى خضوعهم لروما. كما استخرج ما يبدو خرزا فينيقيا من قلعة على ربوة تعرف بقلعة دور (Castle Dore) بقرب سينت سامبسون (St. Sampson)

بكورنوول، والتاريخ المتوقع لعمر الموقع يتراوح بين حوالي ٢٠٠ ق.م (عندما انشئت جدران القلعة) والقرن الأول بعد الميلاد عندما ترك الموقع مؤقتا، وقد كان بدون شك مستعملا في سنة ٥٠ قبل الميلاد عندما أنشيء حصنها الداخلي، فاستعاد المستر رادفورد، وزملاؤه الذين قاموا بالحفر، خرزا وأسورة زجاجية مستوردة واستنتج أن الجماعة التي استعملت ذلك المعقل استمدت ثروتها من ذلك المصدر: أي الزراعة واستخراج القصدير والحديد. وهكذا باستمرار التنقيب في كورنوول، ضعف الاعتقاد السابق «بانعدام الدلائل القرطاجية»، وحتى بمجرد الاعتماد على الوثائق المذكورة سالفا، قد يبرر استنتاجنا الآن بأن القرطاجيين زاروا فعلا بريطانيا كما زعمت الروايات التاريخية دائماً، لكن هناك مزيدا يتبع.

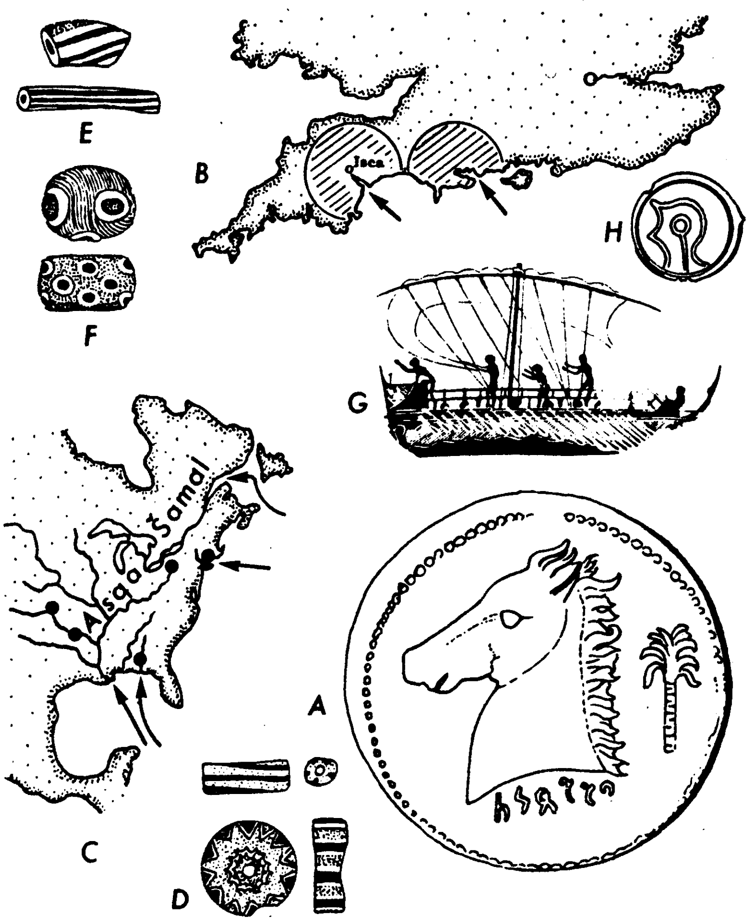
ففي حوالي سنة ٦٠٠ ق.م قامت جماعة من الأنضول بانشاء مركز تجاري على الساحل الجنوبي للغال (Gaul) وأسمو مدينتهم مارساليا (Marsalia) ــ مرسيليا الحالية ــ وتاجروا مع الغال، فأحيوا تجارة نشطة بين الوطن الأغريقي وفرنسا. وعلموا من الغال بوجود مناجم قصدير في أرض تقع في أقصى الشمال يمكن الوصول إليها بحرا بالملاحة حول أسبانيا لولا الحصار المفروض من القرطاجيين. وبين سنتي ٣١٠ ق.م و٣٠٦ ق.م التحم أسطولا القرطاجيين وأغريق صقلية في مواجهة حملت الخصمين إلى منتهى العداوة، فبلغ اذن شخص يدعى بيثياس (Pytheas) وهو بحار أغريقي من مرساليا بأن القرطاجيين أجبروا على سحب معظم سفن الحصار من مضيق جبل طارق كي يحشدوا قوة قدرها ١٥٠٠ سفينة توشك غزو صقلية.

ففهم يونان مرساليا بأنه حانت فرصتهم لاكتشاف سر موقع جزر القصدير الغامض، وهي جزر الكاسيتاريداي (Kassiteridae) التي تحدث عنها الغال، وتسلل ببثياس خلال أعمدة هرقل، التي لم تكن مراقبة بهمة حينذاك، ووجد نفسه في مياه سواحل البرتغال بدون أن يرى على الأفق سفنا بونيقية تقتفى أثره، فاتجه إلى الشمال واكتشف بلا مندوحة المناجم الكوربوولية، لكنه كان أكثر من مجرد بحار مستكشف، فكانت سفينته مجهزة بآلات لقياس ارتفاع بعض النجوم ليلا عن خط الأفق وظل الشمس عند الظهر، وقد كان على دراية بأن النجوم تدور كل يوم حول محور يقع (في أيامه) بموضع مظلم من السماء بين أربعة أنجم للبرج الذي يسمى الدب، وكان أيضاً على دراية بأنه عندما تبحر السفن من صقلية إلى مرسيليا يرتفع القطب السماوي بقدر ما يقرب ٩ أقطار قمرية، أي ٤ درجات و٥ أعشار درجة.




الطريق الشمالي الخارجي الذي سلكته السفن القرطاجنية، كما سجله بلوتارخ Plutarch، حيث سلكت طريق آيسلاند Iceland (أوجيجا Ogygia)، أما في طريق العودة فقد سارت مع الرياح التجارية العكسية حوالي خط عرض ٤٠ درجة شمالا، عائدة إلى أسبانيا وقرطاج. ومع ذلك، فمن المحتمل أن الكثير من السفن قد سلكت الطريق الخارجي الذي سلكه كولومبس Columbus، والذي يقع في خطوط العرض المدارية، وبذلك استفادت من هبوب الرياح التجارية الغربية. ويلمح ديودورس Diodorus الصقلي إلى أن هذا الطريق قد استخدمت عندما كان يتحدث عن جزيرة تشبه جزيرة كوبا قال أن القرطاجنيين اكتشفوها.

واستخدم البحارة، فيما بعد، طرقا مشابهة، فعلى سبيل المثال، أبحر الأمبراطور الروماني قسطانز Constans، مستخدما سفينة مشابهة لتلك التي رسمت على مداليته اللندنية (تظهر في رقم ٥) في أعقاب القراصنة الكلتيين الذين أغاروا على مقاطعة ويلز. فقد قادوه إلى جزيرة قطبية شمالية ــ من المفترض انها آيسلاند ــ إذ توجد فيها قطع نقدية رومانية من القرن الثالث (تظهر عند الأرقام ١، ٢، ٣). وقد طمر شخص مجهول جرة بها قطع نقدية رومانية على ساحل فنزويلا Venezuela، الموضع E، تحتوي على مئات الأمثلة من عهود جميع الأباطرة للقرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد. ووجدت قطع نقدية قرطاجنية مدفونة في جرة بجزر الأزور Azores، الموضع C، ومن المفترض أنها كانت بقايا لزيارات قام بها التجار القرطاجنيون، أما فيما يخص عينات من هذه القطع الأخيرة، فانها قد فقدت الآن، إلا أن من المحتمل أنها تشبه المثال المشار إليه في رقم ٤.



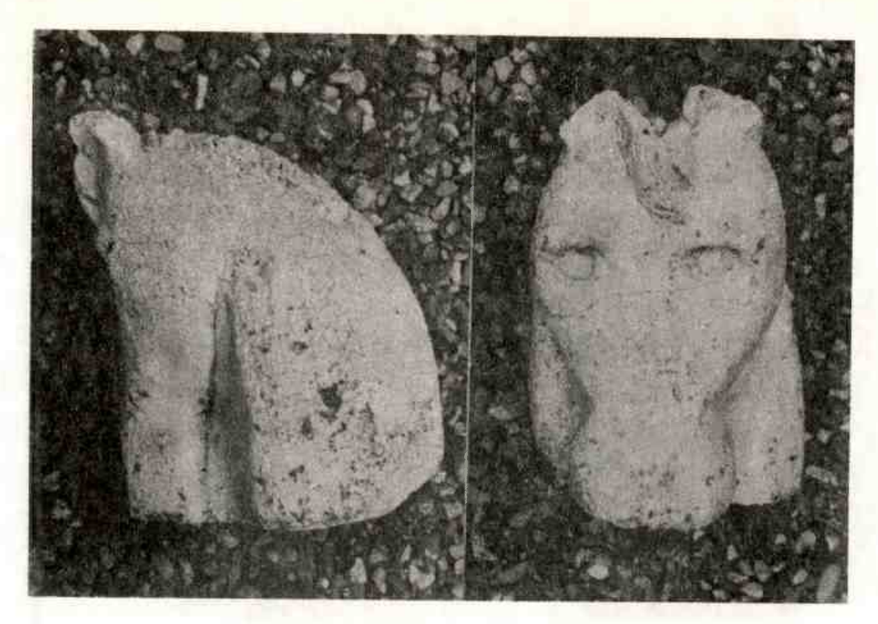

وفي بريطانيا فان الدليل الأساسي للزيارات القرطاجنية، فضلا عن سجلات المؤرخين القدماء يكمن في التوزيع المتباين للقطع النقدية القرطاجنية، A، حيث تتجمع حول مينائي دخول رئيسيين: عند نهر أسك Esk بمقاطعة ديفون Devon، وفي ميناء بول Poole بمقاطعة دورست Dorset، وفي العثور عند مواقع كان يستخرج منها القصدير على جرز زجاجي E و F من النمط الفينيقي. وزار الاغريق فيما بعد بريطانيا، G، وضربت القبائل الانجليزية القديمة القطع القصديرية، H، بتقليد بدائي للقطع النقدية الاغريقية. ووجدت القطع النقدية القرطاجنية القديمة في أمريكا الشمالية، في مواقع ساحلية، وعلى طول ضفاف الأنهار الداخلية الصالحة للملاحة، C. كما وجد الخرز من النمط الفينيقي في الاستحكامات الهندية القديمة، D. في حين استخدم بلوتارخ ـ بالنسبة لأمريكا ـ اسم «القارة (إبيروس Epeiros) التي تقع عند حافة المحيط الغربي»، ويبدو أن الاسم القرطاجني كان أسكا سامال Aska Samal (الأرض الشمالية العظمى Great North Land) إذ ترد هذه العبارة على نقش ليبي فيما بعد يفيد بالفرار إلى ما وراء البحار لمسيحيي شمال أفريقيا المضطهدين من قبل الوندال (أنظر: الفصل الثامن).



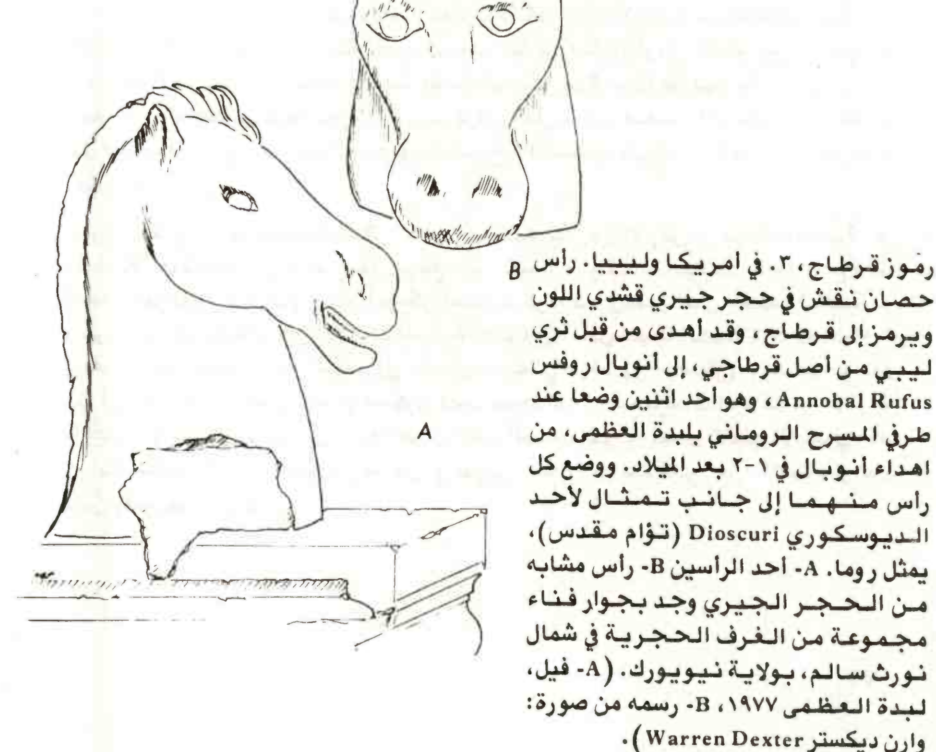


إلى اليسار: ان القطع النقدية القرطاجنية التي وجدت في أمريكا لها صفة مشتركة، فكلها تعود إلى الاصدار القرطاجي المبكر، أي إلى القرن الرابع ومطلع القرن الثالث قبل الميلاد. وهي جميعاً من عمل الفنانين الاغريقيين أصحاب المهارة الفائقة، ووجهها المقابل نسخة من العملات الاغريقية لمدينة سيراكوزا Syracuse بايطاليا، فهي تصور الحورية أريتوزا Arethusa محاطة بخنازير البحر. وان جميع الأمثلة الأمريكية التي حفظت على نحو واف لتكون مقروءة تبرهن على أن النقش الاغريقي قد وقع خطأ إملائي في كتابته. ففي المثال الموضح أعلاه (وحده فريدرك ج. جاستونجي Frederick J. Gastonguay في واتربيري Waterbury بولاية كونيكتكت) يقرأ النقش SYRAKOSCAN بدلا من التهجئة الصحيحة SYRAKOSION. ويبدو أن هذه العملات، إما أنها من عمل الاغريق الايبيريين، أو قصد بها في بداية الأمر للتداول فيما بينهم، وكانت لهجتهم قد تباينت عن نهج بلاد اليونان. ومع هذا، فان الخطأ في التهجئة ربما كان له غرض فعلي ـ كسر متعمداً العلامات الصك للدلالة على مصدر أو تاريخ ضربها. (تصوير: ف. ح. جاستونجي، من: الاستاذ نورمان توتن وفنيسنت تيرولو).

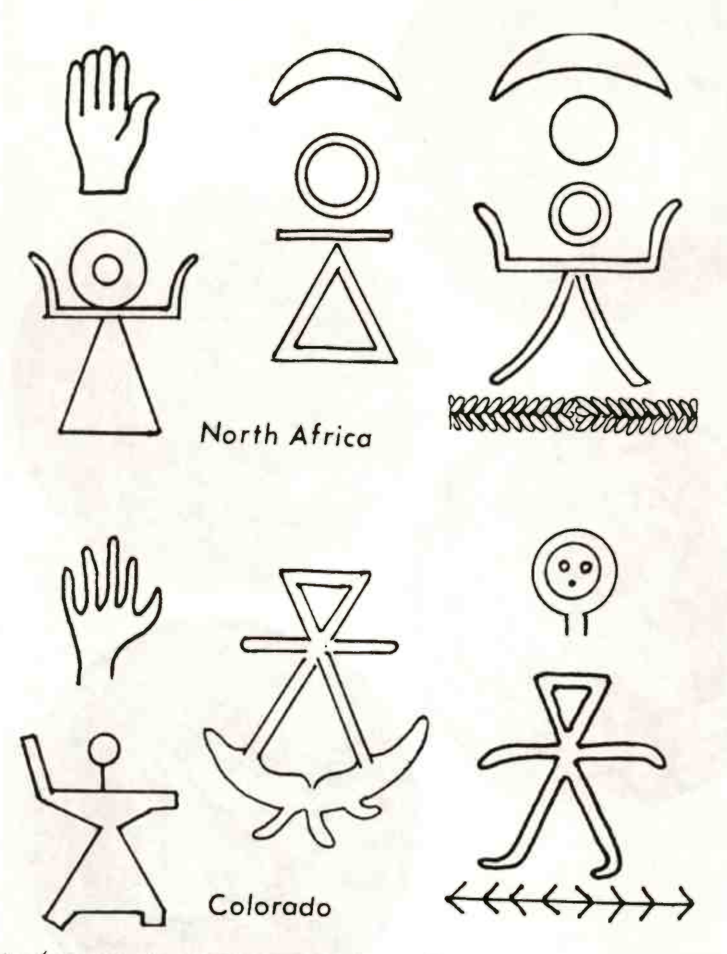
رموز قرطاج: ١ ـ طبقاً للنقش، كان رأس الحصان على الأرض من تنبؤات الكهنة، عن كيفية تعرف مؤسسي قرطاج على الوقع المقدر للمدينة. ولقد استخدم هذا الشعار مع نخلة كشعار لقرطاج، كما يبدو في مثل أمريكي لعملة مبكرة، كما في ظهر نفس القطعة النقدية من واتربيري، كونيكتكت. إن الحروف البونية Punic إلى أسفل تتهجأ الكلمة O-M-M-Q-N-T (وتقرأ Ommachanat من اليمين إلى الشمال)، وتعني حرفياً (في المعسكر)، ويعتقد أنها تدل على أن القطعة النقدية إصدار عسكري قصد استخدامه في دفع برتبات المرتزقة من الاغريق والجنود الايبيريين بالجيش القرطاجي. وتظهر الكتابة البونية بعض التأثير الايبيري، كما لو أنه القالب قد نقشه أيبيري إغريقي. (تصوير: ف. ج. جاستونجي، من: الاستاذ نورمان توتن وفنيسنت تيرولو).



الصفحة المقابلة أعلاه: رموز قرطاج، ٢. صورتان لرأس حصان أبيض من الحجر الجيري اكتشفا في نورث سالم North Salem بولاية نيويورك، بجوار غرف صخرية كتلك التي أشير إليها في كتاب (أمريكا لما قبل الميلاد). إن الرأس الآن من ممتلكات ك. س. هيوز Hughes K.C. (تصوير: جيمس واتول).




رموز قرطاج، ٣. في امريكا وليبيا. رأس حصان نقش في حجر جيري قشدي اللون ويرمز إلى قرطاج، وقد أهدى من قبل ثري ليبي من أصل قرطاجي، إلى أنوبال روفس Annobal Rufus، وهو أحد اثنين وضعا عند طرفي المسرح الروماني بلبدة العظمى، من اهداء أنوبال في ١-٢ بعد الميلاد. ووضع كل راس منهما إلى جانب تمثال لأحد الديوسكوري Dioscuri (توأم مقدس)، يمثل روما. A- أحد الرأسين B- رأس مشابه من الحجر الجيري وجد بجوار فناء مجموعة من الغرف الحجرية في شمال نورث سالم، بولاية نيويورك. (A- فيل، لبدة العظمى ١٩٧٧، B- رسمه من صورة: وارن ديكستر Warren Dexter).




رموز قرطاج، ٤. إلى أعلى، رموز نموذجية للالاهة تانيث Tanith (زوجة بعل Baal) وما يتصل بها من العلامات، تشاهد على أحجار قبور القرطاجنيين في الشمال الافريقي.

إلى أسفل، نقوش مماثلة اكتشفت في ولاية كولورادو ـ يبدو أنه لم يتعرف عليها في ذلك الوقت ـ من قبل الاستاذ جوليان هـ. ستيوارد، خلال ١٩٣٦-١٩٤٠. (تم الحصول على بعض هذه المعلومات من: إلين ألكسندر Aileen Alexander).



امثلة امريكية اخرى لقطع نقدية قرطاجنية مبكرة. إلى أعلى: الوجه والوجه المقابل لعينات وجدت في ولاية الاباما Alabama. (تصوير: الدكتور جوزيف ماهان Joseph Mahan). وتهجئة الاسم بالاغريقية هنا خطأ مرة أخرى SYRAKOSCAN. إلى أسفل: ضرب متاخر لقطع نقدية غير معروفة مكان الاكتشاف، ولكنها في حوزة مالك من بنسلفانيا Pennsylvania. وتظهر هنا الالهة اريثوزا وقد حولت إلى نسخة هيلينية للالهة القرطاجنية تانيث، وتظهر شجرة النخيل بدون جذور. أما الاسم على وجه العملة، فقد كتب خطا SYRAKOSIAN، ويعتقد بانه الشكل الايبيري الاغريقي المعتاد لحالة المضاف إليه، وتعني (الخاصة بسيراكوزا). وفي كلتا الحالتين، يظهر نقش الوجه المقابل بان العملة قرطاجنية وليست سيراكوزية، على الرغم من أن المثل المشار إليه أعلاه قد أشير إليه مبدئيا بطريقة خاطئة على أنه قطعة نقدية إغريقية من سيراكوزا. (الصور السفلى من:: جلوريا فارلي).

لاحظ، إذن، بيثياس بأنه عند ابحاره من قادس شمالا إلى كورنوول، ارتفع القطب السماوي بقدر ٢٦ قطرا قمريا، أي بقدر ١٣ درجة، وانه لم يشاهد ورفقاؤه البحارة الدب معلقا على ذلك الارتفاع في سماء نصف الليل أبداً من قبل، فاندهشوا للرؤية. فأبحر أبعد شمالا، ربما حتى بحر البلطيق، فرأى للمرة الثانية الدب يرتفع أكثر. وعندما عادت البعثة لاحظ الجميع أن الظاهرة تنعكس، فغاص القطب الشمالي نحو الأفق ثانياً، فكأن السفينة البونية سارت على محيط محدب، وبموجب ذلك توصل بيثياس إلى ادراك مدى المسافات التي قطعها، ومن ثم كان بامكانه تزو يد الفلكيين الاغريق باول بينة عن شكل الأرض.

فكما نلاحظ الآن، كان لبيثياس تأثيراً عميقاً بعيد المدى في العلم الأغريقي بسبب ملاحظاته، إذ لم يتمكن أن بحار غربي قبله الابحار شمالا لذلك المدى إذ أن المصالح التجارية القرطاجية لم تكن لتسمح بذلك، وهكذا استطاع الفلكيون للمرة الأولى أن يدركوا حينذاك فقط الدليل الهام الجديد عن استدارة سطح الأرض.

أما بالنسبة لنا في أمريكا، فيمكننا أن ننظر لرحلة بيثياس كعلاقة كبرى على الطريق أدت إلى اكتشاف ساحل الهادي للقارتين، من آلاسكا بالشمال الى الشيلي في الجنوب، إذ بعد خمسين عاما من بيثياس تمكن عالم ليبي عظيم مستعينا بالملاحظات القطبية هذه من ابتكار طريقة لبقية لقياس حجم الأرض وبناء عليها أرسلت بعثة لتحري الموضوع في فصل لاحق (صفحة ٢٨٦) قد يكون أن تلك البعثة اكتشفت كاليفورنيا واستقرت بها.

إلا أن الغرض من هذا الفصل هو بحث نشاط القرطاجيين البحري ولذا أعود الآن إلى كورنوول ومناجمها للقصدير. كان بيثياس قد استطاع في هذا المضمار أن يؤكد وجود المناجم التي تحدث عنها مخبروه الكلت في مارساليا وعن عدد مواقعها، ثم بانتهاء حرب القرطاجيين مع صقلية عاد حصار مضيق جبل طارق وأصبحت التجارة مع بريطانيا مرة أخرى ميزة خاصة للفينيقيين الغربيين.

إلا أن التقاليد التجارية تقدمت نوعا ما منذ رحلة هيميكلو، إذ وجد تجار قرطاج أنفسهم معاقين بسبب عدم امتلاكهم عملة قومية. فحتى ذلك الحين كانت التجارة تجري بالمقايضة المباشرة وتبادل البضاعة، وكان ذلك كافيا للتعامل مع الهمج والشعوب نصف المتحضرة ولكنه لم يفد اطلاقاً في تجنيد مرتزقة للجيش في صقلية

التي أصبح معظمها مستعمرة قرطاجية، فكان المحاربون الأغريق والليبيون، وهم جزء كبير من الجيش والأسطول القرطاجيين، يطالبون بأجور في شكل أشياء مضمونة قابلة للتداول، وبالأحرى بنقود معتبرة، مسكوكة بعلامات يتعرف عليها التجار الصقليون بمجرد النظر إليها وتحتوي على معدن ثمين يساوي القيمة المعلنة للعملة، وازاء ذلك المطلب، وافقت الادارة القرطاجية على اصدار عملة لها، وكلف أحذق فناني الاغريق باعداد القوالب اللازمة لضرب النقود وأصدرت التعليمات اليهم بجعل أحد وجهي كل نقد مطابقاً للنقد المساوي من عملة المدينة الصقلية الشهيرة ــ سيراكوزا ــ أي برسم الشعار السيراكوزي، حورية الطبيعة «آريتوزا» تحوط بها حيتان الدولفين، أما الوجه الخلفي للنقد فقد حمل رسما يعتمد على شعار مدينة قرطاج وهو يمثل رأس حصان ونخله، لأن الأسطورة تحدث بأن التعرف على موقع المدينة المزمع انشاؤها من طرف القرطاجيين كان بناء على نبوءة قالت بأن الموقع معلم عليه برأس حصان، ومنذ ذلك الزمن، أينما حل القرطاجيون أهدوا رأس حصان منقوشا في الرخام أو الحجر الجيري وحتى في نيو أنجلند البعيدة، عندما قدم القرطاجيون، أتوا معهم بالشعار القديم.

وحوالي سنة ٣٢٥ق.م كانت العملة الجديدة قائمة ومتداولة حيثما تاجرت قرطاج وكان أحد العوامل التي دفعت القرطاجيين إلى اصدار النقد هو سابق تعرف الكلت بفرنسا على العملة الذهبية والفضية التي أصدرها فيليب الثالث ملك مقدونيا وهو والد اسكندر الكبير، وكان الكلت، لأسباب غير واضحة تماما، ليسوا راغبين في العملة الأغريقية الجديدة فحسب، بل كانوا مدمنين عليها كليا، إذ كان طلبهم اياها غير قابل للاشباع، فسك منها عدد طائل من طرف الاغريق أولا، ثم عندما أصبح الطلب يفوق العرض، قام الكلت بأنفسهم بصنع تقليدات سافرة لها، وكانت تلك الصور الفرنسية تحتوي على القيمة النقدية الكاملة من المعدن الثمين، لكن الرسم فيها نقص الكثير من الاتفاق، فدخلت التداول بعض النسخ الغربية والخشنة تحمل صورة فيليب وسائق العربة على الخلف.

وبناء على حب الكلت لعملة فيليب المقدوني، ونظرا لانتشار تلك النقود في أوروبا وبريطانيا مع تقليداتها الفرنسية العديدة، بدا لي جليا أن النقد القرطاجي، وهو نسخة مقربة جدا من نقد سيراكوزا الشهير، كان محببا بنفس القدر لدى الكلت، وبصفة خاصة أولئك الذين تاجروا مع قرطاج، أفلا يحتمل هذا أن يقدم الدليل على أن التجار القرطاجيين قد زاروا فعلا بريطانيا لشراء القصدير؟.

وحوالي سنة ١٩٧٧م، أصبح من الأمور الهامة بالنسبة لنا في أمريكا أن نعلم الرد على هذا السؤال، لأننا صرنا نكتشف في التربة الأمريكية تلك النقود القرطاجية نفسها التي أدخلت في التداول بأوروبا وفي أقطار البحر الأبيض المتوسط حوالي سنة ٣٢٥ق م.

وحتى في ذلك اليوم نفسه بأواخر سنة ١٩٧٧م، عندما أقلع جميعنا من مطار بوستن متجهاً الى لندن وطرابلس، أتى لنا الأستاذ نورمان توتن (Norman Totten) عند توديعنا بخبر اكتشاف آخر اضافي لنقد قرطاجي من الطراز السيراكوزي وكان هذا الأخير في كونيكتكات (Connecticut). لقد أسفرت تحريات خبراء النقود البريطانيين عن أن عملات دول البحر الأبيض المتوسط نادرة في بريطانيا قبل الاحتلال الروماني، ولكن هناك استثناء واحد فيما يخص نقود قرطاج، وفعلا قد صنفت تلك النقود كنقود شائعة نسبياً في جنوب انجلترا حيث عثر عليها الزراع وطلبة مدارس الريف وكانت تجد غالباً طريقها الى مجموعات النقود الخاصة.

وهناك أمران اضافيان بارزان، وكل منهما ذو أهمية بالنسبة لنا في أمريكا، أولهما أن النقود الموجودة في التربة البريطانية لم تكن عملة أصلية من المعدن الثمين، بل عملة بديلة من نفس التصميم سكت في النحاس والبرونز أو الفضة المغشوشة، ومن الواضح أن تلك النقود المعدنية ضربت للتعامل بها مع شعوب همجية. و يقول المؤلفون الأغريق واللاتين بأن القرطاجيين أنفسهم وجدوا رجال القبائل المحلية بأسبانيا مستعدين جداً لتبديل الذهب والفضة بأدوات حديدية، إذ اعتقدوا أن المعدنين الثمينين للدانتهما عديما القيمة لأنهما غير صالحين لصنع الأدوات، وأعطوا الحديد سعراً عالياً لجهلهم سبكه وقدروا مزايا قوته، ولا شك أن قصدير كورنوول كان مستبدلا بسهولة بنقود معدنية جذابة ومحكمة الضرب، و يمكن استعمالها كحلي، ولا يمكن تقليدها على أية حال في بريطانيا بحيث سلمت من التزوير، وفعلا، لعل النقود القرطاجية المسبوكة في قوالب نقشها فنانون أغريق كانت تشكل عملة صعبة بين الشعوب المتبربرة وما اكتسبت قيمة محلية متضخمة.

ان الملحوظة الهامة الثانية لخبراء النقود البريطانيين تتعلق بالتوزيع الجغرافي للنقود القرطاجية، فهناك منطقتان، ترتكز احداهما حول مصب نهر السك (Esk) في ديفون (Devon) والثانية حول ميناء بول (Poole) في دورست (Dorset)، و يبدو أن هذين المكانين على الساحل الجنوبي عملا كمركزين ايبيريين للاستيراد والتصدير.

ومن المحتمل أنه الى جانب قصدير كورنوول، كانت منتجات أخرى (مثل الفرو والجلود) من مناطق أقصى شرقاً، تتجه الى الأسواق الواقعة بالمركزين ونتيجة لذلك زاد تجمع النقود القرطاجية في الاقليم المحيط بالمينائين.

بناء على هذه التلميحات القيمة من زملائي البريطانيين، عدت الى أمريكا لتحليل المعلومات المتشابهة الخاصة بسلسلة النقود القرطاجية المكتشفة مؤخراً هنا. وكان الأستاذ نورمان توتن قد استنتج مسبقاً بأنه يْجب ارجاع العينات الأمريكية الى حوالي سنة ٣٢٥ ق.م بناء على مستواها الفني العالي، ونعلم أن الفنانين الأغريق الحذقين شغلوا عند البداية في نحت القوالب لدور ضرب العملة القرطاجية وقد ثبت أن إنشاء تلك الدور يرجع لذلك التاريخ، وبعد معاينتي سلسلة من النقود القرطاجية بالمتحف القومي بطرابلس وغيرها من العينات، فانني أوافق على ما انتهى إليه الأستاذ توتن. هكذا يبدو أن أمثلتنا الأمريكية معاصرة لأقدم الأمثلة الموجودة في بريطانيا.

ثانياً، وجدت أن الأمثلة الأمريكية بدون استثناء، مثل التي وجدت في بريطانيا، جميعها من المعدن الأساسي. ثالثاً، تأتي جميع أمثلتنا الأمريكية من أمكنة قريبة من الأنهر القابلة للملاحة أو من الساحل نفسه بالقرب من المرافىء الطبيعية.

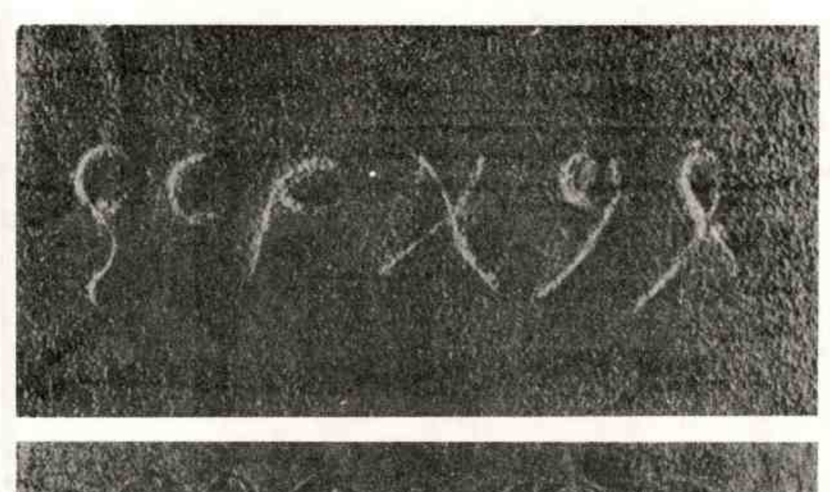
ان الاستنتاج الذي يجب استخلاصه من هذه الوقائع هو بلا شك أن وجود النقود القرطاجية في أمريكا يرجع لنفس العوامل التي سببت وصولها لجنوب بريطانيا: أي أن النقود القرطاجية هنا أتى بها التجار القرطاجيون وكان أولئك التجار يتعاملون مع من يسمون «بالهمج» (Barbarians) (بالمعنى اليوناني للكلمة التي تعني شعوباً غير متحضرة لم تكن من ضمن المنطقة الثقافية الأغريقية ـ الرومانية)، وقد جعل هؤلاء «الهمج» قيمة لنقود مضروبة بفن في المعدن وكانت لهم بضاعة كان القرطاجيون يعتبرونها مرغوبة. أما أمريكا الشمالية، فلم تعرف القصدير بكميات تجارية ـ بشكل يمثل قيمة بالنسبة للسباكين القرطاجيين ـ. اذن، لم يكن القصدير هو الذي جلب القرطاجيين الى هنا. وقبل معالجة الموضوع أكثر، أعود الى تصريحات بلوطارخ حول ما علمه عن طرق الملاحة القرطاجة من الرق الذي قال بأنه عثر عليه بين أنقاض المدينة القديمة.

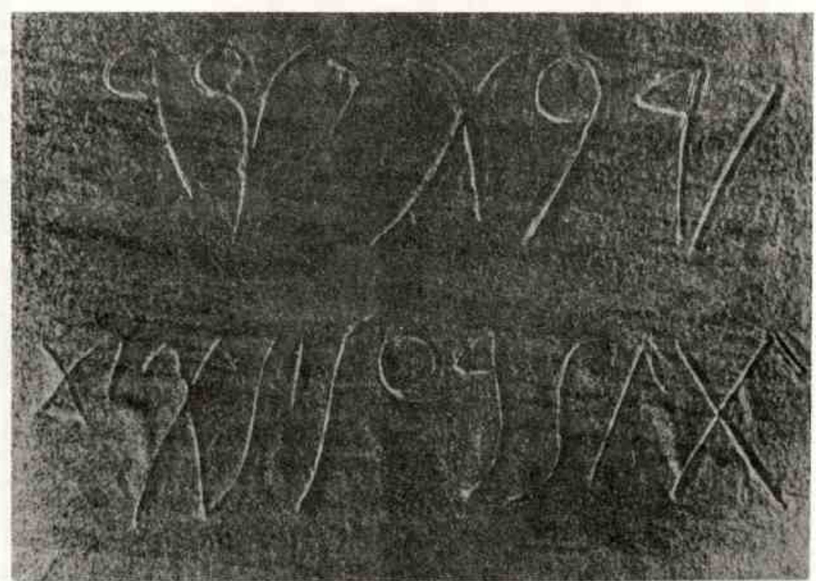
عاش بلوطارخ بين القرنين الأول والثاني بعد الميلاد، فقد ولد أما في نهاية حكم كلوديوس أو في بداية حكم نيرون ـ أي بين سنتي ٤٥ و٥٥ ب م ـ إذ يقول بأنه كان طفلا صغيرا عندما زار نيرون أثينا، وقد توفي سنة ١٢٠ م ابان حكم هادريان. وهو بذلك عندما يتحدث عن عثوره على الرق بين أنقاض مدينة قرطاج القديمة، فهو يعني المدينة التي دمرت بأمر القائد الروماني سكيبيو ايميليانوس (Scipio Aemilianus) سنة ١٤٦ ق م، قبل قرنين من أيام بلوطارخ، ولذا لا تكون الطرق المشار إليها بالضرورة نفس طرق القوم الذين أعادوا بناء قرطاج بعد عهد المسيح مباشرة، بل هي طرق القرطاجيين القدامى قبل اصطدامهم المميت مع روما، فانظروا الآن ماذا كان بجعبة بلوطارخ، وسأختصر قصته الطويلة في كليمات وجيزة.

أبحر نحو الغرب من بريطانيا ـ يكتب بلوطارخ ـ واستمرعلى ثلاث مجموعات من الجزر في اتجاه شمال غربي حيث الشمس تغيب في منتصف الصيف، وهي متساوية البعد عن بعضها البعض وبنفس المسافة من جزيرة تسمى أوجيجيا (Ogygia) التي تقع في عرض المحيط على بعد ملاحة خمسة أيام من بريطانيا (انها رواية ذات دقة معقولة عن العلاقة بين جزر أوركنيس (Orkneys) وشيتلاندس (Shetlands) وفيروس (Faeroes) وايسلندا التي هي أوجيجيا، لأنها تقع عند المسافة المذكورة. فالسفن القديمة تسير بسرعة تتراوح بين ١٠٠ و١٢٥ ميلا في اليوم).

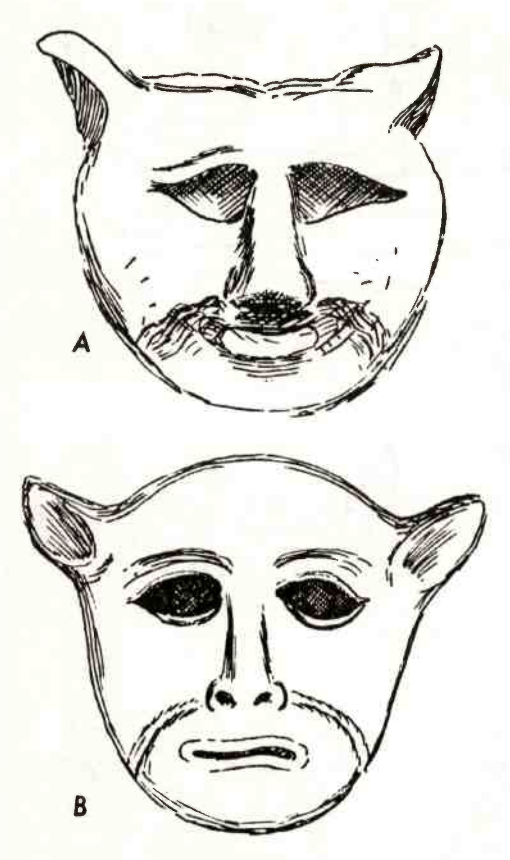
ثم يستطرد بلوطارخ، فيقول، إذا واصلتم السير غرباً لمسافة خمسة آلاف «اسطاد» (٥٠٠ ميل) ستبلغون الساحل الشمالي لقارة (استعمل كلمة ايبروس Epiros) تحد المحيط الكبير (موقع غرينلاند الجنوبية يتفق مسافة واتجاهاً)، ثم يقول، إذا أبحرتم بمحاذاة الساحل، متجهين جنوباً، ستمرون من بحر متجمد وتبلغون يابسة حط بها الأغريق وتزاوجوا مع السكان.

فالبحر المتجمد شيء لم يصدقه بلوطارخ، فأورد ذكره كترجمة حرفية للوثيقة التي رآها ولكنه عبر عن اعتقاده، بأنه خبر قديم مبهم ورما أريد به بحر موحل. في الواقع، كما لاحظ جورج ليتشلر (George Lechler) في دراسة طرق الملاحة النرويجية، يتحول الشطر الجنوبي من مضيق ديفيس (Davis Strait) بين لابرادور وغرينلاند الى كتلة لا تخترق من الجليد الطافي في موسم الصيف وهي الفترة التي يمكن فيها القيام بالملاحة في الشمال.

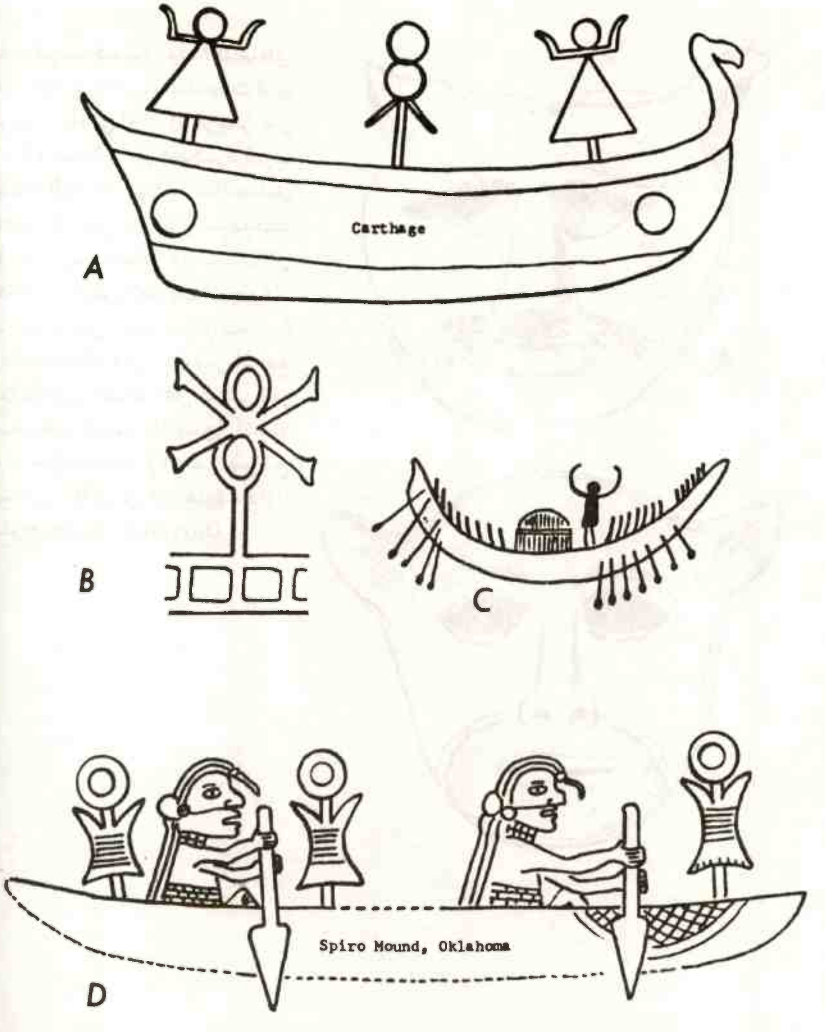




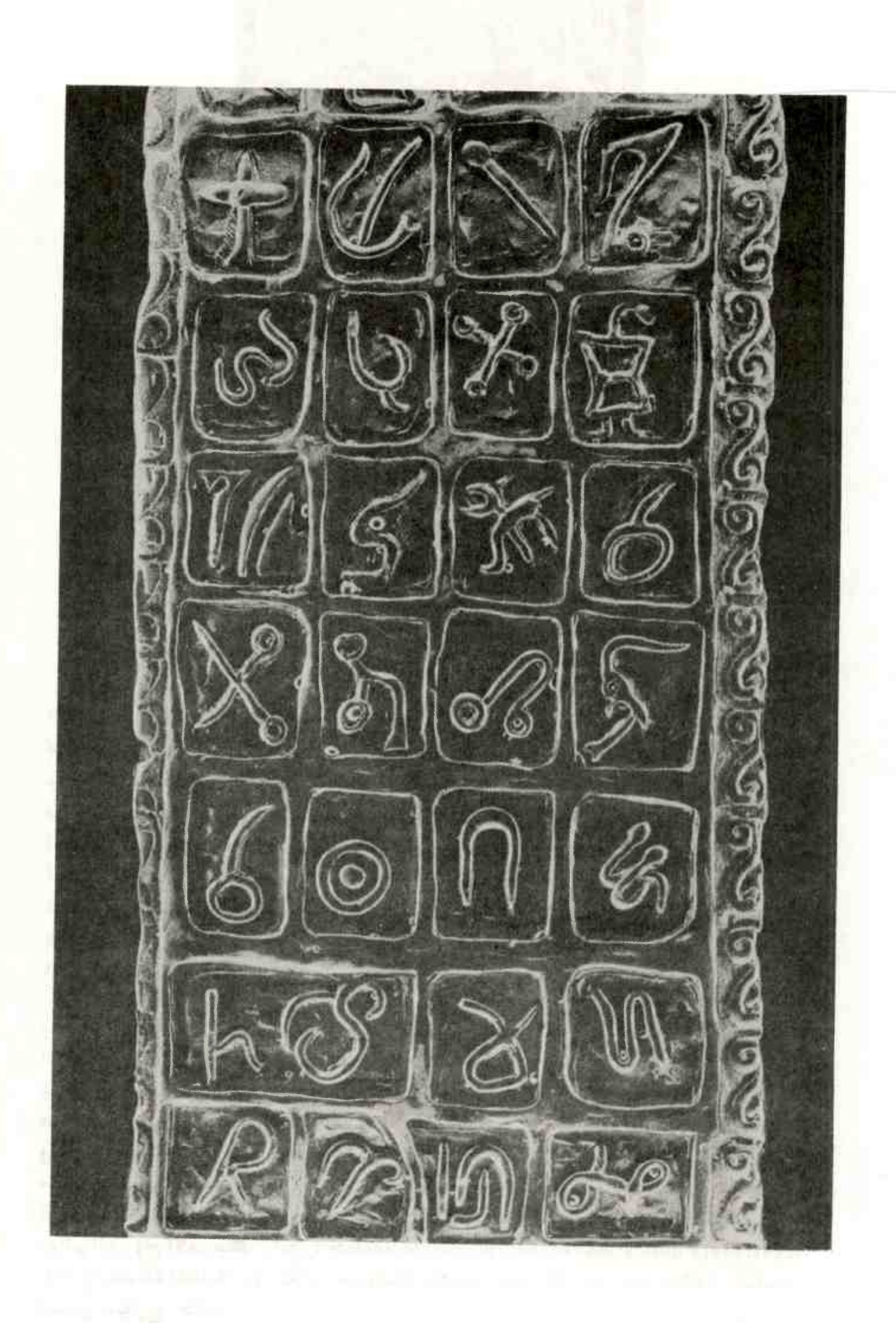
وعقب نشر كتاب (أمريكا قبل الميلاد .America B.C) سنة ١٩٧٦ مباشرة، والذي أشير فيه إلى اكتشاف نقوش للغات البحر المتوسط القديمة في الاجزاء الشرقية لأمريكا الشمالية، اكتشف أن العديد من النقوش الصخرية التي يفترض أنها هندية، في الولايات الغربية، هي ايضا نقوش قديمة. إلى أعلى: صلاة إستسقاء باللغة البونية القديمة لقرطاج، اكتشفت ببحيرة مساكر Massacre بولاية نيفادا، وقد أشار إليها علماء الآثار المتخصصون، في الأصل، خلال سنة ١٩٥٨، على الرغم من أنها لم يتعرف عليها ككتابة آنئذ. وتقرأ الحروف من اليمين إلى الشمال Q M-T-R I-B (ندعو بأن تنهمر السحب غيثا). إلى أسفل: اهداء باللغة البونية، بنفس الكتابة واللغة من قسنطين، بالجزائر «موتم ـ بعل Mutum-Baal ابن أرام Aram، اهدى هذه اللوحة». (متحف النقوش، تصوير: الدكتور جوليان فيل).




أقنعة قرطاجنية ريفية للساطير Satyr، إله من آلهة الغابات لدى الاغريق، بأذني الاله الاغريقي بان Pan. A- نقش على صخرة قرب وكيتا Wichita بولاية كانساس Kansas، B- من جزيرة سردينيا Sardinia (تحت الاحتلال القرطاجني حتى الحروب البونية). لقد عثر على القطع النقدية القرطاجنية، من القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد، عن ضفتي نهر أركانساس، نحو أعاليه وفي اتجاه مجراه من وكيتا. (A- من شرائح ملونة أرسلها الذي عثر عليها: دارل د. كيلوج Darrell D. Kelog).




رسم لسفينة قرطاجنية A- يظهر رموزاً للالهة تانيث، تدل على ما يبدو عن العلاقة الخاصة للالهة بالسفن والبحارة، وتدل ضمناً على وجودها الروحي على ظهر السفينة. B- رمز مشابه من مصر يشير إلى الدور المماثل للالهة نيث Nieth للبحارة المصريين، و C- وجودها على ظهر السفينة كشكل ضخم بين المجذفين. D- مثل أمريكي من سبيرو ماوند Spiro Mound، أوكلاهوما، منحوت على صدفة ويبين رموزاً لتانيث بين مجذفي قارب. (D- من متحف بيبودي Peabody Museum، جامعة هارفرد).





الصفحة المقابلة: يظهر هنا الجزء السفلي لدائرة بروج ذهبية اكتشفت في منطقة كوينكا Cuenca بالاكوادور، وتوجد الآن بمجموعة كريسبي Crespi. وهي مكتوبة بأحرف بافوسيه Paphian قبرصية Cyprus بطريقة تفتقر إلى الاتقان، واللغة ذات علاقة وثيقة بالمينوية Minoan، لغة (كريت) القديمة ـ والحيتية Hittite. ويقرأ الجزء المبين من الزاوية اليمنى السفلية، أفقياً على التوالي، كما يلي: (الحيوانات) Wi-tu علامات برج الحمل Aries، (الكبش) Le-La، برج الثور Taurus، (الثور) Gu-da، برج الجوزاء Gemini، (التوأمان) Po-re-si-za، برج الأسد Leo خطأ، يجب أن يكون الأسد، (القط) Pe-su، برج العذراء Virgo، Ma-ra-te Yo-we Sha-lo (ابنة جوبيتر Jove العذراء). البقية في الشكل التالي.

بقية اللوحة التي ظهرت في الشكل السابق. بداية من الجهة اليمنى باسفل الشكل، تقرأ إلى اليسار، وفي توال إلى أعلى: برج الميزان Libra، (الميزان أو المخالب) U-Ke Ka-sa-ra-lo، برج العقرب Scorpio، (الحيوان المذنب السام) Ku-ne pe za-mi-ra، برج القوس Sagittarius، (برج الرامي) O-Ku، وهذا تحريف يجب أن يكون برج الجدي Capricorn، والمقصود بها (معزاة) ma-?-sha؛ برج الدلو Aquarius، (جفنة الاراقة) Si-po؛ برج متضرر للحوت Pisces مكرر، Ki-tu، وهي مستمدة من قبرص، ومن المحتمل أنها منقولة في امريكا الوسطى من أصل قبرصي قبل حوالي ٣٠٠ سنة قبل الميلاد. من أجل تفصيل إضافي عن دوائر البروج الأمريكية، أنظر: Occasional Publications of the Epigraphic Society Fell (النسخة المطابقة من انتاج: فيرونيكا ولكوكس Veronica Wilcox، متحف النقوش، تصوير: بيتر ج. جارفل).

أما بالنسبة للأرض التي استقر بها الأغريق وتزاوجوا مع السكان المحليين، فكل من نوفاسكوشيا (Nova Scotia) ونيوانجلند (New England) تقعان في النقطة التي عينها بلوطارخ، لأنه يقول بأنهما تقعان على نفس خط عرض بحر القزوين، وإذا رجعنا الآن الى مجلدي «قاموس لغة الميكماك»
(Dictionary of the Micmac Language) بنوفاسكوشيا ومين (Maine) للغوي المكيماك الكبير دكتور سيلاس راند (Silas Rand) نجد أن أكثر الأمور لفتاً للأنتباه، استطاع أن يستنتجه من مقارنة اللغات بعد عمر قضاه في الدراسة بين الميكماك، هو تغلب الجذور الأغريقية (أتى بقائمة تربو عن خمسين مثالا مدعما). ويعتقد راند أن ذلك يعني سابق اتصال أولئك الهنود الحمر بالأوربيين الذين، أما تحدثوا الأغريقية أو لغة تشبه الأغريقية. على كل حال كان رأيه أن اللهجات الهندية بنوفاسكوشيا ومين انحدرت من بعض الأصول الأوروبية.

يعطي ملحق هذا الكتاب أمثلة نموذجية لمثل تلك الكلمات ذات العلاقة الأغريقية، فان ذلك يعني انبثاق الأغريقية المتداولة في شمال أفريقيا زمن بطلميوس ما بين سنة ٣٠٠ و١٠٠ق م وهي كلمات من اللغة العامية في ليبيا ومصر، وهي بالدرجة الأولى كلمات حرفية من النوع الذي قد تستعار بسهولة من طرف قبيلة الغونكوين (Alconoutan) اختلط بها بحارة أغريق عن طريق الزواج. ويجب علي أن أؤكد أن زعماء ثقافيين معاصرين من شعب الميكماك زاروني وناقشوا معي هذه النظريات، وقد اتخذوا قاموس المرحوم دكتور راند كأساس للقاموس المراجع (حيث تستعمل الحروف العصرية)، المعد حالياً من طرف المركز الميكماكي بنوفاسكوشيا. انني أؤكد ذلك بسبب ما جاء في تصريح أخير لقسم علم الانسان التابع للمعهد السميثسوني (Smithsonian Institution) بأنه لا توجد أي علاقة بالأغريقية أو بأي لغة أخرى واضحة من العالم القديم بلغة الميكماك أو أي لغة هندية أمريكية حمراء. ان هذا التصريح مناف للوقائع وهو متعارض مع آراء سيلاس راند، خبير لغة الميكماك الوحيد، ومن ثمة مناف كذلك للمواد الأساسية التي يجري عليها تنقيح الميكماكية الذي يجري حالياً من طرف علماء ميكماكيين من عرق ميكماكي بالمركز الثقافي الميكماكي، كذلك تنفي ادعاءات خاطئة وجود جذور كلتية هنا.

هكذا، خلافاً لرأي المنظمة الأسميثسونية بتصريحها الأخير (١٩٧٨)، كان الدارسون الميكماك من مدة مدركين للمحتوي الأغريقي للغة الميكماكية، وأقوال

بلوطارخ المستخلصة من مصادر قرطاجية تنفق وحقائق معروفة. وانني أكرر رأيي: أي أن الأغريقية الميكماكية يجب أن تسمى بالأحرى أغريقية بطلمية وأنها أتت الى نوفاسكوشيا ومين من شمال أفريقيا حيث كانت توجد مجموعات عديدة تتحدث الأغريقية في العصور الكلاسيكية. فيحتمل أن الذين حملوا اللغة الأغريقية من شمال أفريقيا الى أمريكا الشمالية الشرقية هم بحارة ليبيون جمعوا من مدن كقورينا وطلميطة، ابان القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد، عندما كانت المصالح القرطاجية تسيطر على الأصقاع غربي مصر.

وبعد مناقشة دين أولئك المستوطنين، يشير بلوطارخ الى تعهدهم الخاص لهركوليس وساتورن (الذي تقام مهرجاناته كل ثلاثين سنة عندما يمر الكوكب زحل عبر برج الثور) و ينتهي الى القول بأن جميع الرجال المنحدرين من عرق أغريقي لا زالوا يعتبرون أوروبا كموطنهم الأصلي، و يقول بأنهم ينعتون أنفسهم مازحين كسكان القارة الحقيقية لأنها تحدد الطرف الغربي للمحيط بأكمله و يشيرون الى أوروبا كجزيرة لأنها محاطة بالبحر من ثلاث جهات وفي النهاية يقول بأن أمنية العمر لكل مستعمر أغريقي المنحدر هي زيارة وطنه الأول عند نهاية حياته العملية ولأجل ذلك يبحر شرقاً الى قرطاج، أفلم يشعر آلاف الأمريكان المعاصرين كل سنة بنفس الشوق فينطلقون شرقاً ـ على متن سفن طائرة؟.

كما بينت في «أمريكا قبل الميلاد»، هناك طريق آخر الى أمريكا وهو يستغل الرياح التجارية الهابة من الشرق الى الغرب على خط عرض جنوب خط ٣٠ شمالا. وهو الطريق سلكه كولومبوس من جزر الكاناري الى جزر الكاريبي، والمشكلة هي تلك الفرجة الشاسعة من المحيط التي كان لا بد من قطعها في مقابل الطريق الذي ذكره بلوطارخ. ان الطريق بلوطارخ الشمالي رياح تجارية أيضاً تهب من الشرق الى الغرب (يكونها الاعصار القطبي) وله سلسلة من الجزر المناسبة كمراسي متوسطة وهو الطريق الذي سلكه النرو يجيون ولكن المشكلة تقع في الجو الأشد قسوة. ومع ذلك فقد برهن دكتور تيموثي سيفرين (Timothy Severin) سنة ١٩٧٧ على أنه في استطاعة حتى سفينة جلدية كلتية ضئيلة أن تعبر ذلك البحر، كما ادعى دائماً المؤرخون الأرلنديون. انني لا أرى سوى معقولية بلوطارخ، والملاحم الأرلندية وليس لدى إلا القليل من الصبر مع نقاد واشنطون القعد، والكثير من الناس يحملون نفس المشاعر.

ورغم أنه لم يعلن عن لقيات قرطاجية ولا نقود من كوبا حتى الآن، إلا أنه يبدو أن هذه الجزيرة كانت معلومة لدى القرطاجيين كما يتضح من الفقرة التالية من كتابات المؤرخ الصقلي ديودوروس سيكولوس (Deodorus Siculus) الذي عاش في القرن الأول قبل المسيح. انه يكتب:

دفع عنف الرياح الفينيقيين في حقبة مبكرة جداً خارج مضيق أعمدة هرقل (أي مضيق جبل طارق) داخل المحيط الأطلنطي. فاكتشفوا غربي أفريقيا على مسافة عدة أيام ملاحة من القارة، جزيرة ضخمة خصبة مزودة بعدة أنهر قابلة للملاحة. وسرعان ما عرف هذا الاكتشاف قرطاجيو أفريقيا والتيرينيون (الأتروسكيون) بايطاليا. فقام القرطاجيون برحلة الى هذه البقعة الجديدة بعد أحدى غزوات المغاربة والصوريين بحيث اخترقوا مضيق جبل طارق مندفعين الى ما وراء قادس (الواقعة خلف أعمدة هرقل)، الى أن بلغوا المنطقة. فاستقروا فيها. لكن سياسة قرطاج الرسمية عملت على انسحابهم من المستوطنة وتم حظر صارم يحول دون قيام أي مواطن بأي مبادرة منافية في المستقبل.

يمكن لمس وجهين هامين للفقرة المذكورة: أحداهما الاشارة الى «غزوة معادية (للأرض القرطاجية) من طرف مغاربة». وهي ستناقش فيما بعد في هذا الكتاب بالفصل الحادي عشر. «العرب قبل الأسلام»، إذ أن المغاربة «المور» هم من العرب، وعندما يكتب عنهم المؤرخ الصقلي كغزاة لشمال أفريقيا على الأقل قرنين قبل المسيح. يذهب ضد التيار الوارد في كتبنا المدرسية، حيث يقال أن العرب دخلوا أفريقيا في زمن التوسع الاسلامي في القرن السابع بعد المسيح. والنقطة الثانية الجديرة بالملاحظة تتعلق بمنع تحركات المواطنين القرطاجيين خلف مضيق جبل طارق. أي أنه يمكننا تحسس خوف حكومة قرطاج المتزايد وغيرتها من القوة الرومانية المتصاعدة في ايطاليا. الخوف بأن تلف روما قرطاج إذا ما أصبح سر وجود الجزر الأطلنطية مكشوفاً، فاذا كان هذا التفسير صحيحاً أو خاطئاً. فان المسرح كان معداً بالفعل لصراع بحري بلغ حداً من العنف لم يعرف من قبل، وربما لم يكن له مثيل في أي عصر من عصور التاريخ. فعلينا أن نتحرى ذلك الآن، إذ قد شعر بتبعاته حتى عبر المحيط.



# أمريكا والحروب البونيقية

أكبر حرب في التاريخ القديم كانت معركة الحياة أو الموت بين دولتي البحر الأبيض المتوسط العظميين روما وقرطاج التي دارت رحاها على ثلاث فترات عصيبة، تركت روما منهمكة وأفنت قرطاج بعد أن تشرد أهلها عبر شمال أفريقيا كلاجئين في أرجاء الامبراطورية الليبية القوية التي قامت على أنقاض مدن الفينيقيين الغربيين.

إن التفاصيل المبهمة للصراع الرهيب تحتاج لاعادة النظر في ضوء الاكتشافات الجديدة بأمريكا، وأغلب الظن أن أمريكا قامت بدور مرموق في ذلك الحدث التاريخي العظيم. وأعتقد أن الدور كان سلبياً، ولكنه حساس بالنسبة للمراحل الأولى للصراع ابان القرن الثالث قبل الميلاد ـ وذو عبرة بالنسبة للأمريكيين أيضاً ـ لأنه كان أول تورطهم في الشؤون العالمية.

يسرد كل كتاب مدرسي روماني قائمة طويلة مملة بأسباب الصراع بين روما وقرطاج. ولا لزوم للتوقف بشأنها هنا لأن اهتمامنا منحصر في أمريكا، فان الأسباب يمكن تلخيصها في بضعة كلمات: جشع، منافسة، وغيرة، إذ امتدت سيطرة روما في القرن الرابع قبل الميلاد سياسياً وعسكرياً لتشمل معظم رقعة ايطاليا، حيث وقعت المدن المستقلة الأثروسكية والكلتية والكامبانية والأغريقية داخل فلكها، وفي تلك الأثناء، كانت قرطاج قد احتلت جزر صقلية وسردينيا وكورسيكا. وفي بداية القرن الثالث قبل الميلاد عدلت قرطاج وزن نقودها لتعادل تلك التي كانت تستعمل في مصر وقبرص. وانتشرت مجموعة تجارية في سوق مشتركة ضخمة من مصر عن طريق شمال أفريقيا الى أسبانيا وكان معظمها تحت رقابة أصحاب رؤساء الأموال الأغنياء الذين يكونون في الغالب مجلس المائة الذي كان يحكم قرطاج والذي اعتاد اختيار «الصفتين (Suffetes) الأثنين (أي القضاة بالمعنى العبري) الذين كان ينفذان رغباتهم.

وبمنتصف القرن أصبحت الدولتان متواجهتين، فكانت روما تحمي المدخل الى غابات الصنوبر بايطاليا وفرنسا الغنية بالخشب اللازم لبناء السفن وبالأخص لادامة أسطول قوي ـ وهو أمر لا زال غير مألوف للرومان ـ، بينما تحكمت قرطاج كلياً في القصدير الداخل في صنع البرونز الذي كان لا يزال المعدن الأساسي لصنع الأسلحة الحربية والأدوات الحرفية والمنزلية، بل المعدن الوحيد المستعمل في سك العملة الرومانية. وكان مجلس شيوخ روما مكوناً من عائلات من النبلاء، كانت الثروة لها مصدراً للسلطة وكان يختار من بينها القنصلان المنفذان لرغباتها، ولذا كان الصدام بين روما وقرطاج محتوماً وقد أتيحت فرصة للتدخل الروماني في صقلية بسبب طلب العون من أغريق الجزيرة سنة ٢٦٤ ق م.

دامت الحرب البونيقية الأولى من سنة ٢٦٤ ق م الى ٢٤١ ق م وامتازت بأعظم معارك بحرية في التاريخ الكلاسيكي. وبجمع الخسائر ذات الشأن التي ذكرها المؤرخون القدامى، وجدت بأن قرطاج قد تكبدت على الأقل الخسائر الفادحة التالية:

| التاريخ ق م | المعركة | الأسطول الروماني | الاسطول القرطاجي | الخسائر القرطاجية |
|---|---|---|---|---|
| ٢٦٠ | معركة ميلي | ١٥٠ سفينة | ١٥٠ سفينة | ٥٠ سفينة |
| ٢٥٦ | معركة ايكنوموس | ٢٣٠ سفينة | ٢٣٠ سفينة | ٨٤ سفينة |
| ٢٥٥ | معركة رأس هرمين | ٢٠٠ سفينة | ٢٠٠ سفينة | ١٠٠ سفينة |
| ٢٤٢ | معركة جزر ايجاتس | ٢٠٠ سفينة | ١٠٠ سفينة | ١٠٠ سفينة |
| | | الخسائر القرطاجية الاجمالية | | ٢٣٤ سفينة |

وكانت السفن القرطاجية من الكونكويريم (Ouinquireme) وهي سفن بحجم ضخم لدرجة أنها تحتاج لخمسة جدافين لكل مجداف وذلك بسبب طول المجداف اللازم لبلوغ الماء وكانت تحتوي كل واحدة على خمسين مجدافاً بحيث يشمل كل طاقم ٢٥٠ رجلا بالاضافة الى الضباط و١٢٠ بحاراً مكونين منها عدد ٤٠٠ بحاراً، ولذا كانت الخسارة في الأرواح بتلك المعارك فادحة. وبعد معركة رأس هرمين لم تستطع قرطاج تعويض خسائرها البحرية بعد وكانت معركة جزر ايجاتس في الحقيقة مجرد عملية كنس شامل من طرف الرومان، فروما هي الأخرى تكبدت خسائر جسيمة ولكنها عرفت كيف تعوضها وتعيد بناء سفنها بقدر جعلها تبز القرطاجيين، لأن روما في استطاعتها الوصول الى غابات الصنوبر بايطاليا، بينما

قرطاج أعوزها الخشب البحري. ودلت استعادة السفن الغارقة أن الصنوبر كان الخشب المفضل. فكانت أسبانيا تتمتع بغابات صنوبر في الدواخل، لكن القرطاجيين لم يتوغلوا فيها، وعلى كل، كان النقل عبر سلاسل الجبال مستحيلا، ثم من أين حصلت قرطاج على مثل تلك الكميات الضخمة من الخشب لاعادة بناء اسطولها أكثر من مرة، ازاء مثل تلك الخسائر؟ أن المؤرخين القدامى لصامتون. وهو لواضح أن قرطاج لم تتمكن من ترميم أسطولها بعد معركة رأس هرمين ولم تقلع إلا البقايا المبعثرة لمواجهة الرومان، والفناء، في المعركة النهائية بجزر ايجاتس. من الواضح أن خللا قد حدث في تزويد أحواض بناء السفن القرطاجية بالأخشاب اللازمة.

نأمل في حديث غامض غير مشروح في التاريخ القرطاجي، لم يذكر بتاتاً من طرف المؤرخين القدامى، لكن اكتشفته التحريات المضنية لعلماء النقود المعاصرين. فبينما كانت النقود القرطاجية الأصلية من فضة، مثل الصادرة عن بعض المدن اليونانية القوية مثل سيراكوزا، سجل نوع العملة تغيراً فجائياً رهيباً حوالي سنة ٣٠٠ ق م، عندما أخذت كميات ضخمة من القطع تسك من الذهب، وبالأحرى كانت من الذهب المخلوط بكمية ضئيلة من الفضة وهو المعدن الأصفر الخافت الذي أسماه القدامى الكتروم (Electrum) وفي نفس الوقت اختفى رمز أريتوزا الصقلي ليأخذ محله شعار تأنيت، الآلهة القرطاجية القومية، زوجة بعل وهي ممثلة في صورة امرأة محلاة بقرطين متدليين وقلادة.

فما كان مصدر الذهب؟ ولماذا ظهر بتلك الصورة المفاجئة في عملة مدينة كانت تعتقد طيلة معظم تاريخها أنه من المرغوب فيه أو الضروري أن تصدر نقوداً اطلاقاً؟ يرى البعض أن البحارة القرطاجيين قد وجدوا مصدراً للذهب على ساحل أفريقيا الغربي أو في خليج غينيا حيث ذهب «حانو»، فاذا كان الأمر كذلك، يجب أن يكون الذهب الغيني المشهور الذي تزودت به دور سك العملة البريطانية ابان القرن الثامن عشر والذي أدى الى تسمية قطعة الذهب العيارية التي مول بها الملك جورج الثالث جيشه أثناء الحروب الثورية، تسميتها بالغينية.

فاذا كانت أفريقيا الغربية مصدر أكوام ذهب القرطاجيين الفجائية، أفلم يكن من المتيسر أن يستمر طيلة الزمن الذي تمتع به القرطاجيون بأسطول تجاري ــ ولو سفينة واحدة لذلك الغرض ــ تسير بمحاذاة سواحل أفريقيا الشمالية الغربية كلما

دعت الضرورة؟. كانت قرطاج لا زالت تملك سفناً تجارية وعشر سفن حربية حتى الحرب الثالثة (والنهائية) مع روما بين عامي ١٤٩-١٤٦ق م وهي الأعوام الأخيرة لقرطاج، ومع ذلك، انتهى ضرب النقود الذهبية بكميات معتبرة بعد عام ٢٤١ق م عندما بلغت الحرب البونيقية الأولى نهايتها المشئومة.

نعلم من المؤرخين القدامى أنه عندما بدأت الحرب البونيقية الثانية عام ٢١٨ق م لم تعتبر قرطاج أسطولها ذا قيمة كسلاح حربي، فتمت سلسلة الحملات طيلة الثمانية عشر سنة من الحرب الثانية، جميعها كمعارك أرضية. فلم يجر غزو ايطاليا من طرف هانيبال بانزال جيش على القارة من ناقلات (كما حصل عندما وجد فيتياس الأسطول المحاصر لجبل طارق محولا الى صقلية) بل باجتياز سلسلة جبال الألب من فرنسا.

فبربط الوقائع ببعضها حسب استنتاجات خبراء النقود والتي استخلصت من مؤرخين قدماء، نجد أنه:

١) كان هناك امتلاك مفاجىء غامض للذهب من طرف القرطاجيين ما بين سنة ٣٠٠ق م و ٢٤١ق م.

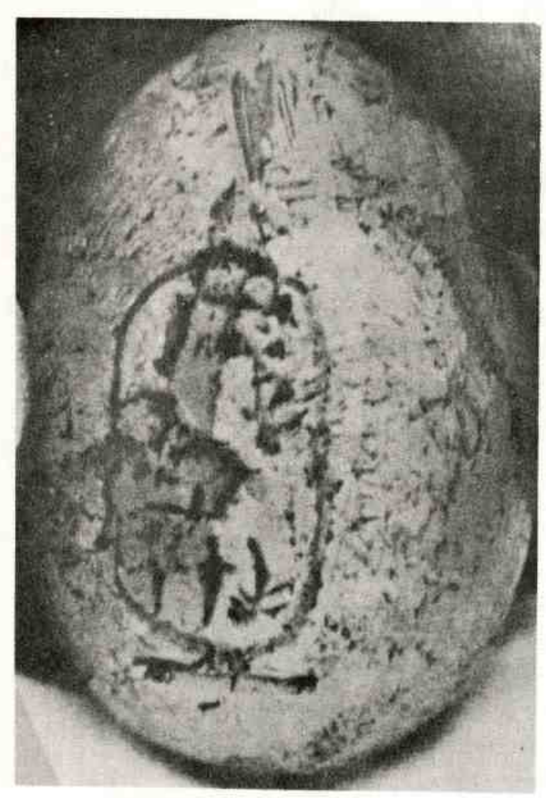
٢) كانت قرطاج عاجزة عن تعويض أي من سفنها بعد سنة ٢٥٥ق م وانتهت كدولة بحرية بعد سنة ٢٤١ق م.

هل هذه الوقائع الغامضة متصلة بطريقة ما بأمريكا؟ حتى سنة ١٩٧٦ لم يكن لدينا أي دليل على أن القرطاجيين تواجدوا في أمريكا ولو أن قراءة بلوطارخ الدقيقة تفيد بأنهم قاموا برحلات منتظمة الى شمال شرقي أمريكا الشمالية ولدينا المزيد من الوقائع التاريخية مما كان لدينا قبل سنة ١٩٧٦ وقد حان الوقت لأن نلقي نظرة جديدة على المسائل الغامضة.

بعد بضعة أشهر من التعرف عن نقود قرطاجية في مواقع أمريكية، ولكن قبل أن أتفرغ للتحري عن توزيع لمثل تلك النقود في منطقة استخراج القصدير في بريطانيا الجنوبية، حظيت بزيارة البروفيسور بول تشيزمان أحد قراء «أمريكا قبل الميلاد» الذي دفعه اهتمامه بتاريخ أمريكا القديم الى التجول الواسع في أمريكا الوسطى والجنوبية بما في ذلك بولينيزيا وجمع عدداً من المصنوعات والكتابات وقعت تحت بصره وعرض علي مشكوراً وضعها تحت تصرفي للدراسة آملا أن يتم فك رموزها.



لقد تأثر صانعوا الأدوات المعدنية من الفينيقيين القبرصيين بفن الصناعة البابليين والمصريين وديانتهم، وأنتجوا أطباقاً وتماثيل صغيرة ذات نقوش وهي تعكس خليطاً من الحضارتين. ووزع التجار القرطاجيون منتجاتهم، فوجدت الفضة والذهب مشترين في منطقة البحر المتوسط، وتغلغلت صناعاتهم البرونزية بعيداً خارج وطنهم حيث وجدت لها أسواقاً بين الشعوب البرابرة. ومن المحتمل أن الأمثلة البرونزية التي عثر عليها في جبال الأنديز قد تبادلتها الأيدي في مقابل ذهب كولومبيا (El Dorado). إلى أعلى: تظهر نماذج لرسوم منقوشة من طبق فضي فينيقي من قبرص.



بيضة مرمرية تحمل شكلا بيضويا (ختم الاسم الرسمي) للفرعون المصري توت عنخ أمون Tutankhamen، عثر عليها في ولاية أيداهو Idaho حوالي عام ١٩٠٠، وظن لوقت طويل بأنها من صنع الهنود الأمريكيين. وعندما وصل معرض توت عنخ أمون واشنطون Washington عام ١٩٧٧ كاثي كنكيد Kathy Kincaid، ابنة حفيدة المكتشف، على الشكل البيضوي وقدمت النتاج إلى فرانك أ. نورك، أمين متحف جامعة كاليفورنيا، بيركلي Berkeley، لدراسته، فأكد على التطابق. ومن المحتمل أنه النتاج واحد من سلسلة من الصادرات المصرية إلى جزيرة أيبيرية أثناء فترة ٦١٥-٣٩٥ قبل الميلاد، وكما يقول عالم النميات البرتغالي الأستاذ أنتونيو د. سايموز Antonio D. Simoes، فان التجارة كانت آنذاك تزاول بنشاط من قبل السفن المصرية التي تزور سلاسيا Salacia وأوليسبو Olissipo (الشبونة الحالية)، ومن الممكن أن ذلك النتاج قد أحضر، فيما بعد، إلى أمريكا الشمالية على متن سفينة قرطاجنية أو أيبيرية. (تصوير: الأستاذ بول تشيسمان Paul Cheesman والدكتور جوليان فيل).



جرة معدنية مزخرفة بزخارف فينيقية بالجزء العلوي، حيث تظهر الالهة عشتاروت Astarte، وبحلية من وحي مصري أسفل منها، وهي على ما يبدو تمثل راقصات مطر أفريقيات. ويعيد الأسلوب المختلط الأصول إلى الأذهان عمل الفينيقيين القبرصيين في حدود عام ٦٠٠ قبل الميلاد، عندما كانت مثل هذه الأشياء تصنع من أجل التوزيع والبيع، إلى أشباه المتمدنين من البرابرة، طريق تجار قرطاج. واكتشفت الجرة في أعمال تنقيبية قام بها مركز مدلبيري للبحث الأثري Middlebury Archeological Research Center بالقرب من ملتقى سسكويهانا Susquehanna وتشينانجو ريفرز Chinango Rivers، بولاية نيويورك. ولقد تم التعرف على نقوش فينيقية في وقت مبكر باقليم سسكويهانا من قبل فيليب بيستلاين Philip Beistline والدكتور وليام و. سترونج William W. Strong. (رسم: ج. جونسون G. Johnson، عن صورة قام بالتقاطها: سالفاتوري م. ترينتو M. Trento Salvatore).



نتاج بابلي ديني آخر، من المفترض أنه من عمل فينيقي قبرصي أعد من أجل البيع لشعوب البرابرة عن طريق التجار القرطاجنيين، وقد عثر عليه في الاكوادور، وهو الآن ضمن مجموعة كريسبي، في كنيسة القديسة ماريا أوكسيليودورا Maria Auxiliodora. (النسخة المطابقة من عمل: فيرونيكا ويلكوكس، عن صور للأصل من قبل: بول تشيسمان، تصوير: بيتر ج. جارفل).



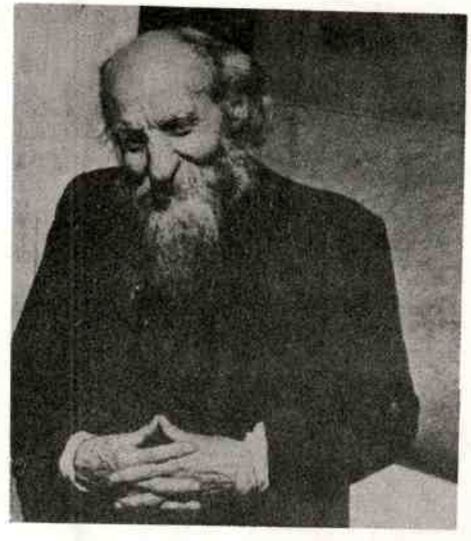
ان هذا النتاج لاله بابلي وجد من قبل فلاحين إكوادوريين قرب كوينكا يبدو أنه صنع فينيقي قبرصي للفترة ٨٠٠-٦٠٠ عام قبل الميلاد، ويفترض أنه شحن إلى أمريكا عن طريق التجار القرطاجنيين في مقابل ذهب كولومبي. (النسخة المطابقة من عمل: فيرونيكا ويلكوكس، عن صورة للأصل من قبل: الأستاذ بول تشيسمان الموجودة بمجموعة الأب كارلو كريسبي في كنيسة القديسة ماريا أوكسيليودورا في كوينكا، تصوير: بيتر ج. جارفل).

من أبرز المصنوعات التي تظهر في صوره وشرائحه عدد كبير كان في مستودعات بكنيسة سانتا ماريا أوكزيليودورة (Auxiladora) في كوينكا (Cuenca) بأكوادور جمعها الأب كارلو كريسبي (Carlo Crespi) وهو قسيس كاثوليكي، من بين أشياء عثر عليها أعضاء ابرشيته. فتلك المنطقة كانت عاصمة الانكا الشمالية سابقا، وهي مشهورة بكنوزها المردومة وغرفها الأرضية، بما فيها من محتويات جديرة بالاهتمام.

وقد جذب انتباهي عدد من الأشياء بدت لي من أصل قبرصي فينيقي وهي مقلدة عن مصنوعات فنية من البرونز القديم من آشور التي كانت أصولها منحوتة في كتل صخرية ضخمة، وكما هو معلوم، كانت مثل هذه المصنوعات خاصة بالمصانع الفينيقية بقبرص وكانت تعرض للبيع على القرطاجيين الذين يوزعونها بدورهم على الشعوب المتأخرة. وكانت تعتبر لدى الأخيرين كنفائس ذات قيمة عالية ـ كأنها من عمل الآلهة ـ وربما كسب التجار القرطاجيون الذين قاموا بالمخاطرة في شحن تلك البضاعة الى أصقاع نائية، كسبوا من ورائها أرباحا طائلة.

كانت مصنوعات مجموعة الأب كريسبي على قدر من الاتقال والتنوع (فلم يكن البرونز المعدن الوحيد) يجعلنا نستبعد أن يكون الذهب والحجارة المنقوشة مزورة رغم ميل طبقة معينة من علماء الآثار الى اعتبار كل شيء لا يفهمونه «تزوير» أي تزوير؟، ومن يستطيع أو يود أن يصنع مثل تلك الأشياء لا لشيء إلا لدفنها في الأرض لانتظار اكتشافها من طرف مزارع؟ أني أرى أنها ليست بالتمويهات و يوافق غيري من علماء الآثار بمتاحف وجامعات بلدان البحر الأبيض المتوسط، الذين اطلعتهم على نسخ من صور بول تشيزمان المكبرة، على أن وجودها في المواقع الأثرية الأمريكية يجب أن يكون له تفسير آخر.

وقد تسلمت، بعد زيارة بول تشيزمان لي في هارفرد مباشرة، عن طريق جيمس هويتال (James Whittall) من جمعية التنقيب عن المواقع القديمة استلمت صورة لجرة بديعة من نفس المظهر الفينيقي ـ عثر عليها عضو من أعضاء فرقة «مارك» (M.A.R.C.) التابعة لسالفاتوري ترينتو (Salvatore Trento) في نيويورك ـ كانت مردومة في الأرض في حجرة أرضية مكسوة بالحجارة من جانبها، بقرب حدود بنسلفانيا (Pennsylvania). تبدي هذه الجرة فناً مصرياً وسامياً ينم على أن المصانع القبرصية هي مصدرها المحتمل. واسفرت الحفريات بقرب أشبيليا، بموقع مدينة



الأب كارلو كريسبي، من كنيسة القديسة ماريا أوكسيليودورا، بكوينكا. (تصوير: الأستاذ بول تشيسمان).



الأستاذ بول تشيسمان مع فيل ومعهما نسخة مطابقة للوحة ذهبية قبرصية بمجموعة كريسبي. (تصوير: بيتر ج. جارفل).



لقد تدنت نوعية القطع النقدية في آخر أيام قرطاج. وتدويلت هذه الأمثلة في تونس وليبيا وتوجد الآن بالمتحف الوطني بطرابلس. وكما هو معروف حتى الآن، تفتقر المواقع الأمريكية للعملات القرطاجنية المتاخرة، ولعل ذلك إنعكاس للخسائر الفادحة في السفن أثناء الحرب البونية الأولى مع روما، وما ترتب عليها من انهيار للتجارة مع أمريكا الشمالية. (تصوير: بيتر ج. جارفل).

طارشيش (Tarshish) أو (Tartessus) السابقة للقرطاجيين، أسفرت عن أمثلة أخرى للتأثيرات المصرية والفينيقية والأغريقية في العديد من الأشياء الفنية جاء فيما يبدو من طارشيش هذه.

عندما ووجهت للمرة الأولى بهذه المصنوعات الخارقة للعادة، كان أول تفكيري (بعد التغلب على الدهشة الأولى) بأنها بضاعة تجارية ـ أو نفائس شخصية ـ جلبت الى أمريكا من طرف مهاجرين من طارشيش عندما كان الاعتقاد في آلهة مثل الثيران المجنحة البابلية منتشرا، لكن فيما بعد، إثر اطلاعي على طبيعة المصنوعات الموجودة في شمال أفريقيا والمتاحف الشرقية، أخذ رأيي يتغير تدريجياً نحو ترجيح احتمال توزيع متأخر ـ في فترة كانت تعتبر فيها تلك الآلهة المصورة نفائس أثرية من زمن غابر ـ. فبدأت أحسب امكانية اعتبارها مجرد بضاعة تجارية شحنت الى أمريكا من طرف تجار قرطاجيين من قاعدة أما بأسبانيا أو قرطاج نفسها وموجهة الى أي سوق أخرى سوى سوق الأمريكيين الحمر.

لا شك أن مثل تلك المصنوعات جديرة بأن تثير عجب وأعجاب المشتريين الأمريكيين، فاذا ما عرضت أيضاً للمقايضة في نقاط الرسو في بانما أو ساحل الكاريبي لكولومبيا وفينزو يلا، أفلا تجلب قدراً قيما من الذهب؟ إذ لم يقدر الذهب حينذاك كثيراً هناك، اللهم إلا كمعدن سهل التكييف في أشكال معقدة من الحلى أو الطرق في هيئة تماثيل صغيرة.

إن تاريخ اتصال القرطاجيين بشمال أمريكا الناتج عن النقود التي نستخرجها من مواقع شمال أفريقيا يوافق سيل الذهب الفجائي الى قرطاج. ولذا أرى الآن أنه يجب التأمل جدياً في مصدر ذهب العملة القرطاجية بأمريكا وأن الذهب استبدل مقابل المصنوعات الفنية البرونزية من انتاج فينيقي قبرصي.

يأتي بنا ذلك الى المسألة الغامضة الثانية كما قدمنا، أي مصدر خشب الصنوبر الذي انقطع وروده فجأة عند نهاية الحرب البونيقية الأولى في عام ٢٤١ ق.م. وإني أعرض التفسير التالي:

كانت هناك تجارة تصدير لقطع فنية قبرصية فينيقية مقلدة، كانت تنتج على نطاق واسع من البرونز تنقلها السفن القرطاجية الواردة الى أمريكا، وكانت تشتري

مقابلها كميات لا بأس بها من الذهب، ولكن ليس بالقدر الكافي لموازنة نقل السفن، ولتكملة ذلك الثقل أخذت السفن القرطاجية شحنات من جذوع الصنوبر من قبائل الألغونكوية (Algonquian) بشمال شرقي أمريكا الشمالية الذين كانوا يشترون بالتالي كميات مناسبة من أدوات القطع الحديدية والفؤوس من البضائع المحببة بما فيها أشياء فنية مقلدة من البرونز (مثل جرة نيو يورك) وكذلك نقود قرطاجية صغيرة القيمة ذات مظهر خلاب وخرز زجاجي وما الى ذلك، ونتج عن ذلك التبادل المربح لكل من الأمريكيين الهنود والقرطاجيين سيل مستمر من الذهب والخشب الخام الى سوق قرطاج المحلية، فزودهم بالخشب اللازم لبناء السفن وتزويدهم بالساريات المستقيمة والمجاذيف واضافة لذلك زود الدولة القرطاجية بالسبائك الذهبية اللازمة لانتاج العملة التي يظن أنها مولت العمليات العسكرية والبحرية في الحرب الصقلية وبعدها الحرب البونيقية الأولى. ولعل الكثير من النقود الذهبية استخدم كرواتب للجند المرتزقة من الأغريق الصقليين وليبي شمال أفريقيا وهو الأمر الذي يبرر تلك المخزونات المردومة من النقود الذهبية القرطاجية التي يعثر عليها بين الفينة والفينة بتلك البلدان حتى يومنا هذا.

وعقب سلسلة الهزائم البحرية الشنيعة المتلاحقة في الحرب البونيقية الأولى، لم يعد الخشب الأمريكي بضاعة مغرية للأسواق القرطاجية، لأن الصوفيت ــ أو مجلس المائة ــ قد قرروا كما يبدو عدم محاولة مواجهة روما في البحر واختصر الأسطول القرطاجي لصالح جيش على اليابسة. واستعداداً للحرب البونيقية الثانية فضل قادة قرطاج العسكريون ــ وهم رجال من عائلة بركا ــ أن يذهبوا الى أسبانيا لانشاء مستعمرة جديدة للاستعاضة عن صقلية التي أحتلها الرومان، وفي أسبانيا اكتشف القرطاجيون موارد كافية من المعادن الأساسية الثمينة في مناجم الأندلس، وهكذا أصبح كل الحماس الذي أدى الى انتعاش التجارة مع أمريكا، غير ذي أثر يذكر، ذلك أن ظروف قرطاج آنذاك جعلت الرحلات الصعبة الطويلة عبر الأطلنطي لا تساوي تكاليفها ومشقتها. أما الخشب فأمكن الحصول عليه من جبال الأطلس أو غابات البلوط بالشريط الساحلي باسبانيا والبرتغال وبقيت غابات الأشجار البرية بشمال أمريكا مهملة.

وربما كان على البحارة والوكلاء التجاريين الذين اختاروا العيش بين الألغونكويين والتزوج من نساء أمريكيات أن يقرروا أما العودة أو البقاء بين

شعوب العالم الجديد، فأما الذين بقوا يجب اعتبارهم بالطبع مع أحفادهم من ضمن المهاجرين الأغريق الذين تحدث عنهم بلوطارخ.

ثم حدثت أحداث آنذاك كان من شأنها أن تصبح الصلة بين أمريكا وشمال أفريقية غير متوقعة اطلاقاً وقدر لها أن تدوم كذلك لعدة قرون.



# 5
# البحث عن إغريق بلوطارخ

قدمت اكتشافات النماذج الأمريكية لنقود القرطاجيين وتبادلهم التجاري سنتي ١٩٧٦ و ١٩٧٧ تأكيداً مذهلا لكتابات بلوطارخ بالقرن الثاني بعد الميلاد، اقنعتني بأنه يروي الحقيقة عندما قال بأن سـرده يعتمد على سجلات قديمة على الرق عثر عليها هو نفسه بين أنقاض قرطاج، فماذا علينا أذن أن نفعل بتصريحاته الاضافية بأن الأغريق استوطنوا في ديار الهمج بالقارة الغربية؟(أي القارة التي تحد المحيط الغربي حسب قوله). يقول بلوطارخ أن هؤلاء الاغريق قد تزاوجوا مع الهمج واتخذوا لغتهم ومزجوها بلغتهم الأغريقية، ثم يضيف بأن المستعمرات الأغريقية المعروفة لديه كانت على خليج يقع على نفس خط عرض بحر القزوين، وتعني هذه العبارة الأخيرة: نيوانجلند ونيو برونسو يك ونوفاسكوشيا.

كان بلوطارخ يكتب في مطلع القرن الثاني بعد الميلاد وفي ذلك الوقت كانت الأرض تعرف بأنها كروية وقد اخترعت خطوط الطول والعرض منذ القرن الثالث قبل الميلاد من طرف الرياضى الجغرافي من شمال أفريقية ايراتوستين. ولعمق الجهل الذي وقعت فيه أوروبا بالقرون المظلمة نسينا كم كانت أفكار القدامى متقدمة وكم كانوا يعلمون عن الأرض وعن الفلك والملاحة.

ولما كان أغريق أوروبا قد قالوا القليل عما يبدو عن موضوع تعليقات بلوطارخ، ولما سلك أغريق شمال أفريقيا درب العلم الذي أدى الى اكتشاف شكل الأرض الكروي فمعدوا الى وضع الخرائط لها، فانه لمن المنطق أن نستنتج أن أغريق القارة الأمريكية الذين ذكرهم بلوطارخ هم من شمال أفريقيا أذا سلمنا بوجودهم، لذلك كان من دواعي سروري أن تسلمت شاكرا، عند نهاية فصل الدراسة الصيفي سنة ١٩٧٧، دعوة من جامعة طرابلس لمد تحرياتنا بزيارة المواقع المتعلقة بالموضوع على ساحل شمال أفريقيا والتي تقع معظمها على خليج سرت وحول شبه جزيرة قورينا شرقي مصر، وتقع هذه الواجهة البحرية وطولها ٢٠٠٠ ميل داخل حدود الأرض القديمة والحديثة التي أطلق عليها الأغريق أسم ليبيا.

وقد تمكنا من دراسة المواقع والمجموعات الأثرية والنقوش والموانىء القديمة والحديثة والطابع الجغرافي للأرض من أو يا (طرابلس القديمة) ولبدة (وهي حاليا مدينة مهجورة ذات جمال فريد) وعبر الخليج الى بيرنيكي (بنغازي الحالية) والى شبه الجزيرة حيث المدن الأغريقية الخمس المسماة بنتابوليس حتى قورينا التاريخية عاصمة الشمال الأفريقي الأغريقي. وكان الأستاذ على خشيم رفيقا ودليلا لنا في اقليم طرابلس حيث الطرق والمعابد والمباني العامة والخاصة القديمة تحتفظ بكمالها المدهش بين كثبان الصحراء، فهناك استطعت استنشاق جو موطن أغريق شمال أفريقيا وأن أعود الى الساحة الأمريكية لمواصلة اقتناص مفاتيح ماضينا الغابر.

وتصور الأرضيات الملونة الجديدة من الفسيفساء التي استعيدت من تلك المدن القديمة، تصور مشاهد الحياة اليومية للناس في العصور الكلاسيكية. فهناك، مثل غيرها من الأماكن المهجورة بالبحر الأبيض المتوسط، قد عقب السيطرة الأغريقية طور روماني وتعود معظم الآثار السليمة للقرنين الأول والثاني الميلاديين، أي للفترة المبكرة من الاحتلال الروماني، لكن روما ابنة الأغريق حضارة هو لمن الصعب ــولعله ليس هناك ما يدعو لذلكــ أن نفرق بين التأثير الهليني والروماني لأنهما يمتزجان، وصور الأشخاص في الفسيفساء بملامح تشبه ملامح شعب أفريقيا اليوم والذين نسميهم عربا، لأن لغتهم الحالية هي العربية، ولكن عرقهم مزيج من عروق مختلفة؛ وأعتقد أن أغريق بلوطارخ كانوا من تلك الفصيلة الواروثين للتقاليد البحرية من سلالات مختلفة والمتحدثين بلهجة أغريقية متأثرة الى حد كبير بمفردات من شمال افريقيا. وفعلا يتضح من تعليقات صدرت عن المؤرخ بوليبيوس (Polybius) عندما زار شمال أفريقيا في القرن الثاني بعد الميلاد، يتضح أنه اعتبر أغريق شمال أفريقيا شعبا مختلفا عن أغريق اليونان، فكانو يدعون الأغريقية ولكن بوليبيوس يقول بأنهم كانوا سمر البشرة و يمثلون «سبيكة» أغريقية أفريقية شمالية، أي أنهم كانوا في الحقيقة ليبيين.

فلم يكن هناك شعب أكثر ميلا للبحر من الذين أسماهم الأغريق ليبيين، وكانوا بذلك يعنون كل المجموعات البشرية على حافة أفريقيا الشمالية المتاخمة للبحر الأبيض المتوسط من قورينا شرقا على الحدود المصرية الى موريتانيا على المحيط الأطلنطي شاملين الأرض التي تسمى في العصر الحديث ليبيا وتونس والجزائر

والمغرب. وكان أغريق شمال أفريقيا في العصر الكلاسيكي يتمتعون بخصال خلفائهم الحاليين: عنصر زيتوني البشرة من عرق مختلط وهو بذلك يختلف عن الأثيوبيين الأفريقيين ذوي البشرة السوداء الذين يقع موطنهم جنوب الصحراء الكبرى.

هناك سلسلة طويلة من المدن الدارسة مطوقة بشكل أو بآخر برمال الصحراء وهي تعين النقاط البحرية بشمال أفريقيا حيث كان يعيش أولئك الرواد البحريون. وكانت مدنهم جميلة ولا زالت أنقاضها بديعة يسطع رخامها وحجرها وبورفير أعمدتها تحت شمس القفار في صفوف رائعة في الطرق والأسواق المهجورة. وقد جلب أثريو شمال أفريقيا من تلك الدور وتلك المعابد ضروبا مندهشة من الفسيفساء والتماثيل، تصف لنا حياة ومتطلعات مواطنين ذوي حضارة راقية. فعندما حكم الليبيون مصر كفراعنة أقلعت سفنهم الى موانىء أسبانيا على المحيط الاطلنطي وعبروا المحيط ليتركوا آثاراً في الأمريكيتين وعندما تم أول عبور للمحيط الهادي كانت أحدى الملكات الليبيات زوجة لأحد مراعنة مصر.

ولقد دفعتهم الشجاعة مع الشوق للمغامرة مع الحاجة الى دعم محاصيل الصحراء الفقيرة بالبروتينات من مواطن صيد الأسماك بالبحر الأبيض المتوسط. دفعتهم في أول الأمر الى الملاحة، ولكن الفكر المدغدغ بالاكتشافات العلمية لفلاسفة الاسكندرية وقورينا دفعهم للابحار الى أبعد، وهكذا، قطعوا في النهاية المحيطات وحطوا على يابسة العالم الجديد لأنشاء مستوطنات أمريكية كانت مثل سابقاتها الأغريقية والفينيقية مستقلة، لكنها مرتبطة عاطفيا بالوطن الأم.

فمن كان هؤلاء الليبيون القدامى؟ ومن كان أسلافهم؟ وكيف أتوا ليحتلوا سواحل شمال أفريقيا؟ فلم يكن الرواة القدامى فصحاء حول كيفية عمران هذا الأمتداد الشاسع من الأرض بالسكان، لكننا ترجمنا وحللنا من اللغات ما يكفينا لرسم اطار الأحداث لمدة آلاف السنين قبل ميلاد المسيح. عندما دخلت العناصر الأساسية للسلالات المنطقة، وأضيف لذلك مؤخرا مخطط أجمالي لتتابع أجناس أقدم من صيادين وفنانين تركوا لنا سجلا لحياتهم في شكل خدوش ونقوش على الصخر. قبل حوالي عشرين ألف سنة من الميلاد، أثناء الحقبة التي تدعى «مجدلية» (Magdalen ian) نشأت في أفريقيا مجموعات صيادين مشابهة للتي ظهرت في أسبانيا

وفرنسا وترك أهلها شواهد لحياتهم في شكل نقوش صخرية بديعة لفيلة وحيوانات وحيد القرن وأفراس النهر وزرافات وتماسيح، و يسمي أثريو أفريقيا الشمالية هذه الحقبة حقبة الصيادين.

جاء بعد هذه الفترة نوع من البشر أكثر استقرارا يمتلكون قطعانا من المواشي رسموها في لوحات متعددة الألوان في أعلى نمط من الفن لما قبل التاريخ وسميت هذه الفترة «الرعو ية».

ثم ظهرت حضارة الشعب الذي أسماه هيرودوتس بالجرمنت (Cramantes) وهم محار بون يركبون العربات و يركبون كذلك الخيل بحيث أطلق على الحقبة حقبة الحصان. أما النمط الفني فتدهور و يلاحظ فيه تخطيطا تجريديا الى حد كبير.

ور بما عاصرت حقبة الحصان أول آثار تاريخية لليبيين، أي تلك التي وجدت على الهياكل المصرية القديمة المصورة للمعارك مع «شعوب البحر» وحسب ما نرى في لوحات رمسيس الثالث الكبيرة، حدثت محاولة لغزو كبير لدلتا النيل حوالي ١٢٠٠ قبل الميلاد من محار بين مهاجرين وصلوا على متن سفن من الشمال الشرقي، ر بما من الأناضول (تركيا الحديثة والشطوط المجاورة لها) ومن فلسطين (لبنان والأجزاء المجاورة من فلسطين) وكان هؤلاء المحار بون المنقولون بحرا يمثلون نصف دستة من القبائل المختلفة تميزهم قلنسواتهم وتروسهم ومن بينهم الشردانة (أو الشردن) الذين كانوا يحملون تروسا مستديرة وسيوفا عريضة يرتدون قلنسوات حر بية مزينة بالر يش.

كان الجيش المصري تحت امرة رمسيس الثالث مسلحا بالأقواس والنبال، وحسب الآثار التي تصف معركة دلتا النيل، هزم الغزاة قبل نزولهم على اليابسة. فانسحب الجمع المهزوم من «شعوب البحر» غر باً نحو ليبيا ليغيبوا عن التاريخ لمدة قرنين. وأثناء تلك الفترة، تغلب الشردن كما يبدو على النكسة وتعلموا فن المحار بة بالأقواس والنبال ثم تطوعوا كمرتزقة في جيوش آخر الفراعنة الرعاسة التابعين للأسرة الحادية والعشرين المصرية الآفلة، وحوالي سنة ٩٥٠ قبل الميلاد قام رئيس الشردن، اسمه شيشونق بانقلاب ضد العرش المصري ونصب نفسه فرعونا في مدينة بو بسطس (Bubastis) وكون الأسرة الثانية والعشرين الشهيرة ــ الأسرة المالكة الليبية بمصر ــ وانضمت ليبيا إليها لتكون مملكة واحدة. ولكن الشردن لم ينسوا

تقاليدهم البحرية. فأصبحت مصر تحت الليبيين قوة بحرية. وتكتشف الآن أواني من الألباستر المصدرة تحمل أختام الفراعنة الليبيين المختلفة في مقابر بأسبانيا، كما وجد اسم شيشونق الذي اتخذه أربعة فراعنة على الأقل في النقوش الأمريكية، إلا أنه لا يعلم بعد أن كانت معاصرة للملوك المعروفين بذلك الاسم. غير أنه في احدى الحالات على الأقل. يتجلى أن تسجيلا أمريكيا لاسم شيشونق يعود لتاريخ متأخر نوعا ما وهو مذكور فقط كجد لملك ليبي من القرن الثاني قبل الميلاد.

مثل الشردن وغيرهم من شعوب البحر على الهياكل المصرية كمحاربين فاتحي البشرة مثل الاغريق والحيثيين. ولذا قد تحدثوا لغة لها صلة بالفرع الأناضولي من اللغات الهند وأوروبية. وهو فرع تشبع إلى حد كبير بالمفردات السامية التي تعكس أصل كيانهم الحضاري. وربما انحدرت الليبية القديمة من هذه الأجناس الغازية.

حوالي ٧٥٠ قبل الميلاد طرد المصريون الليبيين الذين عادوا إلى ليبيا وكانت في ذلك الأثناء قد نشأت مستعمرات لتجار فينيقيين في عدة نقاط على ساحل شمال أفريقيا وخاصة بقرطاج بتونس الحالية ويلبرة (التي سميت فيما بعد ليبتس ماجنا) بقرب طرابلس الحديثة، وأويا (طرابلس نفسها) وفي الموقع المقابل للمدينة الاغريقية المسماة قورينا في الشطر الشرقي من ليبيا اليوم. أما المستوطنون الفينيقيون الذين أصبحوا مستقلين عن المدينتين الأمين صور وصيدا بفينيقيا (لبنان) وبالتالي أسسوا الأمبراطورية القرطاجية، فقد أدخلوا لغة تشبه العبرية القديمة.

حوالي ٦٥٠ قبل الميلاد، أسس إغريق اسبرطة، مستعمرة، مكان القرية الفينيقية السابقة بشرق ليبيا، فأصبحت مدينة قورينا الشهيرة، وانتشر النفوذ الاغريقي في المنطقة المجاورة، حيث نشأت خمس مدن تكونت منها مملكة قورينا، وكانت الأراضي الواقعة بين قورينا ومصر ـ أي ليبيا الشرقية مع واحة سيوة (المسماة آمونيا) ـ مأهولة بأجناس من أصل فينيقي ومصري أهمهم الأدريماخيد (Adrymachids) وقد اتبعوا حسب الرحالة هيرودوت، التقاليد المصرية، ويعتقد أن الكتابات المنقوشة بحروف ليبية ـ لكنها متضمنة مفردات مصرية ـ هي من أصل أدريماخيدي، وهكذا، فيما يبدو كانت أيضاً، الكتابات الليبية المستعملة رموز الهيروغليفية المصرية.

آخر غزوات شمال أفريقيا الكبرى، كانت للرومان، بعد الحرب مع قرطاجة في القرن الثاني بعد الميلاد. وقد جرى الاعتقاد ــ ولا زال جاريا خطأ ــ أن العرب جاؤوا إلى ليبيا للمرة الأولى مع الجيوش الاسلامية في القرن السابع الميلادي، لكن كما سوف أشرح في الفصل رقم ١١. قد برهنت التحريات نهائيا، سواء في أمريكا أو شمال أفريقيا، أن اللغة العربية جاءت إلى شمال أفريقيا قبل الاسلام بكثير، ويرجع إلى أن من سموا بشعوب البحر كانوا من العرب حقاً.

ومن هذه الأجناس المتباينة، ظهر سكان شمال أفريقيا المتحدثون بالعربية. والبرابرة أيضاً من عرق مختلف ولكن أصل لغتهم غير معروف، ولو أنها قد تكون من اللغات التي أدخلها شعوب البحر.

وقد جلب امتزاج الفصائل العرقية واللغات الأم إلى شمال أفريقيا، مصدرا هائلا للمواهب المتنوعة. فبفضل الريادة الفكرية الاغريقية بقورينا، أصبحت ليبيا أكبر منهل لرجال العلم ببلاط البطالمة في الاسكندرية في الفترة التالية لعهد الأسكندر المقدوني. أما الليبيون المجاورون الأصليون، فقد احتفظوا بعاداتهم وتقاليدهم واستمروا في مزاولة فن نقش الصخور. فالفترة المسماة حقبة الرؤوس المستديرة التي صور فيها رقص ومهرجانات دينية في كل من ليبيا وشمال أفريقيا، تقترن عادة بنصوص الكتابة الليبية. وبعد عام ١٠٠٠م أدخل الرومان الابل إلى ليبيا بحيث طغت رسوم الجمل على الفن الصخري وهي حقبة مفقودة بتاتا في الفن الصخري الأمريكي.

فان الأمر المذكور أخيراً لهام جداً، إذ يعطينا أول مفتاح لتاريخ وصول أغريق بلوطارخ ــ أي أغريق ليبيا ــ، إذ يجب أن يكون في فترة سابقة نوعا ما لحقبة الجمل، ولكن بعد حقبة الرؤوس المستديرة، ما بين الاسكندر الأكبر واحتلال الرومان لشمال أفريقيا. وبهذا يمكننا أن نضيق بحثنا إلى فترة ما بين نهاية القرن الرابع والقرن الأول قبل الميلاد.

بهذه المفاتيح عدت إلى أمريكا لفحص الشواهد الجديدة بنظرة جلية.

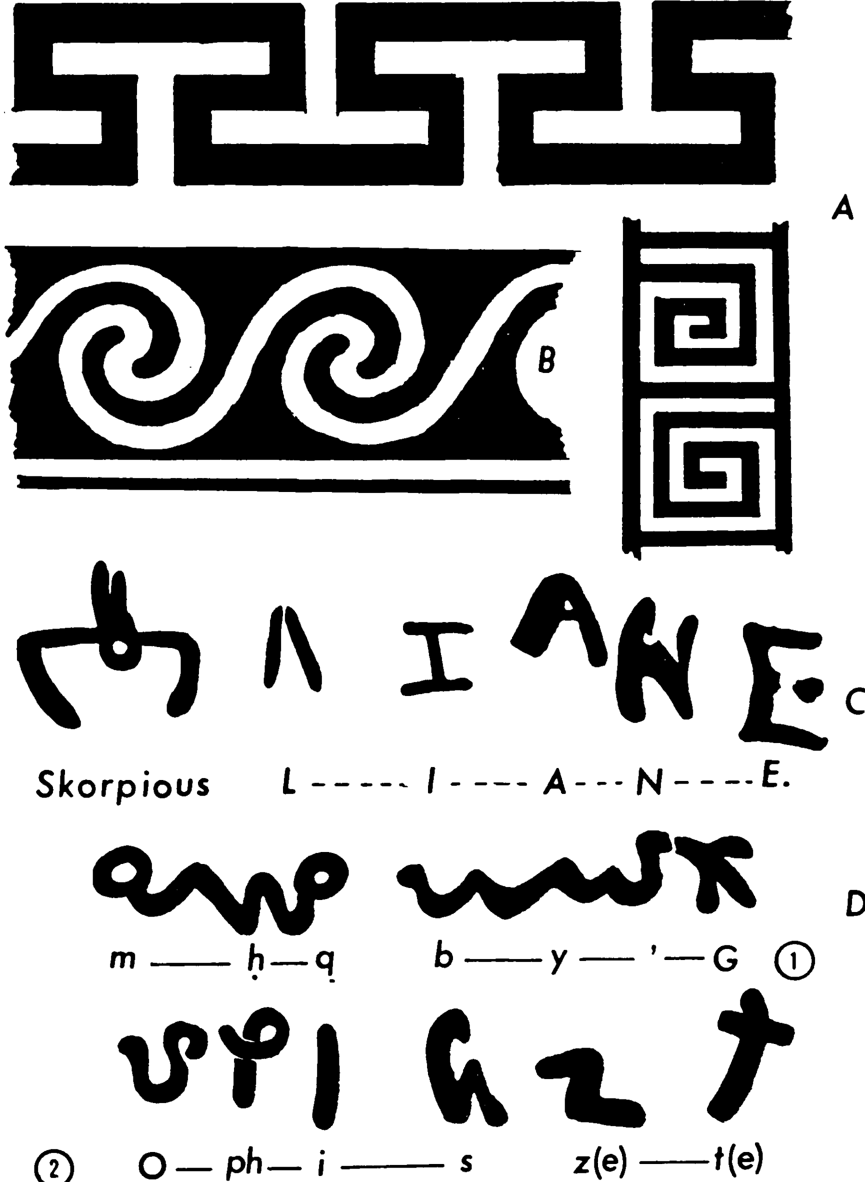
بينما كنت مركزا على المظاهر الليبية والقرطاجية، وكذلك الأغريقية المزعومة، للتاريخ الأمريكي، قام جيمس هو يتال (Whittall) استطرادا لبحوثه عن الحجرات

الصخرية الأيبيرية، قام برحلة أخرى إلى أسبانيا والبرتغال والمغرب بينما زار البروفيسور نورمان توتن (Totten) المغرب هو الآخر، فوفق هو وجيم (هو يتال) في العثور على كتابات جديدة أيبيرية وليبية التي سأناقشها بعد قليل (الفصل رقم ٨). على كل، دلت احدى الكتابات التي نقلها جيم من صفيحة رصاصية بمتحف مدريد القومي للآثار على أنها تحمل مغزى غير منتظر، وقد وجدت في أسبانيا الشرقية بقرب بوجول (Pujol) وبدت كأنها أيبيرية، إذ احتوت الكتابة على عدة أحرف تطابق الأبجدية الأيبيرية (Iberic)، لكن الآن قد ثبت جليا بأن اللغة الايبيرية القديمة من أصل سامي وهي قريبة جداً من العربية الفصحى، لدرجة أنه كل ما يلزم لفك رموز معظم النصوص الايبيرية القديمة هو معجم عربي إذا ما كتبت بأشكال الحروف الايبيرية المعروفة.

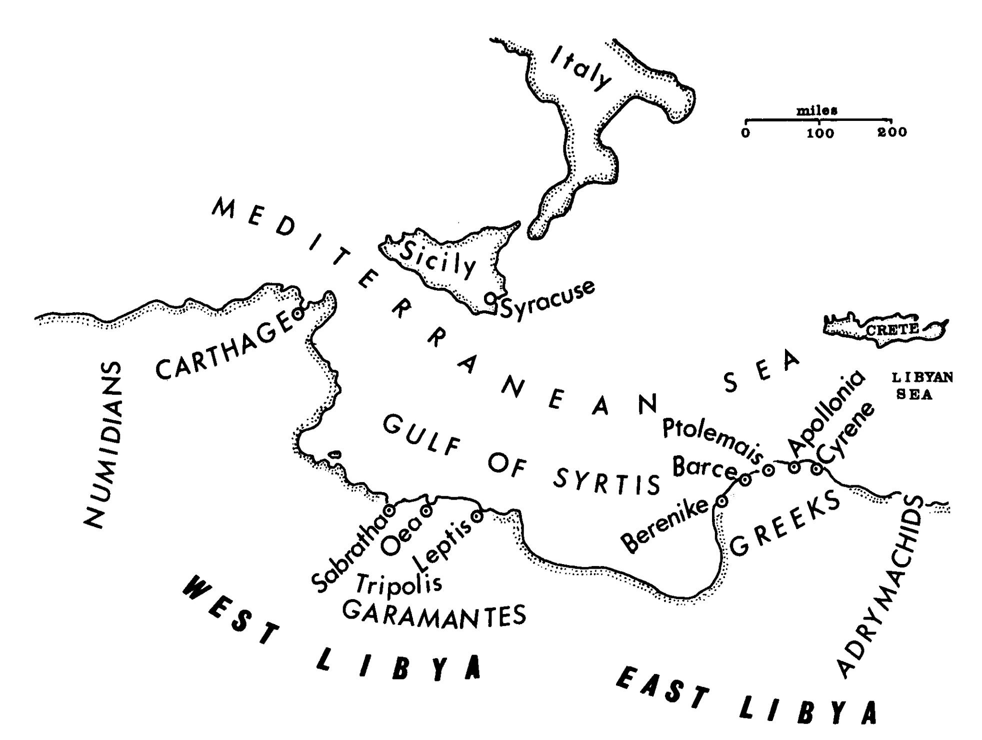
إلا أن الصفيحة الرصاصية من بوجول، أثبتت أنها عاصية. فرغم كونها سليمة وجميع حروفها واضحة لم يكن للنص أي معنى مهما قرىء يمينا أو شمالا، إذ لم تكتب كما يبدو باللغة الايبيرية ـ فماذا تكون إذن؟ ـ فراجعت التردد النسبي للحروف ولاحظت أن هيكلها شبيه نوعا ما باللغات الهند وـ أوروبية المتداولة في أوربا في الأزمنة الكلاسيكية. فأعدت فحص النص على ذلك الاعتبار وإذا بي أكتشف مندهشا أنه مكتوب باللغة الأغريقية. لم يعثر من قبل أبداً على مثل ذلك النص الأغريقي المكتوب بالحروف الأيبيرية.

نشرت مقالا عن الصفيحة في مجلد سنة ١٩٧٦ من سلسلة جمعية النقوش وألمحت إلى أن لهجته قد تكون أغريقية كاتالينية. ذلك أن جميع المصادر التاريخية تفيد بأنه قد أنشئت مستوطنات أغريقية في كاتالونيا في القرن السادس قبل الميلاد وقد أكدت اللقيات الأثرية ذلك المفهوم. لكنه لم يعثر حتى الآن على وثيقة مكتوبة بالأغريقية.

وما كادت أول نسخة من مجلد جمعية النقوش تصل أوروبا حتى استلمت رسالة تهنئة من الدكتور لينوس برونر (Linus Brunner) أخصائي الأغريقية الكلاسيكية والذي عمل بعض الوقت أستاذا للكلاسيكيات بجامعة سينت غالين (St. Gallen) بسويسرا. وقد أردف الدكتور برونر رسالته المتحمسة الأولى برسائل أخرى قام من خلالها باعادة أغريقية (أثينا) إلى شكلها الأصلي في حالة كتابة

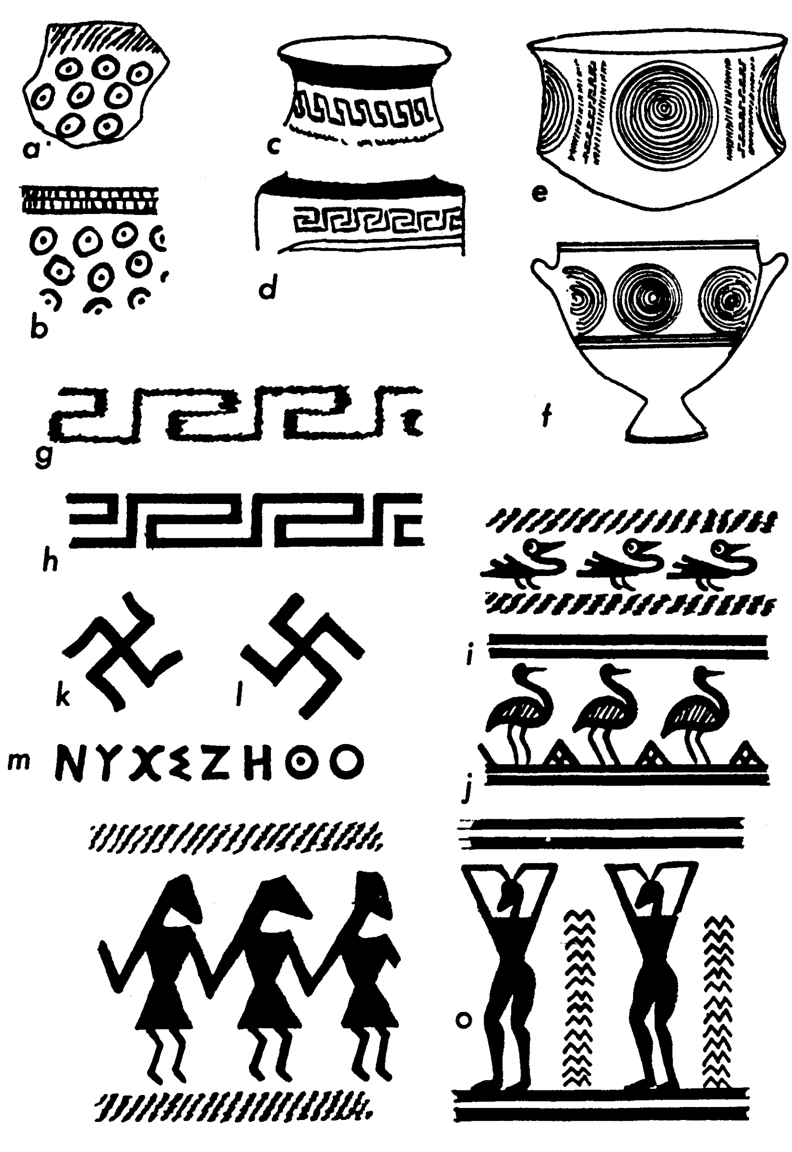



من الممكن التعرف من نقوش الأمريكيين الاغريق الذين ذكرهم بلوتارخ على أنهم ليبيون من أصول مختلطة من المعمرين الاسبارطيين بشحات Cyrene (أنظر الخريطة) والمحليين والمتحدثين الأوائل باللغة العربية في ليبيا الذين سبقوا الفتح الاسلامي للشمال الافريقي لوقت طويل. وقد بقيت مفرداتهم اللغوية بين القبائل كقبائل الشمال الشرقي الجونكويانز (أنظر الملحق)، وتشتمل على أكثر من المفردات المشتقة من القبطية والعربية، فضلا عن العناصر الاغريقية التي يمكن التعرف عليها بسهولة أكبر، والتي تم تبينها من قبل سيلاس راند Silas Rand منذ قرن مضى، عندما قام بتأليف قاموس الميكماكيون Dictionary Micmac. إلى أعلى: A و B- نقش شبكي إغريقي نموذجي متكرر وجد في مناطق النقوش الصخرية بكولورادو من قبل الأستاذ جوليان هـ ستيوارد في ثلاثينات القرن العشرين. ولاحظه هارولد س. جلادين على فخار هوهوكام Hohokam بأريزونا Arizona. C- نقش حجري من نيفادا، وسمي في السابق «الحوض الأعظم ذا الأضلاع المنحنية» وهو في الواقع تحذير: «اسحق العقارب تحت الاقدام». D- نقش على حجر ثنائي اللغة: عربية وإغريقية لشبه أمي، وهو أيضا من ولاية نيفادا يحذر العابرين: «حذار من الثعابين».



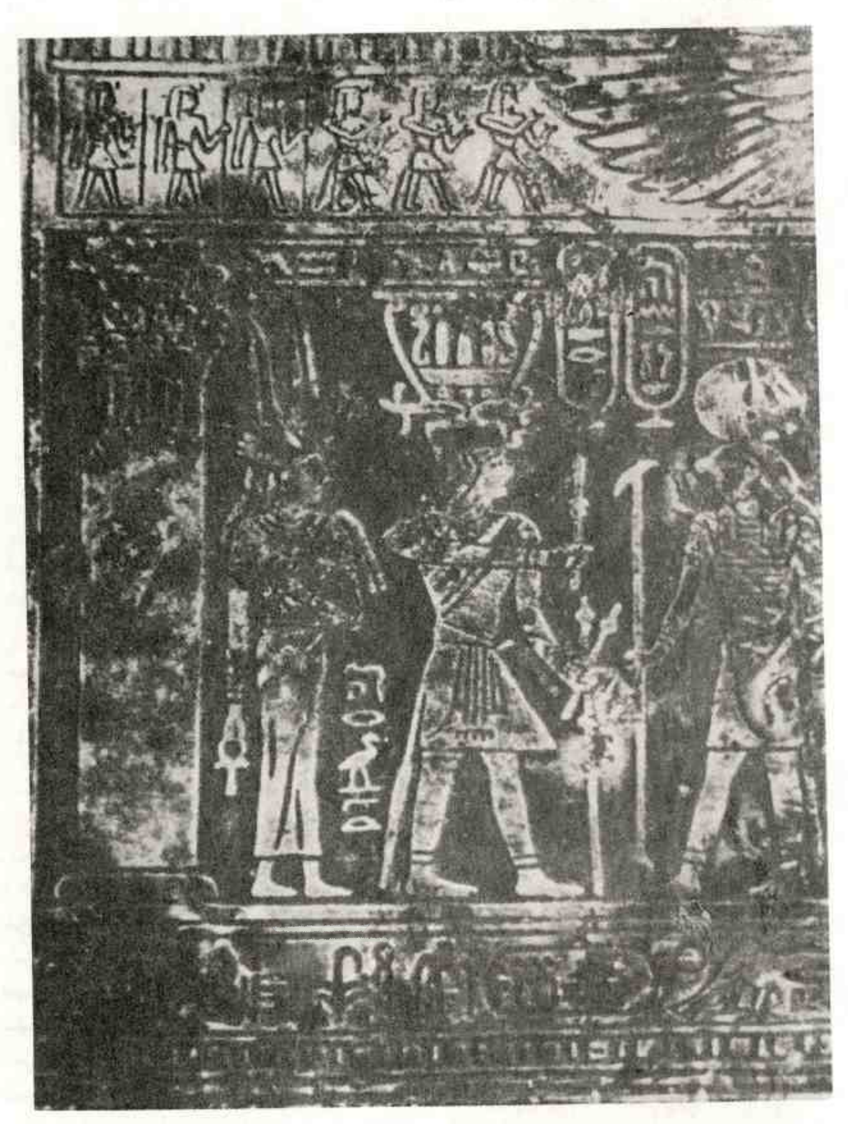

موطن الليبيين في الأزمنة القديمة. إلى أقصى الشرق، تعيش قبائل تدعى ادرايمشايدز Adrymachids الذين يتكلمون لغة وسطا بين الفينيقية والمصرية ويستخدمون الكتابة المصرية الهيروغليفية. وإلى الغرب تقع شحات، مع خمس مدن إغريقية اختطها الاسبارطيون. وإلى الغرب منها توجد القبائل المحلية، وتهيمن قرطاجة على الأقاليم المطلة على البحر. كما كان يعيش سكان يتكلمون لهجات شبيهة بالعربية أيضاً. على طول هذه السواحل ويستخدمون حروفاً هجائية تعرف بالنوميدية Numidian أو الليبية.

يتواصل عدم انتظام التهجئة والكتابة بين غير الاكاديميين من الاغريق، حتى العصور المسيحية. ويظهر هذا الجزء من ترنيمة بزنطية كتابة مشابهة للاغريقية في النقوش الأمريكية: «بوق القدر، نهاية العالم، وفزعاً ستنشق القبور».

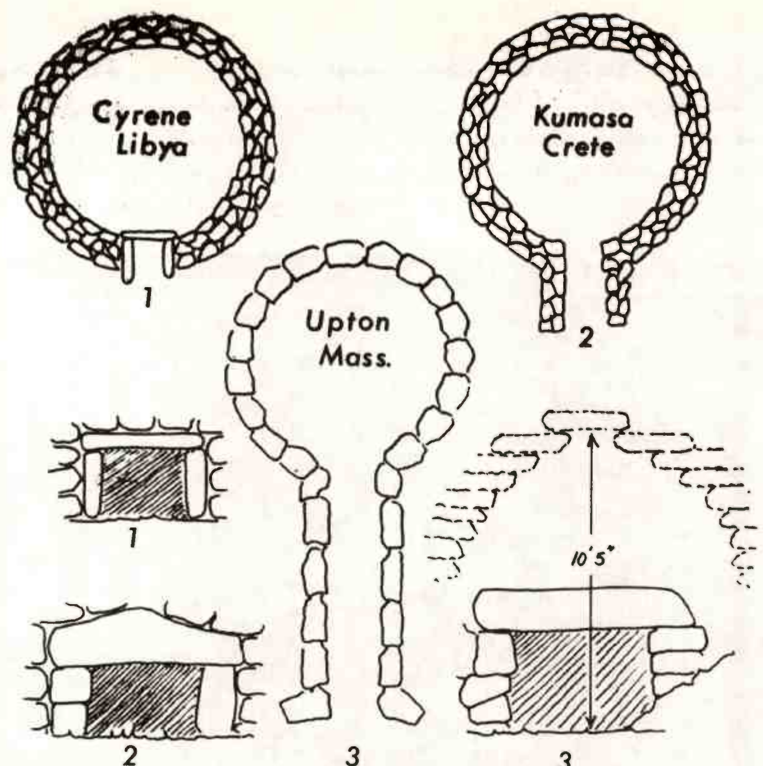



زخرفة فخارية ملونة مشابهة عثر عليها في أريزونا وفي المواقع الاغريقية بالبحر المتوسط. وبعد مدة طويلة من اختفاء ما سمي بالنمط الهندسي باليونان، استمر في المواقع الأيبيرية الاغريقية مثل إمبوريون Emporion، وعلى نحو منعزل لوقت أطول بأمريكا. a- أريزونا، سنيكتاون، سانتا كروز أحمر ـ على ـ أصفر برتقالي. b- جزر سايكليدز ببحر إيجة، بني ـ اسود ـ على ـ أصفر برتقالي. c- أريزونا، سنيكتاون توجد على نبات السقطون Sacaton، احمر ـ على ـ اصفر برتقالي. d- امبوريوم، أسبانيا، أسود ـ على ـ أصفر برتقالي، وبرتقالي ـ على ـ أحمر. e- سنيكتاون، توجد على نبات السقطون، أحمر ـ على ـ أصفر برتقالي. f- اتيكا، اليونان، بني ـ أسود ـ على ـ بني ـ على ـ أصفر برتقالي. g- سنيكتاون، أريزونا، سانتا كروز احمر ـ على ـ اصفر برتقالي. h- تلو إغريقي متواجد على نحو كبير في البحر المتوسط. i- سنيكتاون، أريزونا سانتا كروز احمر ـ على ـ أصفر برتقالي. j- نمط هندسي من أتيكا، اليونان. k- صليب معقوف من زهرية سوداء الرسوم من أثينا. l- صليب معقوف من سينكتاون، فخار اريزونا، ساكتون أحمر ـ على ـ أصفر برتقالي. m- حروف من الحروف

الهجائية الاغريقية، توجد على نبات السقطون وفخار سانتا كروز، بالأريزونا. n- أريزونا، سانتا كروز أحمر - على - أصفر برتقالي، أشكال بشرية أنثوية راقصة في نمط هندسي. o- بداية الكورنثي Protocorinthian، اليونان، أشكال بشرية أنثوية راقصة في نمط هندسي. (أريزونا، المعلومات من: جلادوين، هوري Haury، سيليس Sayles، و ن. جلادوين، 1937. وجمع معلومات البحر المتوسط: فيل).



ملك ليبيا ميكوسين يخبرُ مواطنيه بأمريكا بوفاة والده ماسينيسا عام ١٤٨ ق. م. وبمطالبة بعرش مصر. وهذا جانب من إعلان مكتوب على الذهب في أكوادور (الصورة تكرم بها الأستاذ بول تشيزمان وعمل على إبرازها بيتر ج. جارفل. مجموعة كرسبي).



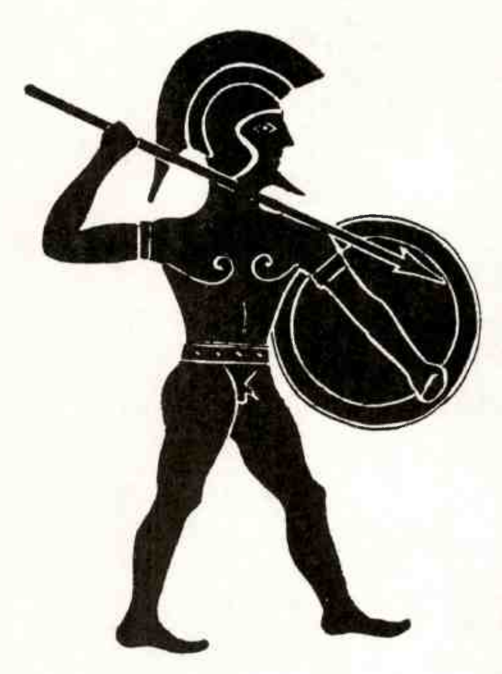

١- قبر في شكل خلية نحل أو tholos قرب شحات Cyrene بشرق ليبيا. ٢- قبور مماثلة يعتقد أن تاريخها يعود إلى الأزمنة الكلاسيكية وهي تعكس التأثير الليبي في كوماسا بجزيرة كريت (نقلا عن سير أرثر ايفانز، ١٩٦٤). ٣- حجرة أبتون Upton بولاية ماسوشيستس، وهي تحت الأرض بالكامل. ان الأشكال المتاخرة من القبور على شكل خلايا النحل الليبية كانت تتكون من تل ترابي تحيطبه دائرة من الحجارة أو سور من الحجر، ومن المعروف أن النوع الأخير منها تعود إلى الفترة الرومانية. stone wall—these latter



الأستاذ لينوس برنر Linus Brunner، العالم اللغوي والمتخصص في الدراسات الكلاسيكية من سنت جالين بسويسرا. وان قاموس البولينيزي أول قاموس يعطي تحليلا منطقيا لكثير من مفردات اللغات البولينيزية وهو يدلك على أصل مشترك لها مع اللغات السامية، وبخاصة مع اللهجات السامية بشمال أفريقيا والتي اشتملت على كلمات مستعارة من اللغتين المصرية واليونانية. ولما استعمل فيل Fell القليل الخاص بالكتابة بالشيفرة لتحليل إحدى اللهجات اليونانية القديمة في أسبانيا كانت تستخدم في كتابتها الحروف الهجائية الايبرية، كان برنر يبادر إلى تأكيد صحة ما يتم التوصل إليه وإلى استخلاص ما يقابله باليونانية المستعمل في شبه جزيرة أتيكا ببلاد اليونان.



لقد استمر أثناء العهد الروماني النحت الاغريقي الكلاسيكي في ليبيا، كما هو ممثل في هذا المحارب الذي يرتدي خوذة على رأسه، ومن المحتمل أنه مكرساً لمارس Mars إله الحرب. (تصوير: بيتر ج. جارفل، بموافقة: متحف الآثار الوطني، طرابلس).



احتفظ الاسبارطيون الليبيون بالعادات الحربية لأسلافهم باليونان، فاحتفظوا لذلك باستقلالهم لما يقرب من ١٠٠٠ سنة. وهذا رسم محارب على زهرية، وجدت في قبر بشحات في عام ١٩٦٩، ويعود تاريخها لحوالي ٥٥٠ سنة قبل الميلاد. وتظهر خوذته وحربته وترسه الدائري أيضاً في النقوش الأمريكية، كما تم اكتشاف ترس دائري برونزي نقشت عليه رسوم محاربين أثناء تطهير ميناء بوستون Boston.





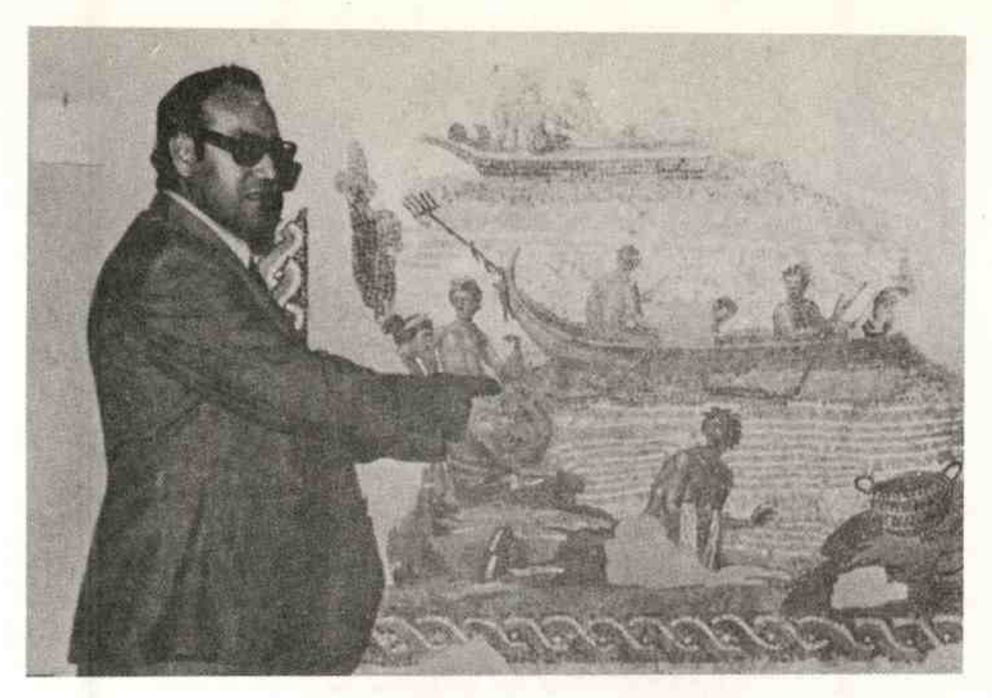
بالاضافة إلى الاغريق، كانت ليبيا القديمة أيضاً موطناً لسكان محاربين آخرين. وعند نهاية الفترة ما قبل التاريخ الليبية، حوالي عام ١٢٠٠ قبل الميلاد، حدثت سلسلة من الغزوات لشمال أفريقيا من قبل السكان البحريين، الذين سماهم المصريون بالاسم المألوف شعوب البحر. ومن بين الغزاة البارزين الذين استولوا على الأرض الواقعة إلى الغرب من مصر، واستولوها الشاردانا Shardana أو (الشيردن Sherden) الذين كان محاربوهم يرتدون تنورات جلدية وقبعات حربية من الريش شكل تاج. وكانوا يحملون تروساً دائرية، ويقاتلون بالسيوف والحراب. وكما صورهم النحاتة المصريون، فانه يبدو بأنهم من أصل آري Aryan، ولعلهم كانوا يتحدثون لغة قريبة من اللغة الحيثية. ومن المحتمل أيضاً أنهم كانوا ـ جزئياً ـ من أسلاف سكان شمال أفريقيا البيض. ومن بين شعوب البحر الأخرى التي يحتمل أنها استوطنت في ليبيا، محاربون كان على خوذاتهم قرنان، وهي تشبه تلك التي استخدمها التيوتون Teutons القدامى. وكان الليبيون، بحلول القرن العاشر قبل الميلاد، من القوة بحيث تمكنوا من الاستيلاء على مصر. وتأسيس الأسرة الثانية والعشرين أو الأسرة الليبية. وخلال الـ ٢٠٠ سنة من حكمهم، جعل الفراعنة الليبيون مصر قوة بحرية بارزة. ومن المحتمل أن الرحلات البحرية الأولى إلى أمريكا قد بدأت خلال تلك الفترة، وتشير بعض النقوش الدهشة والضئيلة البروز في يوتا Utah (أنظر: صفحة ١٠٢) إلى إمكانية قيام اتصال



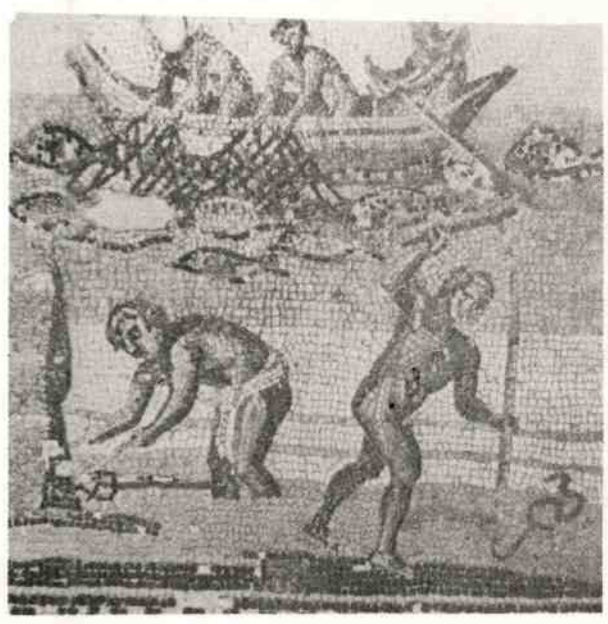
**نقوش على منحدرات صخرية شاهقة بدون نصوص لشرحها، قرب فيرنال Vernal بولاية يوتا. ويبدو أنها تصور شعباً من المحاربين يشبه الليبيين القدماء. (تصوير: الدكتور جوليان فيل، من صورة طبق الأصل، عن صورة للأستاذ: جوليان ستيوارد).**



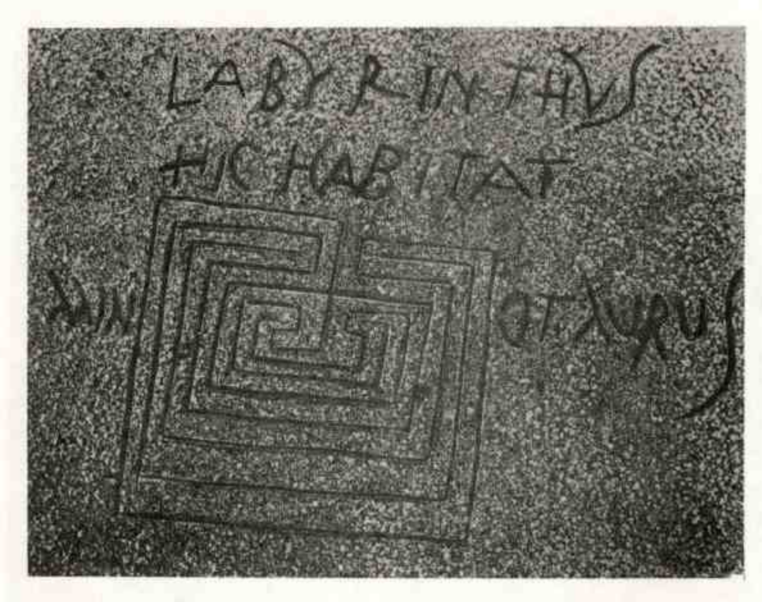
أثناء الألف عام الأولى قبل الميلاد، حدثت زيادة مضطردة في عدد المستوطنين الساميين في ليبيا: تجار فينيقيون، وعلى ما يبدو، صيادون وصيادو أسماك من العرب. إن هؤلاء السكان ـ وبشرتهم زيتونة اللون ـ نجد رسومهم على فسيفساء العهد الروماني، أحياناً كصيادين، ولكنه في الغالب كبحارة وصيادي أسماك. وتوضح النقوش بعد سنة ٢٠٠ قبل الميلاد بأن اللغة العربية مع المفردات البربرية المستعارة، كانت تستخدم في المدن. (السراي الحمراء، طرابلس، تصوير: بيتر ج. جارفل).



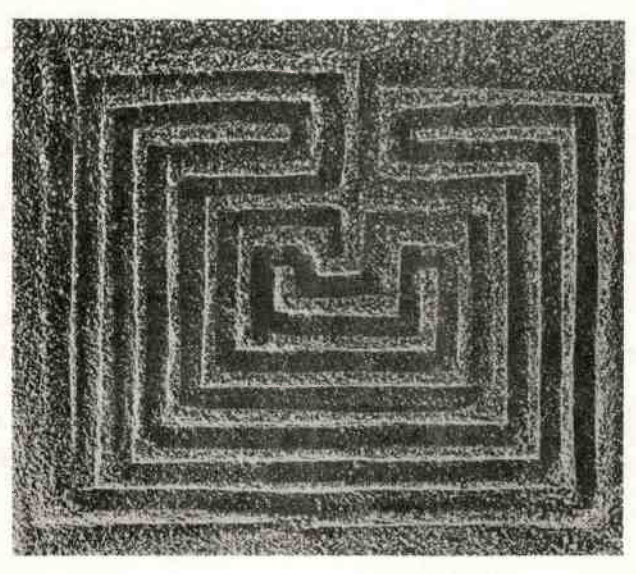
وصل فن الفسيفساء في شمال أفريقيا ذروته أثناء العهد الاغريقي والروماني. لقد استخدم الفنانون الوسيلة لتصوير الحياة اليومية، ومن خلال هذه السجلات الباقية، نستطيع إدراك الخلفية التي ترعرع فيها العديد من معمري أمريكا الأوائل. فقد قدم الصيد البحْري في السواحل والمناطق المجاورة لها نشاطاً رئيسياً للسكان البحريين الليبيين، كما تدل على ذلك وفرة الفسيفساء الأرضية التي تم العثور عليها في المباني العامة والخاصة، في المدن القديمة للساحل المواجه لجزيرة كريت. ويظهر هنا الأستاذ عبد الله وهب مدير الآثار وهو عرض أفضل القطع البحرية، في مجموعة متحف الآثار الوطني، طرابلس، تصوير: بيتر ج. جارفل).



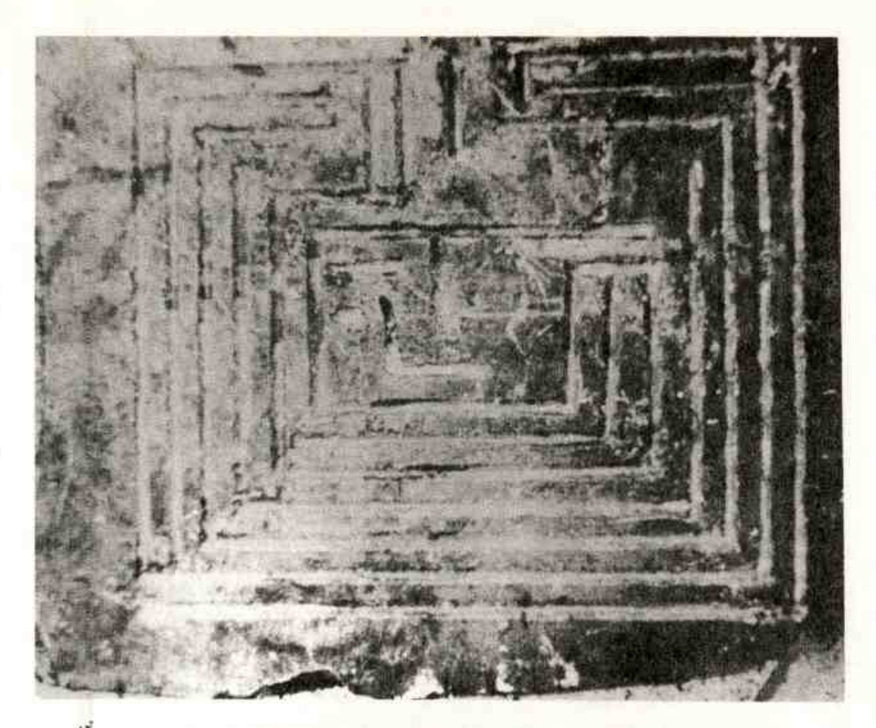
الصيادون الذين تركوا شبكة صيد كبيرة تدلى عمودية في الماء، يقتربون من الشاطىء، في حين يظهر رفقائهم على الساحل يستعدون لربط حبال سحب السفينة. (متحف الآثار الوطني، طرابلس، تصوير: بيتر ج. جارفل).



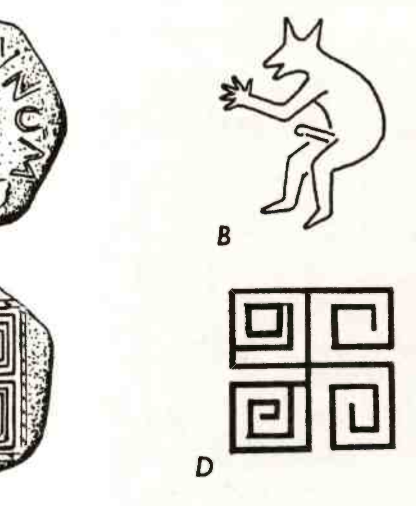

من المساكل المحيرة الآن وجود أنماط لمتاهات متماثلة اشتقت من الفن الديني لكنوسوس Knossos بجزيرة كريت، وهي توجد في البحر المتوسط، بريطانيا، اسكندينافيا، وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية. وهنا تظهر بعض الكتابات المحفورة على حائط في بومبي إلى الجنوب من نابولي، ويعود تاريخها إلى ما قبل سنة ٧٩ ميلادية. وتقرأ الكتابة اللاتينية التي كتبت باحرف مدورة: «المتاهة، هنا يسكن المينوطور Minotaur». (متحف النقوش، تصوير: بيتر ج. جارفل، والدكتور جوليان فيل).



نفس النمط الذي وجد بأوريبي Oraibi، نيومكسيكو. (متحف النقوش، تصوير: بيتر ج. جارفل، والدكتور جوليان فيل).

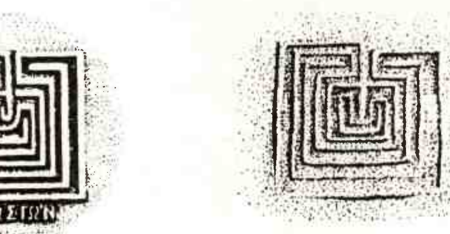


النمط ذاته من كوينيكا، اكوادور. (تصوير: الأستاذ بول تشيسمان).

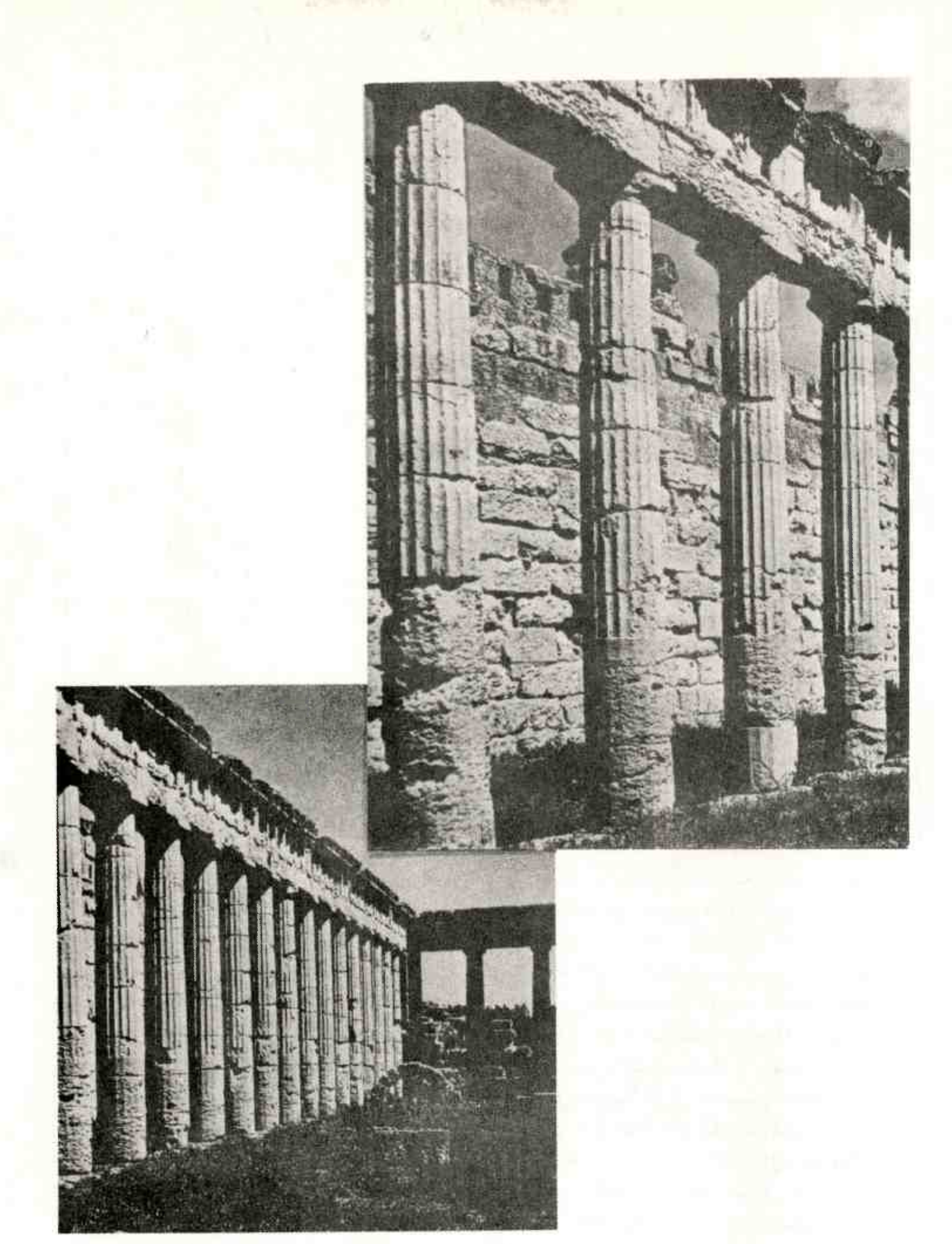




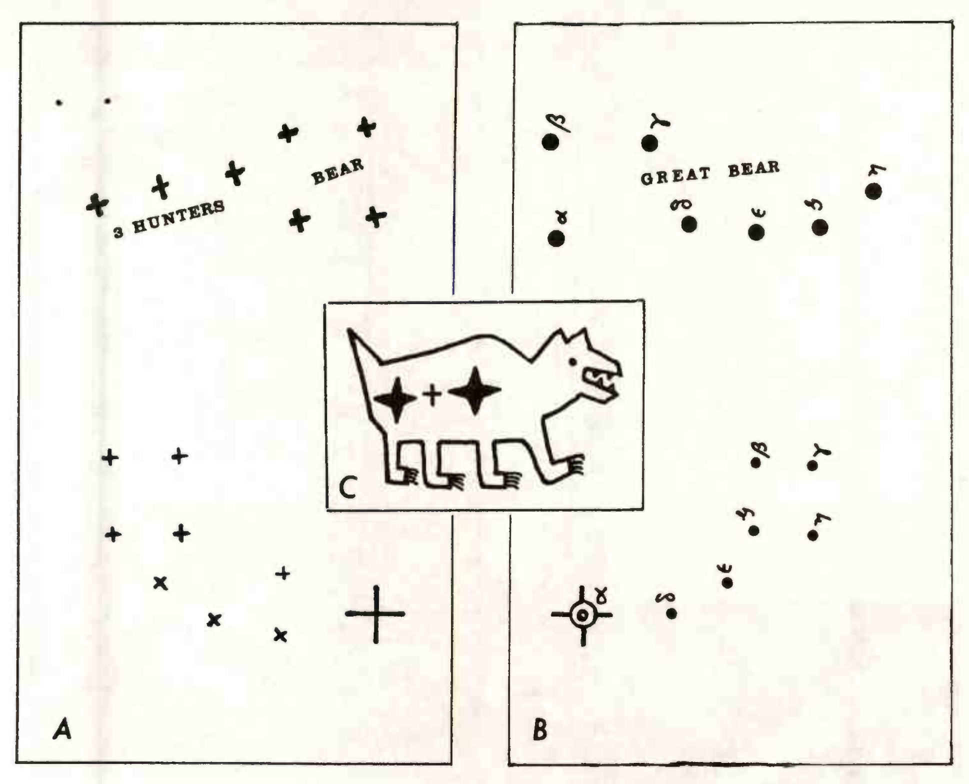




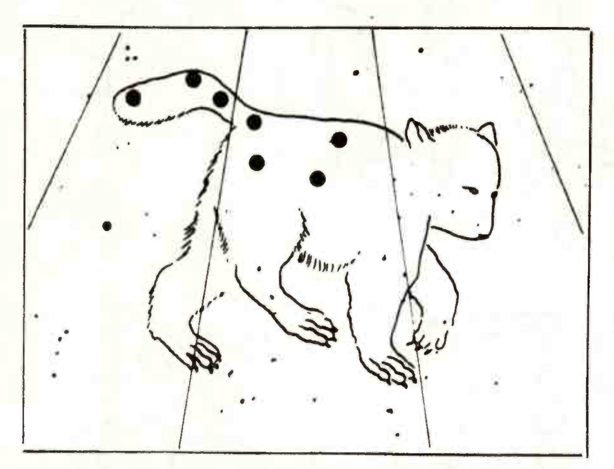

قدم اكتشاف قطع نقدية قديمة في أمريكا، والكثير من النقوش التي تم التعرف عليها والتي تصور القطع النقدية القديمة (numoglyphs) المفتاح لفهم الانتشار الواسع لأنماط المتاهات. A ، C و E قطع نقدية من كريت، تم تداولها في أمريكا الشمالية، وفي أماكن أخرى، إلى جانب النقوش الصخرية الأمريكية B ، D و F ، والتي يبدو أنها نقلت عنها. ويظهر المينوطور B على نقوش صخرية عديدة في تكسان Texan ، حيث توجد أيضاً متاهات مبسطة. يظهر نمطان للمتاهة D من كولورادو، و F من نيومكسيكو.



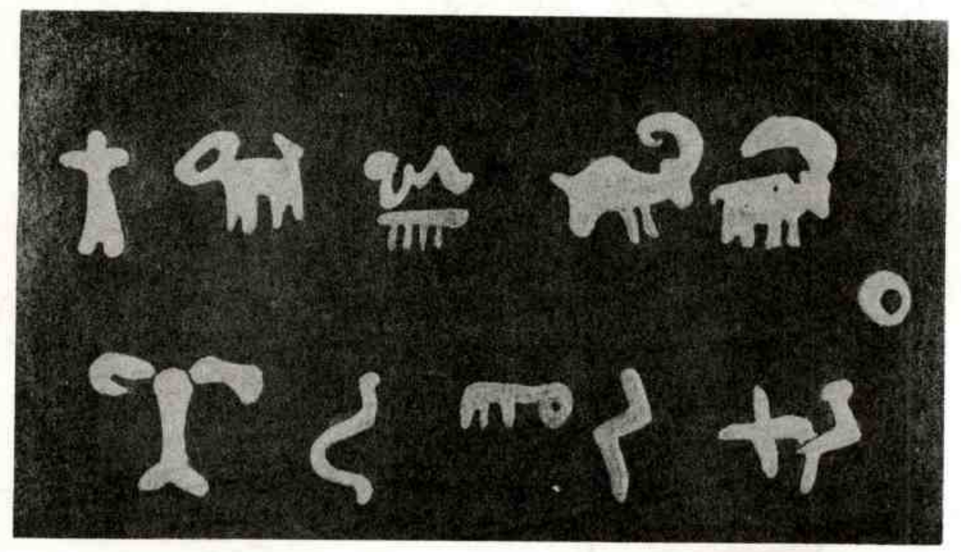
عاش فقراء ليبيا في مساكن بسيطة تشبه الأكواخ البيضوية الشكل، في الأرياف. وكانوا بالتالي مستعدين للتكيف للحياة البسيطة، في وضع استعماري. بيد أن الموانىء التي كانوا يبحرون منها أصبحت مدناً فخمة أثناء العهدين الهلينيستي والروماني، وكان معظم المستوطنين الأمريكيين على معرفة بمثل تلك الفخامة المدنية تماما كحجاج العصر الاستعماري الحديث قبل إبحارهم من إنجلترا. يظهر هذان المشهدان جزءاً من الساحة العامة Forum في لبدة العظمى، ليبيا. (مصلحة الآثار، طرابلس).



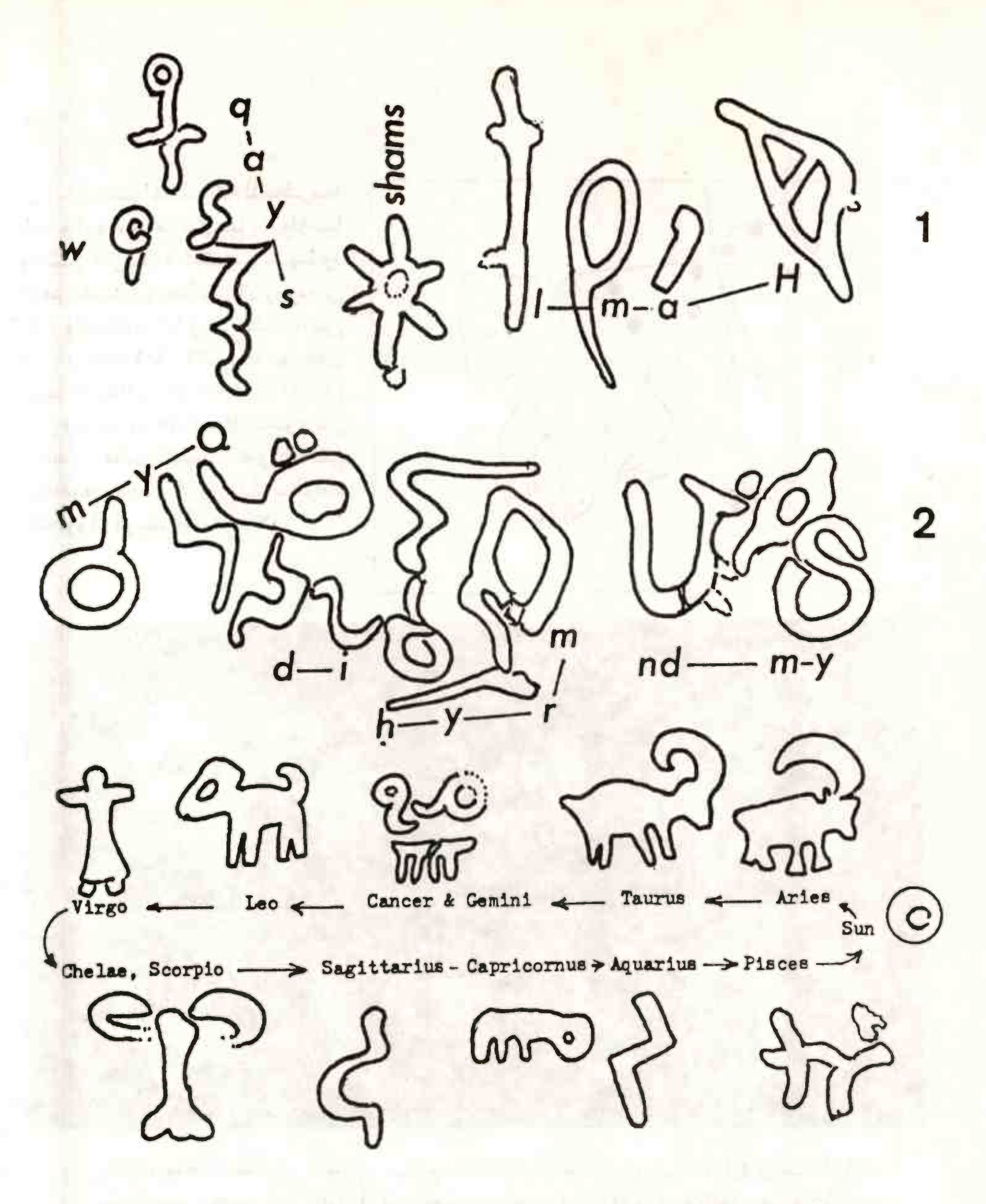

يخبرنا بلوتارخ بأن الاغريق الذين استوطنوا أمريكا كانوا مهتمين كثيراً بعلم الفلك. وكان عليهم في الواقع أن يكونوا كذلك من أجل إيجاد طريقهم عبر المحيط، مسترشدين بالنجوم. تظهر هذه الخرائط تمثيلا مطابقاً لنجوم القطب الشمالي. A- خريطة للنجوم حول القطب الشمالي لسماوات رسمها فلكي هندي أمريكي (Pawnee) على جلد جاموس، وتوجد الآن في متحف فيلد Field Museum بشيكاغو Chicago. وكانت التسمية «الدب» Bear في لغات مختلف الهنود الأمريكيين، تستعمل لأربعة نجوم تشكل جفنة الدب Dipper، والثلاثة نجوم التي تشكل يد الجفنة تدعى الصيادين الثلاثة، أو «الصياد وكلباه». وتدعى النجمة القطبية، إلى الشمال، النجمة التي لا تتحرك. B- وفي خريطة أوروبية لنفس المنطقة، فان النجوم تبدو كما ترى عندما يحدق إلى أعلى، في حين أن الخريطة الأمريكية تظهرها مسقطة على لوحة مستوية. ويدعى الدب تقليدياً الدب الأكبر Ursa Major أو Great Bear، أما المجموعة الأخرى إلى الشمال، والتي تشمل النجمة القطبية نفسها، فتسمى عادة الدب الأصغر Little Bear. وسمى العرب الدب الأكبر بالدب، والدب الأصغر بالدب الأصغر، والذي يعني نفس الشيء. ودعا الفينيقيون Ursa Major الدب الأكبر «دب Dub» والذي يعني أيضاً «الدب». ان انتشار ربط «الدب» بهذه المجموعة القطبية دليل واضح على الاتصالات المبكرة بين فلكي العالم الجديد والعالم القديم. C- نقش صخري قديم من نيومكسيكو يربط رمزياً بين الدب الرمادي Grizzly Bear والنجوم المرشدة.



ان التقاليد المشتركة للتخريط السماوي وما يتصل بها مينولوجيا والتي تربط فلكيي الهنود الأمريكيين والفلكيين الأوروبيين تبدو واضحة تماما في خريطة النجوم هذه لسنة ١٦٠٣ والتي رسمها جون بيير John Bayer (١٥٧٢-١٦٢٥ م) من بافاريا Bavaria كجزء من أطلسه الفلكي المسمى المصور الفلكي Uranometria. قارن ذلك بخرائط النجوم الأمريكية، صفحة ١٠٧.



برج نجوم منطقة النقوش الصخرية بانيو Inyo الذي اكتشفه ج. هـ. ستيوارد في سنة ١٩٢٩ إلى الشرق من بحيرة ليتل Little بانيو كنتري Inyo Country بولاية كاليفورنيا، ولكنه لم يتعرف عليه حتى الآن كبرج للنجوم. وتظهر الشمس إلى اليمين في الموقع الذي تحتله أثناء وقت بداية السنة الجديدة في أمريكا القديمة ـ الانقلاب الربيعي. وتظهر المجموعات الفلكية طبقاً لمرور الشمس خلالها، بداية من اليمين للصف العلوي: الحمل (مارس)، الثور (ابريل)، الجوزاء (مايو، أدنى العلاقتين)، السرطان (يونيه، وضع على الجوزاء)، الأسد (يوليه)، العذراء (أغسطس)؛ ننتقل إلى الصف السفلي، ونقرأ الآن من الشمال إلى اليمين: الكلاب Chelae، مخالب Claws العقرب، وانفصلت فيما بعد كالميزان (سبتمبر)، العقرب (أكتوبر)، القوس، ويظهر كالقوس (نوفمبر)، الجدي (ديسمبر)، الدلو، ويظهر كخرف الماء بالهيروغليفية (يناير)، والحوت وفي العادة يقدم كحوت في البروج القديمة، بيد أنه هنا يبدو أنه معطوف (فبراير). (صورة طبق الأصل من متحف النقوش، تصوير بيتر ج. جارفل).

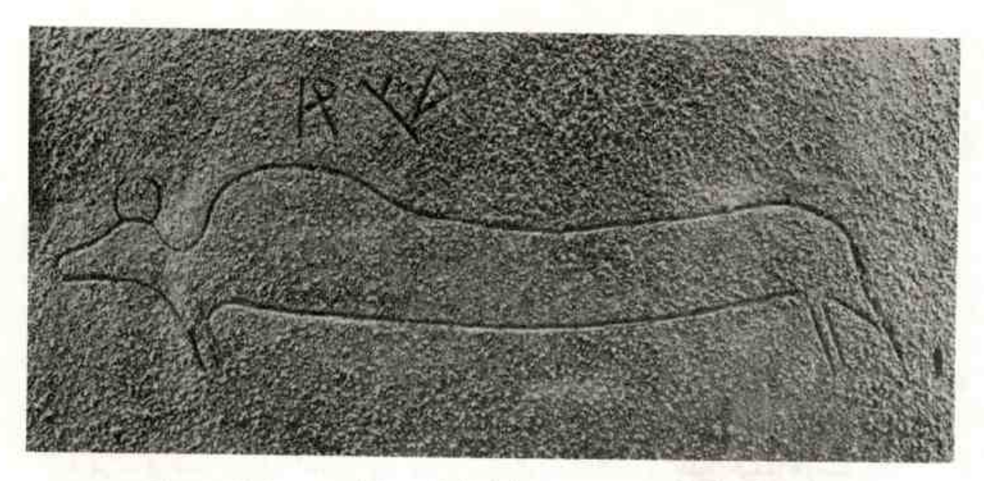



اكتشف الأستاذان هيزر Heizer وبومهوف Baumhoff، سطرين من الكلام المنقوش كتبا فوق برج نجوم إنيو. وتبين بأنه كتابة عربية كوفية، وترجمته كالآتي:

(١) عندما يكون برج الحمل والشمس مقترنين (الانقلاب الربيعي).

(٢) عندئذ احتفلوا بعيد السنة الجديدة.

كما قرىء ـ ارشاد مماثل في لوحة ليبية ـ مصرية وجدت بديفنبورت Davenport بولاية إيوا Iowa لمائة عام مضت، وادعي فيما بعد بأنها «تزوير قام به صبي عمره ٩ سنوات» وما زال «اعترافه» المزعوم قائماً. إلا أنه لما كان نقش انيو قد شهد علماء آثار من ذوي الشهرة الكبيرة على صحة قدمه، ولما كان موضوع مادته وكثرة قيمة العروبة واضحة جلية، فان من الواضح أن نقش ديفنبورت لابد وأنه أيضاً صحيح وقديم. ويرد وصف للوحة ديفنبورت في كتاب (أمريكا قبل الميلاد).



**إن الحروف الاغريقية H-Y-D تحدد نقش أكلاهوما الحجري على أنه برج الثور، وهو مجموعة فلكية من أكبر نجومها وضوحاً مجموعة القلائص Hyades وتشكل البراس والقرنين والأكتاف. واكتشف النقش على صخور سيمارون Cimarron من قبل جلوريا فارلي. (صورة مطابقة عن صورة لجلوريا فارلي).**

خطاط بوجول تقريره بتلك اللغة العريقة، بل اقترح أيضاً بعض القراءات البديلة الاخرى سرني قبولها. وفيما يلي الحل النهائي للنص متضمنا اقتراحات البروفيسور برونر، أما الحل الأول، فقد بين في الملحق بآخر الكتاب:

**«أبحر من ميناء طلميثة بليبيا واصطدمت السفينة بسفينة أخرى من طيبة فتضرر مؤخرها وجسر السكن، فرمى اللصوص شبكة صعود على السفينة وسرق أحد الخارجين على القانون الحفاة، صندوق «يوسي» (Jose) إذ أهملوا قفله، وقد كان بالصندوق عود القرفة من قبرص، فقام هو (يوسي) بتقديم شكاية للحاكم ضد المصريين. والحاكم وهو رئيس نيابة، أمر بالقبض على السارق بحيث احتجزته الشرطة وأودع السجن».**

وبالطبع هذه فقرة من تقرير عن رحلة مقدم إلى أصحاب السفينة المتضررة والمسروقة، ويظهر أن كاتبه شبه مثقف (أو كاتب غير لغته الأصلية). فان أهمية الفقرة تنحصر في البرهان الذي يقدم لنا بأن البحارة الأغريق كانوا نشطين في أسبانيا في الأزمنة الكلاسيكية وأن تجارتهم كانت تمتد إلى مصر وقبرص وليبيا. وان لم يكن في مقدورنا تحديد تاريخ مضبوط للوثيقة، إلا أنه يبدو أنها ترجع إلى العصر الروماني (إذ أخذت الحروف اللاتينية مكان الايبيرية في زمن أوغسطس عندما أصبحت أسبانيا مستعمرة رومانية لمدة قرنين) ومن المحتمل أن الوثيقة تعود إلى سنة ٣٠٠ قبل الميلاد معاصرة لزمن بيثياس (Pytheas) المرسيلي أبان هيمنة القرطاجيين على ملاحة البحر المتوسط الغربي.

ولكن ليس ذلك نهاية الأمر، فبينما كان جيم (Jim) يجول في المناطق النائية من البرتغال حيث توجد الحجرات الصخرية القديمة التي تشبه كثيراً التي في نيوانجلند، عثر على كلمة «فورنو» (Forno)، يستعملها أهل الريف للدلالة على تلك المباني. وعند العودة، ونظراً لأن تلك الكلمة لا توجد في القواميس البرتغالية العادية، اقترحت عليه أن يسعى للمزيد من التبصر بتقديم مشاكله اللغوية إلى البروفيسور جون ر. فونسيكا (John R. Fonseca) بجامعة ولاية نيو يورك وهو من الأعضاء المتحمسين بجمعية النقوش، وهو جد خبير بتاريخ وأدب أجداده اللوزيتانيين (Lusitanians) ومن ترجمة وتعليقات الدكتور فونسيكا عن اللجهجة التي لاقاها جيم، اتضح أن هناك بقاع محلية مدودة جداً للغة «متحجرة» ـ أن صح هذا التعبير ـ في شبه جزيرة أيبيريا وقد شرح بأن الكلمة المحيرة تعني حرفياً فرنسا.

وبينما كنت في ليبيا علمت أنه هناك بقرب قورينا قبور على هيئة خلايا النحل (باليونانية «ثولوي» (Tholoi) وهي تشبه الحجرات النحلية في نيوانجلند وبعضها، على الأقل، ليس أقدم من العصر الروماني. وأقرب يابسة لقورينا هي جزيرة كريت على بعد ١٨٠ ميلا تقريباً، أي مسافة سفر يوم ونصف بحراً بالسفن القديمة. وقد أسفر عمل سير آرثر ايفانس (Evans Sir Arthur) بكريت عن اتصالات تجارية وثقافية بين كنوسوس (Knossos) عاصمة دولة المدينة في كريت، ثم ليبيا. كما لاحظ ايفانس نفس (الثولوي) المميزة لليبيا وبعض الجهات الأخرى بشمال أفريقيا إلى الغرب حتى الجزائر. وعلم من الكتاب الكلاسيكيين أن تلك القبور، وهي كذلك فعلا. كانت تعتبر من أصل أفريقي وهي قد اتخذت عما يبدو من طرف المعمرين اليونان القدامى بقورينا ومنهم انتقل التقليد إلى كريت. وقد احتوت النماذج الكريتية على عدة مدافن. ثم فيما بعد، خلفت أكوام الدفن الترابية البسيطة تلك المباني الطينية. ولا زالت بقايا الحجارة قائمة كجدران مهدمة تحيط بالكوم الترابي. وما همني هنا اكتشافي أن الكلمة المستعملة في كريت للدلالة على تلك الحجرات هي «فورنو». وهي تحوير لغوي للكلمة اليونانية القديمة «فورنوس» (Phournous) التي تعني فرنا. ولكن في لغة ليبيا العربية كلمة فرن هي التي اعتدنا استعمالها لطهي نوع خاص من الخبز العديم الخميرة. يخبز في أتون حجري يدعونه فرنا. واتضح أننا نقتفي أثر كلمة يونانية قديمة انتقلت إلى كل من ليبيا والبرتغال والتي اكتسبت في البلدين معنى ثانويا كحجرة بدون نظر للأصل الأول للكلمة. كما علمت أنها انتقلت بصيغة «فيرن» (Fern) إلى اللغة البربرية ولو أني لم أتوصل إلى معرفة إذا ما استعملت الكلمة للدلالة على مقابر «خلايا النحل» القديمة.

ومن صفيحة «بوجول» وبناء على توزيع كلمة «فورنو» بمعناها الخاص، أصبح انطباعي أن الاغريق القدامى بأسبانيا الجنوبية والبرتغال لم يتاجروا مع إغريق

قورينا وطلمنيثة فحسب، بل شاركوهم في مفردات معينة وكذلك شاركوا أهل كريت ولذا علينا الآن كما يبدو أن نوسع معنى كلمة «إغريق» كما جاءت عند بلوطارخ لاطلاقها ليس على إغريق شمال أفريقيا فقط بل حتى أغريق شبه جزيرة أيبيريا الذين لدينا عنهم مجرد اشارات مقتضبة حتى الآن. و يبدو كذلك أنه يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار إغريق كريت، أو ربما مجموعات أخرى غير إغريقية من كريت، في أي محاولة مزمعة في أمريكا لمعرفة المعمرين الذين كتب عنهم بلوطارخ بتلك الثقة.

وفي ذلك الأثناء، كان العديد من المراسلين والزملاء والأشخاص الذين قرؤوا «أمريكا قبل الميلاد» يرسلون بسيل من المعلومات والمخلفات القيمة التي وجدوها في جميع أنحاء أمريكا الشمالية والوسطى، فأخذت بعضها تلفت انتباهي لأنه لوحظ عليها تأثير إغريقي وكريتي، و يذكر قراء كتاب «أمريكا قبل الميلاد» بأني في الفصل الأخير أوردت بدون شرح النقوش الرائعة على سطح الصخور والمباني القديمة بمنطقة «هوبي – هوهوكام» – (Hopi Hohokam) بنيومكسيكو التي تحاكي منحنيات مضللة كنوسوس (المعروفة باللابيرينت) (Labyrinth) بجزيرة كريت بدقة في التفاصيل. ولم يكن في امكاني ذلك الوقت تقديم أي تعليق سوى أنه قد حدث انتقال نموذج عويص من العالم القديم إلى الجديد.

ومن بين المواد الجديدة التي استلمتها هناك، صورةشمسيةلنقشة أخرى دقيقة جداً، تعيد شكل اللابيرنيت هذا، تحصل عليها البروفسور بول تشيزمان (Cheesman Paul) في اكوادور. ثم وصلتني أمثلة أخرى من أماكن متباعدة كايطاليا (بومبي – Pompet) والجزيرة المسماة غوتلاند (Gotland) في البحر البلطيقي جنوب شرقي السويد. كما كتبت لي سيدة كورنيشية لتخبرني عن وجود نفس الرسوم على صخور قرب منزلها في مدينة تينتاغل (Tintagel) في كورنوول.

فأصبح واضحاً في كل الحالات خارج أمريكا أنه من الممكن اثبات أن نقود كريت اما أنها كانت تتداول في الأزمنة الكلاسيكية أو أن نكون على يقين بأنها تدولت هناك، إذ وجدت نقود إغريقية من الأقطار المجاورة. ظهرت جميع الحالات في مناطق عرفت أنها كانت مراكز تجارية نشيطة جداً، فأعادت لنا ألوفا من النقود عراها المحراث الحديث أو أدوات الحفر. وكان الكثير من النقود الكريتية تحمل نسخا أمينة لشكل اللابرنيث، بالاضافة إلى العديد من التفاصيل، وفي بعض الأحيان تحمل صورة الوحش ذي رأس الثور، أي المينوتاور (Minotaur)، الذي قالت الأسطورة أنه سكن تلك التعاريج، صفحتا (١٢٥) و (١٢٦) كما أصبح من البديهي، وسنشرح ذلك في الفصول القادمة، أن النقوش المستديرة التي زعمت في الماضي أنها زخرفة تروس هندية أو رموز شمسية، تحتوي على شيء مختلف تماماً: أي أنها تمثل نقودا

قديمة، وتظهر مثل تلك النقوش المدعوة «نقوش نقدية» (Numoglyphs) في أوروبا وشمال أفريقيا وبالمثل في شمال أمريكا، ووجودها معناه أن النقود التي قلدت رسومها كانت هي أيضاً موجودة، إذ لا يجوز حتى القليل من الشك في أن النسخ الدقيقة لشكل اللابيرنيت بكنوسوس حيثما وجدت قد نسخت أصلا عن نقود من كنوسوس وصلت إلى الأماكن التي عثر فيها على الرسوم المماثلة، بحث يجب تفسير دقة نقل رسم اللابيرنيت الكريتي في أمريكا الشمالية والوسطى، في مواقع تتراوح بين أواسط تكساس إلى نيومكسيكو، وجنوبا حتى سلسلة جبال الأنريز الشمالية، يجب تفسيره بوجود نقود جلبت من كريت إلى أمريكا، وكانت بعض النقود تتداول خارج الجزيرة وكانت ليبيا احدى المراسي الأرضية للبحارة الكريتيين والمحتمل أن لاغريق بلوطارخ دورا في تصدير تلك النقود إلى العالم الجديد.

هكذا أصبح للمرة الأولى من الممكن تفسير رسوم اللابيرنيت المنتشرة على نطاق واسع في أمريكا كما أمكن ربط انتشار تلك النقوشات المعقدة في العالم القديم بالتجار القدامى الذين وزعوا النقود الأغريقية كجزء من نشاطاتهم التجارية ابتداء من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى حلت النقود الرومانية محل مثيلاتها الاغريقية. وعلى نفس الأساس يمكن تفسير الانتشار الواسع في أمريكا للنقوشات الناسخة للابيرينت بانتقال الرسوم عن طريق النقود الأصلية أو صور منها عبر القارة من الشمال إلى الجنوب. و يظهر اللابرينت في أشكال محورة نوعا ما، كما هي الحال في تكساس، وهي في غالب الأحيان غير مقترنة بصورة الرجل ذي رأس الثور مع العلم أن نقود كنوسوس كانت تحمل صورة اللابيرينت على وجه وصورة المينوتاور على الآخر.

وأصبحت مؤقتا، بأنني الآن في أثر إغريق بلوطارخ، وأمكنني من خلال الرسائل العديدة وصور المنشورات عن النقوشات الحجرية الأمريكية التي طفق المراسلون والزملاء يوافونني بها، أمكنني تتبع التأثير الاغريقي جنوبا إلى داخل خليج المكسيك وغيربا إلى نيومكسيكو، وكولورادو وأريزونا. و يطلب من هارولد غلادو ين (Gladwin Harold) دليلنا المحترم في تفقي التشابه للفن الأمريكي مع فن البحر المتوسط، وطلب الدكتور رالف فيلبريك (Ralph Philbrick)، مدير حديقة البنات بسانتا باربارا (Santa Barbara) وضعت تحت يدي سلسلة المجلدات لمجلة «ميدالنيون بيبارس» (Papers Medallion) المودعة في مكتبة «حديقة البنات» في المدة التي كان غلادو ين مديرا لها. فكانت هذه لا تحتوي على تحليلاته التاريخية لدوائر جذوع الشجر للجنوب الغربي فحسب (وهي التي تعتمد عليها جميع التواريخ الأثرية لثقافات الجنوب الغربي)، بل اشتملت أيضاً على عدة صور شمسية ورسوم للمصنوعات

المكتشفة أثناء حفريات غلادو ين بحثا عن حضارة الهوهوكام والذي يمتد من فترة لاحقة قليلا لميلاد المسيح إلى سنة ١٤٠٠ق بعد الميلاد. ونجد تأثير الأغريقية في تلك المصنوعات كبيراً، ولو أنه جاء (كما قدمنا) عن طريق شمال أفريقيا، إذ تظهر هناك كتابات ليبية، وفي صفحة (١١٨) نعرض عدداً من تلك الصور مع ثبت جزئي للحروف الهجائية الأغريقية وقرائن نموذجية من العالم القديم من نفس التصحيحات.

وبمساعدة كل من روث هانو (Ruth Hanner) وايلين ألكسندر (Alexander Alleen) من سانتا باربارا، وكانتا طالبتين في هارفرد تتلقيان دروسا مني هناك، أجريت تسجيلات اضافية لنقوش حجرية بناء على التقارير الممتازة الواردة من الأثريين البارزين البروفيسور جوليان هـ. ستيوارد (Julian H. Steward) واي.بي.رينو (E. B. Renaud) وروبرت هايزر (Robert Heizer) ومارتن أي. باومهوف (Martin A. Baumhoff) كان هؤلاء المكتشفون مكتفين بتعرية وتسجيل النقوش بدون محاولة اعطاء أي معنى لها ولا التعرف على أي منها بصفتها نقوشاً حقيقية. إلا أن هايزر وباومهوف، لاحظا المقادير المختلفة من البقع الغامقة (تدعى طلاء الصحراء) التي تكونت على سطح النقوش، وقدرا بأن ذلك التأكسد الجوي للوجه المنقوش يحتاج لألفين أو ثلاثة آلاف سنة للظهور، ولو أنه لا يمكن تقدير نسبة التأكسل بالضبط، ومن خلال تلك الأمثلة يمكن ملاحظة شبيهاتها الأغريقية التي أرخ بعضها (بواسطة طلاء الصحراء) لما بين ١٠٠٠ قبل الميلاد و ١٠٠٠ بعد الميلاد والتي تحتفظ بعضها على نقوش إغريقية بالفعل. واتضح أن تلك تنتمي، بلا شك، إلى نفس العصور أو متقاربة منها، فمثلا، كانت بعضها مسيحية وبيزنطية بشكل واضح، وهي تمثل زيارات أو مستوطنات متأخرة، وهو أمر أكدته كتابات اسلامية بالخط الكوفي تاريخها بين ٦٥٠م، و، ١٢٠٠م، كما أن أخرى بدت أقدم تشبه في نمطها زخرفة الخزف الأ يبيري من القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد، كما كانت رسومات أتيكية من قرون عدة غابرة لا زالت متداولة بعد غيابها من بلاد الاغريق نفسها. ويمكن أن تكون الأمثلة الأمريكية أحدث من الأ يبيرية، ولكن مهما كان تاريخها القطعي، فان صلتها بنماذج البحر المتوسط كانت واضحة جداً. وجاءتنا أيضاً مصنوعات من نفس النوع من الشرق ـ من تلال تينيسي (Tennessee) على سبيل المثال، وهي جميعها من التراث الثقافي لاغريقي بلوطارخ.

وبينما كنت مع زملائي نتأمل كيفية انتقال تلك الأنماط الفنية من العالم القديم إلى الأمريكتين، وفي رأينا أن بعض النقوش الأمريكية قد تكون نسخا من تصاميم نقود قديمة من البحر المتوسط، كان شبان أمريكيون آخرون فطنون، نجهلهم،

يستنبطون مفاتيح ما بحثنا عنه. وبلغتنا أخبار الاكتشافات في رسائل من قراء كتاب «أمريكا قبل الميلاد» فهذه الاكتشافات المثيرة، تقدم الفصل التالي.



# 6

# الزوار الرومان

أثناء استعراض التقارير الكثيرة في دوريات علم النميات (العملة) البريطانية حول أحكام بعض القضاة المطالبين بالتحري عن ملكية لقيات الكنوز، أدهشني مرات كثيرة أن أهم اكتشافات النقود الرومانية والساكسونية تمت عن طريق أبناء الفلاحين. ففي عدة حالات، لاحظ طفل عائد من المدرسة أو تلميذان يستطلعان كهفا أو غورا في عطلة نهاية الأسبوع، عثروا على شيء يلمع في التربة أو نصف مخفي في التراب، وكانت النتيجة قطعة ثمينة من التاريخ، عملة مجهولة، لملك سكسوني كادت تمحي ذكراه أو أثر لامبراطور روماني. وفي غالب الأحيان تكون النقود عادية، لكن وجودها وموقعها يزيدان دائماً القليل من معرفتنا بالماضي وكثيراً ما ينتهز خبير أو المتحف البريطاني الفرصة في مناسبة عامة لتهنئة المكتشفين الصغار.

ليس من الغريب إذن أن نسمع أن التلاميذ الأمريكيين اعتادوا الاتيان بهدؤ وكفاءة باكتشافات مماثلة على أرضنا وهي تقع على بعد شاسع من منطقة نفوذ الأباطرة ولكنها ليست بعيدة لدرجة تجعلها في غير متناول أكبر الحضارات القديمة. وأول مثل أمريكي لنقد قديم من مدينة ثوريوم (Thurium) الاغريقية، وجده البرت مارتين (Elbert Martin) وعمره حينذاك أربعة عشر عاما، في أكلاهوما سنة ١٩٥٤. كما تم اكتشاف هام لفخار روماني قديم في ألباما من طرف صبيين في الرابعة عشر أيضاً، كانا يمثلان على وجه مناسب الأمريكيتين القديمة والجديدة، إذ كان أحداهما أشقر من عرق كلتي والثاني سليلا لقبيلة الموسكوجيس (Muskogees) من ألباما. و بعد عدة سنوات، وكان الموسكوجي قد أصبح قائداً في البحرية، كتب لي عن الاكتشاف ثم حمل عينات من مخلفات قديمة للفحص. فطلبت منه أن ينشر في دورية جمعية النقوش «المنشورات الطارئة» قصة العثور على الأثر. ان الوثيقة التي وافاني بها لذكرى عزيزة لاستطلاعات الصبا، بحيث اخترتها لمقدمة العصر الروماني بأمريكا عبر عيون واحد ممن اشتركوا في الاكتشاف. وإليكم خلاصة المقال كما كتبه ضابط البحرية الكوماندر جين أندريس (Gene Andress) ولاحظوا كيف استفاد الطفل من التقاليد القبلية قبل اضطلاعه بالمغامرة الناجحة:

«في وقت متأخر من صيف سنة ١٩٤٢، عندما أصبحت في الرابعة عشر، ذهبت لزيارة أقربائي في غادسدين (Gadsden) وكان يعيش في مزرعة قريبة صبي من سني اسمه داغ ديفس (Dag Davis) الذي أخذ يقص على تقاليد الهنود المحلية. وكان لا زال هناك الكثير من الشيروكيس (Cherokees) والموسكوجيس (Muskogees) يعيشون في المنطقة والعديد من خرائب القرى والركام على طول ضفة نهر كوسا (Coosa) القريب وتحدثنا عن الكنوز الضائعة وتعرفنا على زعيم موسكوجي مسن قص علينا الأساطير القديمة عن أناس بيض صعدوا مجرى نهر كوسا قبل آلاف السنين لمقايضة الصوف والفرو والمعادن. ولما كنت حتى في سني المبكرة تلك ميالا للتشكك الأكاديمي، راجعت أقواله في المكتبة، فوجدت اشارات لملوك من و يلز صعدوا مجرى كوسا حوالي عام ٥٠٠ بعد الميلاد، فألهب ذلك التأكيد البسيط اهتمامي. ثم أخبرنا الزعيم تابا و ينغو (Tappawingow) بوجود كهف بقرب مركز تجاري معروف باسم تولاّ (Tulla) لم يبعد كثيراً عنا حيث يمكن العثور على بعض الآثار. ولما كنا يافعين مغامرين نموذجيين، انطلقنا لاستطلاع ذلك المكان، وهو على مسافة خمسة أميال جنوباً، بناء على وصفه الدقيق نوعا ما.. انني لا زلت أشعر بغبطة البحث بعد مرور ست وثلاثين سنة.

وبعد مرور بضعة أيام من التجنيف على متن قارب قديم وتخطي عوائق الغابات على ضفة كوسا، وجدنا الموقع كما وصفه لنا، إلا أننا وجدناه ملكاً لشركة لانتاج الكهرباء. فتجاهلنا علامات الانذار بالابتعاد وتخطينا عدة حواجز إلى أن وجدنا حفرة أسفل ذروة غريبة الشكل بين الصخور المنهارة. وعندما شرعنا في الحفر، مثل ما فعل، كما يبدو، آخرون قبلنا، سرعان ما عثرنا على رؤوس نبال ملأتنا بالغبطة. ثم وجدنا أسفل ذلك ما بدا لنا كأنه مدخل كهف كانت به علامات تحت أعلى المدخل. وبعد عدة أيام من الحفر داخل الكهف بدأنا نعثر على اجزاء مكسرة من الفخار، وقبل نهاية العطلة القصيرة عثرت على القارورة الصغيرة فظننتها «وعاء لشراب سحري»».

كان أهلنا يعتقدون بأننا نصطاد كل يوم لأننا لم نخبر أحداً بنشاطنا من جهة حرصا على موقعنا ومن جهة أخرى خوفاً من شركة الكهرباء. بل لم نخبر حتى تابا و ينغو لأنه سكير و يثرثر كثيراً.

**وفي الصيف التالي زرت المزرعة ثانياً وأطلعني داغ على صندوق غاص بمصنوعات أخرى شبيهة وجدها هو بعدي وأخفاها في قبو الاتقاء من الأعاصير الخاص بالأسرة. وعندما قررنا زيارة الموقع مرة أخرى وجدناه مغموراً بالمياه وطاردنا رجل راكب حصانا حتى قارنا صارخا نحونا بعبارات قبيحة جداً، فاضطررنا للابتعاد. لكن داغ سمح لي كتعويض عن ذلك باختيار دستتين تقريباً من محتويات صندوقه وكان فيها ما أعتقده الآن مصباحا زيتيا من ضمن ثلاثة متشابهة كانت لديه، وأتذكر أنه احتفظ بنصف دستة من القوارير الصغيرة وجميعها متشابهة تماماً. ومنذ ذلك الوقت لم ألتق بداغ مرة أخرى، كما أني لم أزر الموقع بعدئذ. وفيما بعد، عندما عرضت العينات على أساتذة تاريخ أحبطت عزائمي بقولهم أنها «غير ذات قيمة» أو «غير ذات معنى»، ولو أن أستاذا واحداً كان يلح على في طلب تلك الأشياء التافهة.**

**وبمرور الزمن، ضاع لسوء الحظ الكثير منها أو سرق إلى أني حفظت الثلاثة الباقية في صندوق أمان بالمصرف حيث بقيت حتى ذكرتني بها قراءة «أمريكا قبل الميلاد» فكتبت إليكم.**

**اننا نحن الموكوجيس ننتظر خليفة شليمان (Schlimann) وفي هذه الأثناء أفضل ترك الموقع سليماً في نوع من العزلة، لكن آمل أن يجري بحاثون خبراء حفريات فنية وسأكون مغتبطا بدلالتهم إلى الموقع عندما تحين المناسبة».**

اتضح أن المصنوعات التي أتى بها جين أندريس، رومانية مشابهة لمصنوعات أخرى وجدت في سفينة غارقة يرجع تاريخها لعهد الجمهورية الرومانية حوالي ١٠٠ قبل الميلاد بقاع البحر الأبيض المتوسط مشحونة بالمصابيح الفخارية من مصنع في بومبي (Pompei) بمقاطعة كامبانيا، جنوب نابولي.

وكما أسلفنا، وجدت نقود رومانية في أمريكا في مثل الحالات التي وجدت بها في بعض الجهات من أوروبا التي لم تكن أبداً قسما من الامبراطورية الرومانية وهي بالطبع مخلفات تجار رومان جاؤوا إلى هنا، أو من المحتمل، وبأكثر دقة، مخلفات تجار من بلدان كانت تستعمل عملة رومانية مثل أسبانيا وبريطانيا وأقطار شمال

أفريقيا. ورغم العثور على مئات من النقود الرومانية هنا وفي أمريكا الوسطى، لم يتم التعرف عن بعض اللقيات القديمة أو أسيء فهمها. وهكذا ومن خلال رسائل وصلتني بعد صدور «أمريكا قبل الميلاد» بدت بعض هذه الوثائق وكأنها جديدة لأنها قدمت معلومات جديدة.

ومن الاكتشافات الجديدة التي لاقت مني أكبر ترحيب وجذب انتباهي إليها، ما جاء في رسالة من غوردن أ. برايس (Gordon A. Price) من و يغينس (Wigcins) بكولورادو. كانت قطعة مستديرة رفيعة صغيرة من النحاس قطرها نصف بوصة (١٢مم) وجدت بتشامبين في أيلينوي (Illinoes) في مايو ١٨٨٥ من طرف أحد أجداده اسمه الكساندر، لما كان في الثامنة من عمره. وأرسل المستر برايس مع النقد صورة اقرار موثق أودعه والد الطفل يقول فيه بأن النقد وجد أثناء أعمال حفر في المدينة تحت أربعة أقدام من الطين في أرض أصلية. وكان النقد موصوفا في الاقرار، وهو لا شك نفس العينة التي كانت أمامي. لكن جميع المحاولات التي قام بها المستر برايس للتعرف على النقد باءت بالفشل.

إن ذلك ليس بالغريب، لأن النقد كان نموذجا من مجموعة من عملات كلتية مقلدة، ليست معروفة كثيرا، أنتجت في بريطانيا في نهاية الاحتلال الروماني وتدعى مينيمي (Minimi) وكانت أول الاكتشافات الهامة لها في مدينة فيرولاميوم (Verulamium) الرومانية القديمة بانجلترا سنة ١٩٣٤. وفي سنة ١٩٥١، قام خبير العملات الانجليزي فيليب ف. هيل (Philip V. Hili) بكتابة أول تقرير عام عن هذه النقود الصغيرة وصنفها. و يقع نموذج تشامبين في ذلك التصنيف في أسفل المراتب لأنه اعتبر مسكوكاً من طرف البريطانيين القدامى في فترة ندرة حادة للنقود والمعادن بعد أن غادرت الفيالق الرومانية بريطانيا. ونقدمه مكبراً في صفحة (١٧٤). ومما يجعل هذا النقد ذا أهمية هو أنه في مكان يقع على خط عبر القارة من نيوانجلند إلى الساحل الشمالي الغربي اتبعه الكلت عندما تركوا نيوانجلند للاستقرار بعدئذ في كولومبيا البريطانية و واشنطن وأوريغون. وتوجد حجارة أوغامية (Ogam) طول المسيرة على مسافات متباينة مع كتابات بالغاية استعملت فيها الحروف الايبيرية. وعند نهاية الطريق على المحيط الهادي تظهر الكتابات ملونة بالأحمر والظاهر أنها لا ترجع لعدة قرون. وسنناقش ذلك فيما بعد في متن الكتاب. هنا أريد أن أقرر فقط بأن أول نقد كلتى وجد في أمريكا ــ وهو فعلا أول «مينيموم» بريطاني

عثر عليه خارج الجزر البريطانية ــ يأتي من ايلينوي، و يرجع تاريخه بالتقريب إلى أواخر القرن الرابع أو مطلع القرن الخامس بعد الميلاد. و يعتبر تصميم النقد المصنوع بشكل بدائي جداً، محاولة لتقليد صورة امبراطور روماني ما على وجه العملة ومحاولة لمحاكاة صورة ربة النصر التي توجد غالباً على ظهر النقود الرومانية النحاسية. وللمزيد من التفاصيل عن هذه النقود الرومانية الغربية، راجع بحث المستر برايس لسنة ١٩٥١، فاذا كان برايس قد أرخها بدقة، تكون هذه النقود قد انتجها مسيحيون بريطانيون قبل نزول الانجليز والسكسون الذين غروا بريطانيا بكابوس من البربرية الوثنية استمرت أربعة قرون.

هل جيىء بالنقد في الأزمنة القديمة؟ ؟ ان الاقرار الموثق يوضح بأنه ليس بالتأكيد «تسللا» حديثا. ومن المرجح كثيراً أن الشخص الذي جاء به إلى أمريكا من الكلت البريطانيين وقد وجد أمريكا أنسب له من وطنه المهدد حينذاك من كل جهة من طرف التوتون المتوحشين. وهل كان حامله مسيحيا اذن؟ ذلك لمحتمل. فان الفصول التالية من الكتاب تبين أن أمريكا في القرن الخامس بعد الميلاد أصبحت أرض ميعاد وملاذا للمسيحيين من كافة أقطار العالم القديم الغربية. فأبحر أناس من ليبيا وأسبانيا وبريطانيا متجهين إلى «أقصى الشمال» (إذ أسمى الليبيون أمريكا: «أرض الشمال الكبرى»).

هل كانت العملة مفيدة في أمريكا آنذاك؟ حتى من النوع الحقير مثل «المينيموم» الخاص بالكلت المحاصرين؟ أجل فعلا، كما ستبينه الصفحات التالية.

في سنة ١٨٨٠ اكتشفت في أوهايو (Ohaio) مصنوعات غريبة من الحجر والفخار تحمل كتابات. وكان يبلغ عنها عادة أطباء أو محامون محليون من ناحية قريبة من حقول المزارع التي عراها المحراث. و يفهم من روايات الصحف المعاصرة أن ما كان يحدث عادة (١) أن مزارعا يلاحظ أثناء حرث حقله أن أخدوده السابق قد اقتلع من الأرض مخلفاً هندياً غير عادي فيضعه في جيبه حاملا اياه إلى بلدة عند المساء ثم يضعه على عارضة المدفأ (٢)، ثم تلفت القطعة انتباه أما الطبيب المحلي أثناء زيارته، أو المحامي عند جباية قسط من الرهنية، فيعرض الزائر دولارا أو اثنين لاقتناء النادرة فيقدمها بعدئذ إلى جمعية تاريخية محلية أو ربما يدلي بتصريح عام، (٣) ولما كانت العبرية الكتابة الوحيدة التي تشبه بالنسبة للعامة في تلك الآونة الكتابة

الآيبيرية الظاهرة على اللقية، فيقال عن هذه الذخيرة بأنها حجر عبري مقدس «أو ما يماثل ذلك». وقد كان ذلك التخمين صحيحاً بالفعل في بعض الحالات كما أكد بعض رجال الكنيسية الفاقهين لعبرية التوراة، وهكذا أحيانا في المدن الشرقية. ولكن الكتابات عادة وإن اعتبرت عبرية، لم تكن كذلك، وكان يحدث في الوقت المناسب، أن يعلن عالم في اللغة العبرية بعد فحصها بأنها تزوير. وهكذا أتلفت مصنوعات ايبيرية هامة على أساس أنها سفاسف غير ذي قيمة، ومعها أعدمت بعض نصوص ليبية أصلية بعبرية ليبية غير مألوفة.

وبفضل البحث التاريخي لاثنين من المنقبين من أوهايو هما البروفيسور روبيرت ألروتز (Alrutz) عالم بالحيوان بجامعة دينيسون (Denison) ودانا س. سافج (Savzge) من أوهايو، قد ابتدأنا الآن فقط نفهم حقيقة هذه الحبكة المعقدة من سوء التعرف والفهم، إذ ضحى هذان السيدان بالكثير من الوقت والبحث في سبيل تقصى تاريخ الحجارة، ولم ينشرا عنها بعد، لذا أجد أنه غير مناسب أن أتناولها بأكثر من القول بأنهما طلبا مني فحص النقوش، وقد فعلت. ويتعلق واحد من تلك الأشياء الطريفة (المرسوم في صفحة ١٥٧) كثيراً بهذا الفصل وانني لمدين للبروفيسور ألروتز لسماحه بنقله.

ورغم اهماله وقت الاكتشاف قبل تسعين عاما بصفته «احدى المزورات اليهودية بأوهايو» فانه لأصيل حقا ولا يمكن أن يكون تزويرا. انه يشبه أحد النقود ذات الوجهين الخشنين المعروفة التي أنتجها كلت شمال ايطاليا تقليدا لنقود أسلافهم الأتروسكيين البرونزية الكبيرة التي تدعي: «آيبس غرافي» (Aes Grave) المسكوكة زمن الجمهورية في القرن الخامس قبل الميلاد، إلا أن الشبه سطحي. وتظهر طبيعة القطعة الفخارية المحروقة، تظهر في الكتابة بالحروف الاغريقية الايبيرية المعكوسة (من اليمين إلى اليسار وتشبه الحروف الفينيقية إلى حد كبير). وكانت الكلمات بالحروف اللاتينية: «أوداكيس ايبيوم» (Odakis Ebiom) وهي عبارة معروفة لدى خبراء النقود منذ سنة ١٩٢٠م ولكنها كانت مجهولة تماماً سنة ١٨٨٠ عندما وجدت القطعة في أوهايو. ان أود اكيس (Odakis) هي الشكل الايبيري لكلمة اغريقية معناها عملة وايبيوم (Ebiom) بديل لتهجي اسم في صيغة الملكية لمدينة كلتية بالبرتغال، كانت تدعى عادة ايفيا (Evia)، انها الآن مدينة الكسير (قصر) دوسول الحالية (Alcacer Do Sol) والمعروفة لدى الرومان باسم سالاشيا (Salacia)، وإن

مصنوعة أوهايو هي فعلا نسخة خشنة بربرية أمريكية لنقد برونزي قديم من ايفيا يمثل وجه ربة الرعب ميدوزا (Medusa) بأحد الوجهين وتقليد مشوه لهيرقل على الثاني.

لا شك أن ذلك سك ارادى بأمريكا وربما بأوهايو حيث وجد، عن نقد نموذجي مقتبس من عملة الوطن الأصلي للكلت الواردين إلى أوهايو. ويحتمل أن تاريخه يرجع لعام ٢٠٠ق.م. لا شك أن ذلك دليل غير قابل للدحض بأن العملة الايبيرية لم تكن معروفة لدى ايبيريين أوهايو القدامى فحسب، بل أنها قلت أيضاً لتكون عملة متداولة «كنقد اضطراري» بسبب عدم توفر السيولة من الخارج. لقد اضطر جميع النازحين في كل العصور إلى اللجوء لتلك الوسيلة إذ لم تتمكن الأوطان الأم من تزويد مستعمراتها النامية بالنقد الكافي ولم يكن لديها الحافز بأن تزودها. ويعتزم البروفيسور الروتز نشر بقية المعلومات مع اللقيات المتعلقة بها في دينيسون. كما أنني مدين لجيمس هويتال (Whittall) لحصوله لي من البرتغال على النشرات النقدية لتمكنني من حل هذه المسألة وكذلك لحمله صور مكبرة للنقش إلى البرتغال كي يدرسها الاخصائيون البرتغاليون، إذ يبدو أن النص الأمريكي لعبارتي أوداكيس ايبيوم مكتوب بحروف أقدم بقدر قرن من النص المعروف حتى الآن على نقود ايفيا نفسها.

وفي رأيي أن الكتابة العتيقة والنمط البربري غير العادي اللعينة، تعني أنه أقدم نقد أمريكي معروف وربما يجب ارجاع تاريخه إلى مطلع القرن الثالث قبل الميلاد أو أواخر القرن الرابع قبل الميلاد. ونظراً لازدراء الأثريين له، فانه لمن حسن الحظ حقا أن بقي لنا رغم وصفه من قبل بأنه تزوير يهودي عديم القيمة في حين أنه في الواقع باكورة عظيمة القيمة بين النقود الأمريكية المحلية.

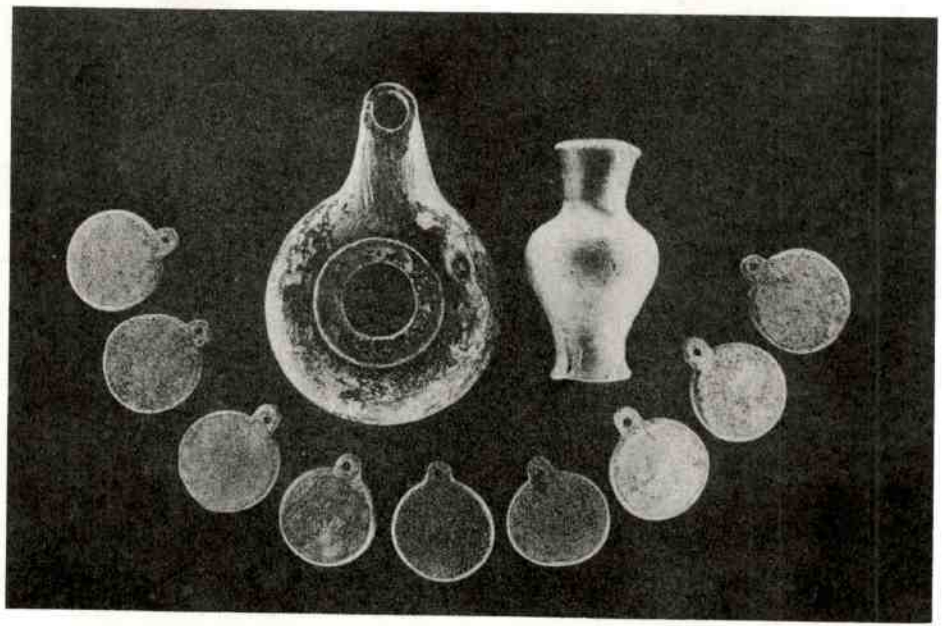
وقد لاحظ جيمس هويتال نقدا نموذجي آخر من سك أمريكي ـ هذه المرة ليبي الأصل ـ في حفر كان يزين كتاب تراستون (Thruston) صدر سنة ١٨٩٠ عنوانه «أثريات تينيسي» (Antiquities of Thruston) ولما كان جيم يعتزم تقديم تقرير في دورية جمعية البحث عن المواقع القديمة، سأكتفي فقط باعطاء الرسم والشرح للجملة الليبية «يوفي المعمرون» فاللهجة ليبية غربية ـ أي عربية أساساً ـ ولا شك أن القطعة الحجرية نقد اعتيادي وربما عاد تاريخه إلى ما قبل عام ١٠٠٠ بعد الميلاد وهي تماثل العملة الرحوية التي وجدت في كوم سبيرو (Spiro Mound)

بأوهايو وسنذكرها في فصل قادم. ونحن لا نعلم شيئاً عن القوة الشرائية لتلك العملة الضخمة الاعتيادية البدائية ولكننا نعلم أن كلتيا ايبيريا أفاد بأنها كانت ترفض في ايولاندة حيث نكرت قيمتها النقدية واعتبرت غير مشروعة، ونقدم تعليقاته في الفصل رقم (٩).

في سنة ١٩٧٧ قبل سفري إلى شمال أفريقيا دعاني العقيد روبرت فينست (Vincent) وهو خبير نقود من أصل تشيروكي (Cherokee) والذي جمع نقودا قديمة في تركيا، دعاني لمعاينة مجموعته من النقود البرونزية البيزنطية وأشياء أخرى طريفة حصل عليها أثناء مهمته في منطقة ايفسوس (Ephesus) وغيرها من المدن الآيونية. وقد تأخر ذلك بسبب رحلتي إلى ليبيا واستؤنف عند عودتي، وهكذا أصبحت ملما بسلم مقاييس النقود البرونزية المتعلقة بالاصدارات الكبيرة للبيزنطيين في المدة من سنة ٥٠٠م فما بعد حتى العصور الوسطى. وكانت أكبر قيمة من تلك الاصدارات (وهي المسماة فولليس Folles) بمقاس نصف الدولار وتحمل على وجهها الخلفي حرف م (M)، ثم يتبعها نصف الفولليس مميزا بحرف كاف (k)، ثم ربع الفولليس عليه حرف (E) مكتوبا بالطريقة اليونانية (Ebsilon) وفي النهاية القيمة البرونزية الصغرى وهي ثمن الفولليس أي «القطعة» معلمة بحرف (V). ولم تبد هذه المعلومات في وقتها ذات بال خاص فركزت اهتمامي بملامح الأباطرة البيزنطيين وملكاتهم وكذلك صورة المسيح الظاهرة على الوجه الخلفي لتلك النقود.

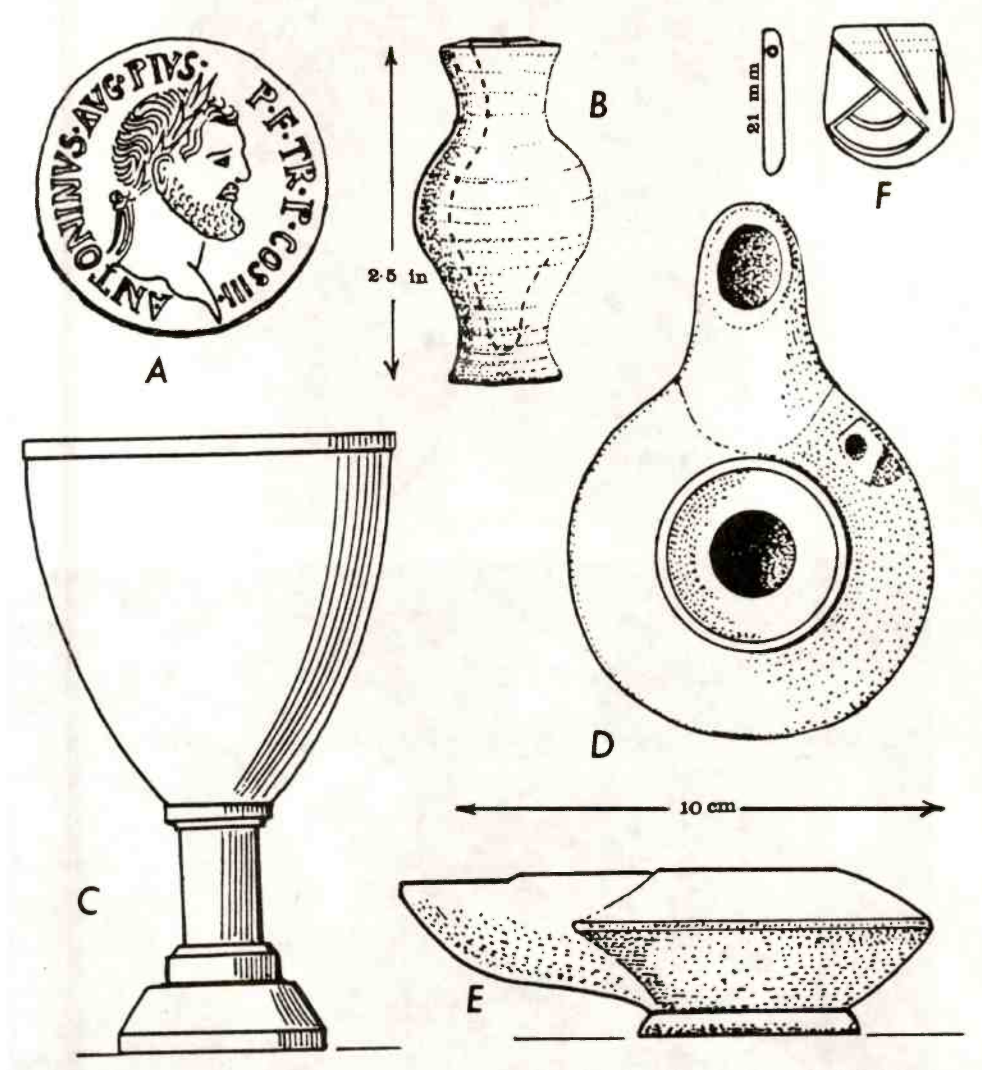
ومن حسن حظي، قبل أن تصبح هذه الأمور معتمة في ذاكرتي، أتيحت لي فرصة دراسة سلسلة التقارير الهامة للبروفيسور أي. ب. رنو (E. B. Renaud) عن الرسوم والنقوش الصخرية بكلورادوا (جامعة دينفر (Denver) ١٩٣٥-١٩٤٠. فقد أثارت اهتمامي الشعارات الظاهرة على ما اعتبر تروسا مستديرة منحوتة في الصخر وعندما شرعت في تصنيفها وجدت أن الرسم المستدير الكبير كان يحمل زخرفة يهيمن عليها حرف (M) والأصغر منه عليه حرف (K) والذي بعده حرف ايبلسون (E) والأصغر حرف (V) شكل بترتيب النقط. ولما كانت مجموعة فينسنت من الفولليس البيزنطية بمكتبي، فقد قارنت الرسوم بالنقود، ولم يكن هناك شك في أن أوجه الشبه لم تكن مجرد صدفة وأن التروس المزعومة في الحقيقة لم تكن سوى اعلانات عامة تحدد مقاييس وقيمة وعلامات تمييز لجميع وحدات العملة البيزنطية. وكانت تلك خطوة هامة لنقرر أن الأمريكيين القدامى كانوا يعرفون نفس النقود البرنزية البيزنطية



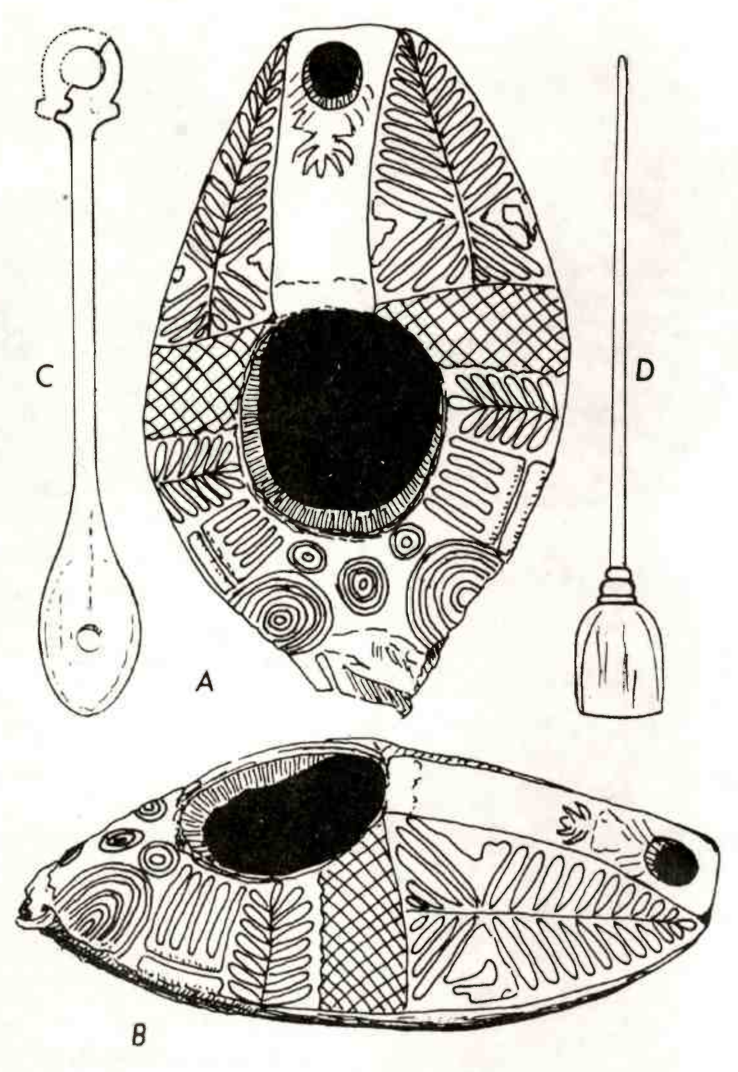


**إلى أعلى: عملات لأربعة أباطرة رومان من القرن الرابع الميلادي، عثر عليها في خطام بيفرلي. أعلى إلى اليسار فالانتينيانوس الأول (٣٦٤-٣٧٥ م) أعلى إلى اليمين، جراتيانوس (٣٦٧-٣٨٣ م)، أسفل إلى اليسار، فالينس (٣٦٤-٣٧٨ م)، أسفل إلى اليمين، قسطنطيوس الثاني (٣٣٧-٣٦١ م). ووجدت العملات معاً في ياردة مربعة من الشاطىء. (مجموعة جيمس واتول، تصوير: مالكوم بيرسون).**

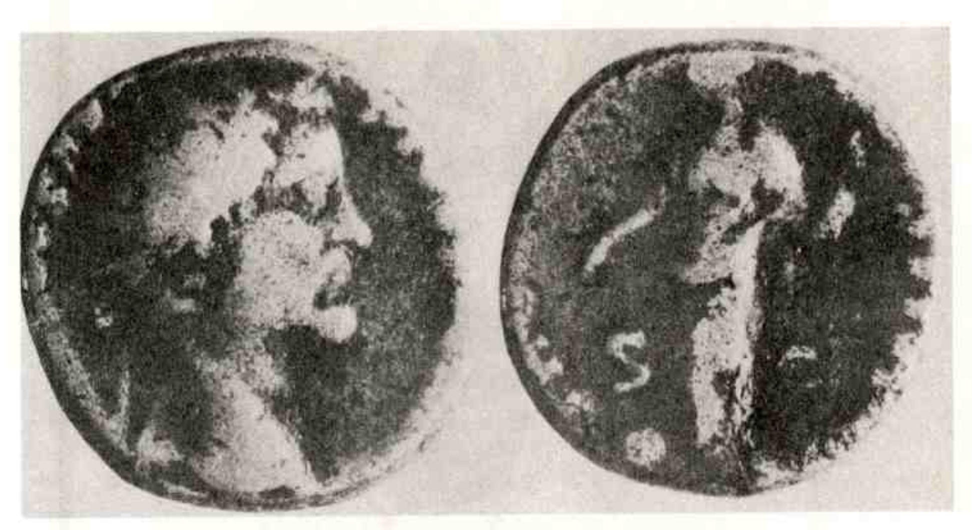
**إلى أسفل: عثر على عدة قناديل رومانية من هذا النمط من قبل دوج ديفس Doug Davis على نهر كوزا Coosa بولاية ألاباما Alabama. (مجموعة القائد جين أندرس Gene Andress، تصوير: بيتر ج. جارفل).**

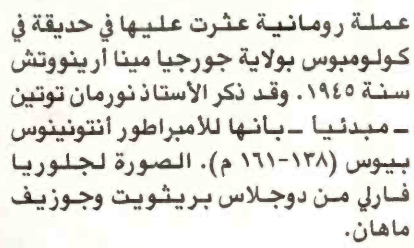



عدة آثار قديمة من مواقع بأمريكا الشمالية. يعود معظمها إلى العهد الروماني: A- قطعة نقدية لأنتونينوس بيوس Antoninus Pius (١٣٨-١٦١ م) وهي العينة الأمريكية الأولى لعملة هذا الأمبراطور. وقد عثر عليها في سنة ١٨١٩ بفايتفيل Fayetteville بولاية تينيسي Tennessee، على عمق خمسة أقدام من سطح الأرض، في التربة التي نمت عليها غابات يتراوح عمر أشجارها من ٣٠٠ إلى ٤٠٠ سنة. B- قارورة روائح من الخزف. D و E مصباح زيت، من المحتمل أنه من صناعة بومبي قبل ٧٩ عام ميلادية. وجد بالموقع الروماني بموسكوجي على نهر كوزا بولاية الاباما من قبل جين أندرس ودوج ديفس خلال سنة ١٩٤٢. (مجموعة القائد جين أندرس). C- قدح روماني من النمط البومبي عثر عليه جيمس ف. هاو James V. Howe في سنة ١٩٤٦ على عمق ١٨ بوصة تحت سطح الأرض بمزرعته في كلاركس فيل، بولاية فرجينيا Virginia. F- خرزة زجاجية زرقاء عثر عليها بالقرب من التقاء نهر بيكر Baker مع نهر ستنسون بروك Stinson Brook، برومني Rumney، بولاية نيوهامبشاير New Hampshires. (مجموعة لين تشونج Lynn Chong).




A و B من رسم جيرترود جونسون Gertrude Johnson من صور لمصباح زيتي روماني عثر عليه فرانك جلين Frank Glynn في ولاية كونيكتيكت، وهو عالم الآثار الذي، طبقاً للأستاذ سايكلون كوفي Cyclone Covey والمؤرخ فريدريك بوهل Frederick Pohl، لم يكترث لاعلان الاكتشاف خوفاً من أن يسخر منه. وبدلا من ذلك، أرسله إلى المتحف الأثري بجامعة كامبردج Cambridge، في انجلترا، حيث تم تعريفه بأنه يعود في الأصل إلى أواخر العهد الروماني لشرق البحر المتوسط. أما أين يوجد المصباح نفسه الآن، فانه غير معروف. (المعلومات: من جيرترود جونسون وآخرين). C- مثال من المتحف البريطاني، و D- مثال وجد في كل من تينيسي لملاعث من العظام، الأول روماني، أما الآخر فقد يكون رومانياً.

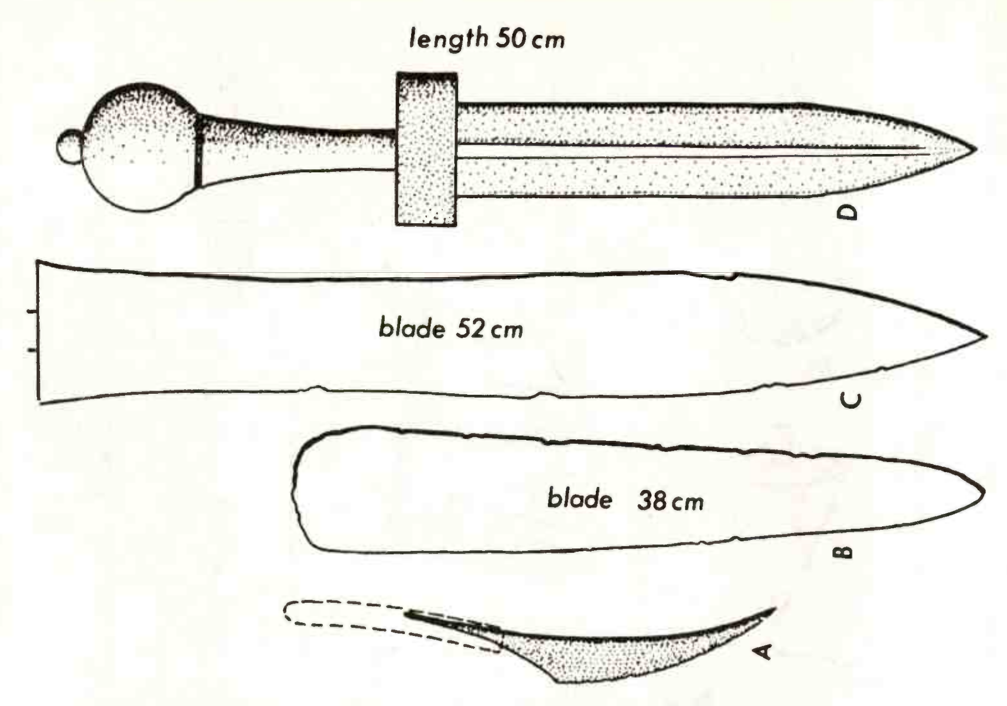




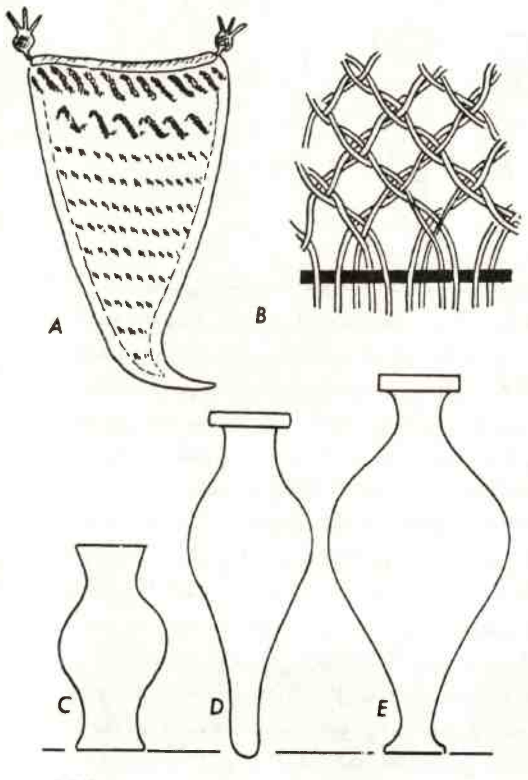
عملة رومانية عثرت عليها في حديقة في كولومبوس بولاية جورجيا مينا أرينووتش سنة ١٩٤٥. وقد ذكر الأستاذ نورمان توتين ـ مبدئياً ـ بأنها للأمبراطور أنتونينوس بيوس (١٣٨-١٦١ م). الصورة لجلوريا فارلي من دوجلاس بريثويت وجوزيف ماهان.



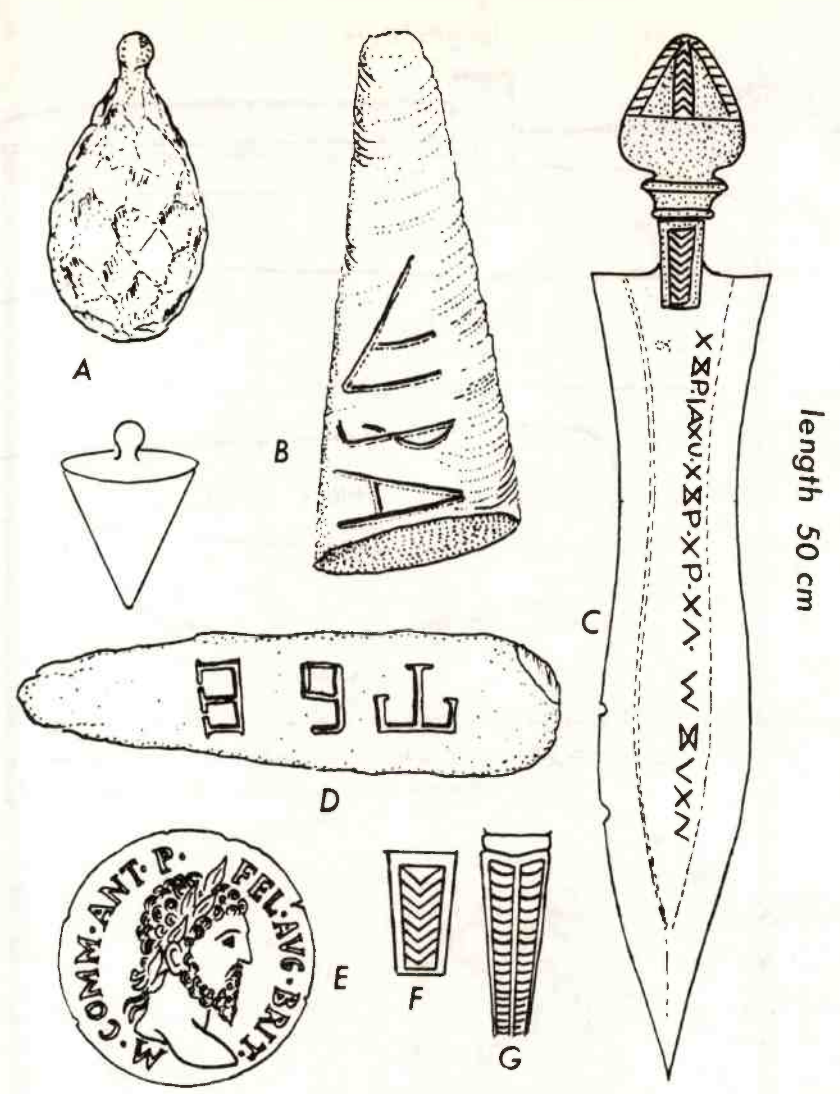
عملة للأمبراطور البيزنطي قنسطنطين الكبير (٣٠٦-٣٣٧ م)، وعلى ظهرها صورة لاله الشمس الذي لا يقهر. وهذا المثال من مصدر غير معروف بماساتشوستس، إلا أن قطعة نقدية مماثلة ذكر أنه عثر عليها في تل هندي بولاية تكساس أو ـ كما في رواية أخرى ـ على مقربة من التل. وخلال القرن التاسع عشر كثيراً ما ذكر أن نقوداً رومانية عثر عليها في تلال، إلا أنه لم تحتفظ بسجلات فصلة عنها. الصورة لمالكولم بيرسون.




A- موس برونزي، B- نصل السيف، من موقع قديم بولاية ميشجان (متحف الهنود الأمريكية). C- نصل سيف روماني من لندن (المتحف البريطاني) من الحديد أو الفولاذ، و D- سيف كلتي (Glatian)، من بيرجاموم Pergamum.




A- محفظة نقود من نمط الشمال الافريقي عرفت من الأمثلة القبطية، ومرسومة مقلوبة في نقوش مونيتا Moneta بولاية وايومنج ويبدو أنها (صفحة ١٤٩) تشير إلى استخدامها في أمريكا الشمالية أثناء العهد الروماني. B- طريقة حياكة وجدت في أقمشة أمريكا أثناء العصور القديمة والوسطى (بكلي كنج ١٩٧٥ King Buckly)، كما استخدمت أيضا لتمديد محافظ النقود من النوع الذي اكتشف على النقوش الصخرية لمونيتا. C- قارورة روائح عطرية من نهر كوزا، ألاباما، و D، E، قارورتان من ليبيا، ومن المحتمل أنهما استوردتا من مصنع روماني، وهما من الفخار غير المصقول.




A- أثر حجري لاستخدام غير معروف، ويمثل موجودات كثيرة عثر عليها في تشوسيتس، ولقد أشير إليها في تقارير متعددة على أنها ثقالة صيد أو ثقل الفادن، إلى أسفل منها ثقل فادن معدني روماني من بريطانيا. B- حفرية منقوشة لصدفة الحبار Squid، وتستخدم كطلسم لعبدة قضيب الرجل، وتحمل حروف أيبيرية S-Q-A (بالعربية، Saqa تعني إثارة شهوة الرجل الجنسية) من أركنساس، جلوريا فارلي. C- سيف إيبيري من الحديد أو الفولاذ مع مقبض خشبي (من المحتمل أنه أضيف خلال تاريخ لاحق لهذا السيف ذاته) عثر عليه لايمان ر. فيلوز Lyman R.Fellows أثناء حفر أساسات محطة سكة حديدية في كنكورد Concord بولاية نيوها مبشاير، حوالي سنة ١٨٧٠، هو الآن في حوزة أحفاده بكاليفورنيا. أنظر التوضيح التالي لنص النقوش. D- صورة لقضيب رجل صغير من الحجر تحمل نقشاً محفوراً، عثر عليها في لاكاواكسين Lackawaksen، بنسلفانيا Pennsylvania، ونقشت بحروف إيبيرية S.B.H (أداة مستدقة الطرف Prick)، من قبل مركز ميدلبيري للبحوث الأثرية (سالفاتوري ترينتو). E- عملة للأمبراطور كمودس Commodus (١٨٠-١٩٢ م) وهو أمبراطور أول ما أشير إلى عملته المعدنية من عمق أربعة أقدام على أرض كانت تكسوها الغابات قرب فيتيفيل، بولاية تينيسي في سنة ١٨١٩. F- مقبض محفور مزين لسيف من نيوهامبشاير C. وأما G- فهو نمط مشابه على مشبك معدني كلتي بريطاني.

1 GLORIARO
MANORVM

DNVALENTINIA
NVS·P·F·AVG·

2

3 DNVALENS SEC
VRITAS REPVBLICAE

أنماط لحروف تظهر على عملات رومانية عثر عليها في بيفرلي، بولاية ماساتشوسيتس. ١ –
أبحر الرومان Gloria Romanrum، (Valentinianus P(ius) N(oster) D(ominus)
(Aug(ustus) (سيدنا فالينتينيان: قام بالواجب، سعيد، مبجل) ٣ – (D(ominus)
(N(oster) (سيدنا فالينس سلامة الجمهورية Valens, Securitas Rei Publicae). ٢ –
نقش إيبيري على سيف من كونكورد، نيوهامبشاير «فولاذ مصنوع باليد، قاتل، قادر على
(خرق السلاح؟ armor؟)».

1 EST·PACCVL·IN·PELAGO·
SAXVM·SPVMANTIA

2 [CON]TRA·LITORA·QVOD·TVM-
IDIS·SVBMERSVM.

Colonial Epoch

3 FUGIT HORA 1676

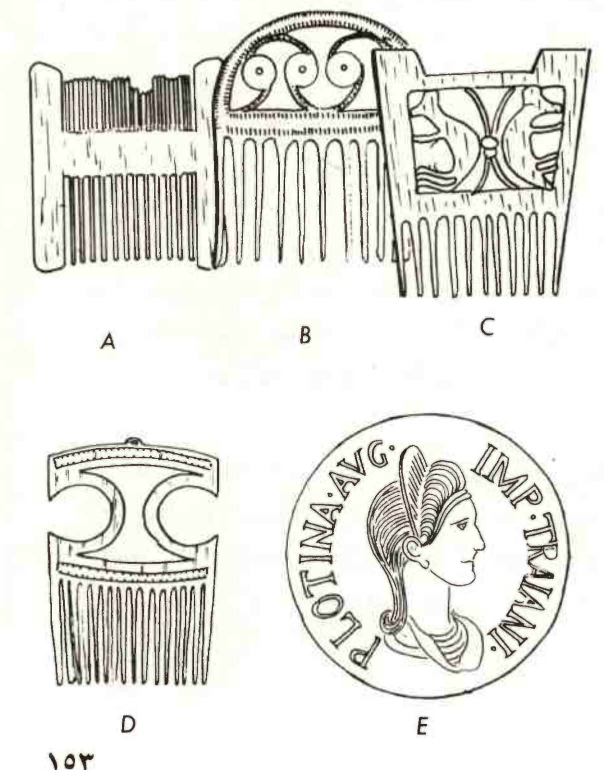
4 HODIE MIHI CRA 1678

5 SIC TRANSIT GLOR 1678

نقش لاتيني حفر على صخور ميناء بورك، بولاية مين من كتاب الأنبياء لفرجيل Aeneid 5 Virgil، ويعتقد أنه تاريخ النقش يعود إلى القرن الرابع أو الخامس الميلادي: «توجد صخرة مكسوة بالزبد بعيدة داخل البحر مقابل الشاطيء تغطيها الأمواج أثناء هيجان البحر» آثار السطر الثالث قد حذف. والاشارة هنا إلى عرق بون Boon Reef الذي تقوم الآن عليه منارة. وتظهر أدناه للمقارنة أمثلة من الفترة الاستعمارية المبكرة لكتابة لاتينية من مقابر نيو إنجلاند New England. وقد استخدم نص ميناء بورك نمطاً من الحروف لم يستخدمها البناءون في العهد الاستعماري، ولكنه مشابه للنصوص اللاتينية الأيبيرية للفترة الرومانية المتأخرة.




إلى أعلى: قطعة نقدية لسبتيموس سيفيروس Septimus Severus (١٩٣-٢١١ م) عثرت عليها السيدة كيرتيس روبي Curtis Robie في التربة بجرافتون Grafton بولاية ماساتشوسيتس، ومن المفترض أنها من اصل امريكي قديم، غير ان القطعة قد وضعت في مدلاة من النحاس الخام أثناء الفترة الاستعمارية. إلى أسفل: قطعة نقدية لماكسيميانوس هيركوليوس Maximianus Hercolius (٢٨٤-٣٠٥ م) وجدت في حقل محروث قرب ماكستون Maxton، بولاية نورث كارولاينا North Carolina من قبل مالك للأرض في تشيروكي يدعى جيري مينور Jerry Maynor في سنة ١٩٥١. (تصوير العليا: مالكوم بيرسون، أما السفلى فمن تصوير بيترج. جارفل).




لقد فتن المجتمع الروماني عندما دعيت ارستوقراطية، أسبانيا، السيدة بلوتينا Plotina، الى ايطاليا كقرينة غير إيطالية المولد من امبراطور Trajan، في سنة ٩٨ ميلادية. وتبنت النساء، خلال السنة، في جميع انحاء العالم الغربي الشط الايبيري العالي كما لبسته الامبراطورة، ورسم مع العملة، E، A- من بريطانيا الرومانية، B- نمط مبكر من العصر البرونزي، من الدانمارك، C- أمريكا الشمالية (Irquois)، D- دانمركي (دفن في مستنقع).

السك التي نعثر عليها في تربة أمريكا وعلى سواحل نيوجيرس (New Jersey) إلى يومنا هذا. فأسرعت لدعوة بوب فينسنت لمشاركته المعلومات، فتعجبنا كثيراً ليد المقادير التي قادت أمريكا من سلالة تشيروكية للتجوال بين خرائب أيونيا جامعاً نقودا بيزنطية قديمة كتب لها أن تكشف بعد عدة سنوات سرا بوطنه البعيد. وتشرح صفحة (١٦٨) الأمور المذكورة.

هكذا، أصبحت واعيا لدرجة جعلتني أبحث قصدا عن صور قديمة للنقود بين آلاف النقوش المنقولة من طرف أثريين محترفين بمختلف ولايات الجنوب الغربي حيث توجد الأحجار المنحوتة بعشرات الآلاف يلاحظ عليها دائماً التأكسد الصحراوي، أو (طلاء الصحراء) التي تجعلنا نصنفها عكقديمة وليست «دخيلة» ــ حديثة ــ مثل العديد من الحروف الأولى للأسماء التي يروق للعابثين خدشها على الصخور التي زخرفها الهنود في قديم الزمان.

وبينما كنت أقلب متعجبا صفحات مجلدات التقارير التقليدية عن نقوشات الجنوب الغربي، سرعان ما أدركت أن كل رسم مستدير يمثل فعلا نقدا قديما مبسطا لخطوطه الأساسية كما حدث بالنسبة لتقليد النقود الرومانية القديمة من طرف الكلت. لكنها تحتوي على تفاصيل كافية مثل الحروف الأكثر وضوحا في النقش الأصلي والتي يتعرف عليها بمقتضاها.

هكذا وجدت في جهات من نيفادا وكاليفورنيا وجدت صورا سهلة التمييز لنقود صينية قديمة من أسرتي «هان» و«سونغ» ترافقها كتابات صينية بالقيمة، أو تفاصيل أخرى يجب أن يعرفها الأجنبي عندما يستعمل العملة الصينية. ومرة أخرى في كولورادو تعرفت على رسوم مأخوذة من الأوجه الخلفية للنقود البيزنطية وكذلك على رسوم بيزنطية دينية على طول الساحل الغربي إلى الشمال حتى كولومبيا البريطانية حيث اختلطت بنماذج نقود كلتية ونرويجية. وسنناقش ونشرح هذه الأخيرة في قسم متأخر من الكتاب.

وهناك موقع آخر، ذلك المركز الهام للصور والنقوش الصخرية، والذي يدعى كاسل غاردين (Castle Garden) بقرب مدينة مونيتا (Moneya) بوايومنغ (Wyoming) الوسطى. كان الدكتور دون ديكي (Don Dickey)، كبير المؤرخين بمكتب ادارة الأراضي التابع لادارة الداخلية، كان من أوائل الذين زاروني عقب صدور أول طبعة

لكتاب «أمريكا قبل الميلاد» ببضعة أيام في نهاية ١٩٦٧م، إذ لفت انتباهه الكبير التي بدت له وكأنها تلقى نوعا من النور على مسائل النقوش وتاريخ أمريكا القديم. وكانت اختصاصاته تنحصر في اكتشاف وتحديد وحفظ جميع التحف التاريخية بما فيها كتابات المستكشفين وغيرهم من أوائل الزوار. فشعر بأن الكثير من المواقع قد تحتوي على نقوش تقع في نطاق بحوثه ولكنها أقدم عهدا من الزمن الذي كان يظن أنه يشمل التاريخ الأمريكي، وخلافا للنقاد التابعين لبعض المؤسسات الأثرية، جاء ليرى بأم عينه ماذا يوجد من أسس لاستنتاجاتي، وبعد يومين سارين ومثمرين من العمل والمناقشات، قررنا العزم على التعاون في المستقبل. فبدأ بأن أحال الى تقارير مختلفة موجودة في ملفاته بمكتب ادارة الأراضي تتعلق بنقوش صخرية غير مفهومة وكان أحد التقارير يتعلق بموقع وايومنغ المذكور آنفا ـ وهو أروع موقع للنقوش الصخرية في تلك الولاية ويمتاز بالشكل المستدير العام تقريبـاً بجميع التصميمات المرسومة على أوجه الصخر المتتالية المهيمنة على الموقع.

فأما بعض التصميمات، فتعرفت عليها لأول نظرة كنماذج كلتية معهودة تستعمل على الحلى البرونزية المستديرة في أطقم الخيل الخاصة بحلول الكلت في أوروبا (أنظر صفحة ١٧٧) والموجودة أيضاً في كوم سبيرو باباوكلاهوما. ومعها شواهد أخرى لتصميمات كلتية ((الفصل ٩) لكن أغلبية الأشكال المستديرة المنحوتة في صخور كاسل غادنس (Castle Gardens) لم تكن مألوفة لدى عندما رأيتها لأول مرة. وكانت تبدو مختلفة تماما عن التروس الهندية بحيث صعب على ربطها بها كذلك. وكنت بالفعل في البداية منذهلا ازاء تلك السلسلة من الكتابات بالقدر الذي انذهل به الأثريون الذين سجلوها لأول مرة. ومن بين هؤلاء الرجال بصفة بارزة دافيد لاف (Love David) سنة ١٩٣١ لما كان طالباً بجامعة وايومينغ والدكتور أي. ب. رينوه (E. B. Renaud) من مصلحة الأنثروبولوجيا بجامعة دينفر (الذي قاده لاف إلى الموقع) وتيد س. ساوارس (Thd C. Sowers) من قسم المسح الأثري بجامعة وايومينغ (الذي بلغ عن الموقع سنة ١٩٤١) وأرثر اندال (Arthur Andall) من جمعية وايومينغ الجيولوجية. وقد وضعوا معا تقريرا فيما يتناول اللقيات بأسلوب واقعي شارحين اياها وقد أصبحت هذه المواد أساساً لطبعة سنة ١٩٦١ لمكتب ادارة الأراضي والتي قدمها الآن لي «دون ريكي» للدراسة.

وكما يذكر القراء الذين اطلعوا على كتابي السابق «أمريكا قبل الميلاد» أن الكلت استعملوا أبجدية غريبة تبدو حروفها كعلامات استذكار، تسمى أوغام (Ogam) وتوجد الأبجدية هذه مصورة لسهولة الاطلاع في الكتاب بصفحة (٣٢٧). وتشتمل بعض نقوش كاسل غاردنس على رسوم كلتية لم يوفق دون ريكي ولا أنا في توسم أي حرف أوغامي يساعدنا على تمييزها أو يلقي ضوءا على الغرض من تلك المجموعة الهائلة من النقوش الصخرية المستديرة، غير أن تقارير من مختلف المراسلين من الولايات الشمالية من الغرب المتوسط والأقصى قد أوضحت أنه توجد كتابات أوغامية متناثرة على امتداد شريط يتجه غرباً من نيوانجلند.

لمدة سنتين تقريباً بقي ملف كاسل غادنس سراً غير قابل للحل، وفي تلك الأثناء صادفت جماعة من الهنود الأمريكيين لا زالوا يستعملون اللهجة الكلتية الكربولية في الوادي الأعلى من فريزر فالي (Fraser Vailey) بكولومبيا البريطانية وقدمت تقريراً عن لغتهم (١٩٧٦) وابان سنة ١٩٧٧ زارت روث كنودسن هانر (Knudsen Hanner Ruth) أمينة مكتبة جمعية النقوش الفخرية ومستكشفة نقوش هاواي، زارت كولومبيا البريطانية وأخذت ترسل لي تقارير تعالج النقوش الصخرية في تلك المنطقة، وقد أثار انتباهي ما اكتشفه جون كورنر (John Corner) ونشره موضحاً بالرسوم سنة ١٩٦٨. أثار انتباهي ما وجدت من نقوش أوغامية مبهمة، أما بالحركات أو بدونها وبالطبع كانت كلتية وأقدم عهداً من أوغام نيوانجلند وهي محفوظة جيداً وسهلة الحل وتناقش هذه المواد في الفصل ١٣، إلا أنه ما يهمنا هنا أن بعض الرسوم التي عثر عليها كورنر مستديرة وتشبه النقوش الصخرية المستديرة من وايومينغ.

وقد جاءت حلقة جديدة أخرى من سلسلة المفاتيح التي أدت في النهاية لكشف سر الدوائر الغامضة، جاءت من أوكلاهوما (Oklahoma)، ففي الشطر الجنوبي من الولاية تحصلت غلوريا فارلي (Gloria Farley) على قوالب بلاستيكية لنقش هام كشفته باربرا جين وودورد (Barbara Jean Woodward) في أردمور (Ardmore) وتبين علامة حدود قبلية كتب بالكلتية الغالية ـ مستعملة حروفاً أبجدية ـ. فكانت تلك باكورة عظيمة لأنه لم يأت لعلمي حتى ذلك الحين سوى النقي الأوغامي في أي موقع كلتي. فاكتشاف نوع متأخر وأكثر تعقيداً من الكتابة الكلتية تستعمل فيه حروف وحركات يستطيع أن يفهمها أي شخص كان بالطبع مفتاحاً هاماً لسر تاريخ الكلت المتأخر في أمريكا، ومعناه أنهم كانوا لا زالوا متواجدين في الحقبة التي اتخذ

الكلت الكتابة الحرفية في أوروبا في زمن متقدم من العصر الروماني. بل كان أكثر من ذلك: فان دارسي الكلتية الذين زاروا معملي مثل الأستاذين غاريث (Gareth) وجانيت دونليفي (Janet Dunleavy) من جامعة و يسكونسين (Wisconsin) بميلووكي (Milwaukee) يريان الآن دلائل مقنعة لكتابة من النوع المعروف جيداً لدارسي الكلتية في أوروبا.

وقد ذكر لي جيمس هو يتال (James Whittall) عدة مرات أنه من المعروف منذ زمن طو يل وجود نقش لاتيني على صخور ساحلية في مين (Maine) الجنوبية، ولكني أعتقدت أنها من انتاج بعض طلبة هارفرد من القرنين السابع عشر والثامن عشر في اجازة لأنها مقتبسة من ملحمة اينيياد (Aeneid) فرجيل، غير أنه، لما ازدادت دلائل النقود وشعرنا بأن الرومان ليسوا بغرباء عن ساحل نيوانجلند التاريخي، تذكرت التمارين عن الاينيياد التي وجدت منحوتة من طرف طلبة ايبيريين يتعلمون اللاتينية في عهد تراجان. فيحتمل أن يكون نقش مين بيتاً من الشعر حفظه أحد البحارة الايبيريين في قديم الزمان، ربما ضابط في اجازة على شواطىء الايبيروس (Epeiros).

في يوم جميل قبل أن يذهب هذا الكتاب الى المطبعة، أخذني وجيم صديقان قديمان، مالكولم (Malcolm) ومايرا (Myra) بيرسون (Pearson) بالسيارة الى الموقع، وقد دفعت لتذكير مالكولم بأنه قد شاهد تطور النظرة الحالية للتاريخ الأمريكي كاملا، أي من اليوم الذي قاد فيه لأول مرة و يليام غودو ين (William Goodwin) الى ميستري هيل (Mistery Hill) ليطلع على «الأعمال الحجرية». وكان موقع النقش في اطار من الجمال المتناه، ألا وهو ثغر يقرب من حليج يورك (Yourk Bay) و يظهر أنها خطت بأداة حديدية ولا شك في زمن ساحق لأن الانجراف قد أتلف معظمها وكانت الحروف من نمط بدائي. والعديد من الدارسين الكلاسيكيين الذين رأوها اشتركوا في الرأي، وأنا أشاطرهم فيه، بأن النص يرجع الى القرن الرابع أو الخامس بعد الميلاد بالتقريب، ولكنا لم نتأكد بعد، فهو ما زال واحداً من مخلفات نيوانجلند التي تنتزعنا من الحاضر الى غياهب ماضي سحيق. الكتابة معروضة في صفحة (١٥٢). وقد أخذنا قوالب بمناسبة زيارتنا وستدرس بتعمق في العام القادم، وحتى ذلك الحين لا زلنا متسائلين أي جنس من البشر ترك هذه النقشة الشعرية ومن أين أتى.

هل قام الرومان أو رعاياهم الايبيريين المتحدثين اللاتينية بالتجارة مع أمريكا بدون التفكير في مد خطوطهم البحرية الى مدى أبعد من ذلك؟ أو هل كان أولئك القدماء المحنكين في الجغرافيا العالمية على أساس أن الأرض كرة ذات مقاييس معروفة، يتجاهلون منطق معرفتهم بالبلدان التي كانت تخبرهم بأن الصين والهند لا شك تقعان خلف الحدود الغربية لقارة ايبروس التي أسميناها أمريكا؟.

كلا، لم يتجاهلوها. في العقد السادس بعد المسيح، عندما كان تبذير نيرون يقلد من طرف العائلات الرومانية الغنية، تسرب فيض من النقود الذهبية الى الهند لتمويل طلب السيدات الرومانيات النهم لاقتناء الحرير والعطور، وهكذا كانت أحوال التجارة عبر المحيط الهندي، وبسبب الرسوم المفروضة من البلدان المارة بها وعمولات السماسرة، ارتفع سعر تلك البضاعة مائة مرة بين شحن المنقولات في الهند وبيعها النهائي في الأسواق على نهر التبير، (Tiber).

ولقد انزعج الفيلسوف الطبيعي الاقتصادي بليني (Pliny) الأكبر لهلاك روما المالي الذي توقعه واشتكى بمرارة أن ما لا يقل عن مليون قطعة ذهبية كانت ترسل سنوياً الى الشرق الى غير رجعة، فجلب عجز الميزان التجاري تضخماً فظيعاً وأسرع من هروب الذهب الى الشرق.

وسمع تضجرات بليني سينيكا (Seneca) الفيلسوف الأسباني ومعلم نيرون الصغير، ثم أهم وزير في حكومته.

علق سينيكا بأن علاج تلك الطامة المالية ليس ببعيد المنال، وقد أصبح هو نفسه غنياً بافراط ومن خلال تعليقه فهمت أن التجارة الايبيرية كانت هي سبب معظم تلك الثروة التي سرعان ما أثارت جشع يرون. قال سينيكا: «ان أسبانيا ستكون قريباً مرتبطة بالهند عن طريق المحيط الأطلنطي». ان التعليق هذا لم يثر اهتماماً كبيراً بين الدارسين الكلاسيكيين ولكنه ذو مغزى كبير.

إني أعتقد أن سينيكا كان على علم بأن المحيط الهادي يقع فيما وراء الساحل الغربي لايبيروس الأمريكية وبأن على ذلك الساحل الغربي تجار من الصين والهند. ولما كانت الأرض كروية، فستحول تلك التجارة الباهظة بالنسبة للخزينة الرومانية الواردة عن طريق المحيط الهندي، تحول قريباً عبر أمريكا (إذ عبر برزخ

باناما (Panama) بحيث تصل أوروبا عن طريق ليس فيه وسطاء جشعون أو دول شرقية تجبي الرسوم الطائلة التي أزعجت بليني. لا شك أن حلم سينيكا لم يتحقق ولكن بذرة الفكرة زرعت في عقل الايبيريين قبل أن يقدمها كريستوفر كولومبس لصاحبي الجلالة المسيحية حتى يمولا رحلته، بما يقرب من أبعة عشر قرناً، وفي تلك الرحلة عاش سينيكا ثانياً وتحقق حلم الايبيريين القديم.



# وصول أصحاب المصارف الايبريين

كنت، وغلوريا فارلي (Gloria Farley) لبعض الوقت على علم ببعض شواهد غير واضحة اكتشفتها هي في مخبأ بجرف عالق في الهواء بأركانساس (Arkansas) الغربية، تنم على نوع من التعامل المالي، وكانت الكتابة الأيبيرية تقول ما معناه: «...أقرض الرئيس» وكانت على جدار الكهف علامات نعرف أنها ترمز للنقود، أي رموز السبائك المعروفة جيداً. فزار البروفيسور نورمان توتن (Norman Totten) وهو عالم نقود بارز، زار الموقع مع غلوريا (صفحة ١٦٥)، وفيما بيننا أسمينا الموقع، مازحين، «فرع أركانساس الغربي لمصرف أيبيريا الكبير» ولكن الشواهد كانت غير مترابطة الى حد بعيد، فلم نر من الضروري نشر بحث في ذلك الوقت.

فالمفتاح المفقود المذكور في الفصل السابق كان مخيفاً في نقش أردمور (Ardmore) باللغة الغيلية، ولكن، نظراً لأن ذلك النقش يحدد خط تخوم قبلية، لم تظهر علاقته بدراسة النقود، وأتى الحل النهائي للغز كاسل غاردنس (Castie Gardens) كما يلي:

بعد اكتشاف التوافق بين سلسلة النقود البيزنطية البرونزية وسلسلة «التروس الهندية» المزعومة في نقوش كولورادو الحجرية، تذكرت سلسلة رسوم «التروس» المستديرة الغربية في موقع وايومنغ، فعدت مرة أخرى لتقرير الدكتور ريكي (Rickey) من ملفات مكتب ادارة الأراضي وبدأت هذه المرة أتعرف بالفعل على الرسوم التي تشبه أشكال نقود قديمة كنت قد رأيتها في مناسبة سابقة. فكانت بعضها تطابق نقود الجمهورية الرومانية في نفس مجموعتي، لكن أهم قطعة في الشواهد التي لم أفهمها عندما فحصت لأول مرة المواد التي أرسلها الي الدكتور ريكي كانت تنحصر في الحروف الأيبيرية. وكنت قد قرأتها في السابق متفرساً فيها اللغة الأيبيرية (أي عربية كلاسيكية قديمة) ولم تعط معنى وانصرفت عن محاولة فك رموزها.

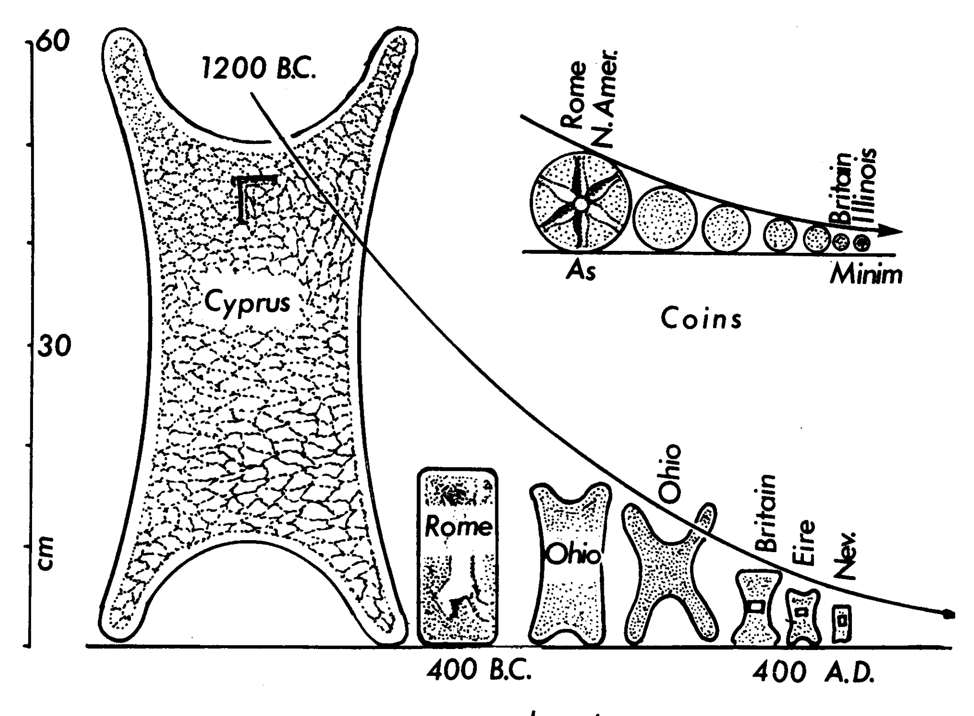
لكن الآن، في هذه العودة الجديدة، أصبح الوضع مختلفاً، إذ رأينا الآن الكلتي الأمريكي ـ وهو غيلي أسباني، مكتوباً بحروف أبجدية بدلا من الأوغامية وهو

الأسلوب الوحيد الذي عرفناه من قبل، وزد على ذلك أن اشارات من عدة أماكن تنم الآن على أن لموقع كاسل غاردنس في وايومنغ علاقة بالمال.

قرأت مرة أخرى الحروف الأيبيرية بنقش كاسل غادنس واتضح لي أن أول كلمة «م-ن-د-ر» هي العبارة الغيلية من التوراة «مونادو ير» (Minadoir) المستعملة في العهد الجديد بمعنى «مصرفي نقود» (وهم الذين هاجمهم المسيح على سلم الكنيس). وبالمراجعة، ثبت أن القاموس الغيلي لدينين (Dinneen) يرجع الكلمة الى مخطوط كلتي وأن جذر الكلمة «م-ن-د» (M-N-D) هو نفسي للكلمة اللاتينية مونيتا (Moneta) أي نقد. وأهم من ذلك كون اسم المدينة القريبة من كاسل غادنس بوايومنغ حيث النقش الحجري هو مونيتا، وكأن الاسم يذكرنا بالعهد الكلتي. كان من الواضح أن الحروف الأيبيرية تكون النص الغيلي (غيلي كلتي أيبيري) الذي لم أتعرف عليه في محاولتي الأولى لقراءته، لأني توقعت لغة عربية مشابهة للغة الليبية الغربية. وفعلا، أثبت واحد من حلولي السابقة للمواد الأسبانية أن الكتابات الأيبيرية المزعومة في بوجول (Pujol) كانت أفريقية كاتالينية مكتوبة بالحروف الأيبيرية (وأكد ذلك فيما بعد البروفيسور لينوس برونر» (Linus Brunner) فلم يدهشني في الواقع أن يختار كلت من أصل أسباني الكتابة بالأبجدية الأيبيرية. ونعرض بقية الحل في صفحة (١٧٠) مع قراءة للكلمة الحديثة «مصرفي» بدلا من «مصرف نقود» و يكون جزء من النص لغزاً إغريقياً، ربما نفس الاغريقية الكاتالانية التي نجدها في نص بوجول. إذ نعلم أن الاغريق قد استقروا في كاتالونيا. و يمثل اللغز كيس نقود يصب نقوداً في طبق ولكن العلامات هي أيضاً هجاء الشعار الأغريقي (Phthaei) أي «أول من وصل» وهي من الفعل «افثاوماي (Phthaomai).

وما وجدناه حينذاك بكاسل غاردنس مجرد مجرد لافتة مصرف عليها اسمه التجاري، وهو يعادل بالتقريب استعمالنا الحديث «القومي الأول» (First National).

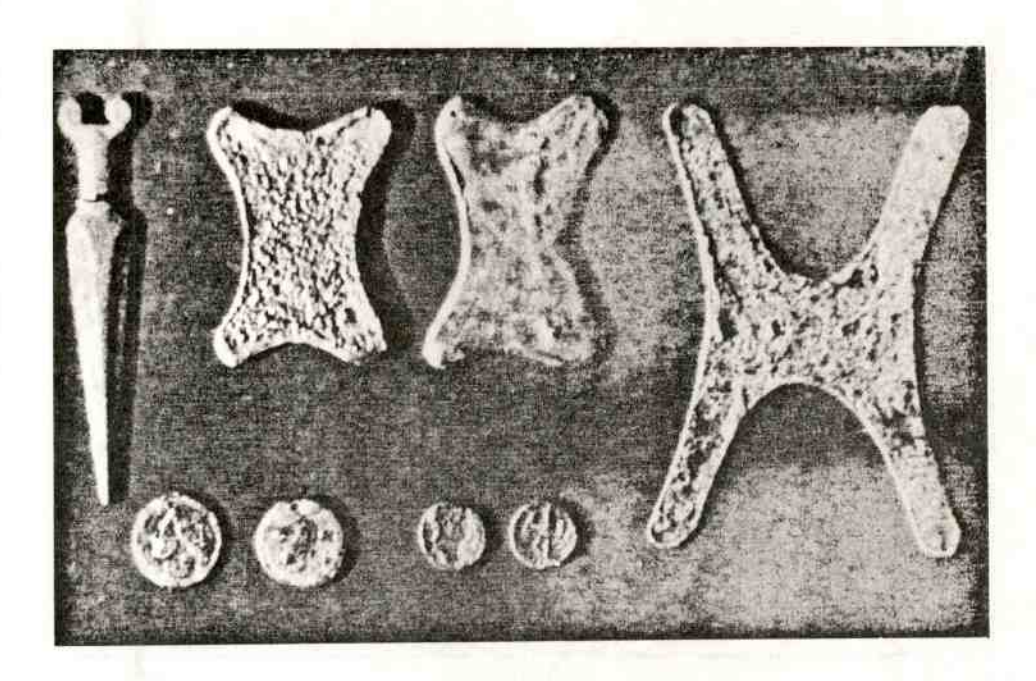
هكذا يمكن التعرف على الرسوم المستديرة العديدة بأنها صور، ليس لنقود الجمهورية الرومانية التي تشبهها، بل لنسخها الأيبيرية الرديئة سكت (بموافقة روما) ليستعملها رعايا روما بأسبانيا والبرتغال (اللو يزيتانيين Lusitanian) بعد احتلال الرومان لأسبانيا والقضاء على الامبراطورية القرطاجية حوالي سنة ٢٠٠ قبل الميلاد.

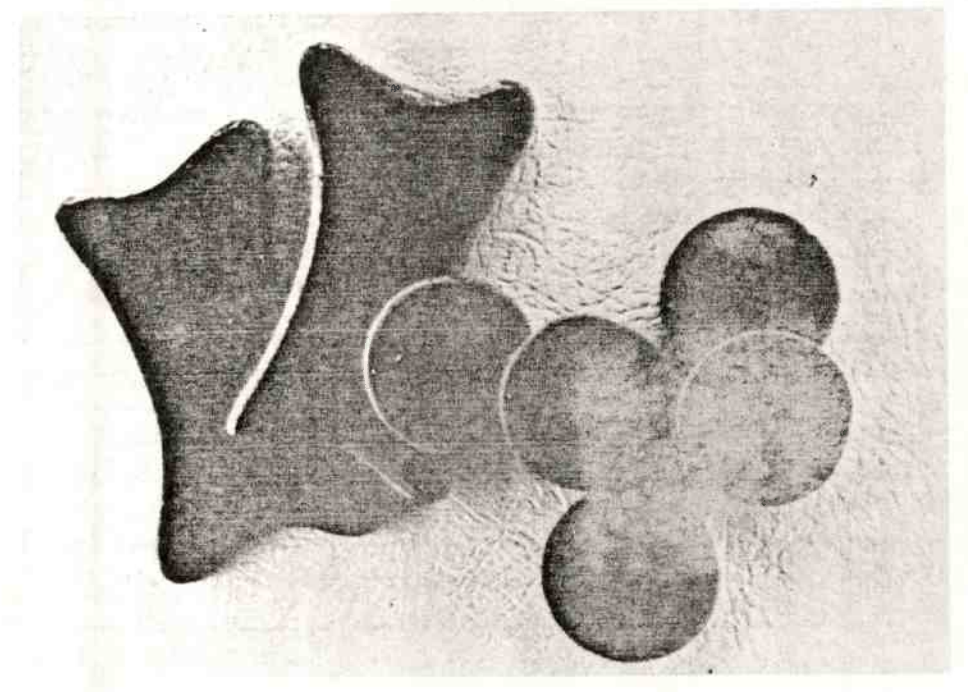



إن العملات على مدار الثلاثة الآف سنة الماضية. وهو من الاساس قطع من النحاس والبرونز في شكل جلد العجل المشدود (Pecunia) ثم اجـمـعت أقراصاً دائرية في فترة تالية تحمل علامات التصديق (النقود nummi) اصبحت أصغر تدريجيا تمشياً مع الارتفاع، استمر في الاسعار والتضخم المالي. وتعكس الغلات الامريكية الاتجاه العام، ونتج عن آخر خطوات التضخم المالي استبدال القطع النحاسية باخرى خشبية، واستبدلت القطع المعدنية باقراص من العظام استخدمت فيما بعد للعب دون أي قيمة مالية.

الصفحة التالية: صور طبع الأصل لاشكال مبكرة من النقود. أعلى اليسار: سيف عريض مصغر كان يستخدم في الدفن اثناء العصر البرونزي باسكندينافيا، بعد أن أصبح مكلفاً جداً دفن سيف المحارب مع الجثمان. باقي الصف العلوي: قطع نحاسي من اوروبا، اما (الاثنتان الى اليمين) فهما من امريكا من تلال الدفن. واستخدم الشكل الذي يوجد بأقصى اليمين كصدرية أو زينة للصدر. الصف السفلي: قوالب (من الشمال) أول عملة قرطاجية يتعرف عليها في أمريكا، من غرب أركانساس، وقد تآكلت الكتاب كلها، غير أن رأس الحصان على ظهرها يظهر أصلها. وقطعة نقدية للامبراطور نيرو Nero عثر عليها في هيفينر Heavener، بولاية أوكلاهوما. (تصوير: بيتر ج. جارفل).

أسفل الصفحة التالية: صور طبعة الأصل بقطع خشبية وأقراص من العظام استخدمت من قبل قبائل الجونكوين الشمال شرقيين، كأدوات للعب. (تصوير: بيتر ج. جارفل).

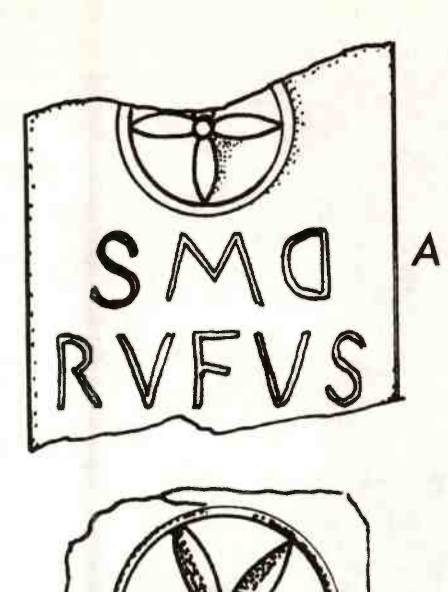




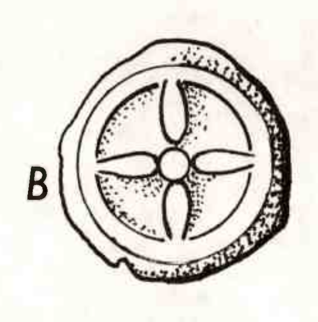


رموز نقدية: قطعة الى اليمين الصقت بحائط صخري لصخرة معلقة في غرب اركانساس. وأشير الى الموقع بطريقة المزاح من قبل جلوريا فارلي (الى الشمال) كفرع غرب اركانساس للمصرف الايبيري الكبير، بيد أنه اتضح فيما بعد، بان الاسم لم يكن مع ذلك بعيد الاحتمال. يظهر في الصورة الاستاذ نورمان توتن. (تصوير: مارك توتن Mark Totten).

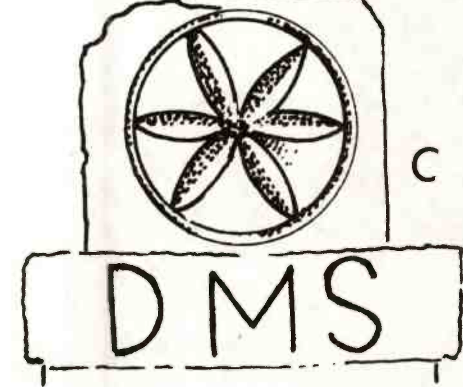
الصفحة التالية: امثلة منقوشة للقطع النقدية: A و C على شواهد أضرحة أبيرية للفترة الرومانية. وتظهر تصميمات مشابهة (Numoglyhs) على شواهد أضرحة رومانية بريطانية، وكنتيجة لاحقة لاحياء الاهتمام بالمواضيع الكلاسيكية في القرن السابع عشر، ظهرت كذلك على شواهد الاضرحة الاستعمارية في نيو انجلاند. B، D، E، F، G، قطع برونزية رومانية واتروسكية مبكرة أخذت عنها التصميمات المنقوشة. وكما يبدو فان التصميم يرمز لـ «بنس لشارون Penny For Charon» وكان يوضع في الاصل ما بين فكى الجثة قبل الدفن، كما هو في الشكل H، ليزود الميت باجرة من يتولى نقله عبر نهر ستيكس Styx. وغالبا ما توجد بالمقابر الرومانية، في بريطانيا هذه القطعة النقدية، كما في H، بيد أن هذا لم يلاحظ في أمريكا حتى الان.



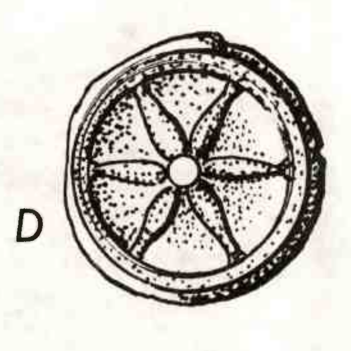

A



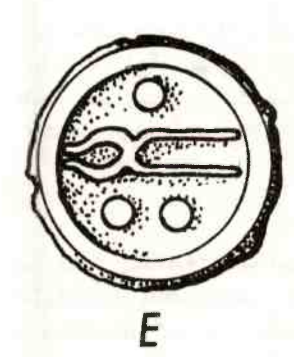
B




C



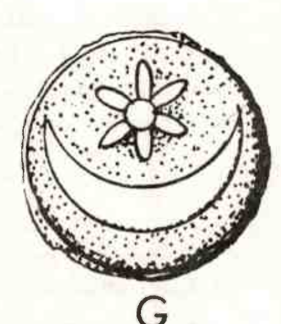
D



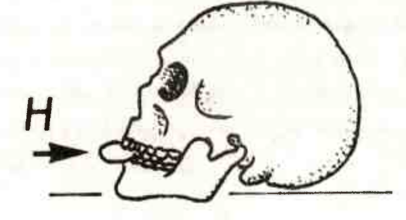
E



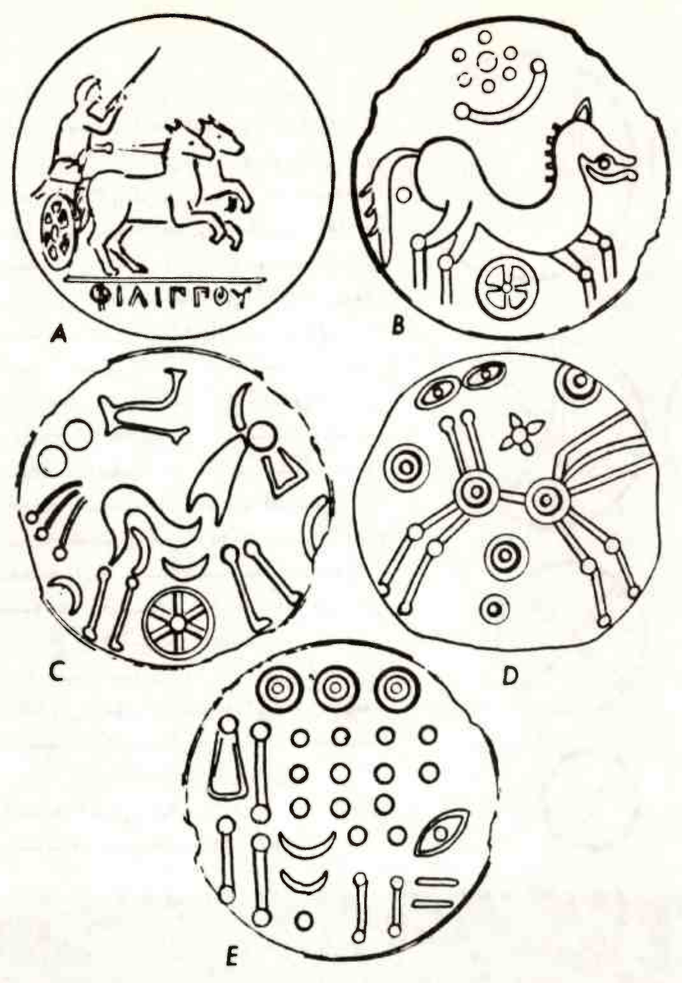
F



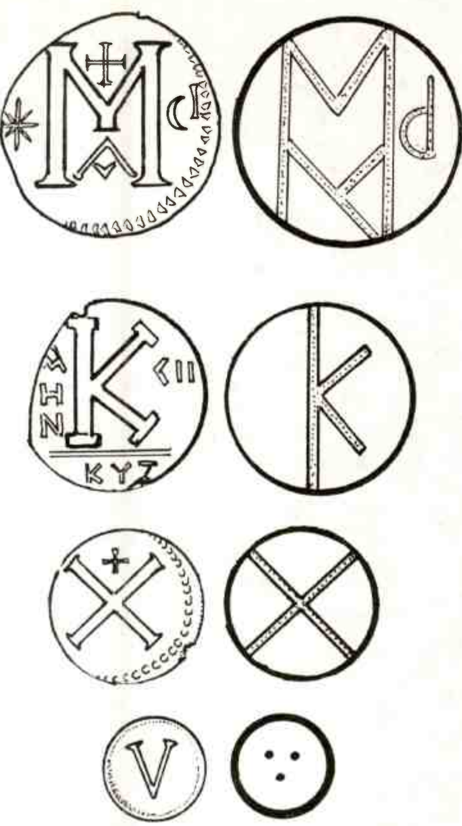
G



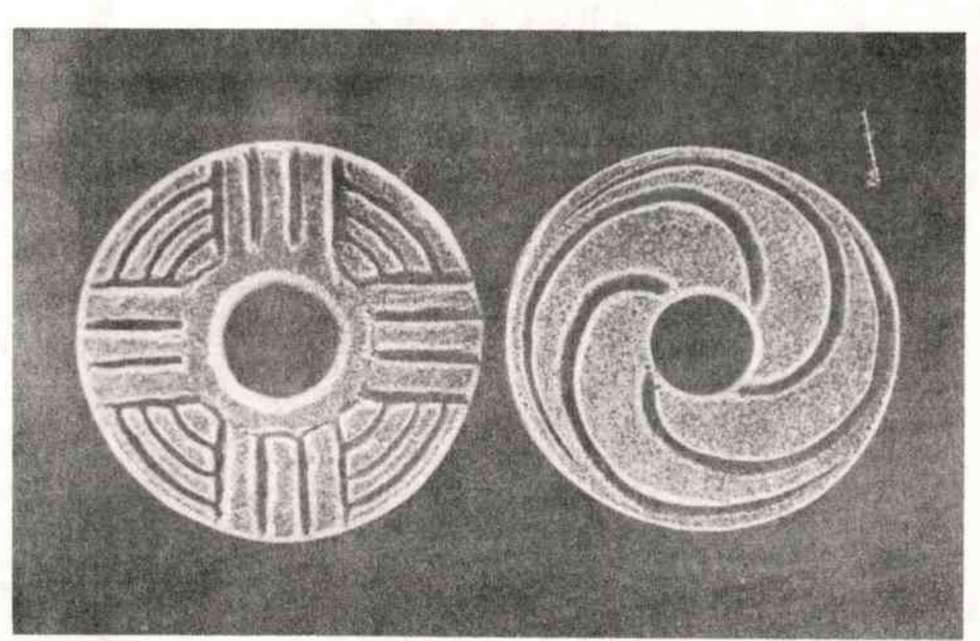
H



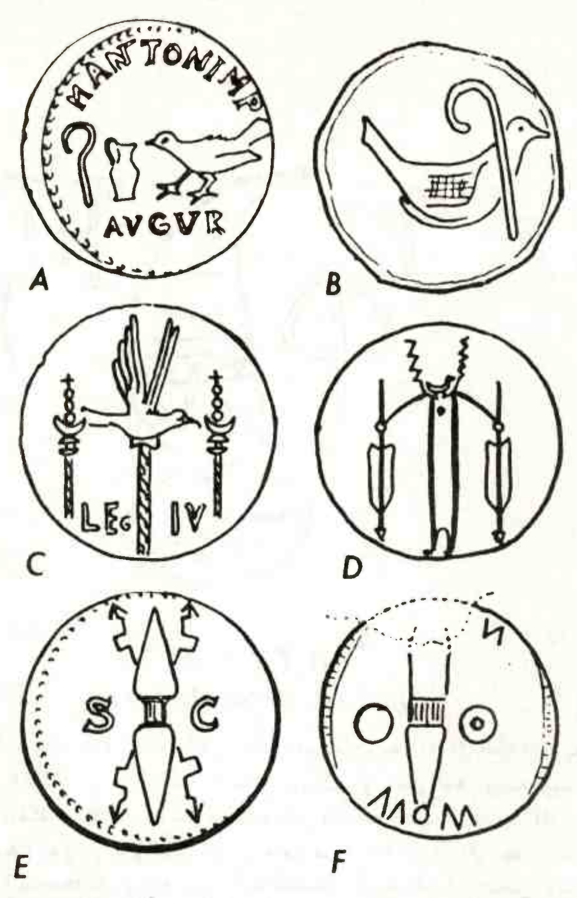

نسخ كلتة بريطانيا تشبه أعمال بيكاسو لتصميم قطع نقدية إغريقية. أو «تحطم مركبة Chriot» خمس مراحل حول لها تصميم ذو الاعنة Charioteer لفيليب المقدوني Macedon، الى قطع غيار من قبل فنانين كلتيين في بريطانيا من غير اليونان. A- دينار ذهبي صدر في مقدونية في القرن الرابع قبل الميلاد، وتداول بالحداد كبيرة في أوروبا الكلتية. B- تقليد كلتي أصدر من أجل المحافظ تداول القطع النقدية المعدنية بعد أن توقفت الامدادات من اليونان، واختفى سائق المركبة كسحابة من الغبار وتدحرجت عجلة تحت الحصان الباقي. وانفجر الحصان في السك التالي للعملة، C- واتخذ وابل الشظايا وضعاً غير منظم كما في D. ووجد الفنان الاخير، E، هذا الوضع مثير اللاستياء، وعلى هذا رتب قطع الغيار التشريحية بحيث تكون الجمجمة والعظام الطويلة في صفوف منظمة، ونظمت المفاصل على نحو مماثل، ووضعت عين وضلعان من أسفل اليمين، في حين صفت ثلاث عجلات على نحو أنيق من الأعلى: وقد عجز علماء الاثار والدارسون للقطع النقدية البريطانية في فهم معنى الانماط الغريبة على القطع النقدية البريطانية القديمة الى ان تحث اعادة تركيب في التسلسل. ولم يتم التحقق من أن القطع النقدية قد جاءت من اليونان القديم الا بعد جمع شامل ومقارنات متبادلة. وحدثت كوارث مشابهة لمثل اعمال بيكاسو لتصميمات القطع النقدية الرومانية على أيدي الفنانين الامريكيين الاوائل.




«تصحيحات تروس» (العمود الأيمن) لقطر متناقص وجدت في مواقع لنقوش على الصخر NM 50 و NM 233 في أعلى نهر ريو جراندي Rio Grande بكولورادو. وإلى اليسار توجد قطع نقدية معدنية نحاسية لأباطرة بزنطية في القرن السادس والسابع، وقد ضربت في الاسكندرية ومدن أخرى، ورتبت طبقا لتناقص الحجم والقيمة، ويدل الرمز M على ١ فولي Folle، و K، نصف فولي، و X، ربع فولي، وأما V، فانه ثمن الفولي. ويبدو من الواضح أن تصميمات امريكا الشمالية تقوم على أساس مباشر بهذه القطع النقدية النحاسية البزنطية ذات القيمة المنخفضة، وانه من المحتمل أنه هذه القطع النحاسية قد كانت متداولة في المستوطنات الليبية في الجنوب الغربي. ومن المرجح أن النقوش الصخرية لا تمثل تصميمات تروس. بل هي بقايا لاعلانات عامة (أو رسومات مدرس) تشرح القيم النسبية للقطع النقدية. (سجل المعلومات: إ. ب رينود E. B. Renaud ١٩٣٦-١٩٤٠، وفسرها: فيل). بعض العملات من العميد روبرت فينسينت، أوكلاهوما.

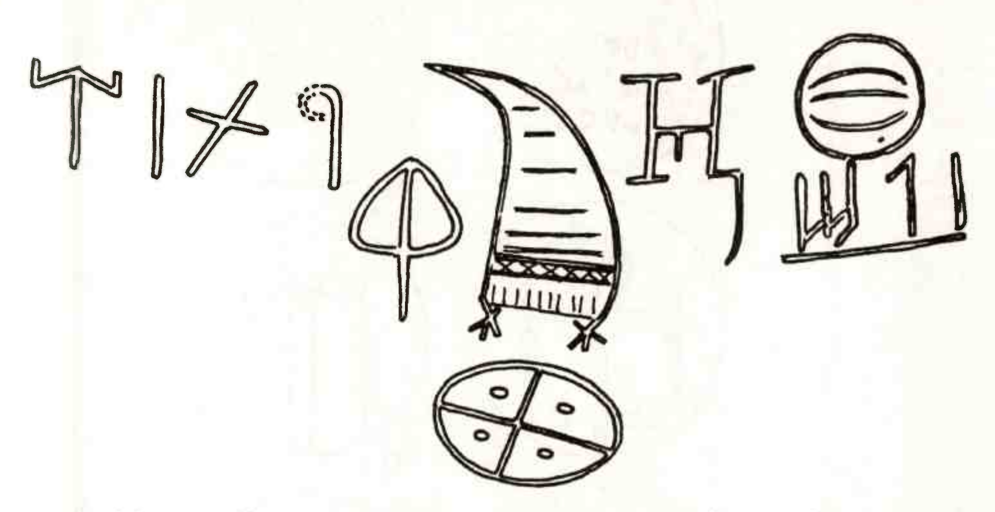


أقراص حجرية من كتل سبيرو، ويبلغ قطرها حوالي ٤ بوصات، وكانت مغلفة من الأساس بطبقة نحاسية رقيقة.




North American reflections of the Roman civil war and the triumph of

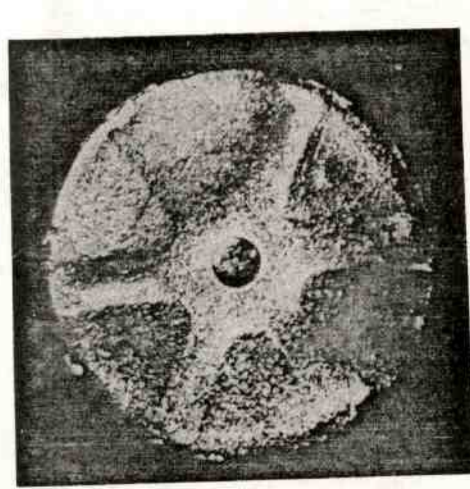
إنعكاسات الحرب الأهلية الرومانية وانتصار أوكتافيان Octavian، في أمريكا الشمالية. المزيد من رسومات العملات في النقوش الصخرية، من الجرف الايبيري بوايومنج قرب مونيتا. وتظهر «نقوش الترس» التي تعذر تفسيرها حتى الان. الى اليمين. والتي يمكن التعرف عليها انها تطوير مبسط لثلاثة قطع نقدية رومانية كانت متداولة في الفترة من ٥٠ قبل الميلاد الى حوالي ٢٠ بعد الميلاد. أن القطعتان المعلونتان، الى الشمال، فتعودان الى مارك انتوني Mark Antony، A- تظهر شارة منصب العراف Augur (والذي تولاه عندما كان يشغل منصب ناطور، أو قائد)، C- يصور ألوية الفيالق. ومن B، احتفظ الفنان الدايومنجي بالاداة المعقوفة Lituus (والتي يحدد بها المنجم الجزء الخاص من السماء الذي يريد ملاحظته للتنجيم وفقاً لاتجاه الطيور اثناء طيرانها). كما احتفظ أيضاً بالطائر، ولكنه أهمل الوعاء الخزفي على انه لا حاجة له في حياة البداوة لرحالة صياد. حيوانات الفراء: وفي D- احتار فنان وايومنج في أمر الصورة باكملها رسمها على صورة كان خارق للطبيعة. استبدل رأسه بالنسر الروماني. E- إصدار مبكر لأجوستوس Augustus يصور صاعقة جوبيتر، ويدل الحرفان SC على إصدار برونزي صادق عليه مجلس الشيوخ أما F- فهو تفسير فنان وايومنج، وتحول SC الى O، من حيث اصبح نموذج الاضاءة المتعرجة خطأ حرفي V و N. وتعتبر هذه آخر الاصدارات التي ظهرت بموقع وايومنج، ومن المفروض أنها تصل بالتاريخ الفعلي لقيام فرع وايومنج للمصرف الايبيري.



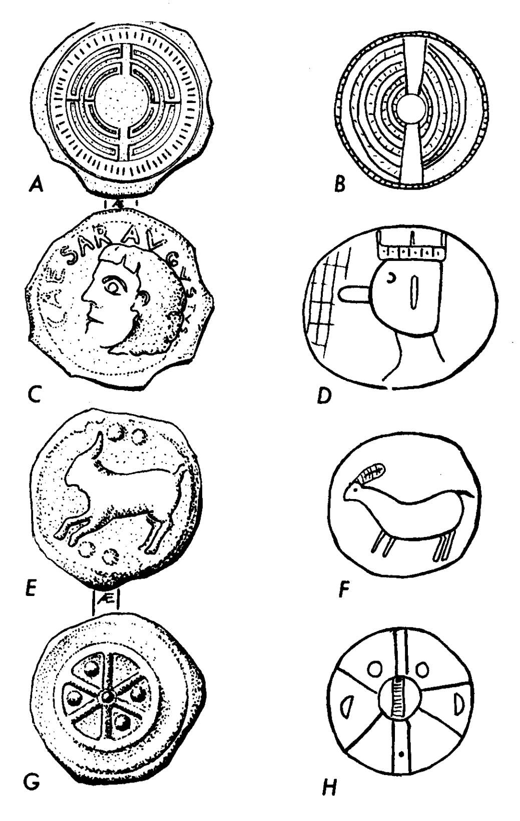
M–N–D–R "PH-TH-A-EI" N — S–G—N

BANK "The first to reach here" NO USURY

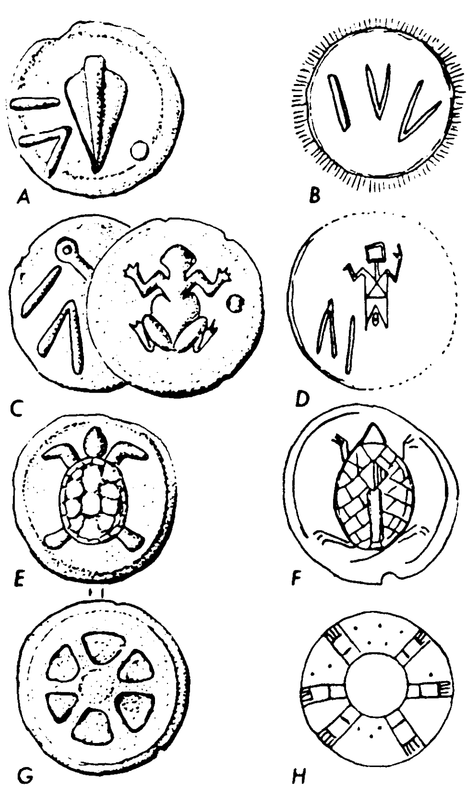
العلامة التجارية أو بالقرمدة المنقوشة، في موقع وايومنج، مونيتا. الى اليسار، تهجء حروف إيبيرية الكلمة الغيلية Gaelic القديمة تعني صراف، أو ـ فن التعبير الحديث ـ مصرف. وإلى اليمين، فان الكلمة المقصودة، على ما يبدو، هي الكلمة الغيلية القديمة التي تفي تعني دون فائدة، أو ربما بدون ربا (التي ليس اكثر من ٢/١٢١). وفي الوسط، تشكل الحروف الاغريقية phi، alpha، theta و eta لغزاً لمحفظة النقود تفرع نقوداً في صحن. وتعني الكلمة المكتوبة «[لقد كان] أول من حضر الى هنا» على غرار الاستخدام الحديث لكلمة «الاول» من أسماء المصارف.



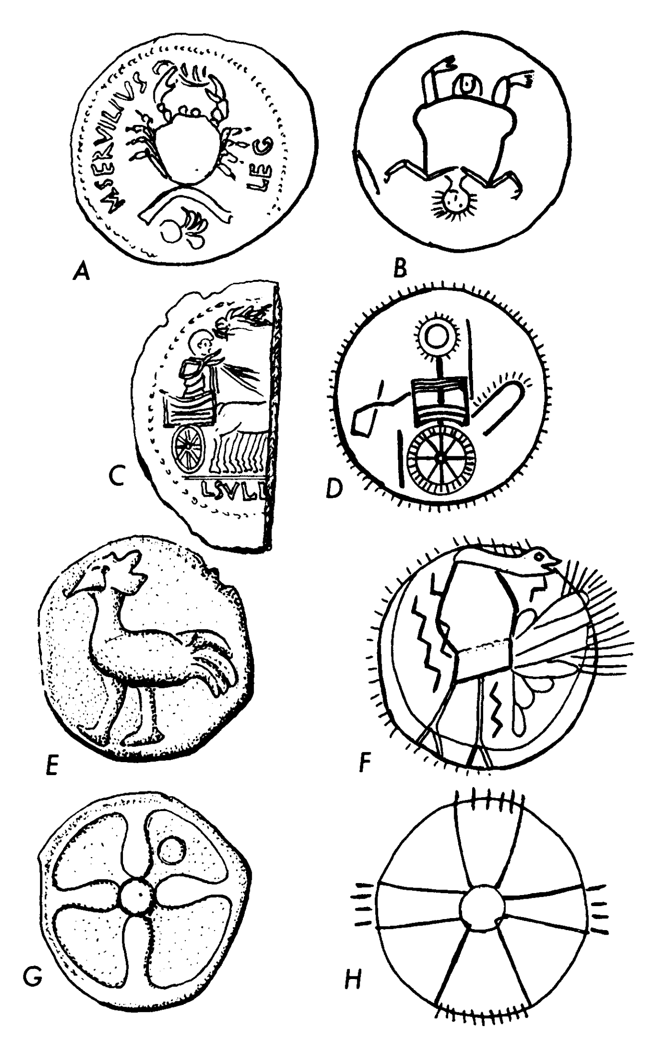
قرص خزفي وجد في تربة محروثة بكلنتوود Clintwood، في ولاية فرجيني، مطبوعا بقالب برونزي دائري أيبيري أو أوروبي من نمط ضريح ليس Aes، ولعله كاد يستعمل كعملة رمزية على شكل عجلة. (تصوير: ميخائيل بول هينسون Michael Paul Henson).



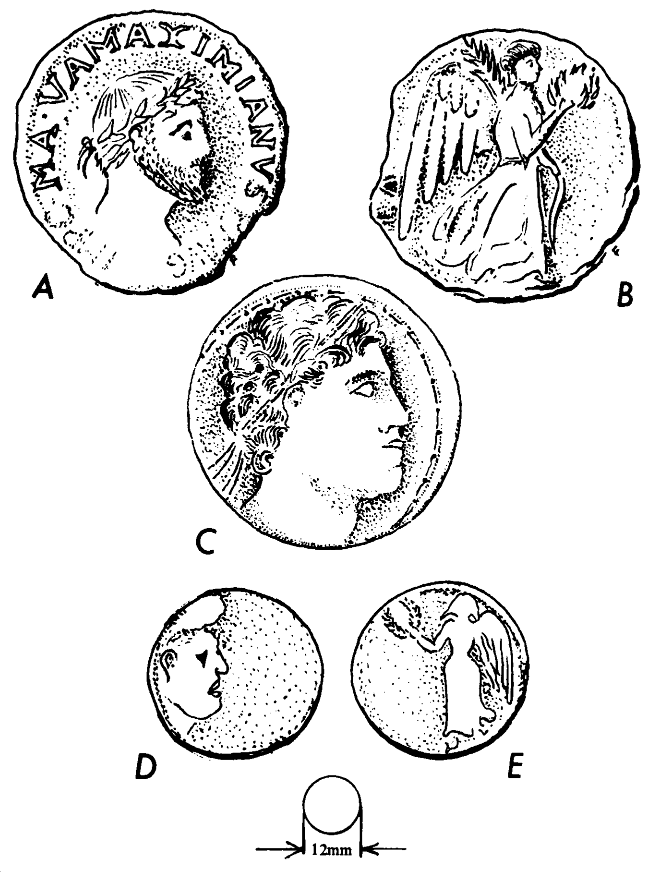

ان التأثير الباقي للكليتيين البرتغاليين في أمريكا الشمالية يبدو في هذه الاصدارات، المعروضة في موقع مونيتا حصرت الايبيري. ان المدنية الكلتية التاريخية ايفيوم، والتي كانت قد قدمت النموذج الاول للنقود الرمزية الاستعمارية التي سكت في أوهايو (أنظر صفحة ١٥٧) في القرن الثالث قبل الميلاد، تبدل إسمها ناجم كلاكيس Salacia بعد الاحتلال الروماني. لقد ضرب كلتي سلافيا سلسلة هامة من العملات البرونزية اثناء عهد اغسطس (٢٧ قبل الميلاد - ١٤ ميلادية) تحمل بالاضافة الى الصورة المعتادة غير المتقنة نوعا ما لاغسطس مع ألقابه على الوجه، تصحيحاً مميزاً على نحو بارز على الظهر يصور مبدأ سكلتياً شمسيا قديما، أودائرة درويدية. وتظهر هنا في الشكلين C و A، وقد رسمت من أمثلة أيبيرية للقطع النقدية. وتبدو بموقع مونيتا للآثار الايبيرية من وايومنج النقوش الصخرية المطابقة الموضحة في الشكلين D و B. ويبدو ان تصميم B- أم شيء مشابه من عملات أخرى من سلافيا ومن النموذج الأول للعديد من الدوائر الشمسية لـ «العجلات العلاجية» بوايومنج والأقاليم المجاورة من كندا والولايات المتحدة. الا «صورة» الامبراطور، كما رسمت من قبل نقاش وايومنج تتفق مع التقليد الكلتي العريق من بريطانيا وأيبيرية، أي عن التماثيل النصفية الكلاسيكية الى انماط كاريكتوري ساخرة كخطوة أولى نحو شكل ما من مسخ لا يمكنه التنبؤ به أبداً. لقد وصف عالم الآثار، الذي كان أول من اشار الى D، الى أنه «نوع من رمز للشمس مع تصميم كقضيب كرجل»، وأن القضيب هو أنف الامبراطور. أما الاثنتان الأخريان وتقليدهما في وايومنج، فانهما جزء من سلسلة ايطالية برونزية أبطلت بعد الحرب البونية الثانية. وهما القطع النقدية الاخرى التي وصفت بالموقع، قد وصلتا الى امريكا الشمالية عن طريقة أيبيرية.



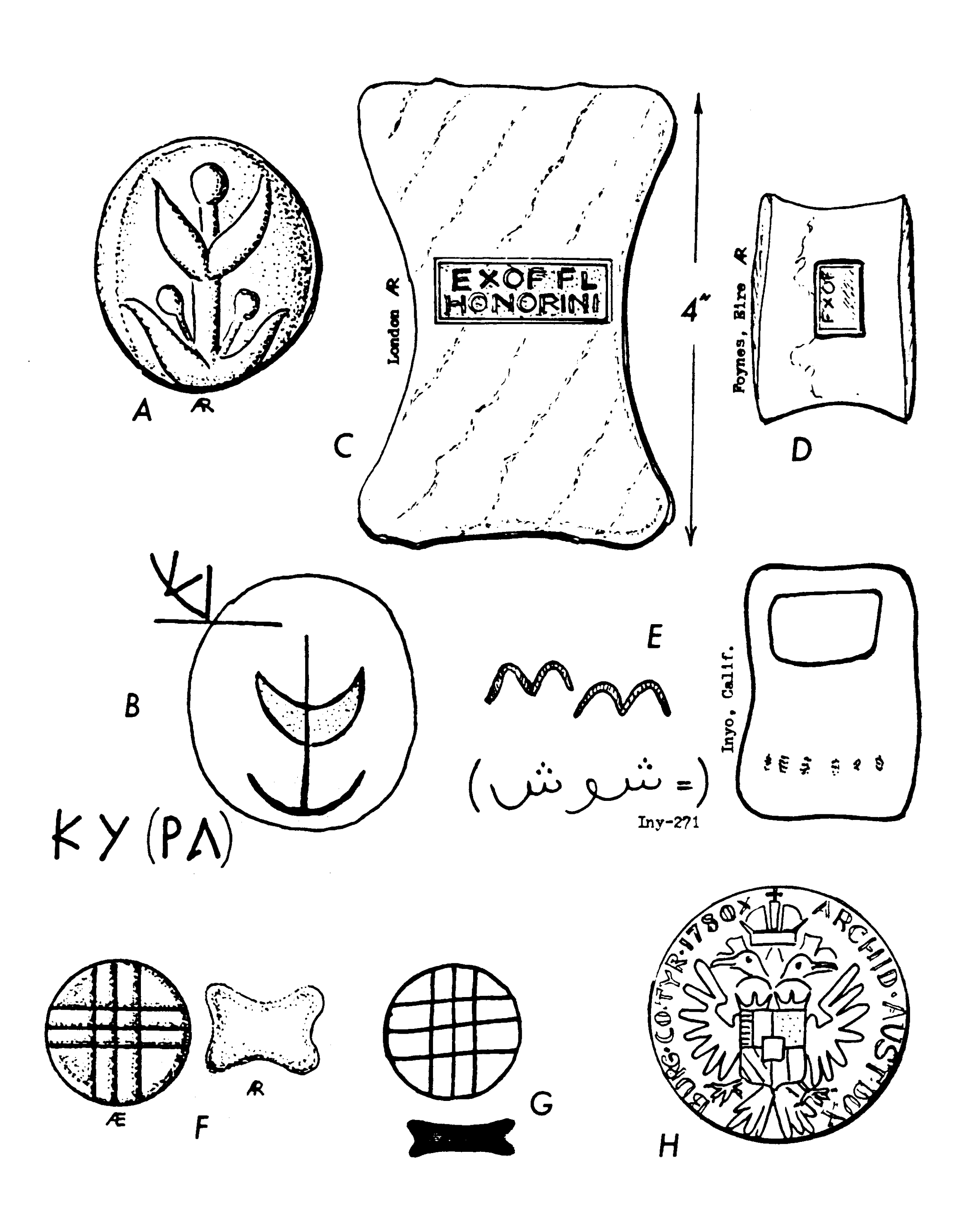

رسم لعملات ايطالية تاريخية عثر عليها في موقع مونيتا بمصرف وايومنج. وعندما أشرفت الحرب البونية الثانية على الانتهاء، حوالي سنة ٢٠٥ قبل الميلاد، وضع الرومان جيشيه للاحتلال باسبانيا التي أصبحت عندئذ مستعمرة رومانية. وكان الجنود في معظمهم من المجندين من كامبانيا Campania ومن مقاطعات ايطالية أخرى كان يسيطر عليها الانروسكيون سابقاً وكان إصدار الدينار denarius الفضي الجديد للدفع اليومي للجذري الروماني يعني أن العملات البرونزية الآسية Aes الثقيلة القديمة قد أبخست قيمتها اذ أصبحت القيمة الاسمية لعشر قطع برونزية مساوية لدينار واحد. وطبقاً لقانون جرشام Gresham، أن العملات الايطالية الرديئة لم تعد متداولة وبيعت كسبائك برونزية للايبيريين. وأصبحت هذه العملات في ايبيريا قطع مقلدة أصغر منها صنعت في اسبانيا والبرتغال ـ عملة استعمارية إضافية، وكانت تحدد قيمتها الشرائية طبقا للأحوال المحلية. ان النقوش الحجرية على الجانب الأيمن وهي جذء من المادة الدعائية بوقع كاسل جاردنز Castle Gardens (مونيتا) بوايومنج، تظهر بأن المصرف الايبيري بوايومنج قد استقدم العملات الايطالية الملغاة إلى أمريكا الشمالية، وأصبح كل اس AS أو (بنس) الان يساوي فرائي من فرائن القاقوم ermine. والى اليسار نعرض أمثلة للعملات البرونزية الايطالية، والتي كانت بمثابة نماذج للعملات الايبيرية ونظائرها الامريكية. وتظهر آثار النقوش الايطالية الاصلية في الامثلة D و B من وايومنج وهي على أساس العملات C و A للمدينة الايطالية اجيوفيوم Iguvium. ومن المعروف أن كلتي الشمال الايطالي أيضا قد قاموا بتقليدات غير متقنة للقطع النقدية الايطالية من هذه الحقبة، ومن الممكن أن تكون بعض هذه النماذج الموجودة في النقوش الحجرية بوايومنج هي مثل هذه القطع النقدية. وكانت اللغة التي يتحدث بها عملاء مصرف مونيتا اللغة الكلتية، وعلى هذا فقد يكون بعض من هؤلاء المستوطنين من أصل كلتي ايطالي.




كان الانذهال رد فعل رسام وايومنج حيال بعض المواضيع التي تظهر على القطع النقدية الرومانية ـ الايبيرية ففي الشكل B، يظهر سرطان النموذج الروماني الشكل A، ولم يكن معروفاً في وسط القارة، شخصاً بدنياً اثناء وقوفه على يديه. وفي الشكل D، تصبح نصف العربة لبه الشمس الغامض، اذ حيث لا توجد خيول، لا يمكن أن تكون هناك عربات ذوات عجلات . وفي F، ويصبح ديك العالم القديم لقطعة برونزية ايطالية ديكاً رومياً، متعرض لصعوبة كبيرة في ملائمة أطرافه الكبيرة في حدود قرص دائري الشكل. وفي H، تصبح عجلة العربة ما يشبه مخالب متقاطعة. إن جميع التصميمات على الجانب الايمن هي نقوش حجرية من موقع مونيتا بمصرف وايومنج الأ يبيري. أما تلك التي على الجانب الايسر، فقد رسمت من قطع نقدية للجمهورية الرومانية ومن قطع لكامبانيا. وفي الغالب ما تشطر الامثلة الايبيرية الى «قطع نقدية صغيرة» أو الى «قطع» كما في C.




قطع نقدية معدنية اغريقية ورومانية وكلتية عثر عليها في التراب الامريكي. A و B، سبائك فضية (خليط من الفضة والنحاس) قطرها ١٩ مم سكت في عهد الامبراطور ماكيسميانوس الاول Maximianus في الاسكندرية، عصر، في سنة ٢٨٨ ميلادية، ووجدت في حقل محروث بارض شيرولي في مقاطعة روبنسون Robinson Conty، بشمال نورث كارولانيا، سنة ١٩٥١، من قبل جيري مينور. B وتظهر على الوجه المقابل A صور الامبراطور، أما الجزء الخلفي منها فيظهر في الالهة نيكي Nike (النصر Victory) وتقرأ الاشارتان الى اسفل اليسار «السنة ٤» (من العهد) وتدل على سنة ٢٨٨ ميلادية. C- قطعة نقدية للملك الاغريقي انتيوخوس الرابع Antiochus (١٧٥ـ ١٦٤ قبل الميلاد) حددت في سوريا. وعثر عليها خلال سنة ١٨٨٢ في أرض زراعية في مقاطعة كاس Cass Conty بولاية ايلينوي. وأرسلها الطبيب المحلي الى الاستاذ ف. ف. هيلدر F. F. Hilder الذي قام بتحديدها. أما الشكلان D و E، فهما الوجه والخلف لقطعة نقدية كلتية صغيرة كتقليد لقطع رومانية ضربت في بريطانيا قرب نهاية الاحتلال الروماني، أو بعد نهاية الاحتلال الروماني. عندما كانت الكلمات الواردة من المعدن محدودة. وعثر عليها في شامبين Champaign بولاية ايلينوى، في سنة ١٨٨٥، تحت عمق أربعة أقدام من الطين الذي لم يحسسه إنسان، اثناء رصيف شارع بالمدينة (قدم القينات) (A، B) العميد روبرت فينسينت وقدم العينيات (D، E) جوردن براس Gordon Pris عرف بها الاستاذ نورمان توتن (A، B)، الاستاذ ف. ف. هيلدر (C) المؤلف (D، E).

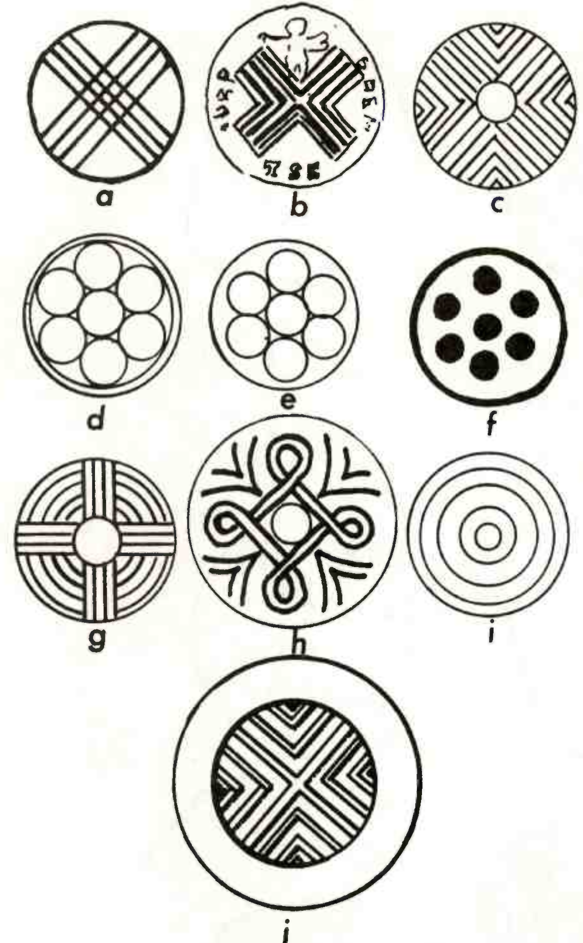


A
C
EXOF FL
HONORINI
London
4"
Poynes, Eire
FXOF
D
B
KY(PA)
E
(شوش =)
Iny-271
Inyo, Calif.
F
G
H
1780
ARCHID·AUST·DUX
BURG·CO·TYR

قبل وقت طويل من بدء فيض العملات البرونزية الرومانية والايبيرية في الانتشار في امريكا الشمالية كتلبية طلبات تجارة الفراء النامية، كان المكتشفون والمشتوطنون الليبيون قد استوطنوا في كليفورنيا ونيفادا، محضرين معهم القطع الفضية المشهورة لشحات في شرم ليبيا والتي رسم عليها نبات السلفيوم Silphium، وهو مثال (من ليبيا) مشار اليه هنا بـ A، ويرجع تاريخه الى القرن الخامس قبل الميلاد. وتظهر نفس القطعة النقدية في نقش حجري بنيفادا، في جامعة كاليفورنيا، الموقع ٦ Hu، بالقرب من باراديس فالي Paradise Vlly، مقاطعة همبولدت Humboldt County، كما هو واضح في الشكل B، ويحمل هذا النقش الحجري الحرفين الاغريقيين Kappa و Upsilon ويمثلان KURA وهي اختصار لاسم شحات، كما يرد في القطع النقدية. الا انه سرعان ما اكتشف المستوطنون الليبيون ثروة نيفادا المعدنية، وأستغلوا مناجم الفضة، كما تدل على ذلك النقوش الحجرية. وكان من نتيجة التضخم المالي ان انتهى تداول القطع النقدية البرونزية، وحلت محلها كتل السبائك الفضية، كما يبدو في الشكلين E و G، وكلاهما من جامعة كاليفورنيا، الموقع Iny 271، مقاطعة اينيو، بولاية كاليفورنيا.

سبائك فضية، بخلاف السبائك البرونزية، تحمل الختم المستطيل لمكتب تحليل المعادن، كما يظهر في المثل الروماني من لندن الموضح بالشكل C، والامثل الايرلندي من فولينيس Foynes الموضح بالشكل D. وتظهر العلامة المستطيلة على نقش أنييو E، والى جانب نقش السبيكة يظهر الحرفان الليبيان (والاغريقيان) S-S وتنطق بالعربية الليبية Sh-Sh (حذفت حروف العلة). في اللغة العربية الحديثة Shishi ـ وهي الجذر لكلمة تعني عينة من التحليل، ولا زالت شوش Shush تستخدم في العربية السعودية كاسم للنقد القديم ماريا تيريسا Maria Theresa الفضي، كما هو في الشكل H. إن نقد ماريا تيريسا من الفضة الخالصة، ومعترف به في الجزيرة العربية كعملة عالمية ثابتة إذ أنه في الواقع سبيكة صافية. وترد الكلمة العربية الحديثة «شوش» عند E تحت الحرفين الليبيين المقابلين.

إن دروب الغرب الحديث في لندن روما، بروكسل وبومبي و ـ بالصدفة الجديرة بالملاحظة ـ سان فرانسيسكو، ما زالت تضرب الشوش وهو يحمل دائماً تاريخ ١٧٨٠، كما هو في H، للتعامل التجاري مع اثيوبيا والجزيرة العربية. وعلى هكذا فان النقش الحجري في مقاطعة اينيو، بولاية كاليفورنيا، هو السلف الذي مضى عليه ٢٠٠٠ سنة، لنفس القطعة النقدية الفضية التي لا زالت تضرب أحياناً، الى اليوم بسان فرنسيسكو. ويحمل الموقع Iny-271 تمثيلات أخرى للقطع النقدية، كما هي في G، وهي سبيكة وقطعة نقدية دائرية، معلمة بشبكتين الخطوط المتقاطعة، يتكون كل منها من ثلاثة خطوط. وكما هو في F، فان النمط ذاته يبدو في القطع الرومانية ـ الايبيرية للقرن الاول قبل الميلاد. (A- رسمت من مجموعات متحف طرابلس، C- في المتحف البريطاني، القسم الروماني ـ الكلتي، B، E، G- من هيزر وبومهوف ١٩٦٢، D- عن ماكاليستر Macalister، ١٩٧٧، متحف إيرلندا، H- من عينات من الجزيرة العربية من مجموعة فيل، F- من مجموعة فيكتور كاتالا Victor catala دن مالاكيردى موتي Malaqur De Motes من جامعة برشلونة Barcelona ١٩٦٩).




قطع نقدية وأشياء تشبه القطع المعدنية، من أيبيرية، وبريطانيا وأمريكا الشمالية. a- قطعة نقدية ايبيرية مبكرة تعود الى القرن الاول قبل الميلاد تولد تصميما كلتيا ايبيريا أقدم منها «نقود العجلة». b- قطعة نقدية رومانية أيبيرية تعيد نفس النمط. j- قرص ذهبي بنفس النمط اكتشف في يوبايون لوفي بارو Upon Lovell Barrow، بانجلترا. c، d، e، g، h، i، انماط لاقراص حجرية، كانت في الأصل مغطاة بلوح رقيق من النحاس لتحليل نقود العجلة، من سبيرو ماوند، بولاية أوكلاهوما. f- نقش حجري في نيفادا يصور نقود العجلة.



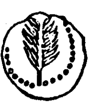
تقليد خزفي لقطعة نقدية من ايفيا Evia عثر عليها في أوهايو في ثمانينيات القرن التاسع عشر، وأعتقد لوقت طويل بأن تزوير «حجر عبراني مقدس» ويرى النقش في الرسومات التوضيحية التالية. المعلومات من الاستاذ روبرت الروتز Alrutz Robert من جامعة دنيسون Denison، عرف بها فيل. (تصوير النموذج: بيتر ج. جارفل).




قطع ايفيا النقدية، A ، C ، D ، مع تقليد تقطعة خزفية نقدية من أمريكا الشمالية B . وفي كل حالة يقرأ النقش ODACIS EVIOM (نقود ايفيا) بيد أن المثل الايبيري الأصل من ايفيا تكتب حروفه باللاتينية وايبيرية عكسية، في حين أن نسخة أوهايو مكتوبة بحروف اغريقية عكسية. إلى أسفل E ، نقود رمزية حجرية منحوتة، من تنسي (تراسكون Truston ) وتقرأ في النقش الليبي W-F-Y-Y, L-J-W (وبالعربية، Wafi ýaya lajiw ، يتعهد المستوطنون بفك الرهن). F- وجد النقش على قرص نقود حجري ٤ أقدام في كرانستون Granston في رود ايلاند Rhode Island ، من قبل روبرت رينزولي Robert Renzulli ، عام ١٩٧٨ ، وتقرأ من اليمين إلى اليسار H-L-N (وبالعربية، نقود hulwan ، بقسيش). أما الكتابة فهي من شمال ايبيري.

## EVIA

Series 1

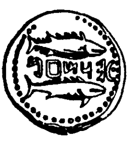



oo = 2 = sextans
ꝟ4ꝺ = i v E




Co = 6 = semis

Series 2
Roman

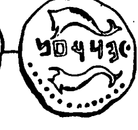



Co = 6
ODACIS = currency

Celtic copies














2. America
Ohio

ceramics



SIKDO
MOIBE

تتابع محتمل للقطع النقدية بايفيا، في جنوب الترتغال، مع نسخ كلتية نسخت في البرتغال وأوهايو: علامات القيمة بالنظام الايبيري البدوي، وهو النظام الذي اتبع في فترة لاحقة في نيفادا، وهي تدل على ٢ انسياي unciae ـ سدس آس As و ٦ أنسياي (نصف آس أسوسيمس Semis). كان الاس البنس الروماني القديم، ويزن أوقية قبل التضخم المالي. اثناء الحروف البونية والتي أدت الى تخفيض كبير في الوزن.

والآن يعرف عن الكثير من هذه النسخ الرديئة للنقود الرومانية عن طريق الحفريات في أسبانيا والبرتغال. وكانت كل مدينة كلتية وأيبيرية، التي سبق وأن سكت نقودها الخشنة (مقلدة عن نماذج اتروسكية أو كامبانية بايطاليا) مخولة بالاستمرار في السك في عهود الولاة الرومانيين، نظراً لعدم استطاعة روما نفسها، في بداية الأمر، انتاج الفيض النقدي اللازم لسد حاجات الامبراطورية النامية. وعندما استمر احتلال أسبانيا والبرتغال ابان القرن الأول بعد الميلاد، حدد أوغسطس امتياز السك على أن تحمل النقود الجديدة صورته (أو تقاطيع متبربرة تحتها عبارة سيزار أوغسطس (Caesar Augustus) لتميزها كي لا تبدو أقل جلالة). ثم سرعان ما اضطلعت روما بأغلب السك، وألغى كاليغولا (Caligula) امتياز السك للمدن الأيبيرية. وبعد ذلك، عندما أسس المحاربون القدامى الرومانيون مدناً في أسبانيا، أعيد منح امتياز سك العملة. ان النقود المرسومة في موقع كاسل غاردنس من الانتاج القديم أي منذ عام ٢٠ق.م وهو بكل احتمال تاريخ انشاء «مصرف وايومنغ الفرعي الأول» (Bank of Wyoming First National) وكانت نسبة التبديل مبينة على أحد الرسوم: اثنان من ابن عرس (Weaseis) يساويان قطعة واحدة من البرونز اسمها أس (AS) وتمثل بقية الرسوم معادلات الكثير من أشكال النقود منها الآس الكبير، ثم بديله المتأخر المقتبس من الدينار (Denarius) الروماني.

إن هذا العرض المصور للعملة المتداولة في أمريكا كان يرمي لتنوير صياد الفرو وغيرهم من المتعاملين مع المصارف الأيبيرية من حيث قيمة النقود بالنسبة لبعضها البعض، من ناحية، وبالنسبة للجلود من ناحية أخرى، ويمكن تشبيهها بجداول الولاة وأمثالهم من الحكام في مستعمرات القرن التاسع عشر حيث كانت النقود الأجنبية هي بالعملة الوحيدة المتيسرة الى جانب السندات المالية المحلية، فمثلا في هاواي سنة ١٨٦٧ لما كانت الولاية تدعى جزر ساندويتش (Sandwich) كانت تسري نسب التبديل التالية:

| | |
|---|---|
| قطعة نابوليونية ذات ٥ فرنكات فرنسية، تساوي: | دولار واحد |
| دبلون ذهبي بوليفي وشيلي | ١٥ دولار |
| نسر الولايات المتحدة | ١٠ دولارات |
| استرليني انجليزي واوسترالي | ٤ دولارات و٧٥ سنتاً |
| قطعة ٢٠ دولاراً كاليفورنياً | ١٩دولاراً و٥ سنتات |
| قطعة ٥ دولاراً كاليفورنيات | ٤ دولاراً و٥ سنتات |

وفي نفس السنة صدرت عدة جداول مشابهة من طرف السلطات المستقلة حينذاك في نوفا اسكوشيا ونيوبرونزيك ونيوفادند لاند والادارات المختلفة في جزر الهند الغربية. وحتى في ذلك التاريخ المتأخر كانت الدولارات الفضية نادرة لدرجة أن استعملت بدلها قطع الثمانية ريالات مكسيكية في الجزر والولايات التي كانت العملتان الأمريكية والبريطانية ساريتين بها رسمياً واضطرت ادارات الجزر أن تستمر في إعادة قطع النقد المكسيكي الى أنصاف وأرباع أو الى أثمان حتى تتوفر الفضة في قطع صغيرة. ففي جزيرة جامايكا البريطانية وانتيغوا وغيرها. عرفت أقسام الدولار الصغيرة بالقطع (Bilis) وكان يحتوي الدولار على ٩ أو ١٠ أو ١٢ وحدة منها، حسب الجزيرة ومدى العوز للنقد.

و يمكننا أن نتكهن بأن نفس المشاكل نشأت في أسبانيا القديمة وفي أمريكا. فلقد أبرز لنا الثرى الأ يبيري عدة أمثلة من النقود الرومانية مقطوعة الى نصفين. وتحتوي التصميمات المرسومة في بعض الرموز المصورة الأمريكية، على نصف فقط من نمط نقدي روماني معروف. والظاهر أن مصاعب السيولة النقدية قد استمرت دون تغيير طيلة عهود جميع الأنظمة الاستعمارية حديثة التكوين. فاذا كانت العملة الرومانية الرسمية بايبيريا ضنينة في القرن الأول من الاحتلال الروماني بعد طرد القرطاجيين سنة ٢٠٣ ق م. كما تبينه النقود المشطورة وغيرها من العملات الرمزية الاضطرارية، فان المشاكل قد امتدت عبر المحيط. لأن المعمرين الايبيريين الكلت كانوا يشعرون بالحاجة المتزايدة بسرعة لفروهم في السوق الرومانية المضطردة الثراء والبذخ بغنائم الحروب. وايبيريا نفسها، الفقيرة في النقود، كانت المصدر الوحيد للنقود بالنسبة للمهاجرين الذين أسسوا المستعمرات الأ يبيرية في أمريكا. ثم زد عن ذلك، عندما ازدادت الاتصالات الثقافية والتجارية بين الأهالي الأمريكيين الهنود والمعمرين الأ يبيريين، وهم في طور الاندماج فيهم، ظهرت حاجة جديدة للعملة لمساعدة التجارة الداخلية بين المستوطنات الأمريكية.

نعلم من سجلات باقية لقضايا ترافع فيها ديمو ستينيس بأن المصارف اليونانية كانت تعمل بالطريقة المسماة في بريطانيا بالقرون الوسطى «تمو يل رحلة مقابل رهن السفينة» (Bottomry) أي ما معناه أن صاحب المصرف يقدم الأموال اللازمة للتاجر لقيامه برحلة لها احتمالات مشجعة لكن غير مضمونة وعند عودته يكون للممول حق في نصف المكاسب فاذا كانت الرحلة فاشلة أو ضاعت السفينة. يخسر

الممول رأس ماله. وقد تعلقت القضايا العديدة بغش من طرف الملاح الذي يعمد عادة لتفريغ حمولته في ميناء آخر ليتجنب دفع نصيب صاحب المصرف، أو أنه يدعى ضياع السفينة بعد أن يبيعها في مرسى آخر، فورثت روما العرف البحري الدولي للقضاء على مثل هذه الممارسات الخاطئة التي تمت بين الدو يلات اليونانية بحيث استمرت مصارفها تمول المغامرات بنفس الطريقة (Bottomry). والظاهر أن أغريق كاتالونيا أدخلوها في أسبانيا ثم أسسوا فروعاً لمصارفهم في المستعمرات الأ يبيرية في أمريكا.

وفي جنوب شرق أسبانيا، استقر معمرون أغريق قدامى في كاتالونيا وأجزاء من فالينسيا وقد ذكرت في «أمريكا ق م» أمثلة من نوع الاتفاقيات التجارية بين تجار ومصرفيين ومحاميهم، أغريق وأيبيريين. و بمرور الزمن وانتقال النفوذ من قرطاج الى روما طفق أصحاب المصارف الأغريق فيما يبدو يهتمون بالمخاطرات التجارية في أمريكا وعلى كل حال، مما له دلالته، أن يكون الاسم على أقدم لافتة مصرف اكتشفت في أمريكا على لوح فخاري وإن كانت لغته كلتية، بالحروف الأغريقية، وكأن الدار الأم للشركة هي مؤسسة أغريقية كاتالينية في حين أن الز بائن كانوا صيادين من الأ يبيريين المتحدثين بالغيلية، فأصبحت أمريكا الشمالية في الواقع مجموعة مستعمرات أيبيرية مستقلة ذاتياً على الطراز الأغريقي.

واضح أن عملاء مصرف وايومنغ كانوا يستعملون اللغة الغيلية (الغاديلية الأ يبيرية الكلتية) للتعبير الأساسي، وإلا لما كانت اعلاناتهم بتلك اللغة. ولكنه بنفس الوضوح أن أغلب العملاء أميون، وإلا لما جعلت جداول مقارنة قيم النقود بالطريقة الايضاحية المصورة. وأعتقد أن كلا من الأهالي الأمريكيين الهنود والكلت من البرتغال وأسبانيا وأحفاد المعمرين الأ يبيريين الكلتيين الأ وائل لنيوانجلند، مع زوجاتهم وأبنائهم، كونوا المجتمع القديم من صيادي الفرو يات الذين تجمعوا في مونيتا للتعامل مع المصرف. الوضع يبدو مشابهاً في أساسه للوضع في مطلع القرن التاسع عشر بعد أن فتح «ممر أوريغون» (Oregon Trail) وأخذ قناصة الفرو يفدون من كل صوب للتلاقي مرة في السنة بسوق الفرو في وايومنغ من حيث تشحن الجلود الى الخارج.

عندما وصل لو يس (Lewis) وكلارك (Clark) الى الباسفيك في أوريغون وجد الهنود هناك يعرفون بعض الكلمات الانجليزية الطريفة فاستنتجا أنهم قد تلقوها عن تجار فرو يتحدثون الانجليزية كانوا يأتون بحراً، حسب قول الهنود، من الجنوب

الغربي، فيشترون كل ما وجدوه من جلود و يقلعون عائدين من حيث أتوا. فاستنتج الدكتور جون باكليس (John Bakeless) الدارس للو يس وكلارك، أن أسواق تلك الجلود كانت في الصين، حيث كان التجار يقايضون شحناتهم من أوريغون بالحرير ثم يتوجهون الى أوربا لبيعه.

ومما له دلالته، أن تكون الرسوم المستديرة المنقوشة في كاليفورنيا ونيفادا بمثل الأشكال الموجودة على نقود صينية قديمة من أسرة هان التي كانت معاصرة للجمهورية الرومانية وأوائل الامبراطورية كما أنها تمثل أيضاً نقوداً صينية قديمة لأسرة سانغ،. بحيث أنه يبدو من المحتمل جداً أن الهيكل الاقتصادي لتجارة الفرو بأجمعه في الأزمنة الكلاسيكية مشابه كل الشبه مثيله في القرن التاسع عشر. فكان أصحاب المصارف يمولون العملاء ليشحنوا الفرو غرباً وشرقاً لتزو يد البحر الأبيض المتوسط والصين، وقد كان الطلب كبيراً إذ لم تكن البيوت عادة مدفأة جيداً وكان الأثرياء الرومان يحبون مثل الأيبيريين الدعة المترفة. وكان فصل الشتاء في الصين بارداً وخاصة في المناطق التي أنشئت فيها العواصم القديمة والحديثة، ولم تكن الصين قادرة ذاتياً على استجابة الاقبال على الفرو بمجهود القناصة المحليين، فكانت هناك حاجة للاستيراد فزودتهم أمريكا بالبضاعة.

ان فكرتنا بأن أمريكا قبل ٢٠٠٠ سنة كانت غير معروفة، خاطئة من أساسها. إن كانت بالعكس مجال تبادل تجاري رائج تأتيه السفن من الساحلين وكانت أهم بضاعتها للتصدير الفرو والجلود.

ولم يكن موقع كاسل غاردنس، ذلك المركز المصرفي القديم المكتشف، بالطبع الوحيد. و بكل احتمال كان الموقع بآركنساس الغربي، الذي أسميته مع غلوريا فارلي مزحاً «مصرف ايبيريا الكبير» شيئاً من ذلك القبيل ــ ولو أن الكتابات جد مقتضبة تجعلنا نكتفي باعتبار الموقع كمركز تعامل مصرفي ــ. ومما له دلالته أن نجد في أركنساس الغربية، نقداً قرطاجياً عن طريق جسي راي كيلي (Ray Kelley Jesse) الكاشف للمعادن. وربما كان موقع اركانساس الغربي مصرفاً قرطاجياً أسبق. أما نقوش كولورادو التي تطابق النقود البيزنطية، فقد تدل على وجود مصرف بالقرب، كان يتعامل بالعملة الشرقية ابان العصور الوسطى، العربية منها والأغريقية، إذ، كما سيبين في فصول قادمة، تكثر النقوش بالأغريقية البيزنطية والعربية الاسلامية، وجميعها ظنت علامات هندية منحنية.

وبمتابعة تنقل النقود الرومانية الغامضة عبر أمريكا. جاوزت مجرى التاريخ باهتدائي الى المواقع على الساحل الغربي حيث أسس الليبيون مجموعة بحرية. وهي مستوطنات رواد بحار كانوا يتاجرون مع ممالك الصين والهند. وقد قاموا بذلك منذ القرن الثالث قبل الميلاد كما تعلمنا نقودهم.

وقبل استئناف قصة الساحل الغربي التي تحتاج. كتوطئة الى رواية كيفية اكتشاف الساحل الغربي وتعميره، هناك أيضاً بعض التجاوزات بالنسبة للساحل الأطلنطي تحتاج لالتفات. هناك الكثير يحتاج الشرح حول ماذا كان الغير يفعلون بينما كانت روما منهمكة في احتلال العالم القديم. فالغزوات تعني شعوباً مزاحة عن مواطنها ومزارعين منزوعين من حقولهم. وغالباً ما تعني أيضاً أهالي جياع لاستيلاء الغزاة على محاصيلهم، وكثيراً ما يكون أولئك الناس المشردون مدخرا للعمالة بالمستعمرات النائية حيث يعمد مؤسسوها الى تشجيع المستبعدين على الهجرة ملوحين بآمال الحرية البراقة لكل من تجرأ على الانضمام إليهم لعبور البحار. ان أجداد جميع الأمريكان تقريباً شعروا بالحاجة للهروب الى العالم الجديد. انني الآن أتناول تلك الدلائل حول الموضوع بما تسمح به الآثار.



# 8

# أمريكا الملجأ

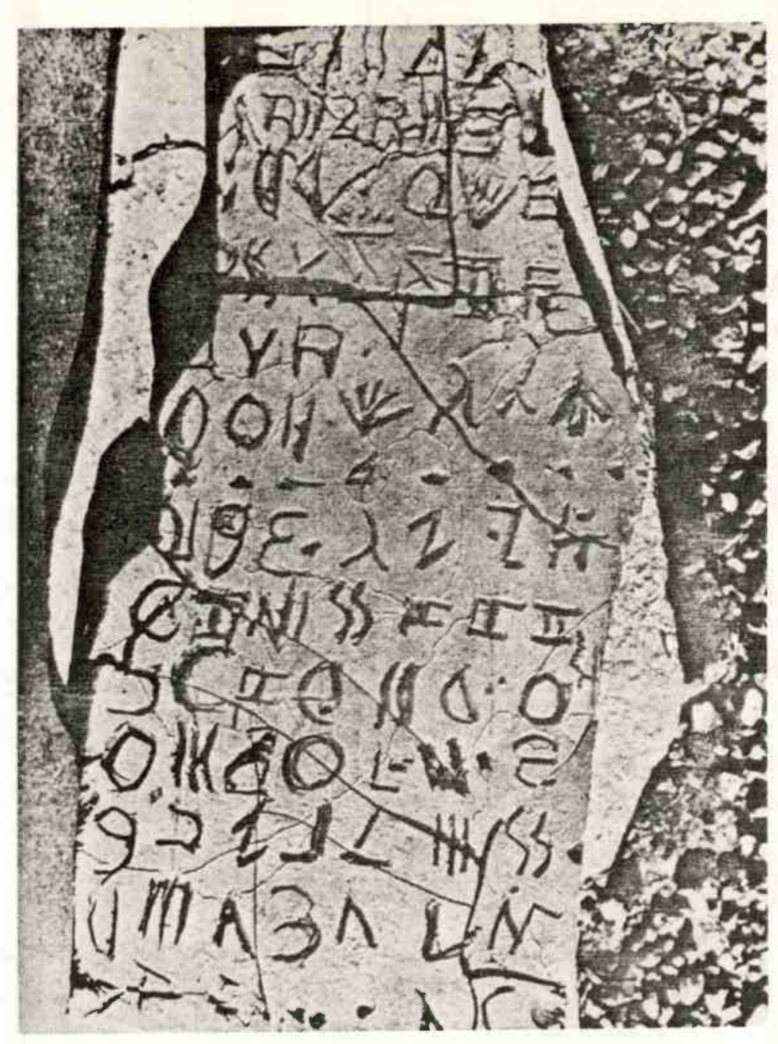
عملت أمريكا لمدة ٢٠٠٠ سنة كملجأ لمجموعات العالم القديم المطرودة من ديارها بسبب احتلال أو اضطهاد. وكمسألة لم تعرف جيداً إلا في العصر الحديث، يبدو أنها تعكس دوراً تاريخنا للعالم الجديد طيلة التاريخ المسجل، وليس بدون حق أن يحمل تمثال الحرية البيت الخالد الذي نظمته ايما لازاروس (Emma Lazarus) عندما شاهدت اللاجئين يدرعون الى الشاطىء سنة ١٩٠٣:

**أبعث بأولئك اللاجئين فوراً إلي ما دمت رافعة شعلتي على الباب الذهبي.**

تقول لوحة طينية غريبة وجدت بفج صخري بقرب بيغ بيند (Big Bend) بتكساس (الصفحة ١٨٦) بأن أتباع ذار ادشت، وهم عباد إله الشمس ميثراس، جاؤوا مرة الى أمريكا، ربما من أيبيريا، ولكننا لا نستطيع أن نجزم هل أتو كلاجئين أم لا. وأكثر منها لافتة للنظر الشواهد في تينيسي وكينتاكي، حيث أعطتنا المجهودات المجتمعة لكل من الدكتور هينريت ميرتس (Henriette Mertz) والأستاذين سايروس غوردون (Cyrus Gordon) وسايكلون كوفي (Cyclone Covey) والدكتور روبيرت ستيغليتس (Robert Stieglitz)، أعطتنا الاطار العام لهجرة يهود مشردين الى هناك بعد مذابح أنطيوخوس في سوريا، ونيرون وهادريان في روما. والظاهر أن بعض اليهود كانوا هنا سنة ٦٩م عندما حدثت أول ثورة ضد الرومان في القدس. يفيدنا المؤرخ يوسف، الذي اشترك في التمرد، بأنه خلال سنة ٦٩م بزغت نجمة مذيلة كالسيف المسلط فوق أورشاليم. أما المتعصبون فرأوا فيها اشارة مجيء المسيح الموعود فياروا، بينما يقول الفلكيون بأنه كانت عودة مذنب هالي المعتاد. و بقول حجر كشف في تينسي بكوم دفن قرب بات كريك (Bat Creek) بأن يهود تينيسي رأوا العلامة ونقشوا على الحجر «الكوكب من أجل اليهود». هناك شاقلات «عملة» عبرانية منتشرة في نواح عدة من كينتاكي ومقاطعة أركانساس المجاورة يعود تاريخها لعام ١٣٢م، وهي لا شك سجلات لاجئين أمريكان من مملكة يهودا* و يقوم حالياً الدكتور جوزيف ماهان (Joseph Mahan) بالتحري في الموضوع في إطار لغة وتقاليد القبائل الجنوبية الشرقية.

---

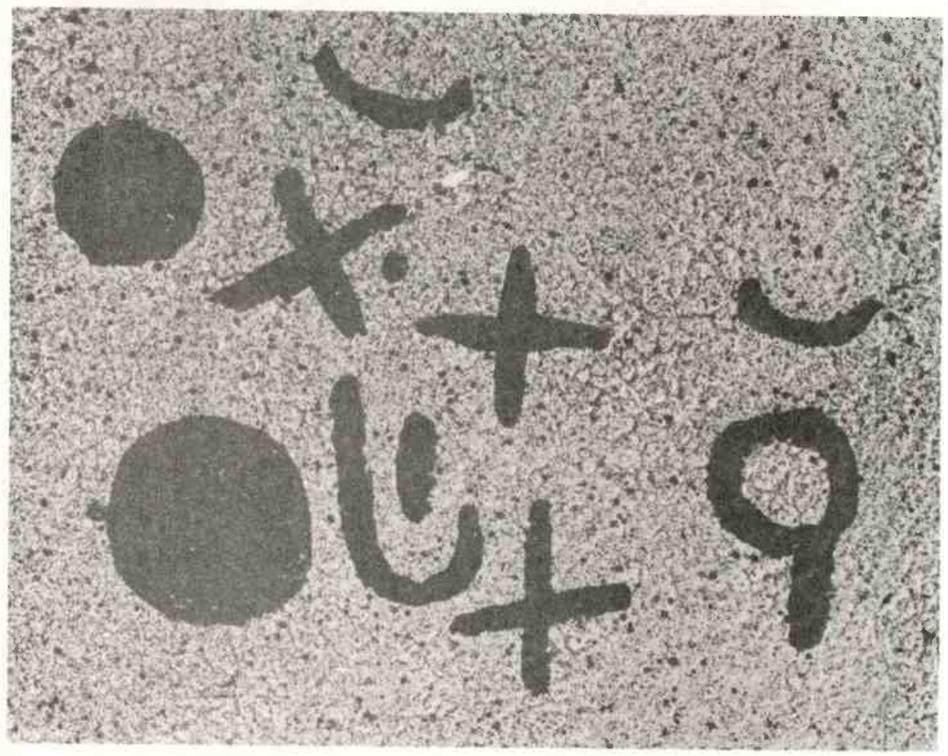
(*) صدر في وقت تصحيح هذا الكتاب، أي يونير (حزيران) ١٩٨٣، بحث بالفرنسية يفلح ببيركارناك عنوان «ليهود في أمريكا القديمة»، صفحة سلسلة «النظرة التاريخية الجديدة للناشر «دو روشيه» بامارة موناكو «Anciene Pierre Carnac «Les Juifs en Amerique.

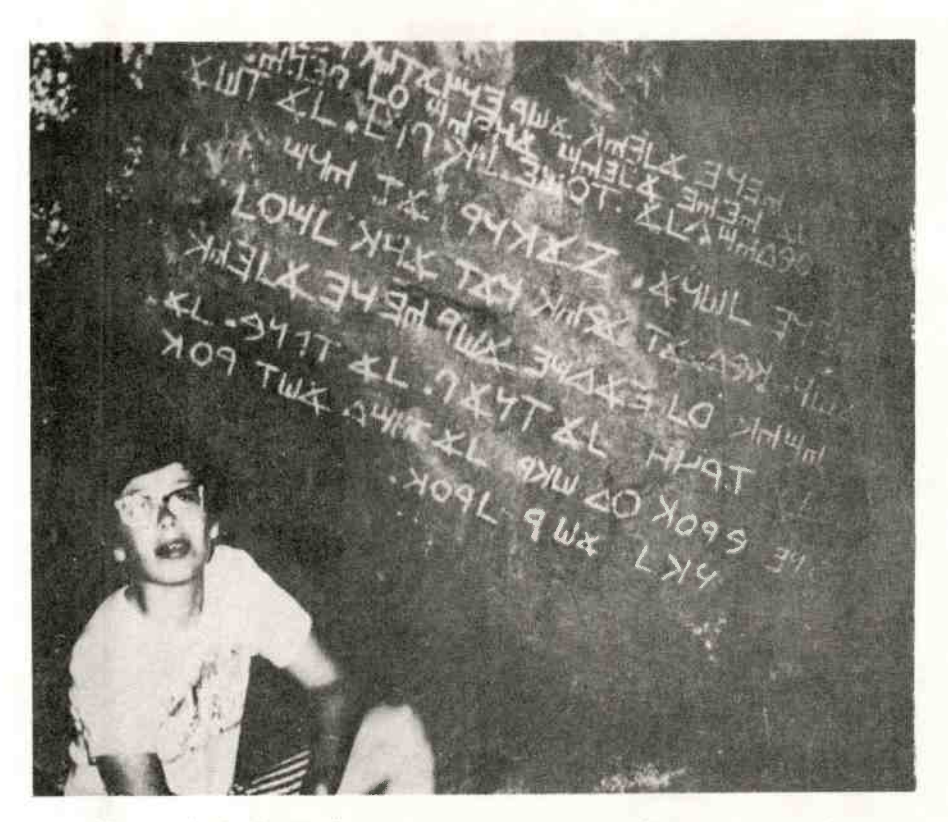


اكتشف دونالد يوزيل Donald Uzzell، خلال سنة ١٩٦٢، في صدع صخرس بمنتزه بيج بيند ناشونال Big Bend National Park، بولاية تكساس، هذه اللوحة الخزفية (مجففة شمسيا لا عن طريق النار) في احدى عشرة شظية. وهي مكتوبة اللهجة بحروف ليبية باستثناء العبارة المتكررة في السطر السادس، والذي يستخدم في البداية حروفاً ليسية Lycian ثم حروفاً ليدية Lydia ليكرر الكلمة التي وردت بالليبية في السطر الخامس («اشفنا» D-U-A). يقرأ القسم الأعلى من اليسار الى اليمين، أما الجزء السفلى، فان السطر الافقى المتقطع كتب بطريقة البطرفة، حيث يعكس كل سطر اتجاهه. وفيما يلي ترجمة تقريبية: (١) لماذا هذه المعاناة (٢) آه، يا لهذا الكرب (٣) دعوة للصلاة التاسعة والعشرين (٤) ديسمبر، السنة السادسة (٥) أشفنا (٦) أشفنا (٧) «المؤمنون محاطون (٨) بالأسى. اهدنا، يا ميتراس Mithras (٨) أرنا (٩) قوتك و (١٠) والوعد بالمساعدة (١١) كما تكشفت من قبل (١٢) أورامازادا Ahuramazda». ويبدوأن الجزء السفلى مقتبس من وثيقة ما كتبت بطريقة البطرفة. أن الجزء ورود عادة متراس Mithaism يغير الاهتمام بالنظر الى ما يبدو ان انتشار عادة متراس من قبائل الحوض الأول لنهر الميسيسيبي كما ذكر الرحالة الفرنسيون الاوائل. (تصوير: تشارلز وبرنيس نيكلس Bernice Nickles Charles and).



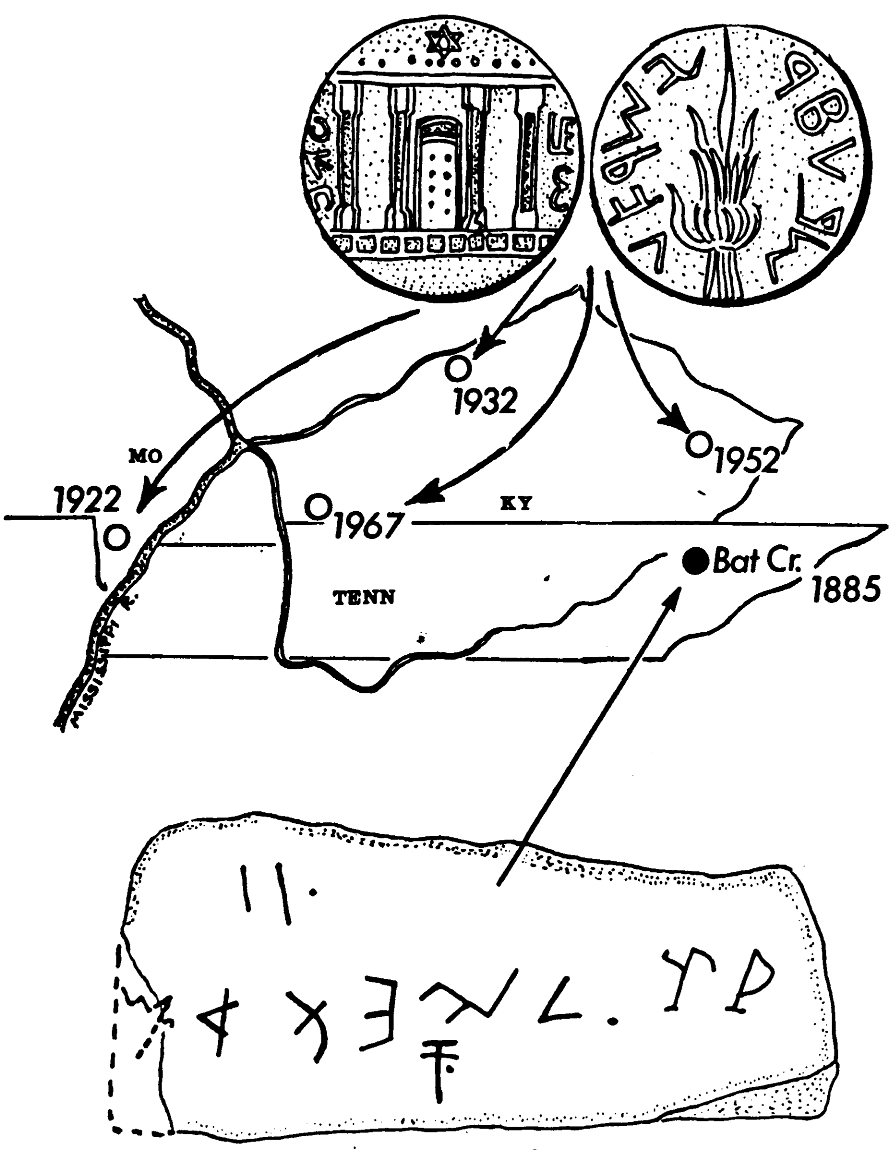
المؤرخ الاستاذ سايكنون كوفي Covey Cyclone من جامعة و يك فوريست Wake Forest، وهو الذي وجه الاهتمام الى دلائل الاتصالات مع العالم القديم في اجزاء مختلفة من أمريكا الشمالية عند طريقة النقوش والنقود والاشارات التي وردت في المخطوطات الصينية. (تصوير: ماكناب MaNab، جامعة ويك فوريست).



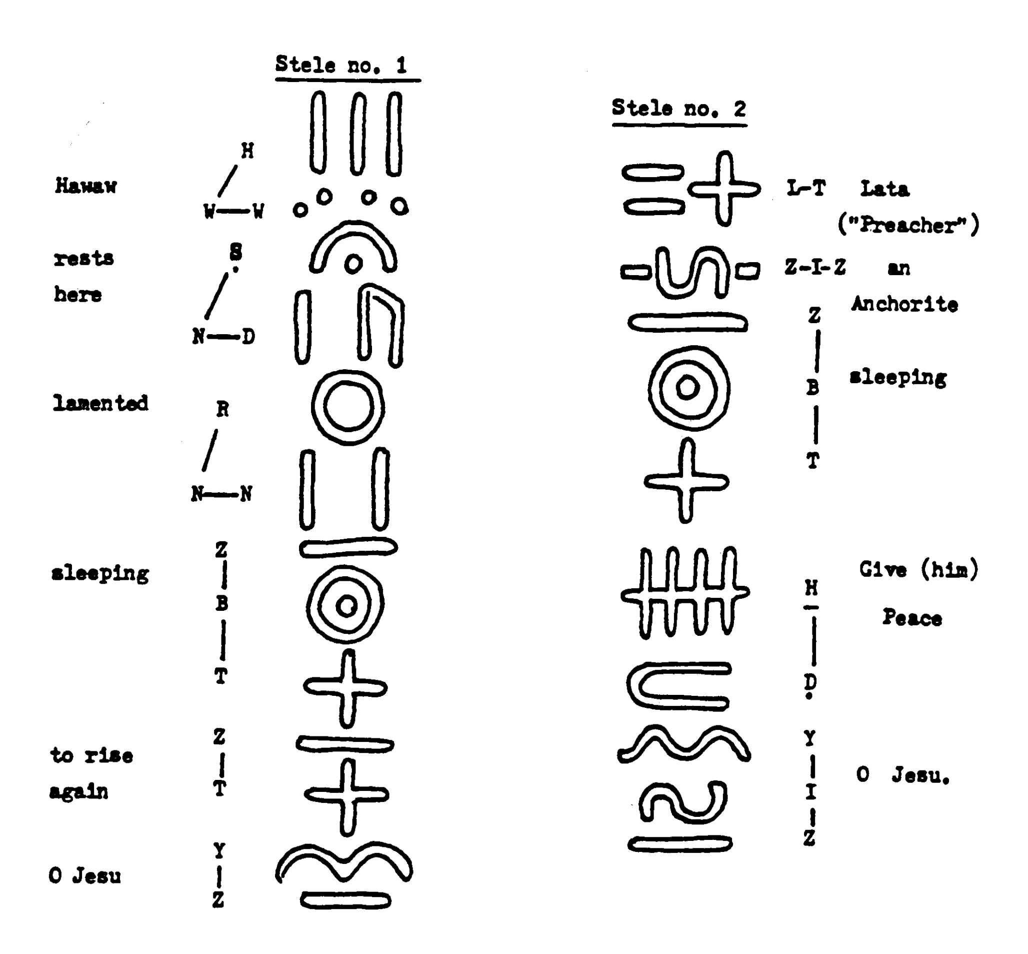


صورة مختصرة للوصايا العشر Ten Commandments مكتوبة بشكل فينيقي أو عبري قديم بتاثير إغريقي. وقد تم نقش عن طريق حك الطلاء الصحراوي الداكن. حتى يكشف على الطبقة الصخرية السفلى الفاتحة اللون، ولقد تغيرت تغيراً طفيفاً، أو لم تتغير، خلال القرن الماضي، وهي تقع في لاس لوناس Las Lunas، بالقرب من البوكوركى Albuquerque بولاية نيومكسيكو، وكانت موضوع دراسة الاستاذ الراحل روبرت بفيفير Robert Pfeiffer من المتحف السامي، جامعة هارفرد. الى اليسار مارك نوتن. (تصوير: الاستاذ نورمان نوتن).

**الصفحة السابقة:** لقد جمع ونشر هذا النقش من جبال الأندين الدكتور هانس ديسيلهوف Disselhof Hans، ومن متحف برلين للانتنولوجيا، Brlin Musum Of Ethnol، بدون ذلك رمزه. وتعتبر الكتابة كتابة ايبيري قديم، والذي تقرأ فيه علامة الصليب كدال D (بدلا ت T كما هو في الحروف الفينيقية أو العبرية). والنص هو: (١) D-D Shamas- (علامة الشمس) (٢) Q-D-S-H Shamas (علامة الشمس) وتترجم «الله هو الشمس، والشمس مقدسة» وحيث أن الكلمة qodesh (مقدس) تعتبر في العادة، كلمة عبرية، فقد يكون رمز الشمس الدائري الاسود علامة غامضة ليهوه Yahweh (رب العبرانيين) وفي هذه الحالة فان علينا ان نعتبر النقش عبرا ايبيريا.




الى أعلى: الشيقل Shekel الفي الذي صدر أثناء ثورة بني اسرائيل الثانية ضد الرومان ١٣٢-١٣٥ ميلادية، وفيها يرد اسم Simeon على الوجه (الى اليسار) وخلاص اسرائيل Israel Deliverance Of على الظهر، وتظهر المواقع التي وجدت بها هذه القطع النقدية والقطع النقدية التي لها علاقة كما في كنتاكي Kentusky وشرف أركانساس. والى أسفل: تبدو صخرة بات كريك Bat Creek من ولاية تينيسي، والتي يفترض من عثر عليها من معهد سميستون أنها تشيروكية، بيد ان جميع علماء العبرية الذين درسوها يرون أنها نص عبري من القرن الاول الميلادي. وقد قراها الدكتور روبرت ستيجليتز Robert Stielitz، من نويورك على أنها «المذنب لليهود» اشارة الى المذنب هالي Hally، والذي كان«معلقا فوق القدس مثل سيف متوهوج» في سنة ٦٩ ميلادية، اثناء القرن الأول التي بدأت في سنة ٦٨ في عهد نيرون Nero. وتشير الأدلة على ان كنتاكي وتينيسي قد أصبحتا ملاذا للمضطهدين اليهود عقب ثورات مختلفة ضد الاغريق والسوريين وضد الاضطهاد الرومان. ويقوم الكتور جوزيف ماهان Joseph Mahan بدراسة الطقوس الدينية اليهودية بين قبائل يوشي Yuchi الهندية في الجنوب الشرقي للولايات المتحدة.




نقوش قام بجمعها الاستاذ نورمان توتن من على عموديين حجريين لنصب تذكاري، لأوائل الفترة الميلادية، من الرباط، بالمغرب. الكتابة ليبية، باللغة عربية ليبية، ويشهد تاريخها تاريخ الفتح الاسلامي في القرن السابع الميلادي، وعلى أثره بدأ باستعمال الكوفي.

ما يليه الى اليسار نقش من القرن الخامس بالعربية الليبية، بواحة فقيق، في شرق المغرب، يسجل الهجرة من أجل ايجاد ميلاذ في أمريكا الشمالية للرهبان المسيحيين، فرارا من الاضطهاد الوندالي. (استلمت النقوش من: جيمس واتول، وحللها: فيل).

مايليه إلى اليمين: استمرارية لنقش واحة فقيق.

(a,b) L — q —(b) z — w — y m — l s — t — t

In the name of the hermitage of the fraternity now dispersed abroad,

l— q —(b) r-b — b — n s — r t

(b,c) and in the name of the Cross of the Divine Sacrament, by oath sworn

b—l R — z t — w — l B — l Y — Z — H — S

(c) to Christ the Lord, of the world emperor crowned Lord Jesus:

w — z h — y — h l — y b — r

(d) The Testimony of an eye-witness who has returned home (e) by ship

z — r T — th t — g — r w — t — n t — n y — d

(e,f) that put in to Teth(wan) sea port; now in his homeland a second time,

f — n — y t — ā m — h — l h — n z — l — b

(f,g) ended are the years of trouble; filled with compassion for the havoc wrought

Z — r — r — w — l m — y — y — z

(g) by the "Trousered-Men" (i.e. Teutons) of that distinguishing characteristic;

q — r h — l — l — q q W — n — t — l z — r — y

(h,i) We were struck by total ruin in the shape of the Vandals, a contemptible

Note: On account of the shape of the rock face the scribe is compelled to change direction from horizontal to vertical, and back to horizontal lines. This, in accordance with Libyan rules, causes the signs for w & l, z & n, to interchange, and other signs change their form.

d — n — n — z — y M — h

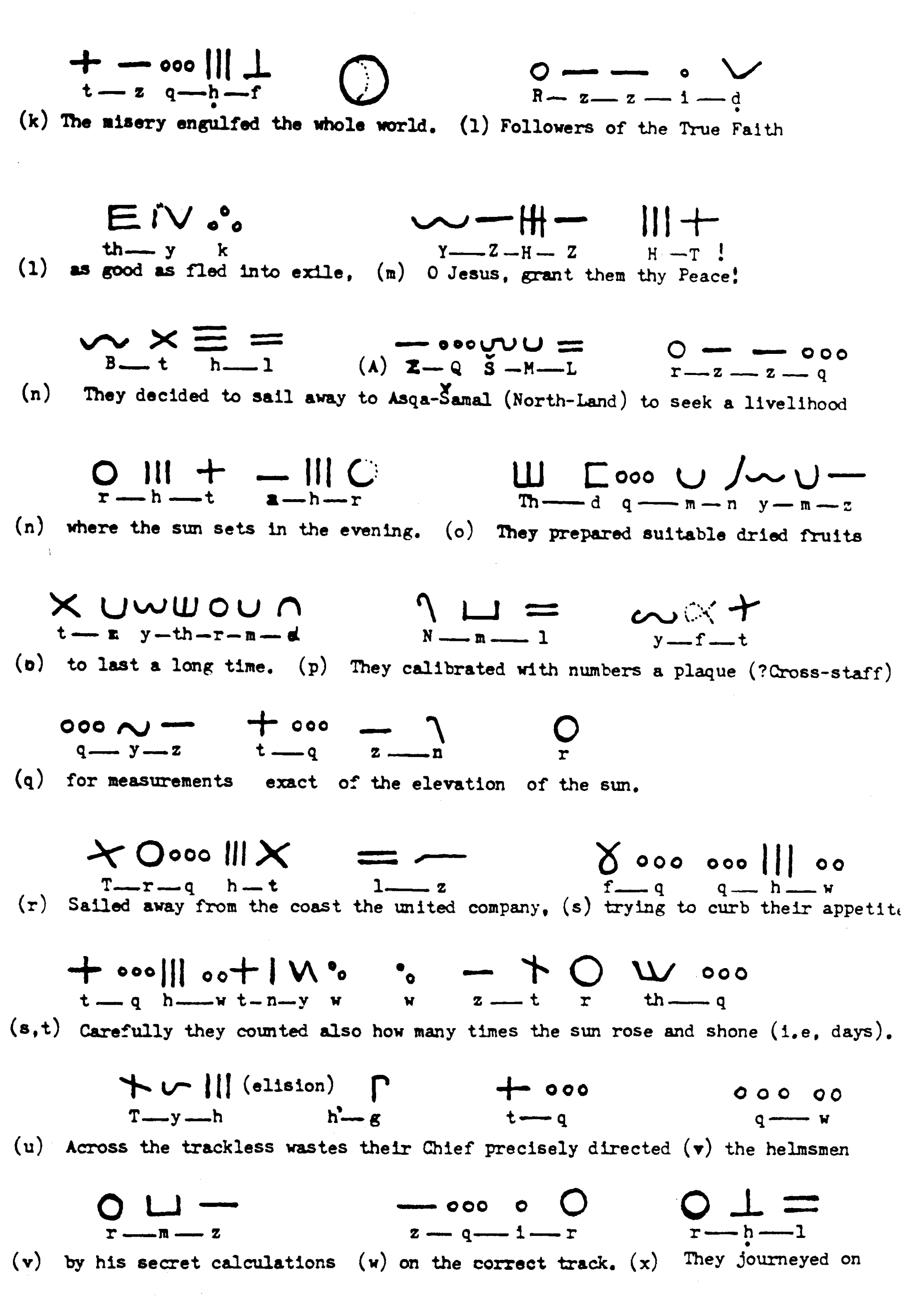
(i) race of no consequence. They destroyed

n — r w y — d — s

(i) by fire Oh how much! (j) robbing property

z — t m — n l — q — y — a g — r

(j) and stores (k) an affliction as unbearable as the cutting edge of a sword.


t — z q—h—f
(k) The misery engulfed the whole world.
R— z— z — i — d
(l) Followers of the True Faith
th— y k
(l) as good as fled into exile,
Y—Z—H— Z H —T !
(m) O Jesus, grant them thy Peace!
B— t h—l
(A) Z— Q Š —M—L
r—z — z — q
(n) They decided to sail away to Asqa-Šamal (North-Land) to seek a livelihood
r — h — t a—h—r
(n) where the sun sets in the evening.
Th— d q — m — n y — m — z
(o) They prepared suitable dried fruits
t — z y—th—r—m—d
(o) to last a long time.
N — m — l y—f—t
(p) They calibrated with numbers a plaque (?Cross-staff)
q— y—z t —q z —n r
(q) for measurements exact of the elevation of the sun.
T—r—q h — t l— z
(r) Sailed away from the coast the united company,
f— q q — h — w
(s) trying to curb their appetite
t — q h—w t—n—y w w z — t r th— q
(s,t) Carefully they counted also how many times the sun rose and shone (i.e, days).
T—y—h (elision) h'— g t—q q— w
(u) Across the trackless wastes their Chief precisely directed (v) the helmsmen
r —m — z z — q— i — r r—h—l
(v) by his secret calculations (w) on the correct track. (x) They journeyed on

q—— n n q—— r h—— m

(x) contented with their lot, far away (y) to that land, inspired with zeal.

r—— h—— (l)—— w m—— y—— d y—— m t—— g—— r

(y) They reached their destination and into the wilderness ventured. (z) The void

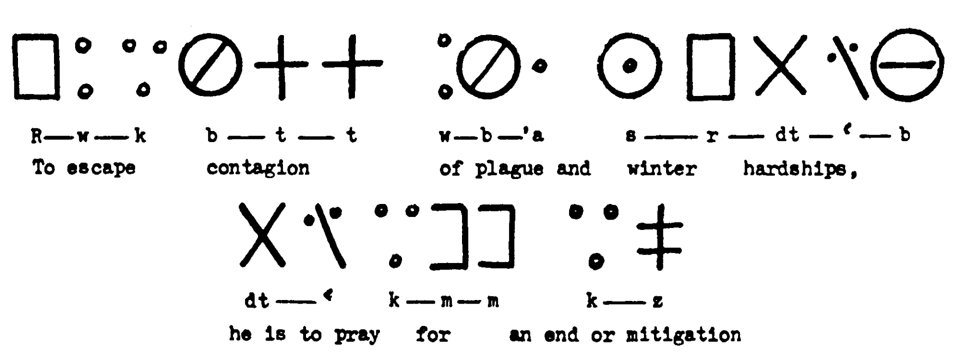
m—— w t—— k t—— t—— b z— l —h R—— g

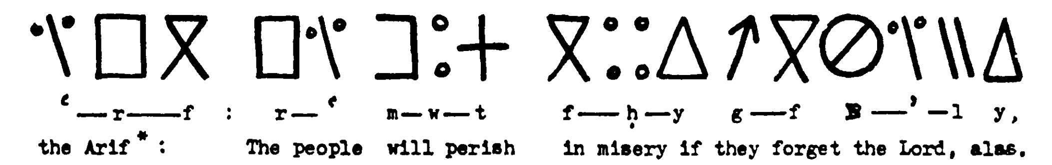
(z) of surging waves they had overcome by adhering to their plan. (A) Pray for

w—— l w—— t w—— th Y-Z-H-S.

(A) our friends, each one. Bless them (B) O Jesus!

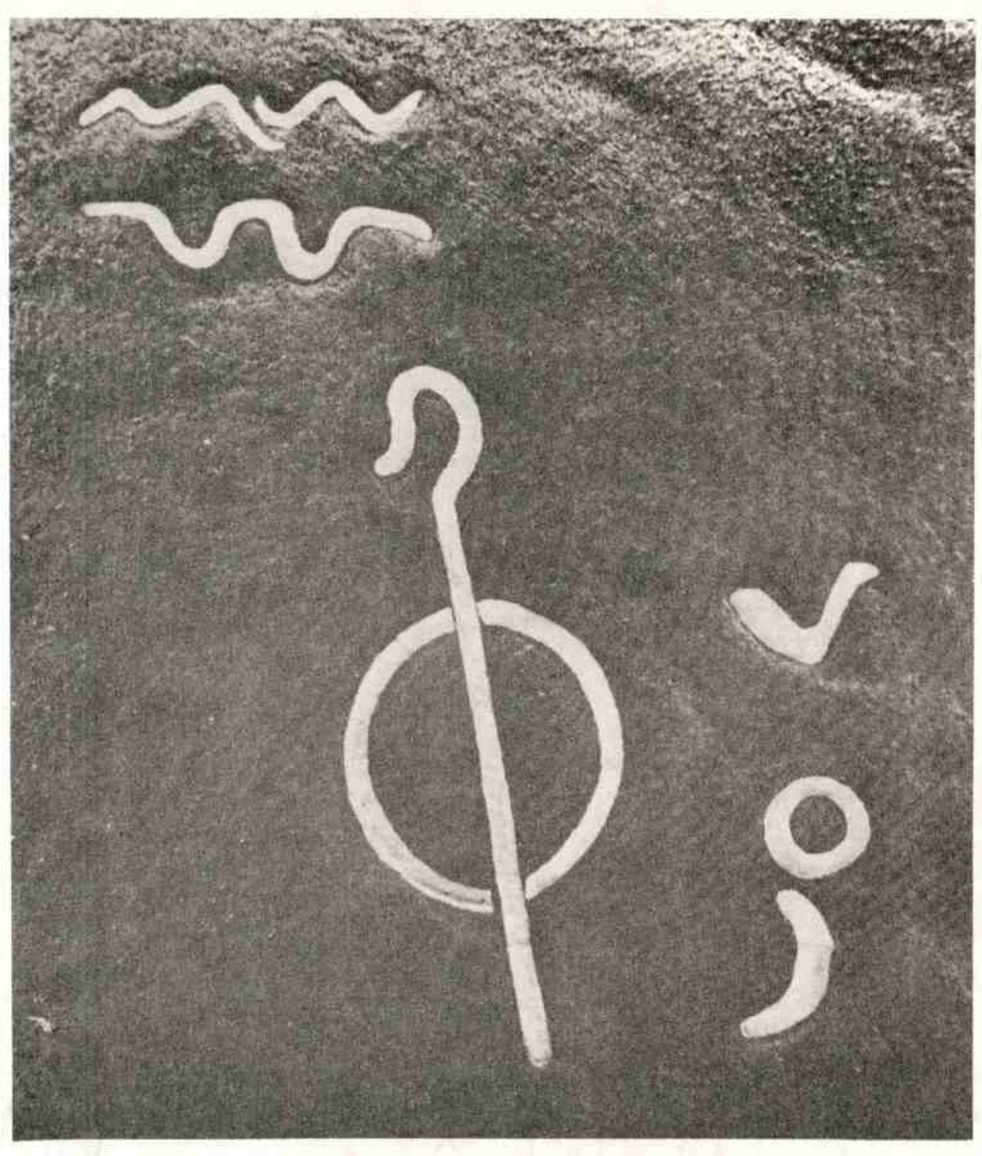
Conclusion of the Figuig Inscription.



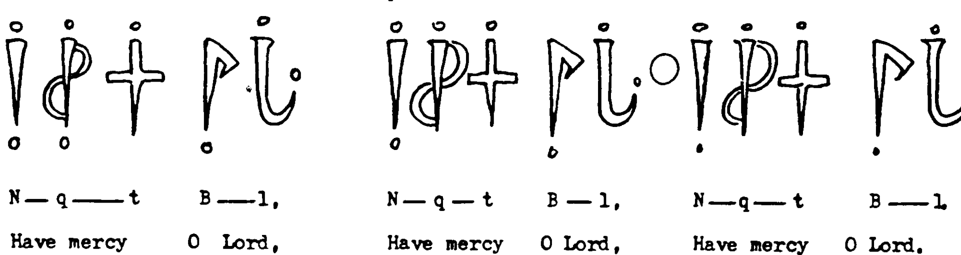

*Arif - precentor in charge of a small congregation lacking an ordained priest of the North African Coptic Church.

نقوش مسيحية قديمة بالحروف الليبية، وبلهجة عربية ليبية، عثر عليها بجزيرة أوك Oak Island، بنوفا سكوشيا Nova Scotia، خلال سنة ١٨٠٣. وأعتقد خطا أن النقش الحجري، ليعلم موقع الكنز Phyllis Donahue).



«عيسى بن مريم Yasus Ben Maria» نقش حجري سجله الاستاذ هايزير والاستاذ بومهوف من موقع اكتشفه الاستاذ جوليان ستيوارد بموقعه ٤١، في مقاطعة اينيو، بولاية كاليفورنيا. وعلى الرغم من أن النقش يشير الى عيسى Jesus، فان العبارة «ابن مريم» ترد في عدة سور من القرآن الكريم، وعلى هذا، فربما يكون النص إسلاميا. والمتوقع من مسيحي أن يكتب «مريم أم عيسى» أو «عيسى ابن الله» لقد حلل فيل Fell هذا النص وايده علماء عرب اكفاء، بيد أنه رفض من قبل مجلة تعنى بشؤون الآثار، على أساس أنه «محاولة واضحة (من فيل) الى استدعاء المتدينين» بيد أنها، في الحقيقة، لا قدم النص، ولا ترجمته، كانا موضع شك من قبل علماء آثار بارزين. وينطوي نمط الخط الكوفي على تاريخ محتمل في حدود سنة ٨٠٠ ميلادية. (النمونج عن: هايزير وبومهوف. تصوير: بيتر ج. جارفل و د. ف. جوليان فيل).

## *Kyrie eleíson*

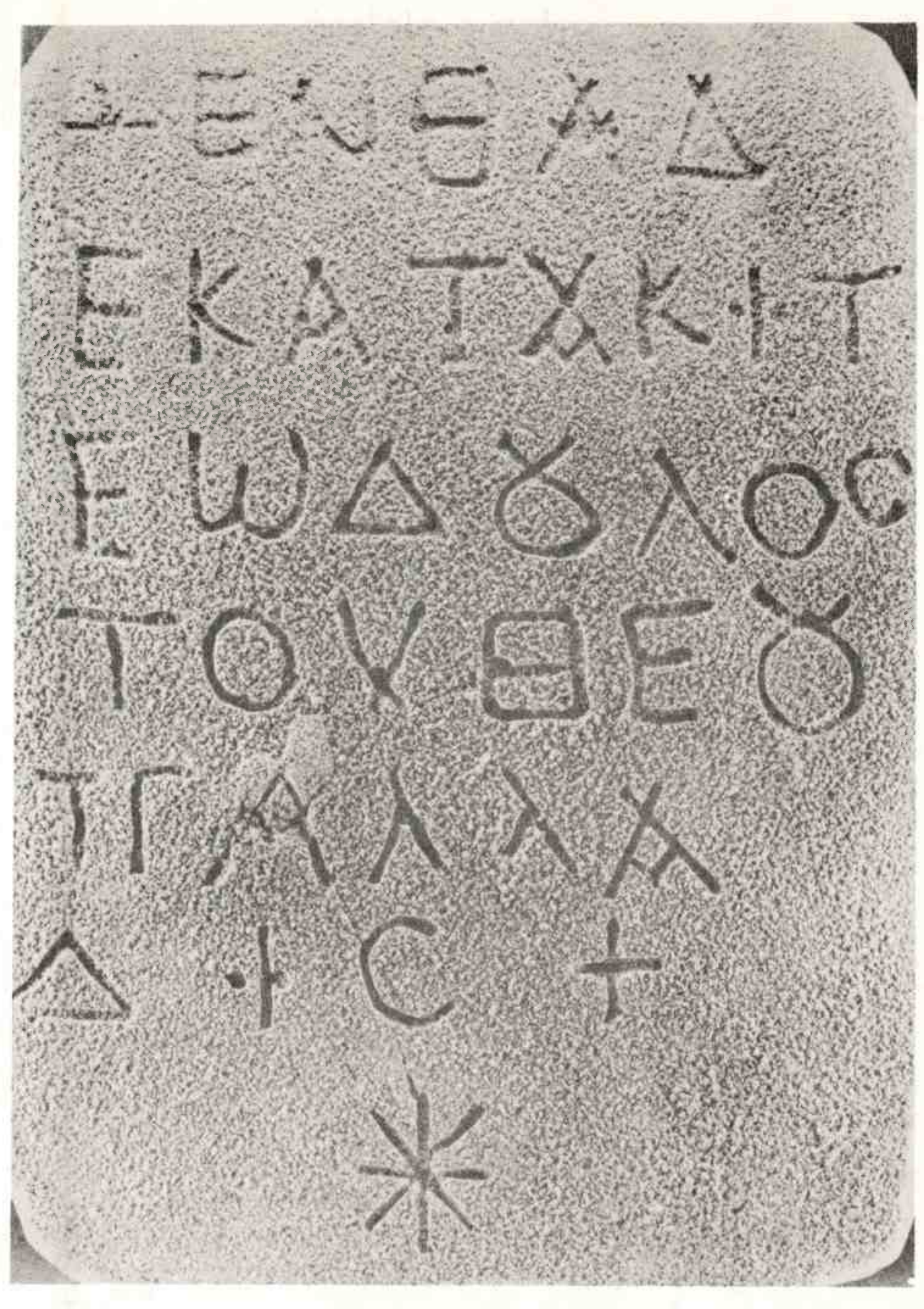


N — q —— t    B —— l,    N — q — t    B — l,    N —q— t    B —— l.

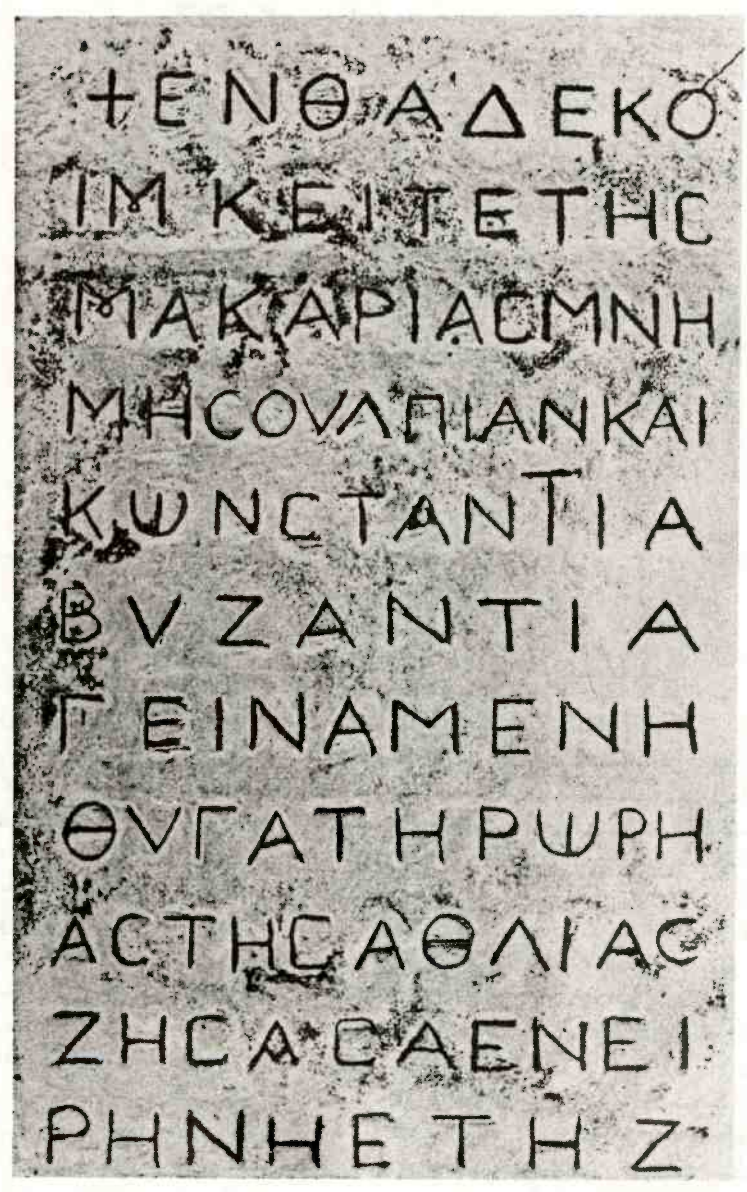
Have mercy    O Lord,    Have mercy    O Lord,    Have mercy    O Lord.

شرائح خشبية، طول الواحدة منها حوالي قدم وعرضها بوقيان، منقوشة برموز، تبين أنها كانت تستخدم «عصا للصلاة» بين الكيكابو KiKapu الجونكويانز، عن طريق جورج كاتلن George Catlin، خلال عام ١٨٣١، وتظر احدى لوحاته لتلك السنة الرئيس ماشينا Chief Mashina أثناء أدائه للصلاة ممسكاً باحدى العصى. وتوجد عينية من عصاة صلاة الكيكابو الان بالمعهد السميتسوني، وقد أقام بفحص أوليفر لا فارج Oliver La Farge، رئيس الشؤون الهندية الامريكية، وعلقه في مايو عام ١٩٥٧ بأت «رموزها المبسطة توحي بأن الكيكابويين قد قاموا بخطوات هامة نحو تطوير نظام للكتابة» وتبرهن النقوش «الموضحة اعلاه» على أنها مطلع لقداس كرياليسوني Kyrie مسيحي قديم في شمال أفريقيا ويكتب بحروف ايمنية للغة البونية المتاخرة لقرطاج. ويمكن ايجاد نقوش بهذه الحروف اللغة، في ليبيا، حيث فر القرطاجيون بعد دمار المدينة. إن وجود القطع النقدية القرطاجية في التراب الامريكي، في اماكن بعيدة عن بعضها، وبعض الحروف البونية التي نقشت على الصخر، تجعل من المؤكد أن القداس الكرياليسوني قد نقل الى قبيلة الكيكابو عن طريق المسحيين القرطاجيين في العصور القديمة. ومن المحتمل أن النقط توضع لغرض زخرفي، كما هو الحال في النصوص الاسلامية الليبية. لقد أصبحت ليبيا القديمة مسيحية (في المدن) بحلول سنة ٢٠٠ ميلادية، غير أن الاضطهاد في عهد ديوقليتيان Diocletian (٢٨٤-٣٠٤) شهد القاء المسيحيين للأسود في ساحة المصارعة بلبدة العظمى حيث يمكن مشاهدة النقوش البونية الآن. ومن المحتمل أن لاجئين من شمال أفريقيا، في ذلك التاريخ قد جاءوا بحثاً عن الأمن بين افراد قبيلة الكيكابو، في وسكنسن.

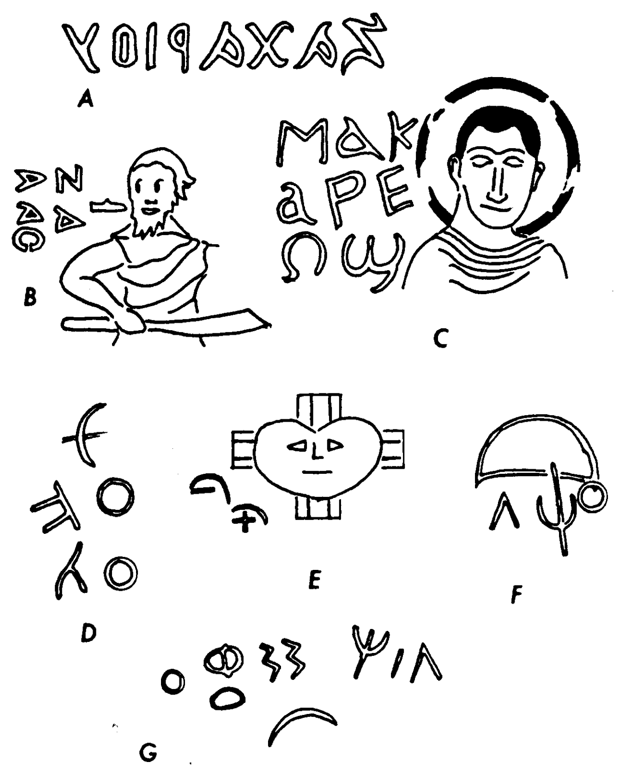
حيث أحتفل المسيحيون الامريكيون القدماء بالقداس، طبقا لنظام كنيسة شمال أفريقيا. وتمثل العبارات الرئيسية الأربع في النص الليبي، واللغة العربية: (١) مباركة الخبز، (٢) رفع (الخبز)، (٣) العشاء الرباني، (٤) شعائر القداس. وعثر على هذه النقوش كامبل جرانت Campell Grant، في كيلسوفالي Kelso Valley بمقاطعة اينيو، في ولاية كاليفورنيا، عام (١٩٦٨). بخلاف اشارات أخرى للمعتقدات المسيحية ـ الاسلامية المشتركة، فان هذا النص، بمفرداتهالعربية ـ المسيحية الصريحة، كان من عمل المسحيين الامريكيين الاوائل، وربما كان ذلك في عهد القس بالاديس Paladis من كولورادو، خلال النصف الثاني من الالف الاول بعد الميلاد.



لوحة حجرية تحمل نقشا تذكاريا بالعامية الاغريقية في شمال افريقيا في الفترة البزنطية، عثر عليه في كريبل كربك Cripple Creek ، بولاية كولورادو، ويسجل هذا النقش بأن «هنا آخر مكان استراح في بالاديس، خادم الرب» ان استخدام آخر الحروف اليونانية (O طويلة) كاداة للتعرف، بدل (O قصيرة) يعتبر شيئا غير مالوف في اللغة الاغريقية القبطية. (أعد النموذج المطبق من رسم قدمته جلوريا فارلي. تصوير: بيتر ج. جارفل، والدكتور جوليان فيل).



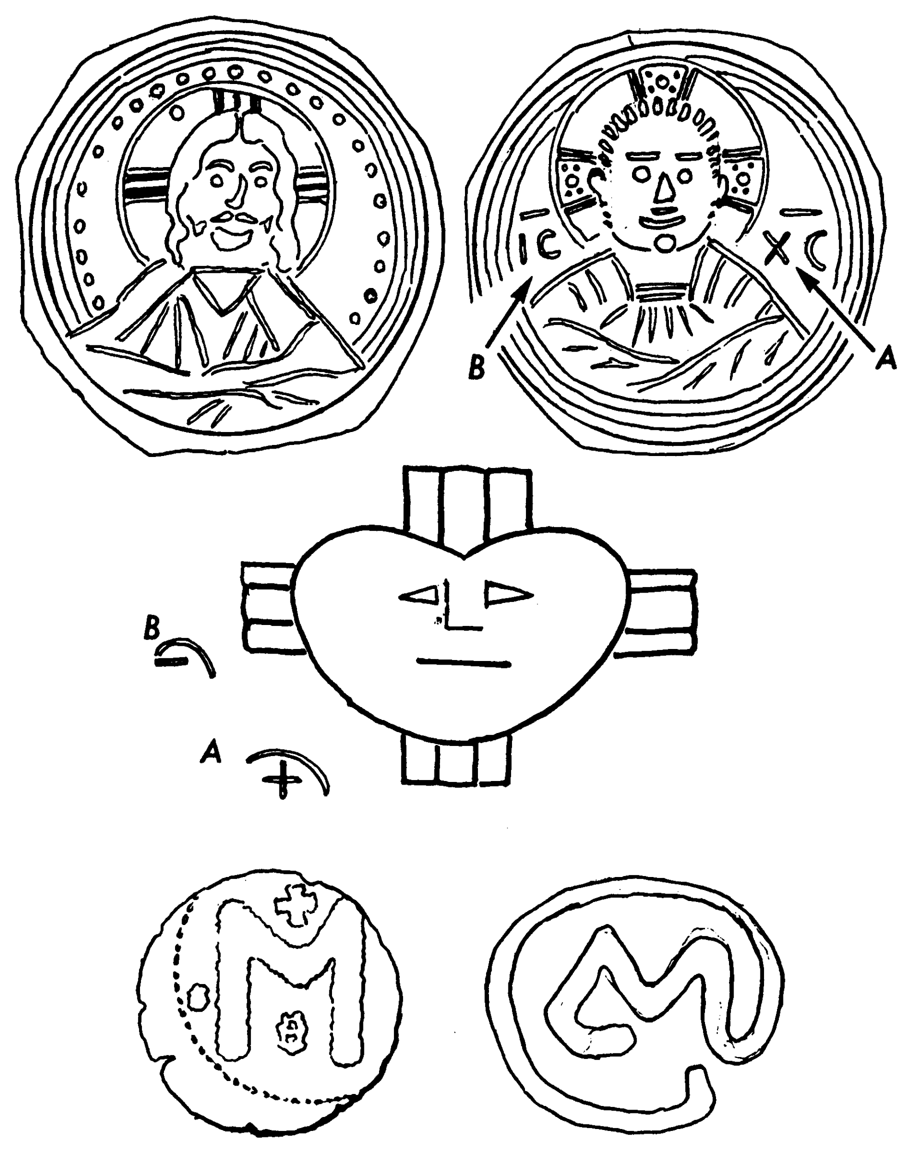

لوحة حجرية تذكارية تحمل نقشا باغريقية الشمال الافريقي وهي تشتمل على روايات مشابهة لما وجد على لوحة كولورادو والحجرية تذكر آخر مكان نامت به أبنة أولبيان Ulpian البالغة من العمر سبع سنوات وكانت قد ولدت في بيزنطية وماتت في قسطنتينية بالجزائر نتيجة لمرض ألم بها. (تصوير: بيترج. جارفل).



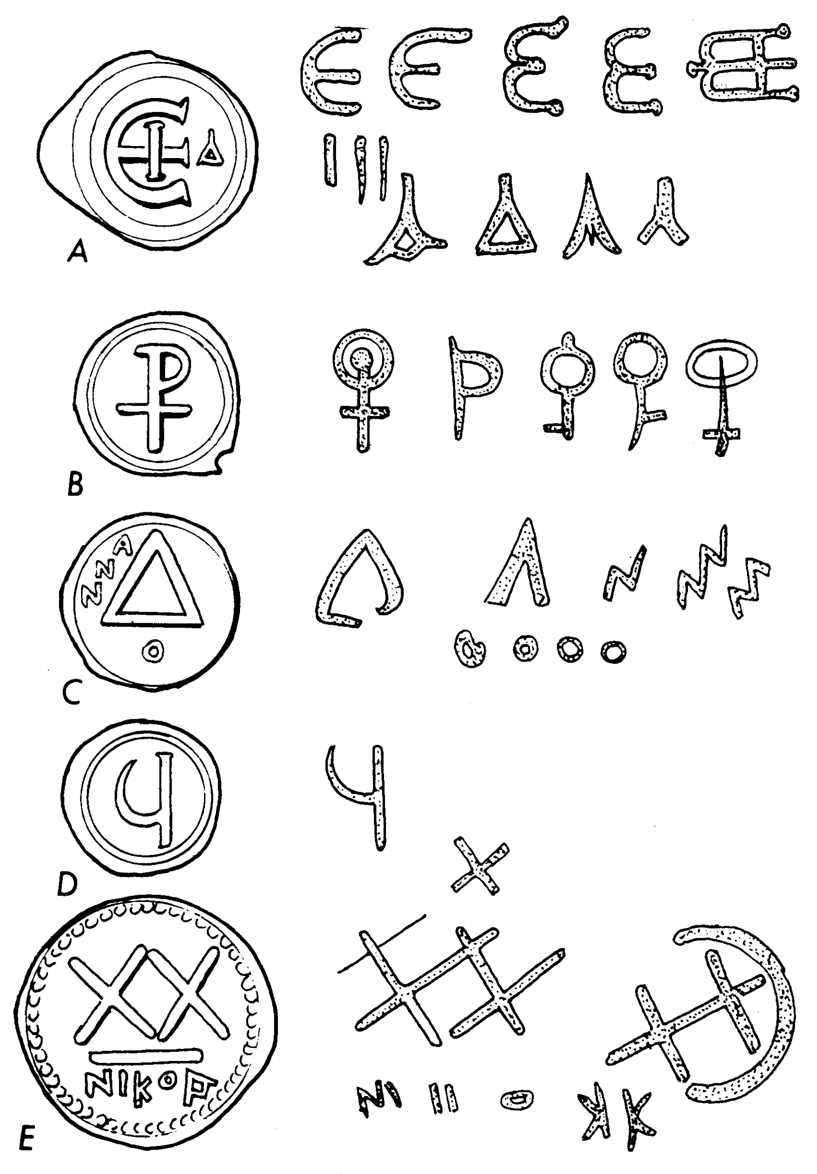

أن اليونان بنيفادا واليونان بالشمال الافريقي تجمعها خصائص كتابية متشابهة. بعد دخول الاسلام الى الشمال الافريقي، كثيراً ما قام الاغريق في ذلك الاقليم بتبني التقليد العربي في الكتابة من اليمن الشمال، وعلى هدا عكست الجروف القائمة. A- وهكذا كتب الاسم زكريا Zachriou في تطريز تطعيم من القرن السادس الى الثامن الميلادي، في متحف فيكتوريا والبرت بلندن. B- نقوش قصيرة حروفها في الغالب في تعاقب غير منتظم، كما هي في الاسم اسحق Isaak وقد كتب هنا بـ A زائدة ووضعت جانبية على سجادة من القرن الرابع الى الخامس الميلادي، من مصر، وتوجد الان في متحف كوبر يونيون Cooper Union، بنيويورك، وتصور تضحية إسحق. لاحظ ثلاثية الحرف A. أما كتابة C بالنقش المانفي في باويت Bawit للقرن الثامن الميلادي فانه يظهر إهمالا للحركات على الحروف العليا والسفلى، لـ O الطويلة (Omega) وال O القصيرة (Omicorn) يخلط بينهما حيث تستخدم الـ e في حين يجب استخدام الـ i في كتابة إسم القديس أو الراهب Makarios. إن هذا النمط المتخلف للكتابة الاغريقية في الشمال الافريقي ينعكس في نقوش امريكا. حيث يبدو التشابه في عدم الترتيب واضحا جليا. D- جزء من درس عن مسقاط الخرائط العمل بلاجوماريسنو Lagomarisno موقع St-1، مقاطعة ستوري Story، بولاية نيفادا، العبارة E Polo (من القطب)، E- من مسيحي قديم، في مقاطعة دوجلاس، بولاية نيفادا، مستوحى من نقش على قطعة نقدية بزنطية، كما هو واضح في نقش الى اليسار Ic Xc (Christos Iesos). F- الكلمة الاغريقية المختصرة Leipso (المحاق Waning) مقحمة على شكل هلال بموقع لاجوماريسنو، بولاية نيفادا. G- في نفس الموقع، لاجوماريسنو، بولاية نيفادا، وجدت مرة أخرى نفس النقوش مصحوبة بهلال، بيد انه في هذه المرة، الكلمة LIPS-OPHOSS (المحاق للكلمة الاغريقية Leiso-Phos) مكتوبة في جزء منها من اليمين الى اليسار، وفي جزئها الاخر من اليسار الى اليمين. (معلومات الموقع من هايزير وبومهوف (١٩٦٢) وحللها فيل).

وجد مسيحي من العهد البزنطي، من شمال أفريقي، يتحدث الاغريقيين، ملاذا في أوكلاهوما. كانت احدى الاكتشافات الحقلية البارزة لجولوريا فارلي، خلال سنة ١٩٧٨، اكتشافها للنقش الجميل مع صخور سيماررون Cimarron، كتبت بلغة شمال افريقية اغريقية عامية، كانت شائعة في المدن مثل شحات وقسنطينة. ويقرأ النص المختصر AI(TOMAI) EMILI(A) NU(S) TMED(EN)، وتترجم (أنا، ايميليانوس Emilianus أعلن حقي (عن طريق) نقش هذه النقوش» وكان ايميليانوس مسيحياً كما يبدو من الاسلوب الذي نقش به الحرف T ليشكل بذلك صليبا اغريقيا (هو الحرف T في الكتابة البونية لقرطاج). وهو يتجاهل الى ادعاء هندي امريكي في هذه القطعة من أوكلاهوما، ويمارس الحق العادي القديم في الادعاء بملكية شيء عثر عليه وهو يبدوا بدون مالك، على طريق نقش اسمه عليه. ولا زال هذا القانون القديم قائما في الاراضي الشمالية، كما يحدث، على سبيل المثال، عندما يقذف البحر بحوت ميت أو جذع شجرة ذي قيمة. فالشخص الذي يجدها أولا، يحق له الادعاء بملكيتها. وتعترف الحكومة البريطانية والحكومة الاتحادية بشرعية هذا القانون، وتطبقان نفس القانون اذا فشل المدعي في ازاحة الشيء ـ اذ يكون عرضة لحل التكاليف الكاملة لازاحتها، اذا ما تعفن الحوت، على سبيل المثال، وأصح مضايقا للجمهور قبل أن يقوم المدعي باستخلاص الزيت أو عظام الفك.

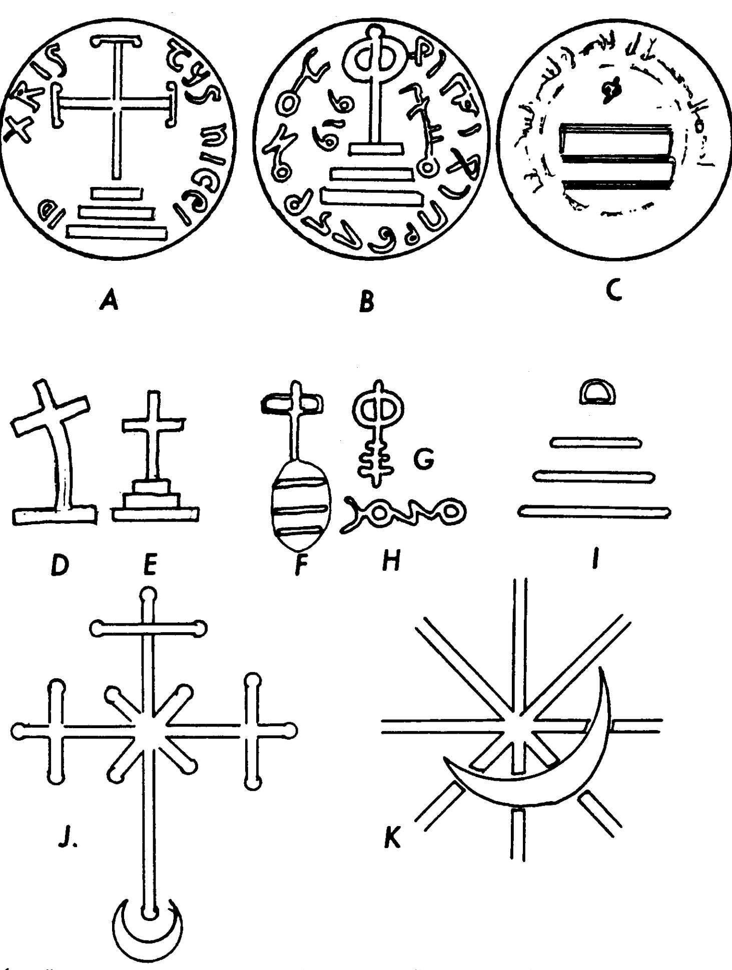
إن الاسلوب الذي كتب به الحرف الـ L (من عموديين متوازيين) يدل على أن نقش ايميليانوس هو نقش ليبي اغريقي. وتوضح النقطتان على الحرف I على أنه عاش خلال الفترة البزنطية. ويعكس قلب الحرفين D و N الاسلوب المتبدل للعصور المظلمة عندما كانت النصوص تميل الى الرجوع الى الانماط غير المتقنة التي كانت سائدة قبل قيام الحضارة الكلاسيكية. وغير المسلمون كل ذلك. فقد دربت المدارس الاسلامية أفضل الجدالية؛ لاعتقادها بان القرآن الكريم هو كلمة الله تعالى المقدسة، وبعد منتصف القرن السابع الميلادي، سرعان ما اتخذت كتابات شمال افريقيا شكلا جميلا وزخرفا ـ بيد أن الكتابة واللغة أصبحت عربية. إن رسم جلوريا فارلي الاصلي لهذا النقش كان خمسة أقدام عرضا، الكلمات مرتبة في سطر واحد، طول كل حرف من ثلاث الى أربع بوصات. وحتى يتسنى إظهارها في هذه الصفحة فان الكلمات وصفت هنا في ثلاث أسطر.



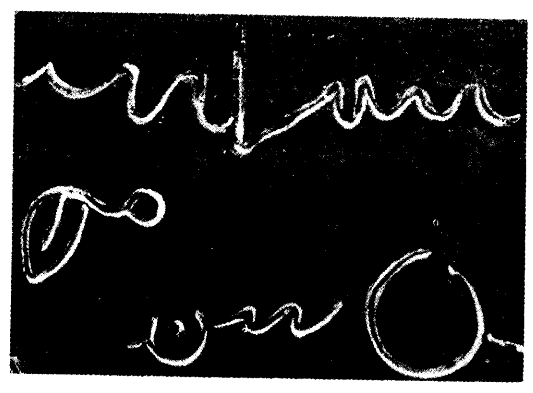

انتشرت النقود البزنطية على نطاق واسع بفضل العرب والفايكنج ViKing . أما الصور المرسومة هنا فيه (أعلى اليسار) لقسطنطين الثامن (١٠٢٥-١٠٢٨ م) واليكسيوس الثالث (١١٩٥-١٢٠٣ م). ولا بد أن القطعة الاخيرة هي من فضة مزيفة، أو من واحدة مشابهة لها وقد كانت نموذجا لنقوش نفادا، كما تظهر أدناه، والتي عثر عليها على مسافة ميلين الى الشرم من جنوا، بمقاطعة دوجلاس، منقوشة على جلمود من الجرانيت. وأغفل المكتشفان، الساسر Elsasser وكونريراس Conrers ملاحظة الحروف الاغريقية البزنطية على النقش، علم بـ A و B، المقابلة للقطعة النقدية البزنطية، وعرفا الصورة على أنها Lesos Christos. هذه النقوش وما يشبهها من مطابقة بين تصميمات القطع الندية الاسلامية، نقوش امريكا الشمالية تجعل من المحتمل بانه، إما البحارة العرب أو الفايكنج قد احضروا عملات العصور الوسطى الى عرب امريكا الشمالية. الى أسفل: تلي بزنطي (قطع نحاسية)، والى اليمين نقش عثر عليه في نيفادا، ويبدو انه قاد على أساسها.




خمس قطع نقدية نحاسية بزنطية يبدو أنها مصدر جزء كبير من العرمات «المنحنية» المتكررة، والتي اشار اليها هايزير وبومهوف (١٩٦٢) من الموقع الوحيد Grimes Ch-3، مقاطعة تشرشل، نيفادا. إن الرموز جميعاً هي في الواقع من الحروف الهجائية الاغريقية، أو انها اشكال متصلة «مزدوجة» كما أستخدمت على العملات القديمة. الى اليسار، من أعلى الى اسفل: A- قطعة فئة ٥ نوميات من القسطيطينية، الامبراطور جوستينيان الاول (٥٢٧-٥٦٥ م). B- قطعة من فئة نوميون واحد، صدر في عهد نفس الامبراطور. C- ثلاثة أرباع فلس، وهي قطعة مغطاة بطبقة من الفضة، القسطنطينية، هرقل (٦١٠-٦٤١ م). D- قطعة فئة ٥ نوميات، عهد فوكاس Phocas (٦٠٢-٦١٠ م). E- فلس، لنفس الامبراطور وعلى هذا، فان جميع العملات المشتركة للقطع التي وجدت بواقع جريمس متفقة جميعاً فيما يتعلق بالتاريخ، الذي استمد من العملات التي كانت متداولة خلال الجزء الاول للقرن السابع، قبيل ظهور الاسلام. (المعلومات جزئياً من عملات بزنطية اعادها العميد روبرت فينسينت، اوكلاهوما، هايزير وبومهوف (١٩٦٢)، تفسير فيل Fell).



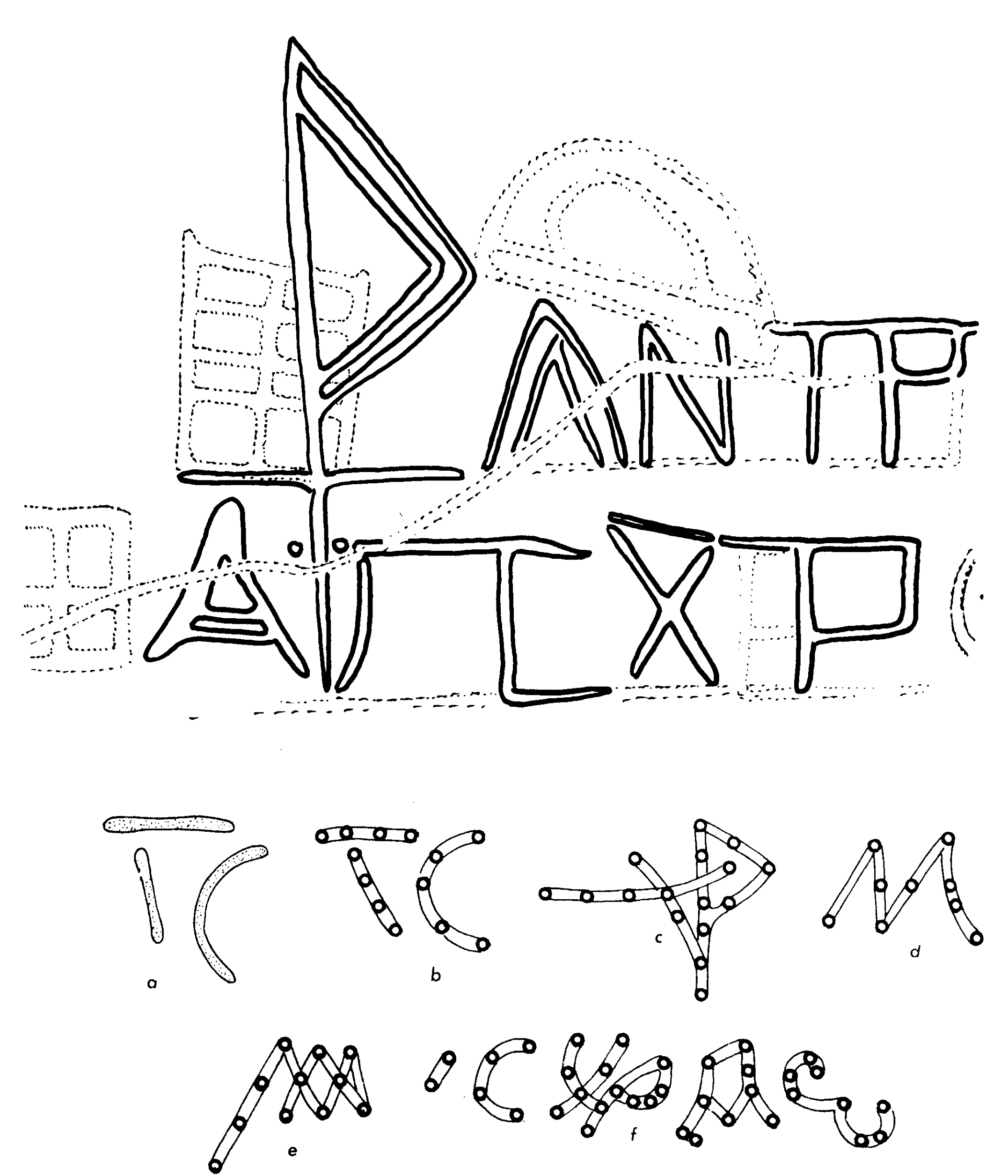

أثرت العملات البزنطية في تصميم النقود الاسلامية المبكرة، وكلاهما على التعاقب، أثرا في فنانين النقوش الحجرية بغرب امريكا الشمالية. A- عملة بزنطية تعود الى عهد الامبراطور ليو الرابع Lio (٧٧٥-٧٨٠) ويظهر عليها رسم لصليب شائع على درجات سلم، وتقرأ الحروف «المسيح الفاتح» واستخدمت هذه القطعة من جانب الفايكنج والتجار العرب، وأصبحت أيضاً النموذج لـ B، التي أصدرها العرب في نهاية القرن الثامن بعد تحويل الصليب الى شكل مغاير لتفادي الدلالة المسيحية. وتقرأ الكتابة الكوفية «لا اله الا الله: محمد: هزمت في منبيج Manbij». C- درهم للخليفة هارون الرشيد ٧٨٦-٨٠٩ م، والذي اتخد فيه الخط الكوفي شكل الرسم المتكرر. والى أسفل تظهر نقوش امريكا الشمالية التي تتفق مع هذه النقوش. D- موقع جريمس، نيفادا (هايزير و يومهوف)، E، تكساس (جامعة تكساس). F- ـ اينيو ـ ٢٦٧، جامعة كاليفورنيا. G- فالي أوف فاير Valley Of Fire، نيفادا، اتلا تل روك Rock Atltl. H- الاسم محمد، احيانا يكتب عبر الرسم كما هو في G. أما الشكل I، فهو من صخور سيمارون بولاية اوكلاهوما (فارلي). J- اثناء حكم باسيل الثاني Basil (٩٧٦-١٠٢٥)، دخل رسم جديد في معظم النقود الفضية البزنطية، ووضع صليب Chi على صليب صغير، ودعم الجميع بهلال. K- رسم مقابل من موقع N M 50، كولورادو (رينود)، ونقل الهلال الان ليغطي Chi Cross. وعليه مقارنة هذه التطورات الامريكية مع الاتجاهات المماثلة في النقوش الاسلامية المبكرة كما امت مناقشتها، على سبيل المثال، من قبل نورمان توتن في كتابات (أصول العملة الاسلامية)، وهو كتاب صدر عن جمعية النميات الهندية الاسيوية India-Asiatic numismatic Societ ١٩٧٣.



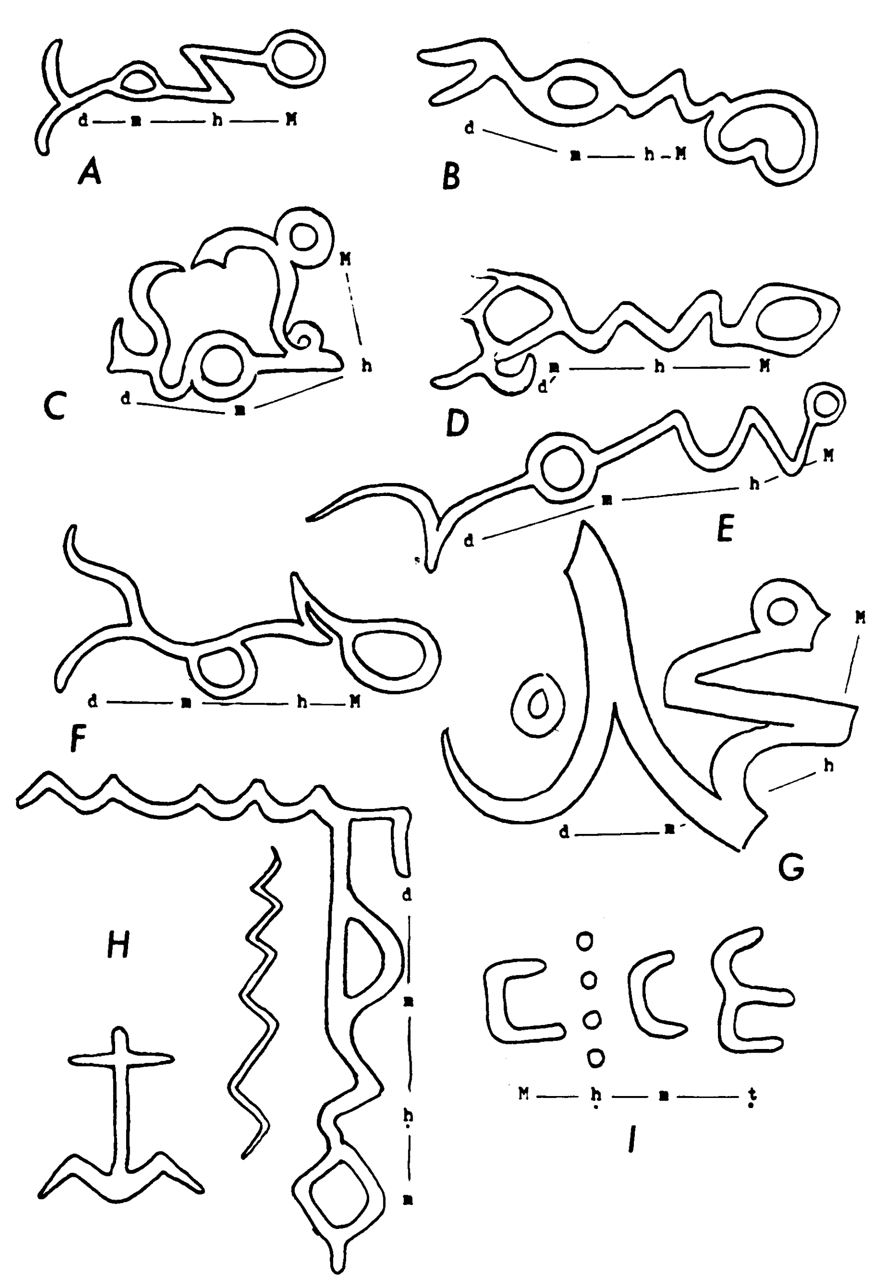
Shaitan Maha Mayan، الشيطان ينبوع الكذب، هكذا يقرأ هذا النقش بالخط الكوفي الكلاسيكي، وهو حوالي قدمين عرا، على صخرة في المنحدر الغربي لباوندري بيك Boundry في الوايت ماونتنز White Mountains قرب بنتون Benton على حدود نيفادا مع كاليفورنيا. وتدل الكتابة على تاريخ بعد القرن السابع الميلادي، هذا وأن الكاتب المجهول مسلم. وتم اكتشاف هذا النقش سنة ١٩٥١. ولعله متصل بشعب الفخار الأحمر كلادون Gladwin الذي دخل الهضبة من الجنوب حوالي سنة ٧٠٠ ميلادية. ويشير هذا النمط من النقوش الى وقوع اغارة ثانية للناطقين بالعربية قدموا من الشرم الاوسط عن طريق عبور المحيط الهادى. (نموذج، بصوير: بيتر ج. جارفل).

الصفحة التالية، الى أعلى: عندما وصلت المسيحية الى شعوب نيو انجلاند في وقت مبكر من عهد الامبراطورية الرومانية، نقلت بعض المعابد الحجرية الوثنية القديمة من قبل الرهبان. ان هذا النقش على حائط حجرة كبيرة في فيرمونت Vermont يظهر التعليل الرهوتي لوجود شخص المسيح، الذي حل (بعده تاريخيا) محل المجموعة الشمسية السكلتية الوثنية المبكرة (أنظر: كتاب امريكا قبل الميلاد). ويتكون التعليل اللاهتي لوجود شخص المسيح من ضم الحروف الاغرقية Chi Rhi، وهو يرمز للمسيح، وفي الشكل القديم المبين هنا تشبه العلامة حرف P مع خط يقطعها. وأسفل الى اليسار، A أو Alpha، والى أقصى أسفل اليمين توجد آثار للحرف Omega. وبين Alpha و Omega توجد الحروف الاغريقية IC XP (Iesos Christos)، والى أعلى توجد الكلمة الاغريقية ANTP، وترمز الى Antron (كهف أو غار). واحتذاء بالقديس باتريك Saint Patrik في ارلاندا، نقش مبشرو نيوانجلاند العلامة القدسة على الاحجار والمباني الوثنية، وبذلك ظهروها لاستخدمها للعبارة المسيحية. رسمت من الطالب الاصلي، اكتشاف فيل Fell وجون وليامز ١٩٧٦.

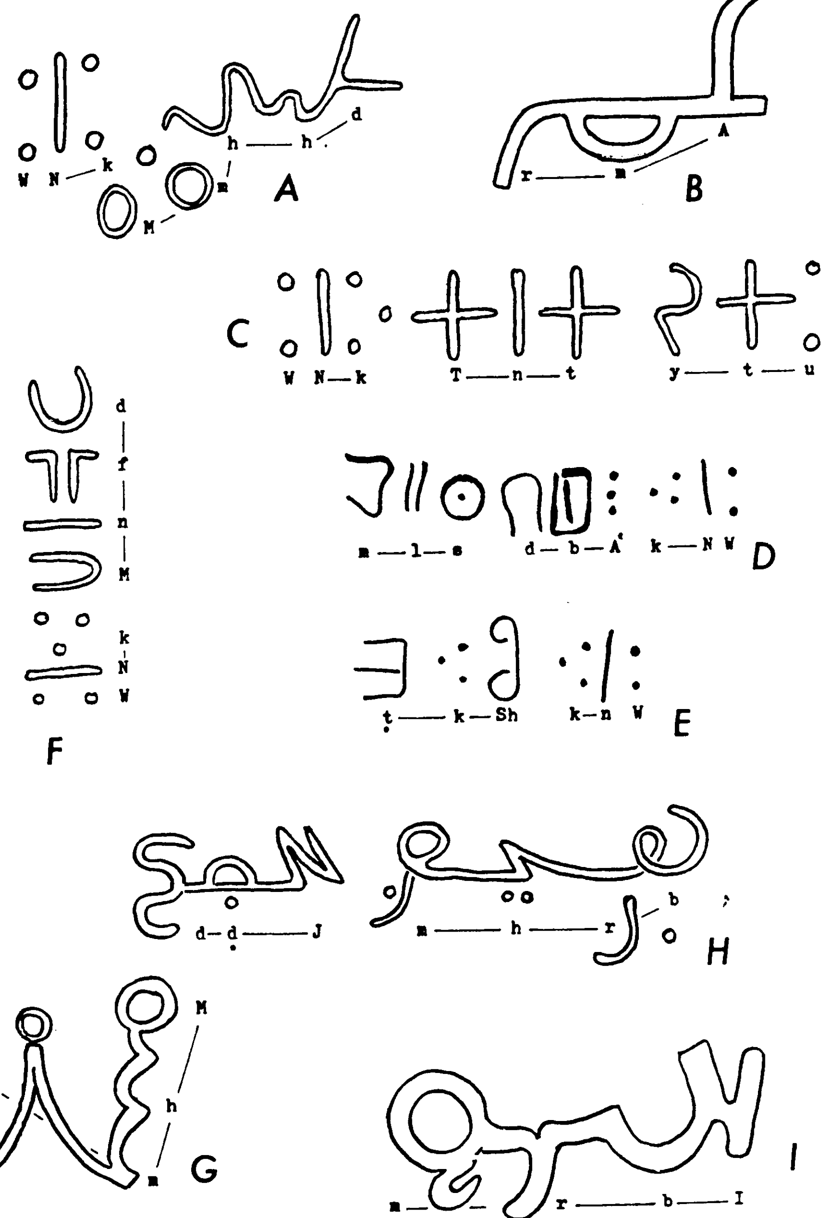
الصفحة التالية الى أسفل: توجد نقوش من بقايا المراحل المسيحية الاولى، في نيو انجلاند، على نحو واحع الانتشار. وتوجد جميع الامثلة المبينة. بالشكل في كونيكتيكت عموما في مواقع أو بالقرب من مواقع، توجد فيها الغرف الحجرية الكبيرة للوثنية القديمة. a- وجدت بالقرب من جروتون Groton، و f-b- من منطقة نيوهيفين New Haven (أغفل ذكر المواقع بالتحديد على أساس الخوف من اخطار التخريب حتى توضع حماية رسمية). أما الاختصارات المستخدمة فهي: IC (المسيح، Cni-Rho كعلامة ترمز للاحرف الأولى)، M، MA (ماريا Maria)، وفي الشكل f نلاحظ ضم IC XP Alpha, و Omega. لقد شجع الامبراطور جوستنيان عادة اضاءة الشموع تكريما للسيدة البتولة وغيرها من القديسيين المسيحيين في مطلع القرن السادس الميلادي ان الامثلة b، c، d، e، f، هي حروف شكلت من أقماع قطعت في السطح الافقي للصخور الكبيرة ومن الواضح انها إما دعائم شموع او انها



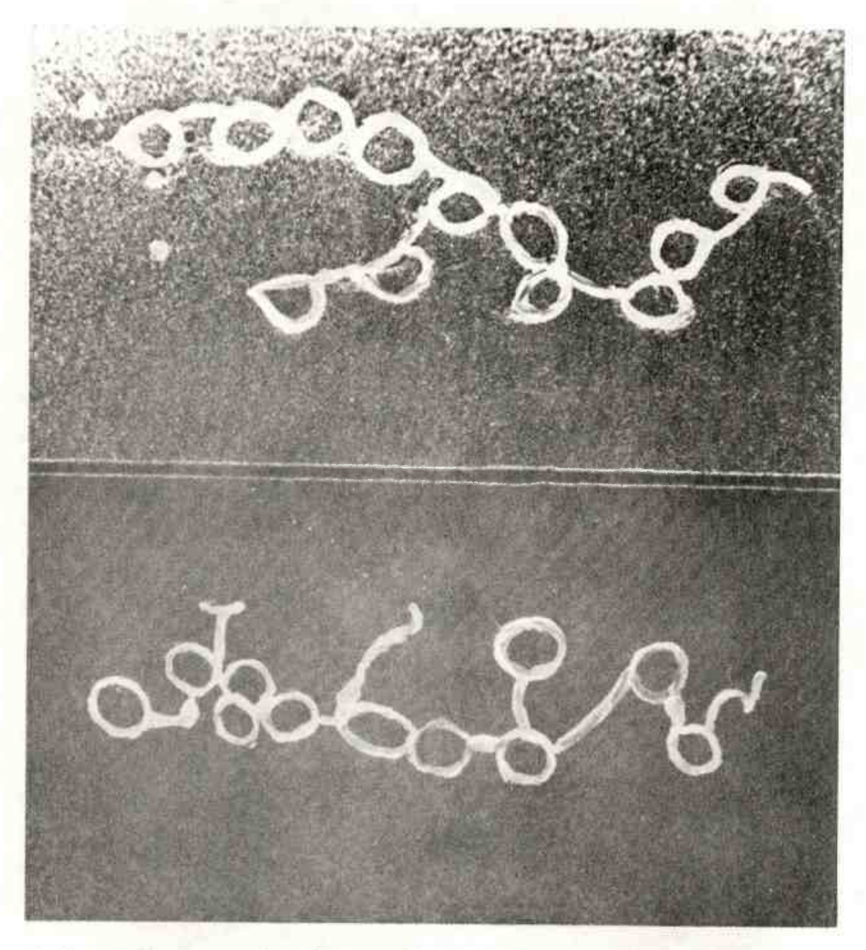

تقوم مقام مصابيح زيت صغيرة. بحث تتم إضاءة العلامات التي ترمز للاحرف الاولى المشار اليها، اثناء الصلاوات. إن اقامة مهرجان قدس الشموع (٢ فبرايل) هو إحياء عصري لهذه العادات القديمة. وحيث أن بعض أنماط الاقماع، من ايام البوثنية، بشكل الحدود الخرجية لمجموعة النجوم القطبية، فانه يبدو الان معقولا بانها ايضا حملت تحمل الشموع، وبذلك تضيء رسوم النجوم الموجودة الى أعلى منها. إن استخدام الحروف الاغريقية من قبل المسحيين الاوائل بامريكا الشمالة لا يعني بالضرورة بانه كان للمبشرية الاغريقية علاقة بالموضوع. إنما هو انعكاس امريكي للوضع الذي كان قائماً في ايبيرية وبريطانيا في الازمنة الرومانية، حيث كانت الرموز Chi-Rho وغيرها من الرموز الاغريقية مستخدمة، ومن المحتمل أنها كانت وسائل لتحاشي لفت انتباه كبير في بيئة رسمية لاتينية، في الوقت الذي كان فيها المسيحيون لا يزالون عرضة للاضطاد (a- وجد دڤيد بارون David Barron، f، b، وجد من قبل فريدريك ج. بوهل Frederik J Pohl وجون كاليجير John Callagher، وقدم الفسيرات فيل Fell).




نقوش كتابية مختلفة تذكر اسم النبي محمد. A- عين الحاج (المغرب) B- نهر ايست ووكير East Walker River، جامعة كاليفورنيا، موقع Ly-i (نيفادا). C- زخرفة كوفية سمعية، مسجد المرج، برقة، (ليبيا)، حوالي ٩٢٥م. E,D- مقاطعة تشرشل. جامعة كاليفورنيا، موقع Ch-71 (نيفادا). F- الحاج ميمون، العين الصفراء (المغرب). G- نمط زخرفي لخط النسخ، زخرفة خزفية، اشتريت من السوق، طرابلس. H- كتونوود كانيون Cottonwood Canyon، موقع Mi-2 جامعة كاليفورنيا، نيفادا. اسم النبي مرفوقة برموز الغيث وبرجل يصلي. I- كتابة تيفيناج Tifinag، جنوب شرق الجزائر، قرب الحدود الليبية (بعثة لهوت Lhote).




توقيعات قديمة، وكلها تبدأ بعبارة W N-K (Wa nak هذا أنا)، ثم تتبع بالاسم العلي. A-
Wa Nak Mn-hh-d (هذا أنا، محمد، خطأ في التهجئة)، جارفيلد فلات Garfield Flat،
نيفادا، جامعة كاليفورنيا، موقع Mi-4، هايزير و بومهومف. Wa Nak Tant Yatu -C
(جنوب شرق الجزائر، قرب الحدود الليبية). D- من رسالة، تقرأ من اليمين الى اليسار وناك
Wa Nak عند السلام (سكان الجزائر القدماء). E- (من رسالة) وناك شيكات Nak Shikat
Wa (الجزائر). H- طريق من أشلي Ashla إلى شيلالة SHilala، جيري Gery، المغرب، كوفي،
ابراهيم جدي Ibrahim Jedhdi (ج. ب. فلاماند G. B. Flamand). F- تقرأ عمودية الى
أعلى Wak Nak manfad (هذا أنا، مانفاد) واد سوفيت Wad Sufait، جنوب شرقي الجزائر،
بعثة لهوتن B- آمر Amr («رئيس» أو «قائد») موقع جريمس، جامعة كاليفورنيا Ch-3،
نيفادا، هايمير وبومهوف. G- محمد بخط النسخ (قارن الشكل G) نفس موقع F. الشكل I-
Ibra(h)im، هيدن كيف Hidden Cave، مقاطعة تشرشل، جامعة كاليفورنيا، موقع
Ch-6، نيفادا، هايزير وبومهوف.



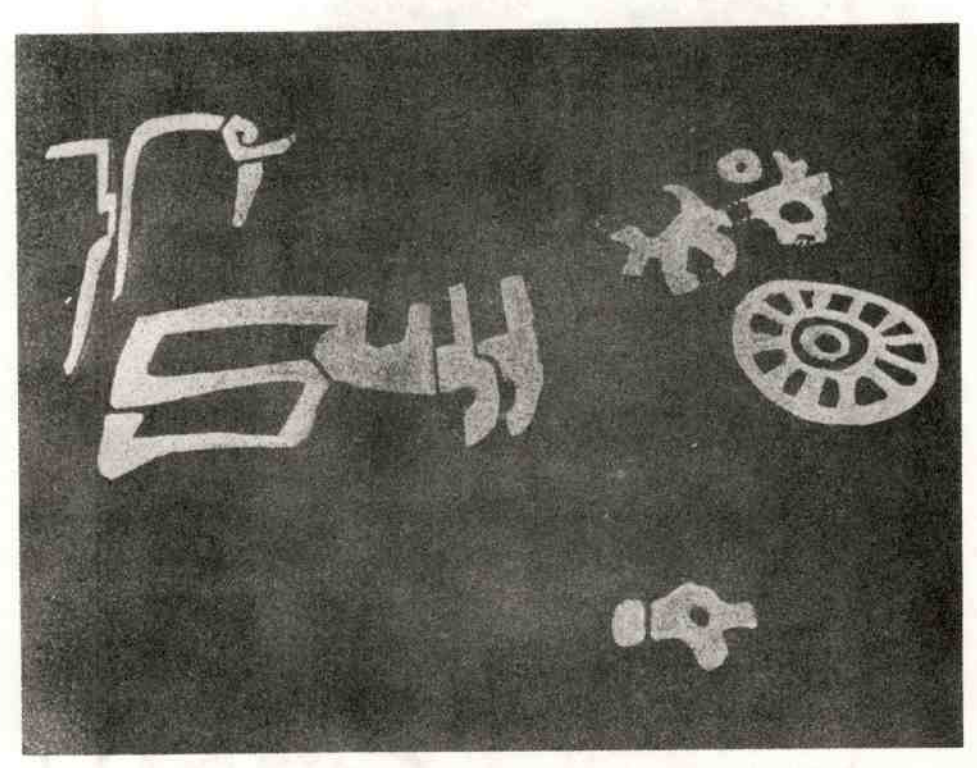
يحفر رجال البدو الأميون بشمال افريقيا نقوشاً على الصخور تشتمل على سلاسل من الدوائر المتصلة، وتكون أحياناً مختلطة مع نقوش ليبية أو كوفية. ومن الواضح أن هذه السلاسل من الدوائر التقليدية لاكثر الحروف الكوفية بروزاً وهما الحرفان م M و ه H، وأن النقوش تقليد للكتابة. يظهر الجزء الاعلى من الشكل مثل هذه السلاسل من الدوائر، من بولارياك Bu Lariac، الصحراء الكبرى Sahara، عن كاتالان Catalan وآخرون (١٩٧٤). ويشيع الجزء الاسفل من الشكل الى نقش مقابل سجله هايزير وبومهوف من موقع عبر أيست ووكير، بولاية نيفادا (جامعة كاليفورنيا، بيركيل، موقع Ly-1)، (١٩٦٢). وصنف في مجموعة التسجيلات الامريكية ك «نوع منحنى الاضلاع ١٠، الدوائر المتصلة» ولعل الافضل الاحتفاظ بالتسمية اذ انها في الواقع لا تخفي أية كتاباً بحروف الابجدية مثلما هو الحال في معظم سلاسل منحنيات الاضلاع الاخرى. (تصوير: الدكتور جوليان فيل، من نموذج بمتحف النقوش).



الدكتور علي خشيم، مؤرخ أسلامي، ونائب رئيس اليونيسكو، واستاذ التربية، بجامعة طرابلس، في احدى زياراته لجمعية النقوش والمركز القومي لفك الرموز. (تصوير: بيتر ج. جارفل).



بسم الله، وهي فاتحة كل سورة من سور القرآن الكريم ومادة مفضلة في النقوش الاسلامية. الى أعلى، كما نقشت العبارة على صخرة في نيفادا، وزخرفت بالحروف الهيروغليفية التي تصور الجبال (الوسط، الى اعلى) والبحيرات (أعلى، اليمين) والصبار (أعلى، اليسار). الى أسفل: صحن خزفي مزين بكتابة زخرفية ليبية (بسم الله) مع جرات قلم اضافية عديدة ذات وظيفة زخرفية بحتة، من السوق بطرابلس. (تصوير: الدكتورة جوليان فيل Fell).



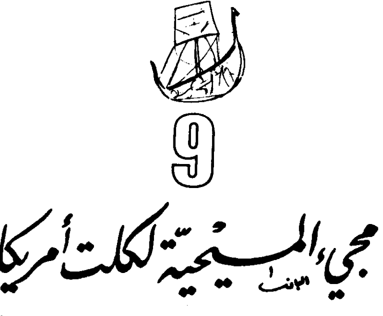
نقش مرمم قليلا وهو بحروف كوفية كبيرة بمدخل موقع النقوش نيفادا، اكتشفت من قبل الاستاذ جوليان ستوارد، وسمان «المدينة المفقودة». وتقرأ الحروف الكوفية: W-R-D L-B-Y، «الواردون حديثا من ليبيا»، والى اليمين وردية طرابلسية. (نموذج طبعة الاصل، تصوير: بيترج. جارفل).

ان المخلفات المسيحية منتشرة في أمريكا كما تبين الصور بهذا الفصل. بل أننا نجد شواهد لجوء مسيحيين للعالم الجديد بين الكتابات على صخور شمال أفريقيا. أهمها النص الطويل (صفحتا١٩١،١٩٣)، الذي نقشه راهب مسيحي عاد فعلا الى المغرب من أمريكا تاركاً زملاءه وراءه في الأحراش وقد فروا ليتجنبوا ظلم الفندال في القرن الخامس من تاريخنا. وتقول نصوص أخرى في نوفا اسكوشيا وكونيكتيكات وأماكن مختلفة على الساحل الغربي لكندا والولايات المتحدة، تقول لنا أنه قد وفدت الى هناك مجموعات صغيرة من المسيحيين في أزمنة متباينة. وقد لوحظت بعض التقاليد النصرائية بين الشيروكيس من قبل الزعيم ألفين أو. لانغد (O. Langdon Chief Alvin)من القبيلة الشيروكية ايتوواه (Etowah)، ومع أن تلك التقاليد تحتاج للمزيد من البحث قبل أن نعتبرها قديمة بشكل مؤكد، فان الدلائل المنقوشة للمسيحيين القدامى في أمريكا الشمالية لا تقبل الدحض. أن الدين لم يعش حتى الزمن الحالي ولكنه أثر بالفعل على عبادة الشمس المتبعة بين العديد من القبائل الأمريكية الهندية وقد لاحظ المستطلعون الأوائل تقديس الصليب لدى العديد من القبائل.

وقد أدخلت المسيحية في عدة مناسبات متفرقة في تواريخ مختلفة. فمثلا يمكن ربط وصول الأغريق البيزنطيين لكولورادو بالنقوش التي توجد فيها صورة المسيح أو القديسيين محاطة بأحرف بيزنطية مشابهة لتلك التي نشاهدها على واجهات شمال أفريقيا حيث كثرت الكنائس القبطية والبيزنطية قبل مجيء الاسلام.

وربما جلب الاسلام نفسه لغربي أمريكا مباشرة بعد سنة ٦٥٠ب م عندما انتشر المسلمون عبر شمال أفريقيا الى أسبانيا، فالآثار الاسلامية هي أسهل قراءة بين الكتابات الكوفية التي أثارت اندهاش الزوار العرب لأمريكا. ونعرض بعض النماذج في هذا الفصل.

جلب فيما بعد النرويجيون، الوثنية في أول الأمر، ثم المسيحية فيما بعد، وقد بنوا أقدم كنيسة باقية على الأرض الأمريكية، ألا وهي الكنيسة الجميلة، ذات النمط الرومانسكي، في نيوبورت برود آيلاند (Rhode Island) المبينة في صفحتي . وكما ورد في شروح الصور، تسجل الكتابة الرونية (Runes) النرويجية أصل البرج. وأترك الصور تروي بقية القصة.



# مجيء المسيحية لكلت أمريكا

قبل بضعة سنوات عثر زميل في بريطانيا وهو و. ايدموند فيلمر (Filmer W. Edmund) من ساري (Surrey) على وثيقة طريفة، أو بالأحرى طبعة من القرن الثامن عشر للوثيقة التي كانت من قبل ضمن مجموعة مخطوطات ايرلاندية قديمة. وكانت مكتوبة بخط غريب عن البحاثين الايرلانديين واعتقد بعضهم أنها فينيقية، وكان في الامكان قراءة ما يكفي للدلالة على أنها تتعلق بالقانون. وأرسل لي المستر فيلمر صورة للوثيقة مع دعوة لتحديد لغتها إذا أمكن. وبمعاينتها رأيت أن الخط يشبه الى حد كبير خطا عرفناه في بعض لوحات الطلاب، عليها تمارين مثل فقرات بخط اليد من ملحمة الاينداد (Aineid) كان قد سطرها معلم أيبيري من مدينة ايطاليكا بأسبانيا أيام الامبراطور ترجان (وهو نفسه سليل عائلة من ايطاليكا). ونستطيع أن نتصور اعتزاز الصبيان عندما يصلون دراسة اللاتينية مع علمهم أن واحداً من مواطنيهم يتربع على العرش الامبراطوري، ولعل المعلم لم يجد صعوبة كبيرة في التعبير عن نفسه باللغة الأجنبية.

والمفاجآت التي أتت بها الوثيقة البريطانية تنحصر في أنه عندما قرىء النص بصفته ايطالي من «الوادي الكبير» بدت لغته وكأنه ينتمي للهجة غيلية محرفة بطريقة غريبة. وما كنا قد تحصلنا عليه في الواقع هو مثال طويل متواصل للغة الايبيرية الكلتية المجهولة حتى ذلك الوقت، ويمكن قراءتها بدون صعوبة خاصة بمساعدة قاموس أيرلندي.

عند تلاوة رواية يوليوس قيصر عن بريطانيا القديمة يفهم أن الرومان قد حيوا عند نزولهم من طرف جمهرة من المتوحشين العراة المسلحين، كانوا يعيشون على الطبيعة في أكواخ، نعادلها هنا في أمريكا، بأكواخ الهنود الحمر. وليس هناك ذكر لمباني سكنية أو أي شيء تعقيداً يمكن افتراض أنه معمل لسك العملة مثلا. وبالتالي، يكتسب المرء انطباعاً خاطئاً عن بريطانيا قبل مجيء الرومان ليحضروا أهاليها. إذ أن الحلى الثمينة والفن المدهش للبريطانيين القدامى (وبالطبع يعود لما قبل الرومان لأنه ذو طابع حربي) أمر يوعز الى الحيرة. والظاهر أنه قد فقد شيء من وصف قيصر لبريطانيا.

أما فيما يخص الايرلانديين (وهم لم يخضعوا مطلقاً للرومان الذين لم يلتفتوا إليهم إلا كشعب قابل للاحتلال فيما بعد بحيث اعتادوا الرسو في الموانىء البريطانية على متن سفن من صنعهم الخاص) فالمؤرخون الرومان لم يتحفونا بما ينير.

هكذا قدم لنا مخطوط أوكونور (O'Connor) نظرة جديدة للوضع الايرلاندي القديم، لأنه كما إتضح أن فقرة من رواية كتبها كلتي من أسبانيا ــ و بصفة أدق غيلي أسباني (إذ تلك هي لغته) ــ تتعلق بأوجه من القانون الايرلاندي تهم الغيليين الأسبان الذين ينوون زيارة البلاد. وهناك اشارات للعملة «العجلية» (Wheal-Money) والنقود الأتروسكية والثيران التيرينيين (Tyrrhenian Bulls) (أي نقود ايطاليا وصقلية عليها صور ثور) تدل على أن الوثيقة نسخت في القرن الثاني قبل الميلاد من وثائق كتبت في القرن الثالث عندما كانت تلك النقود متداولة. و يفترض فيلمر أن منشأ المخطوطة الأصلية في غاليشيا.

هكذا يبدو أن الوثيقة تمثل قسماً من قصة الكلت الايرلانديين في زمن من تاريخهم المسبق مما عرفناه عنهم. و يبدو لي أن القطعة قد تنطبق أيضاً على الكلت الذين أتوا الى أمريكا من أيبيريا لأن الكلت يقبلون انحدارهم من ايبيريا. هناك اشارة الى «التانستية» (Tanistry) ومعناه ممارسة القضاء من طرف وكلاء عن الملك. وهي كما يلي:

(٤٣) عن أصل التانستية.
(٤٤) أن يقال بأن هذا النظام الحكومي نشأ في ايرلاندا فيعد زورا واهانة للتاريخ.
(٤٥) في ظلمة ضباب الأزمنة الغابرة قد تنشأ نية (نتصور) أن تستبدل المواجهة المسلحة بالتحكيم.
(٤٦) وهو لمن المرغوب فيه أن تحدد تخوم الملكية بدون اللجوء الى حفر الخنادق.
( ٤ ) فأولا بعض الملوك والرعايا.
(٤٨) واحكم الشيوخ والأعيان القيمون القدامى والشعراء.
(٤٩) والمغنون والرهبان. يأتي كل واحد منهم على حدة لهذه النتيجة.
(٥٠) معترفين بالفائدة العائدة على الشعب في شؤون العدالة والمساواة.
(٥١) في السراء والضراء. هكذا كان أصل النظام الحكومي في ايرلاندا[1].
(٥٢) وفي مثل هذه الحالات. عما يبدو. يمكن لقرارات شيوخنا أن تنقل من هنا الى تلك الجزيرة.

(٠) مثال من الأحكام القضائية في ايرلاندا:
(١) تحال من الآن فصاعداً الحالات المتعلقة بالجنايات الى أحكم الرجال.
(٢) يجب أن تقدم كل قضية للمحكمة بدون تأخر.
(٣) من الآن فصاعداً، تدفع غرامة عن الضرر المسبب في القضايا المتعلقة بالأقوال المزورة.
(٤) من الآن فصاعداً، إذا كان المتضرر متسامحاً، فليكن القاضي متسامحاً أيضاً.
(٥) إذا ارتكب عبد جرماً بالغاً بسبب شبقه وطولب بتحمل عقبات خطئه. إذن.
(٦) يجب أن يتهم في اليوم التالي، وكعقاب له.
( ) عما اقترفه، دع العبد يقاضي كامل ذنبه بحمل ثقل نير المحراث.
(٨) بحقل سيده ودعه يقاضي النير لمدة تساوي شدة شبقه.
(٩) إذا تجرأ أي عبد على الهروب أو اختفى أو طاف كالمتشرد الهارب عن القانون.
(١٠) ولوحظ من بعيد، يمكنه لنيل حريته دفع مبلغ من الذهب يساوي قيمته.
(١١) لكنه إذا تمادى كطريد ودخل قرية.
(١٢) للاختفاء، فان على الأهالي هناك القبض على الجاني وتكبيله.
(١٣) إذا قام غشاش بالتفوه بالزور يقر شخص آخر بأنها قدح فيه.
(١٤) فيجب عليه أن يحمل أثقالا كبيرة بقدر سلاطة لسانه.
(١٥) و يجب اجباره على حمل ثقل النير للمدة التي يقرها القضاة.
(١٦) لكل شخص الحق في الدخول والخروج من ايرلاندا سواء كان غيلياً أو اسكوتلاندياً أو أيبيرياً.
( ١) تفضل النقود الأتروسكية وكذلك «الثيران» (نقود ايطالية تحمل صورة ثور).
(١٨) ان النقود العجلية (Wheel Money Rondels) غير قانونية والحلقات الأ يبيرية لا قيمة لها.
(١٩) للناس العاديين أن يأكلوا الذرة مع الطيور البرية، لكن لا يسمح لهم باصطياد الدب.
(٢٠) يمكن قتل الوعل والماعز والغزال الأحمر.
(٢١) انه لمن سوء حظهم أن سببت الأمطار الغزيرة في ايرلاندا فاقة أو مجاعة.
(٢٢) إذا سب أي شخص راهباً في المعبد أو بقرب بئر مقدسة، أو تفوه بعبارات مشينة.
(٢٣) أثناء الترتيل ازاء المذبح الأكبر، يجب أن يقدم الى المحكمة و يقرر مصيره بدون تأخير.

(٢٤) لا يجوز أن يقتل أي انسان إلا بحكم من محكمة تقام من أجله.
(٢٥) والجهة المتضررة و يجب دعوة الجميع.
(٢٦) تحت المذبح بالاسم حتى يحضروا المحاكمة طيلة جلساتها، وعلى الرغم من المسافة.
( ٢) عليهم أن يتجمعوا تحت سقف أو في غار واسع مواجهين القضاة الناطقين.
(٢٨) وجميع رؤساء العائلات يحملون سلاحهم مصطفين تسعة تسعة.
(٢٩) وحسب الجهتين المتنازعتين، الداعي والمدعى عليه.
(٣٠) على وكيل النيابة أن ينطق بشكواه بصوت عال من الفعلة الجنائية أو العنف، متسائلا.
(٣١) إن كانت الجناية مقصودة متعمدة أو تصرفاً عاطفياً، داعياً كل شخص باسمه.
(٣٢) الى المذبح ليدلي برأيه بحضور الجمع وتحت حمايتهم ومواجهاً إياهم.
(٣٣) ثم عليه أن يطلب رأي القضاة وإذا كان الجواب في غير صالحه، فعلى المذنب أن يكبل.
(٣٤) الى العمود و يعدم لفعلته، و يلقي بجثته من فوق صخرة عالية.
(٣٥) لكن، إذا أصدروا بعد النظر في القضية وسماع الجميع للشكوى، حكماً بانعدام الحجة.
(٣٦) فليقطع العمود بالمنشار لعدم لزومه لأنه ليس هناك جريمة.
(٣٧) قتل من طرفه، فعليه، ينطلق الجمع مبتهجاً الى أحدى العيون المقدسة المعتادة والى وسيط الوحي الالهي.
(٣٨) تعطي هبة أكبر من المعتاد من أجل الخلاص وهناك يغطس الرجل في عمق النبع.
(٣٩) على أقدم الحكماء أن يعلن نتيجة الحكم للجمع صارخاً بأن يعلموا أن كل شخص يمكنه الفوز بالعدالة في هذه الأنحاء.
(٤٠) وأنه، سواء كان الغش موضوع النزاع.
(٤١) أو الشبق أو التزو ير المتعمد، أو مقت قتيل أو حدود ملكية.
(٤٢) كانت تحت المسح، سينظر في الجرم بعدالة ملطفة بالرحمة.

هكذا تنتهي هذه الوثيقة الجليلة، وهي قطعة من مؤلف أكبر، يجوز لكل كلتي أن يفخر بها، ولا شك أنها أقدم قانون مكتوب في أوروبا الشمالية.

ولما كان المؤلف، الذي أجهل اسمه، يفيد ضمناً بأن قوانين ايرلاندا مشتقة من قوانين ايبيريا فلا بد أن يترتب عن ذلك أن كلت نيوانجلند ونسلهم عبر القارة الى مقرهم الأخير في كولومبيا البريطانية، فواشنطن وأوريغون، قد حملوا هذا القانون العام معهم الى العالم الجديد، ومنهم انتقل الى أحفادهم الكريوليين (Creole) وربما أثر في النظام القضائي للقبائل المتجاورة من الأمريكيين الهنود لأنهم كانوا على صلات طيبة بالكلت.

وبودي الآن أن أشير الى لغة الكلت الايبيريين في أمريكا. عندما أرسلت مخطوط (أمريكا ق م) للناشر كان الاعتقاد السائد أن تلك اللغة قد اندثرت كلياً من الساحة الأمريكية ما عدا بعض المفردات البالية مجهولة الأصل توجد حالياً في اللهجات الألغونكية (Algonquian) مع احتمال بقاء أسماء بعض الأماكن. وقد انتقد بعض الأثريين هذه الافتراضات كثيراً عندنا حتى مايو ١٩٧٨ وهو لأمر غريب، إذ أني قدمت في محاضرتي بهاموند (Hammond) في نيو يورك سنة ١٩٧٦ عرضا عاماً لمفردات وتصريف لغة التكهيلن (Takhelne) من منطقة بحيرة فريزر (Fraser) في كولومبيا البريطانية مبيناً أنها لغة كريولية كلتية لها علاقة بالغيلية ومنحدرة من الغاديلية (أي الغيلية القديمة)، وظهر التقرير في المجلد الرابع من المنشورات الطارئة لجمعية النقوش سنة ١٩٧٧. وأقدم هنا خلاصة موجزة من المفردات المختارة، إذ ليس هذا مجالا للدخول في تفاصيل أو مناقشة النحو والصرف. واستناداً على نشرة أخيرة لمؤسسة (غودارد وفيتسهيو سنة ١٩٧٨ (Goddard and Fitzhugh) «ليس هناك لغة أمريكية هندية مشتقة من لغة غابرة من العالم القديم» و«لم يعثر على كلمات مستعارة أصلها من العالم القديم في أي لغة من لغات هنود أمريكا الشمالية»، ومع أني لست على دراية بأي منشورات كلتية لهؤلاء النقاد وهم بالطبع غير مطلعين على مطبوعاتي، فأعتقد أنه من المعقول أن يجري تقييماً معدلا للموضوع.

# مفردات مختارة من اللغة التكهلن (Takhelne)
# في كولومبيا البريطانية

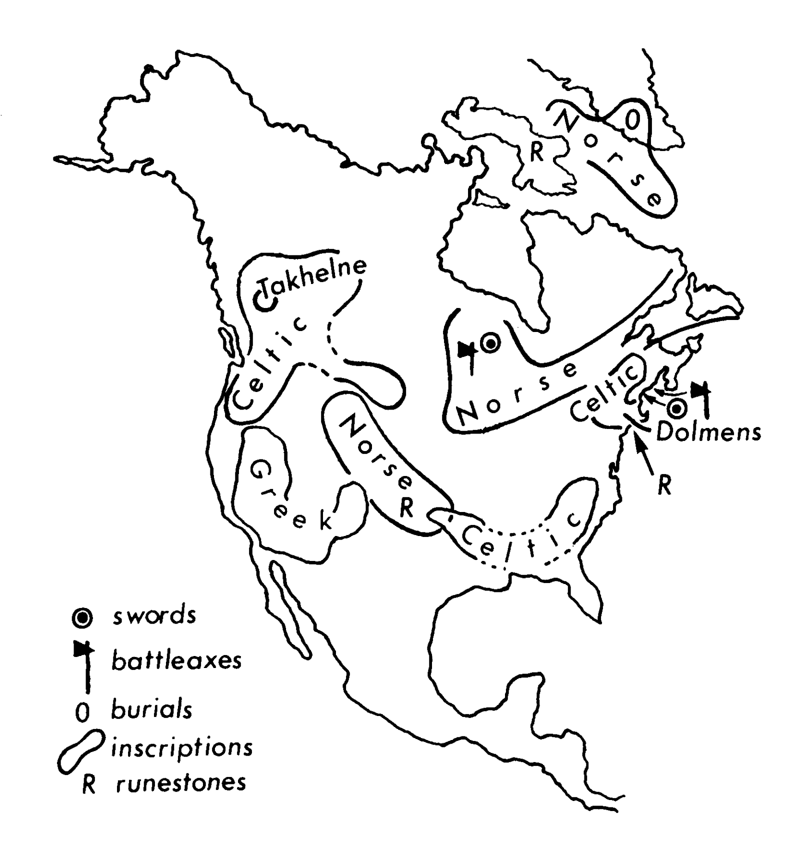
| انجليزي | غاديليك | غيلي | تكهلن | (عربي) |
|---|---|---|---|---|
| أولد | سينوس | سيبان | شان | قديم |
| اسليب | سوفنيو | سواين | سبستي | نائم |
| برايت | غيل | جيل | بيل | لامع |
| كروكد | سير | سيره | زيره | معوج |
| فلو يد | توليا | تو يلا | تيللي | سائل |
| غربي | غير | فربي | كريس | رمادي |
| ثين | تانايس | تانا | تين | رفيع |
| ريد | كين | غين | كين | أحمر |
| بو يلدنغ | تيغوس | تيغ | تيه | مبني |
| تشيب | كاسر | كاسنايد | قاس | قطعة |
| هوك | سير | سيره | زيره | ؟ |
| ديي | ديجاس | ديوغ | دزين | يوم |
| ديسغريس ناغرو | | نايري | نيره | مصيبة |
| فاظر | باتر | آثاير | با | أب |
| هاند | لاما | لام | للا | يد |
| هايت | ألتوى | ألت | تلاتا | عالي |
| هاني | ريم | ريتور | ري | عسل |
| لافتر | تلق | تلخد | تلو | ضحك |
| لايف | بيتو | بيث | بيتسي | حياة |
| مان | دمنجوس | دو يني | ديني | رجل |
| روف | سبين | — | بين | سقف |
| اسكاي | آير | آيير | يا | سماء |
| سان | سوليس | سولوس | سا | شمس |
| وورد | رهيتو | راذ | رهايتيه | كلمة |
| توبي | تاجو | ثا | ثا | يكون |
| بيكام | سفيل | سيل | سيللي | يصبح |

| انجليزي | غاديليك | غيلي | تكهلن | (عربي) |
|---|---|---|---|---|
| الدر | كو يني | كاو ين | فان | أقدك |
| باد | تيغو | تيوغ | تيو | ردىء |
| كولورد | بيندي | بيندي | بينتاي | ملون |
| دارك | سير | ماغ | ميك | غامق |
| غود | سو | سو | زو | جيد |
| هيري | راني | روني | راي | مشعر |
| ميني | لينو | لين | لاني | كثيرون |
| أررو | كيراس | كور | كرا | سهم |
| تشيف | مونمتيوس مختاي | | موتيه | رئيس |
| كوف | كبوس | كاسان | كو يس | سعال |
| دوتر | أوح | أو يغ | ايشا | ابنة |
| ليبيدو | بو يل | ايل | أبيل | شبق |
| داك | ايتي | آتهي | تيتاي | بطة |
| فوت | كوكسا | كاس | كهي | قدم |
| هيد | توجو | تو يجي | تسي | رأي |
| أسكن | بيلليس | بيل | بل | جلد |
| جو | ايتو | اثين | ايبتا | فك |
| ليف | تانايس | تانا | تين | ورقة |
| لايت | سفيل | سولوس | سا | خفيف |
| رافت | رام | رامحاخ | رهينيس | ؟ |
| اسبت | سوفي | سوغ | سو | بزق |
| سامر | سامو | سام | شين | صيف |
| هول | هولوس | و يلي | أول | كل |
| واتر | أوسكيو | أو يسجي | أوسكها | ماء |
| نوت توبي ني كون | | خاعن | كنيبه | لا يكونْ |
| بورن | كي | كايو | كايو | مولود |

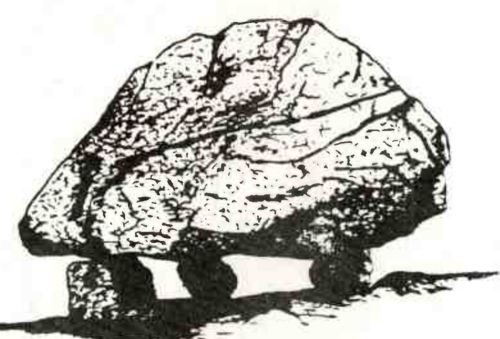
هذا، وفي تقريري الأصلي ذكرت كلمات في لغة التاكهيلني تتعلق بألعاب رياضية تشبه ألعاب الغيل، مثل رمي المطرقة، وبخطوط تبدو كأنها كتابة أوغامية. كما طالبت بأن يبحث عن كتابات على الصخر في كولومبيا البريطانية للتأكد من ورود اللغة الأوغامية، وفعلا وجدت، وقد سبق أن اكتشفها سنة ١٩٦٨ وسجلها جون كورنر (John Cornet)، أي ثمان سنوات قبل طلبي، لكنه لم يتعرف عما وجده فبقي غير مترجم. وقد أشرت في هذا الكتاب الى كتابات كولومبيا البريطانية في الفصل الخامس بنظام الدراسة في أمريكا إذ أنها تبدو أغلبها محتوية على دروس فصلية. وتوجد مثل تلك الكتابات في أوريغون ونيفادا وكاليفورنيا.

ان العمل الفني لكلت كولومبيا البريطانية شابه في بدايته عمل كلت نيوانجلند وبالطبع عمل أجدادهم في أوروبا والأمثلة الواردة في هذا الفصل تشرح الموضوع أحسن من أي وصف. إلا أنه هناك فرق كبير في موضوع نقوش نيوانجلند ونقوش كولومبيا البريطانية والولايات المجاورة كواشنطن وأوريغون. فهؤلاء الكلت الغربيون يبدون متأخرين في الاستقرار عن أبناء عمومتهم وهم بكل احتمال منحدرون مباشرة عن كلت نيوانجلند. فاذا كان الكلت قد اختفوا في الشرق، فانهم لا شك عادوا في الغرب، وشرح ذلك هو الهجرة عبر القارة. وهناك الى يومنا هذا لغة كلتية في كثير من مفرداتها وكذلك بعض من نحوها وصرفها لا زالت متداولة بين بقايا قبائل ناكهيلني في منطقة بحيرات نهر فريزر (Fraser River).

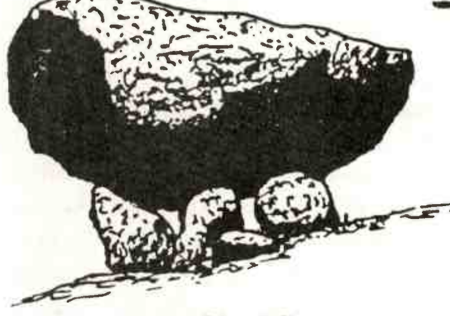
ويبدو المظهر المتأخر (زمناً) للنقوش الكلتية الغربية في النمط الفني الذي أخذ يقلد شغف الايرلنديين بالصور المنعكسة وبتمثيل الهيكل العظمي في المخلوقات الحية تم بشعور عميق بالمسيحية. وحملت النقود هنا، كما هي الحال بالنسبة للشعوب التي ناقشناها في الفصول السابقة، حملت كثيراً من الأساليب الفنية الخاصة بعصرها في مجيئها من العالم القديم للجديد. وإن انتاج كلت كولومبيا البريطانية يتحفنا بتذكار متواصل لما كان ينجزه أبناء عمومتهم في ايرلاندا. فيظهر جلياً اذن أن الرحلة الخرافية لكلت ايرلاندا في عصر بريندا (Brendan) قد وقعت فعلا وقد جلب الفكر والفن الكلتي الى هنا بواسطة الرحالة. وهنا أترك القارىء يتأمل الصور والشروح الخاصة بها.



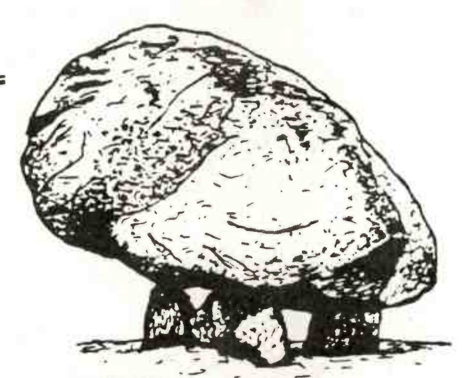

يبدو أن الكلتيين الامريكيين، من اقليم نيو إنجلاند، قد انتشروا عبر امريكا الشمالية. حول خط عرض حوالي ٤٠ الى ٥٠ شمالا، قبل الأزمنة الرومانية. أما توزيعهم اللاحقة فان من الصعب تمييزه عن المستوطنين النورسيين، نظراً للتشابه الكبير بين الفن الكلتي والفن النورسي. وجاءت الهجرات الكلتية اللاحقة، في معظمها من ايرلندا، واحضرت الديانة المسيحية الى الوثنيين السابقيين.



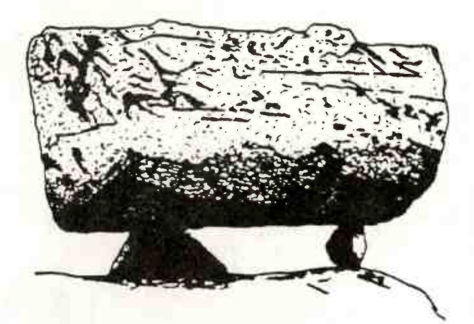
LYNN
Massachusetts



BARTLETT
New Hampshire



NORTH SALEM
New York



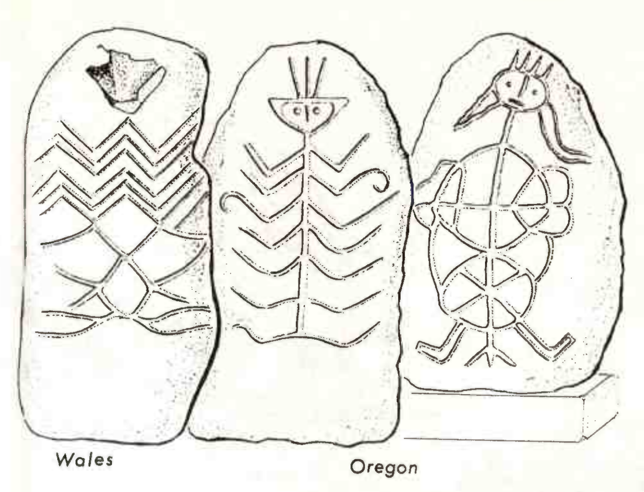
KINNELON
New Jersey

# DOLMENS

EASTERN NORTH AMERICA

Whittall

لقد تم التعرف على قبور ضخمة كثيرة من نشر كتاب (امريكا قبل التاريخ). ويظهر في هذه المنتخبات التي رسمها جيمس واتول. مثلان قد خططا حديثاً. كل منه يزن غطاءه خمسين طناً. ولقد اكتشفا في لين Lynn، بولاية ماساتشوسيتس. وفي كينيلون Kinnelon، بولاية نيوجيرسي New Jersey. ولا زال القبر الذي عثر عليه في نورث سالم North Salem والذي بلغ وزن غطائه ٩٠ طناً، أكبر الامثلة المعروفة في أمريكا. (جيمس واتول).




لقد حدثت هجرة عبر القارة لكلتي نيو انجلاند في وقت مبكر جدا، حملوا لذلك معهم الى أوريجون Oregon اكثر الفن الكلتي بدائية، ما يسمى عادة في بريطانيا بـ «المغليث Megaltis» ولكن كما أشير اليه في كتاب (امريكا قبل التاريخ) لا يمكن تحديد في امريكا بين الكلتية القديمة المغليتية. ويوجد المثل الذي عثر عليه في ويلز، عند باركلودياد واي جوريس Barclodiad Y Gawres، في انجلبزب Anglesey، وأما المثلان اللذان عثر عليهما في اوريجون فهما من اقليم دلاس Dalles (وصفهما بيت Beth وري هيل Ray Hill، وكتاب (النقوش الهندية لشمال غرب المحيط الهادىء) هانكوك Hancock، ١٩٧٤، وتوجد قوالبها في متحف جمعية أوريحون التاريخية).



القبر الضخم الذي عثر عليه في لين Lynn، بولاية ماساتشوسيتس، وعرف من أيام الاستعمار لصخرة فايتون روك Phaeton Rok، ولم يعرف إلا حديثاً من قبل واتول كقبر من قبور ما قبل التاريخ. (تصوير: جيمس واتول)



جزء من تمثال نحت في صخر محلي، وكان أصلا في سيرزماونت، بولاية مين، ومنه ازيح هذا الرأس الكبير، ليوضع في متحف قرب سبوربردج فيلاج Musum Sturbridge Village، بولاية ماساتشوسيتس، أما موقع جذع التمثال فانه غير مقروف الان.

توحى أوراق بلوط المستنقعات وجوزته على التاج بوجود تاثرات درويدية. وتدل العيون المحدقة باتساع وشكل انحناءات الخيشومين على تاثر في كلتي ايرلندي. (من متحف ستوربريدج، تصوير: مالكوم بيرسون).

يوحى الرأس البطولي، ضعف حجم الرأس الطبيعي، على أن التمثال الحجري، الاكثر جموداً من السابق، كلتي فرنسي، ولقد اكتشف في سنة ١٨١١ على عمق ١٠ أقدام، عندما حفرت اساسات قبو في منزل باسيكس Essex في ولاية ماساتشوسيتس. ويوجد الان في متحف بيبودي Peabody، بسالم. (قدم الصورة: متحف بيبوري بسالم، جيمس واتول).




فن إيرلندي نموذجي لما يسمى بالمغليتي (الجانب الايمن) مقارنا مع نقوش اوريجون المماثلة (الجانب اليسار). قدمتا تفاصيل التوزيع من قبل بيت وري هيل (١٩٧٤).



إلهة كلتية من البرتغال توجد الان في مجموعة واتول. (تصور: مالكوم بيرسون).

جلوريا فارلي مع حجر المحدود الكلتي في أردمور، بولاية وكلاهوما، والنقش بالابجدية يقرأ: AILC AOS NOUG. FIRID أما اللغة فهي جاديليك، وهي شبيهة جداً بلغة الجيلك الايرلندية الحديثة.



A

A B C E F G I L M N O P Q

R S T U

B

A D F G I L N O R S U

C

A B C D E F G I L M N O P

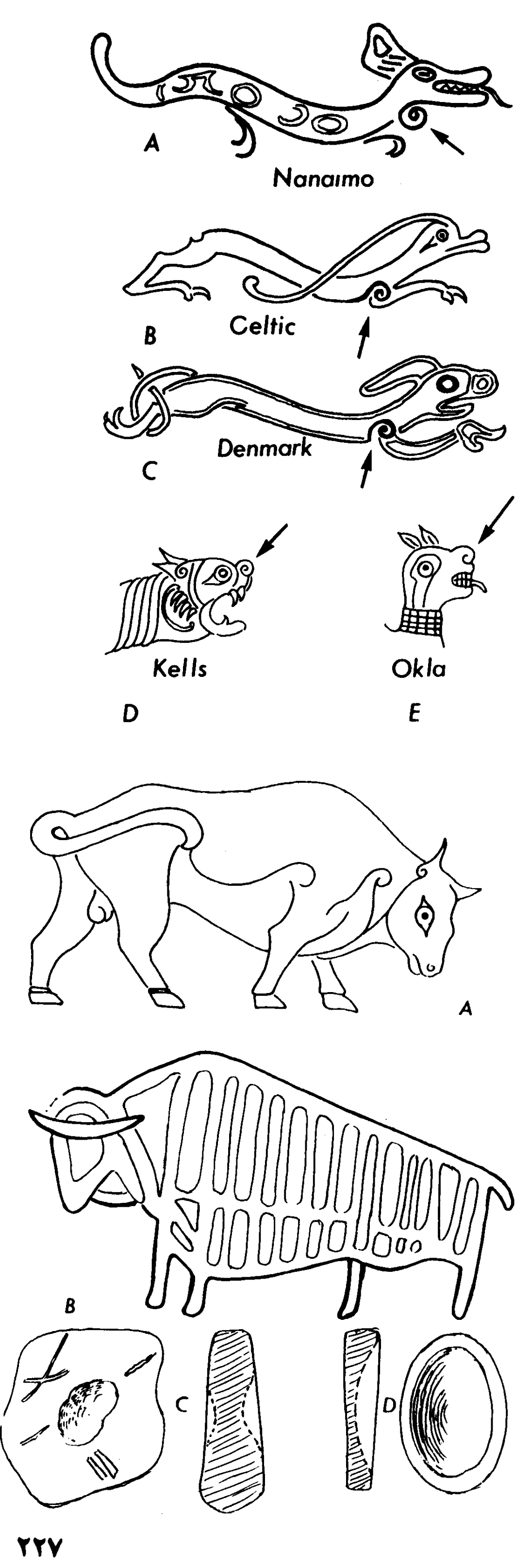
R S T V

D

A B C D E F G I L N O P

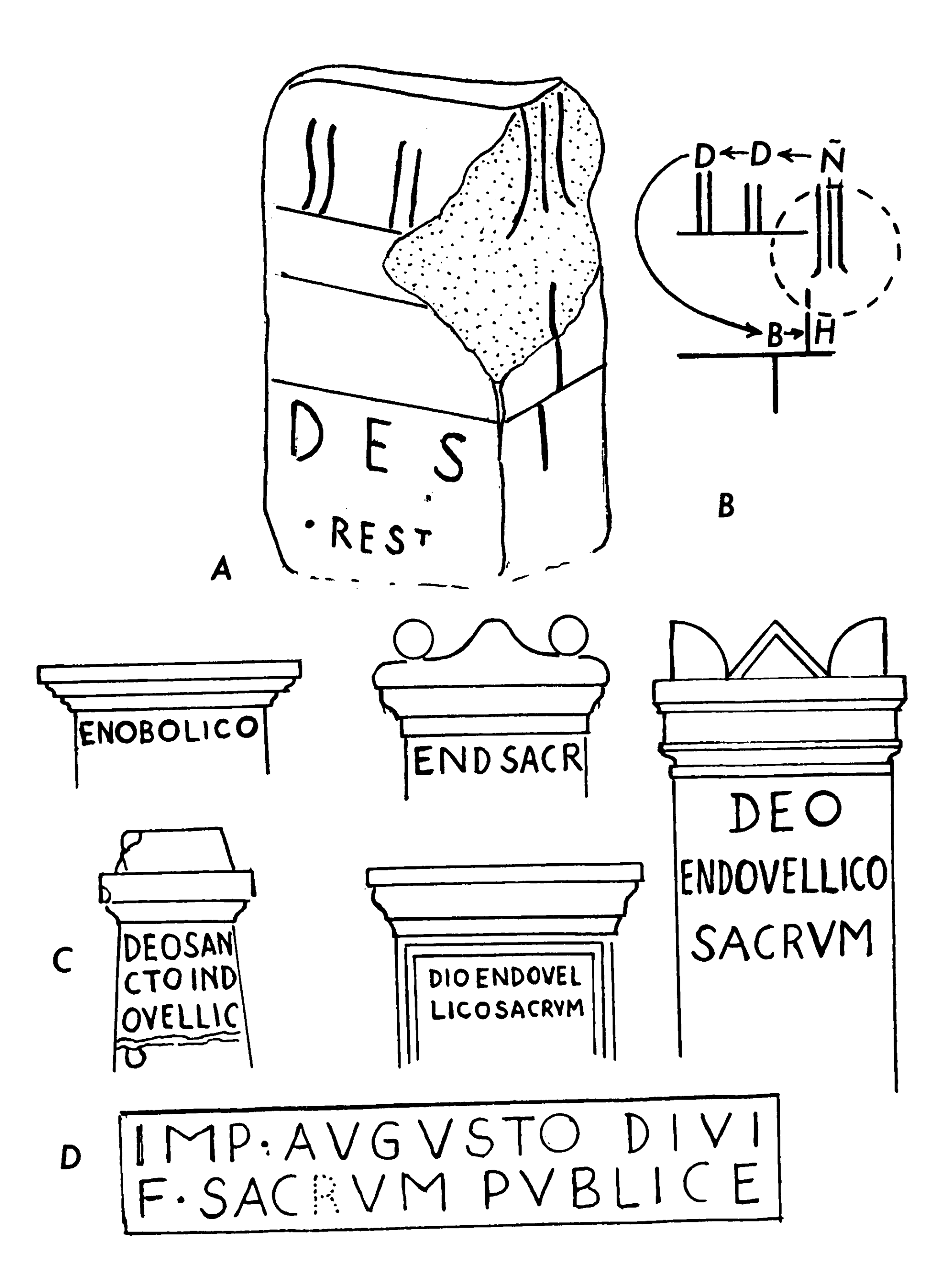
R S T V

أربع أبجديات كلبية. A- طالقة Italica (اسبانيا) حوالي ١٠٠ م، فيرجيل اينيد aeneid vergil . B- اردمور (اوكلاهوما)، حجر حد. C- مخطوطة أوكونور تانيستتشد ÓConnor Tanisteachd، كلتية أيبيرية. D- كتاب كيلز Kells (ايرلندا) حالي القرن الثامن الميلادي. يوحي عكس الحروف F، R و L التقارب الوثيق بين أسلوب كيلز والاسلوب الأمريكي.



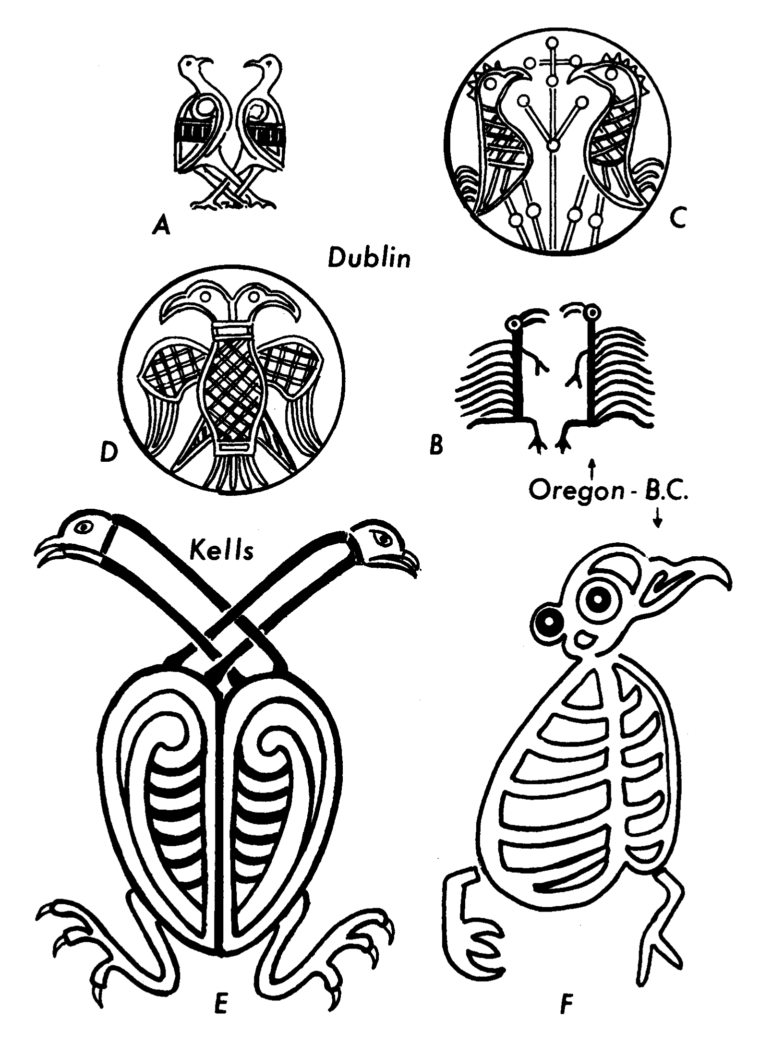

تنينات كلتية عثر عليها في مقاطعات وجدت فيها نقوش كلتية أو عاش فيها الكلتيين، كما تم تبنيها من قبل الفاتيكنج كشكل فني منحوت. A- نانمو Nanaimo، بالدانمارك. وجدت في كولومبيا Columbia British (كندا)، عن طريق (بيت وري هيل). B- في مخطوطات كلتية في سانت جالين St.Gallen، بسويسرا (مدينة كلتية سابقة). C- مثال فايكنجر من مامين Mammen، بالدانمارك. لاحظ التفاصيل مثل اللولب عند الكشف، وهو تقليد أعتباطي صرف ولا يمكن أن يكون قد تطور على نحو مستقل. ولا زالت الكريبولية Creol الكلتية، وفي كولومبيا البريطانية. حتى اليوم، لغة يتحدث بها التاكهيلنيون Takhelne، وتم التعرف على نقوش أوجامية الان. ويمكن رؤية معالجات لولبية في خشوني أنف الحيوان الذي اشتمل عليه (كتاب كيلز)، ايرلندا، الشكل D وفي النقش E، في كل سبيرو، بولاية اوكلاهوما.

ان الفن الكلتي، في البرتغال وايرلندا واسكتلندا يولي اهتماما كبيراً لرسم الثيران وفق أسلوب مقين. A- كما ورد في (كتاب كيلز)، وفي عدة نقوش حجرية باسكتلندا. B- صورة على شكل هيكل عظمي، عثرن عليها جلوريا فالي في كولورادو، في عام ١٩٧٨. إن الاهتمام بالاعضاء الداخلية، وخاصة العظام، هي أيضا احد مظاهر الفن الكلتي القديم: C، D، أحجار لمس كلتي قصد بها إبعاد الشيء عن طريق حك الابهام في انخفاض بيضوي عند اقتراب الخطر، من جنوب ايلينوى، وعثر عليه الاستاذ هالسي ميلر W. Miller Halsey، وهو في الاصل حصاة نقلها الجليد، أما تحزيزها الطبيعي فقد فسر خطا من قبل الكلتيين القدامى على انه او جامع من صنع الهي. D- حجر لمس حديث او (أو حجر القلق) من كونيمارا Connemara، بايرلندا، وهو صخر ناعم أخضر اللون، جمعته ريني فيل.

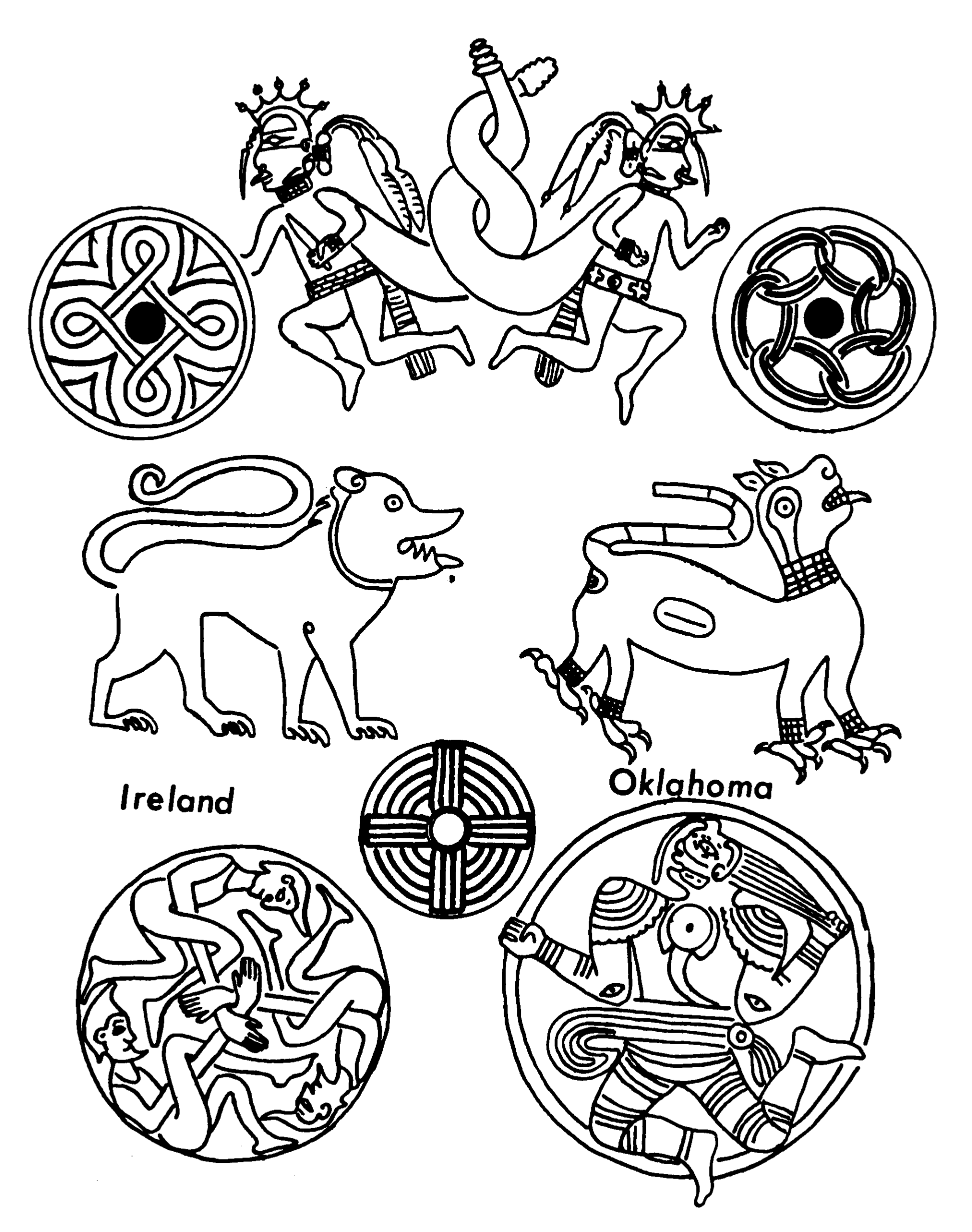

D E S
• R E S T
A
D ← D ← Ñ
B → H
B
ENOBOLICO
END SACR
DEO
ENDOVELLICO
SACRVM
C
DEOSAN
CTO IND
OVELLIC
DIO ENDOVEL
LICOSACRVM
D
IMP· AVGVSTO DIVI
F· SACRVM PVBLICE

مذبح تكريس ثنائي اللغة أوجام ـ لاتيني من البرتغال، ويعود تاريخ قسم أوجام إلى تاريخ سابق للاحتلال الروماني، أما القسم اللاتيني والاجزاء المرممة من أوجام، فيعود تاريخها تقريباً إلى حوالي زمن أغوسطس (القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الأول بعد الميلاد). A- حجر المذبح وهو واحد من سلسلة بلغت أكثر من عشرين مثالا من موقع كلتي قديم، يعرف الآن بسان ميجويل دي موتا San Miguel de Mota. واستطاع الاستاذ سكارلات لامبرينو Scarlat Lambrino، من جامعة لشبونة، من خلال مقارنة هذا الحجر مع غيره من أحجار المجموعة بأن يظهر أن الحروف اللاتينية D E S تمثل SACRUM DEO ENDOBHELICO (مقدس للاله اندو بيليكوس Endobellicus). وتعني الحروف REST الموجودة باسفل المذبح الكنسي RESTITUTUM بأن المذبح قد تضرر، ثم رمم وأعيد إلى وضعه السابق أيام الرومان. ويطابق نمط الحروف تلك التي كرست لأغوسطس وعثر عليها في سان ميجويل دي موتا، وعرضت في الشكل D إلى أسفل. حيث أن الترميم قد تم في جميع الاحتمالات في نفس الوقت التي اجرى فيه وضع جميع الأعمدة التي تحمل نقوشاً تذكارية. ويبدو أن حجر المذبح المشطوب A أقدم المجموعة كلها. ان النص الاوجامي الذي اعيد فيه نقش بعض الحروف أو تم اصلاحها عندما أضيف النص اللاتيني، فقد تم فكه في الشكل B، إلى اليمين. والى الحد الذي عرف للغة الاوجامية الخالية من حروف العلة، فان النص يعطي شكل مختصراً لاسم الاله BH(O)NDD(E)، وهو المثال الوحيد المعروف الذي يذكر فيه في حروف سلتية اسم هذا الاله الكلتي.

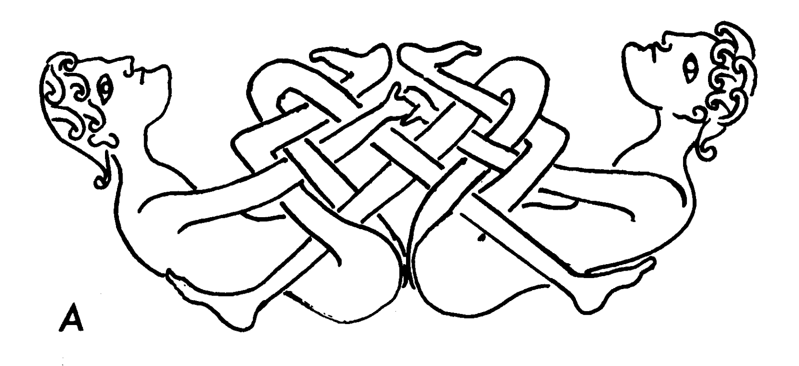
لقد تم التنبؤ بوجود هذه النصب التذكارية للغة الاوجامية الخالية من حروف العلة، في البرتغال واسبانيا في كتاب (امريكا قبل التاريخ)، وبعد نشره مباشرة اكتشفت بعض الأمثلة ـ وعلى وجه الخصوص هذا النص ثنائي اللغة. والدليل حاسم على أن اللغة الاوجامية الخالية من حروف العلة للنمط الأمريكي قد استخدمت في مناطق كلتية بالبرتغال واسبانيا، وأن الحروف هي في الواقع من أصل أيبيري، أو انها في جميع الأحوال قد استخدمت في أيبيرية قبل قرون من الأمثلة القديمة جداً من بريطانيا. إن الادعاء بأن «أوجام قد اخترعت في لندن في فترة لا تسبق القرن الرابع الميلادي، عن طريق شخص درس اللاتينية» (معهد سميتسونيان، نص من كتاب (امريكا قبل التاريخ، مايو ١٩٧٨) يبدو أنه وضع على اساس عدة نظريات كانت شائعة قبل ربع قرن، عندما أيدت أيضا الأصول الاتروركية، وكذلك الأصل العربي الذي ارتاه براش Brash، وهو العالم البارز في اللغة الاوجامية في القرن التاسع عشر. وغفل منظرون لاحقون أيضا حقيقة أن براش وزميله الاسقف جريفز Bishop Graves والسير ساموبل فيرجوسون Sir Samuel Fergussan قد قدموا امثلة للاوجامية الايرلندية، وقد حذفت منها حروف العلة. ولقد أعاد جيمس واتول نشر هذه الأمثلة، وهي الآن في متاحف بايرلندا، واشار إلى انه يبدو أن لا فرق بينها وبين نقوش مشابهة لعبدة القضيب وجدت بامريكا، وأشير إليها في كتاب (امريكا قبل التاريخ).

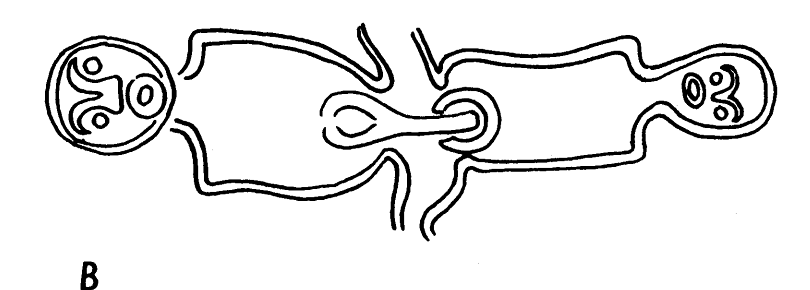


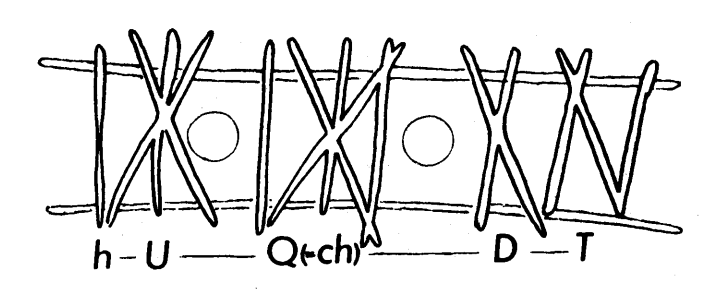

طيور في شكل هياكل عظمية، تظهر على نحو كبير في فن كلا البلدين، ولكن في حين أن النوع البريطاني قد يكون ذا رأيين فان كلتيي غرب أمريكا استخدموا طائراً له عيون في رأسه من الأمام ومن الخلف. A- من كتاب ليندسفارني Lindisfarne مبسطاً. B- من كيتسيلاس كانيون Kitselas Canyon، كولومبيا البريطانية، عن ادوارد ميدي Edward Meade في كتابه Indian Rock Carvings of the Pacific North West، (جريز Grays ١٩٧١). C و D- من نقود رمزية بدبلن، وهما من أصل ايرلندي ــ نورسي مشترك.




مواضيع فنية ايرلندية (الشكلان إلى أسفل اليسار) للمقارنة مع مواضيع فنية نموذجية لسلسلة تل سبيرو، أوكلاهوما. كانت الكلتية الاوجامية المبكرة موجودة في أوكلاهوما.

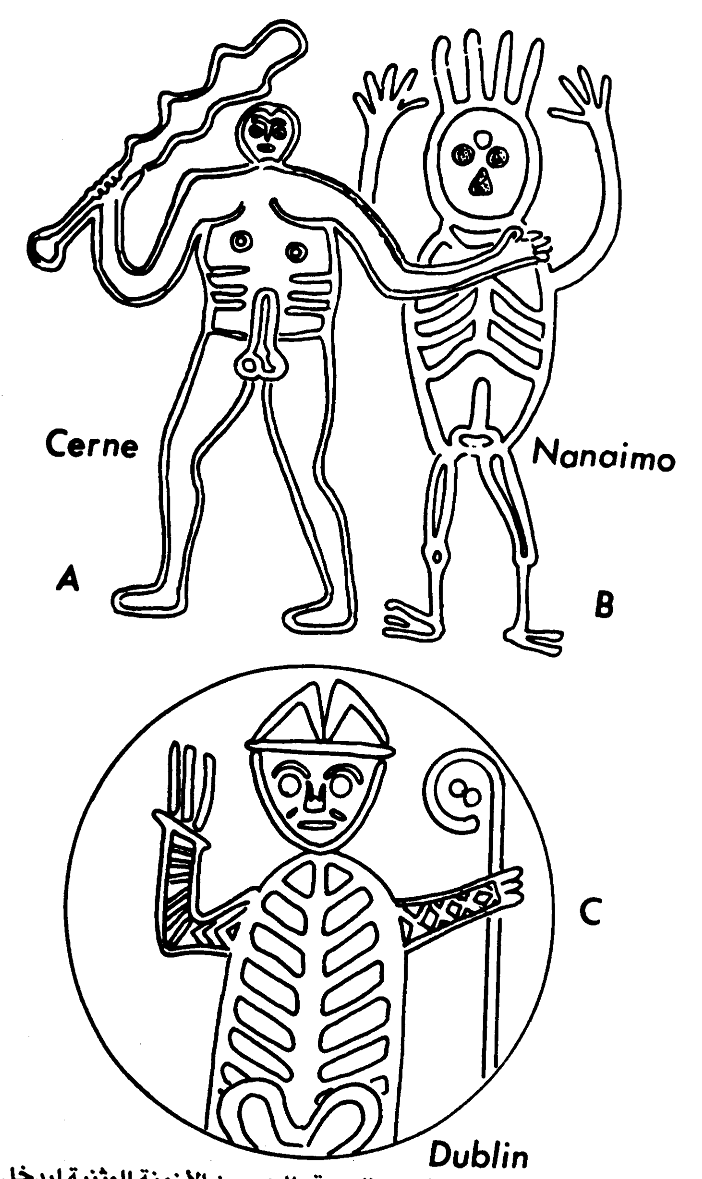



كـان الـفـنـانـون الـغـيـلـيـون، بحلول القرن الثامن الميلادي، مفتونين بما تعكسه المرآة. وكان الـفـن قـد أصبح أكثر تـعقيداً في ايرلندا، وظل في أمريكا صريحاً. A- من (كتاب كيلز)، مبسطاً. B- نـقـش حـجـري في The Dalles بـولايـة أوريـجـون، على نـهر كولومبيا، وزوجان في جماع في كلو-أوز Clo-oose، بجزيرة فانكوفر Vancouver، اكتشفت وسجلت من قبل بيت وري هيل في كتاب:

**Indian Petroglyphs of the Pacific Northwest,**
**(Hancock House, 1974)**

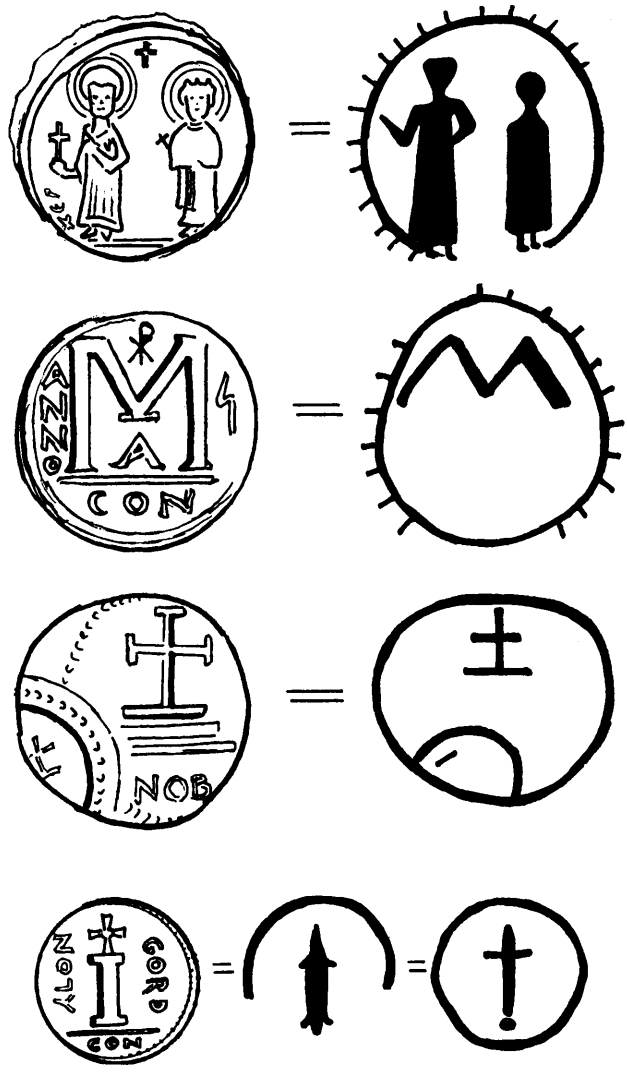



يتجاوز الفن. على شكل هياكل عظيمة. الحد بين الأزمنة الوثنية ليدخل الفن الكلتي المسيحي. كما هو الوضع في حالة الاسقف الايرلندي. ولعله القديس باتريك. وهو يظن في الشكل C على عملة رمزية من العصور الوسطى من دبلن. هنا تحتل العظام الحوضية محل القضيب في الأنماط الأكثر قدما. كما في العملاق سيرني Cerne، ونوقشت A، في كتاب (أمريكا قبل التاريخ). والشكل نانيامو المشابه (بيد أنه أصغر بكثير) قد سجل من قبل بيت وري هيل (١٩٧٤). C- شكل لعملة رمزية قوامها القصدير اكتشفت حديثا في دبلن واعتقد أن تاريخها يعود إلى القرن الثاني عشر الميلادي.

رسوم فنية قابلة للمقارنة مع بعضها، واحدة من ايرلندا (إلى اليسار) والأخرى من الشمال الغربي المطل على المحيط الهادي (إلى اليمين)، واقتبس الرسم الأخير عن بيت وري هيل (١٩٧٤).




قد تكيف علم شعارات الأنساب الروماني مع الجمهور الأمريكي. عندما هزم يوليوس قيصر بطليموس الثاني عشر، في سنة ٤٧ قبل الميلاد، احتفل بفتح أفريقيا باصدار درهم يحمل صورة فيل يدوس على ثعبان. وبعد مضي قليل من الوقت نقلت القطع النقدية نبأ الحدث إلى مستوطنات كولورادو. وحاول فنان من جلين كانيون Glen Canyon وهو يدرك المشاعر الأمريكية ألا يجرح شعور عبدة الثعبان فحول الثعبان إلى لولب وقد قذف سهواً في الجو، ثم أضاف معزى الجبال كذلك وعلى الطريقة الكلتية قام بوصلها بلولب مزدوج. (القطعة النقدية من مجموعة فيل Fill، والصور من جلين كانيون، عن صور من متحف يوتا للتاريخ الطبيعي «Utah Museum of Natural History»).




عندما وصلت العملات البزنطية إلى غرب أمريكا الشمالية (عن طريق السفن العربية، وعن طريق الاغريق البزنطيين من كولورادو) كان كلتيو الشمال الغربي انتقائيين فيما يتعلق بالتصميمات التي يستخدمونها في الأشكال المعمارية المنقوشة. ففي حين أنه في كولورادو، تبدو جميع الفئات مثل التي تسمى أنماط الترس الهندية (الفصل السابع)، فان تلك التصميمات فقط التي يمكن تفسيرها، على أنها مسيحية تظهر في نقوش وصور كولومبيا البريطانية. وعلى هذا فان حرف الـ M الكبيرة في الفلس قد أختيرت، إذ يمكن أن تفهم على انها ترمز لمريم Maria، أما تعرف الـ K الذي يظهر على العملة الرومانية البرونزية نقد رفضي، إذ أنه لا يحمل أي مدلول مسيحي. وعلى اليسار، تظهر قطع نقدية بزنطية نموذجية لأوائل العصور الوسطى، وعلى اليمين، نقوش مماثلة جمعها جون كورنير John Corner وتظهر في:

Interior of British Columbia, Vernon, B.C.: Wayside

Press, 1968). منْ مواقع على طول نهر فريزر. وكانت هذه المنطقة، كما تبدو من النقوش الاوجامية، يحتلها في السابق السكان التاكهيلنيون القاطنون في بحيرات أعالي وادي فريزير، والتي تعتبر لغتهم الحالية، إلى حد كبير، من أصل كلتي أيبيري (فيل Fell ١٩٧٦).

نقود أصدرها الأمراء الصليبيون وخلفاؤهم في اليونان، وتقليدها من قبل الأتراك، A- كانت نموذجا للنقود الرمزية لدبلن الشكل B. ويبدو أن الأخيرة بدورها، نموذج للنقش الحجري من كولومبيا البريطانية الشكل C، والذي جمعه كورنير في سنة ١٩٦٨. وكذلك E، الذي لاحظه أيضا كورنير، يبدو أنه تقليد في كولومبيا البريطانية للقطعة البزنطية الشكل D، والتي أصدرها في ١٠٦٧-١٠٧١م، الأمبراطور رومانوس الرابع، أثناء سنوات الحروب الصليبية، عندما تسربت إلى أوروبا الشمالية، خاصة أيرلندا، تلك القطع النقدية.

A

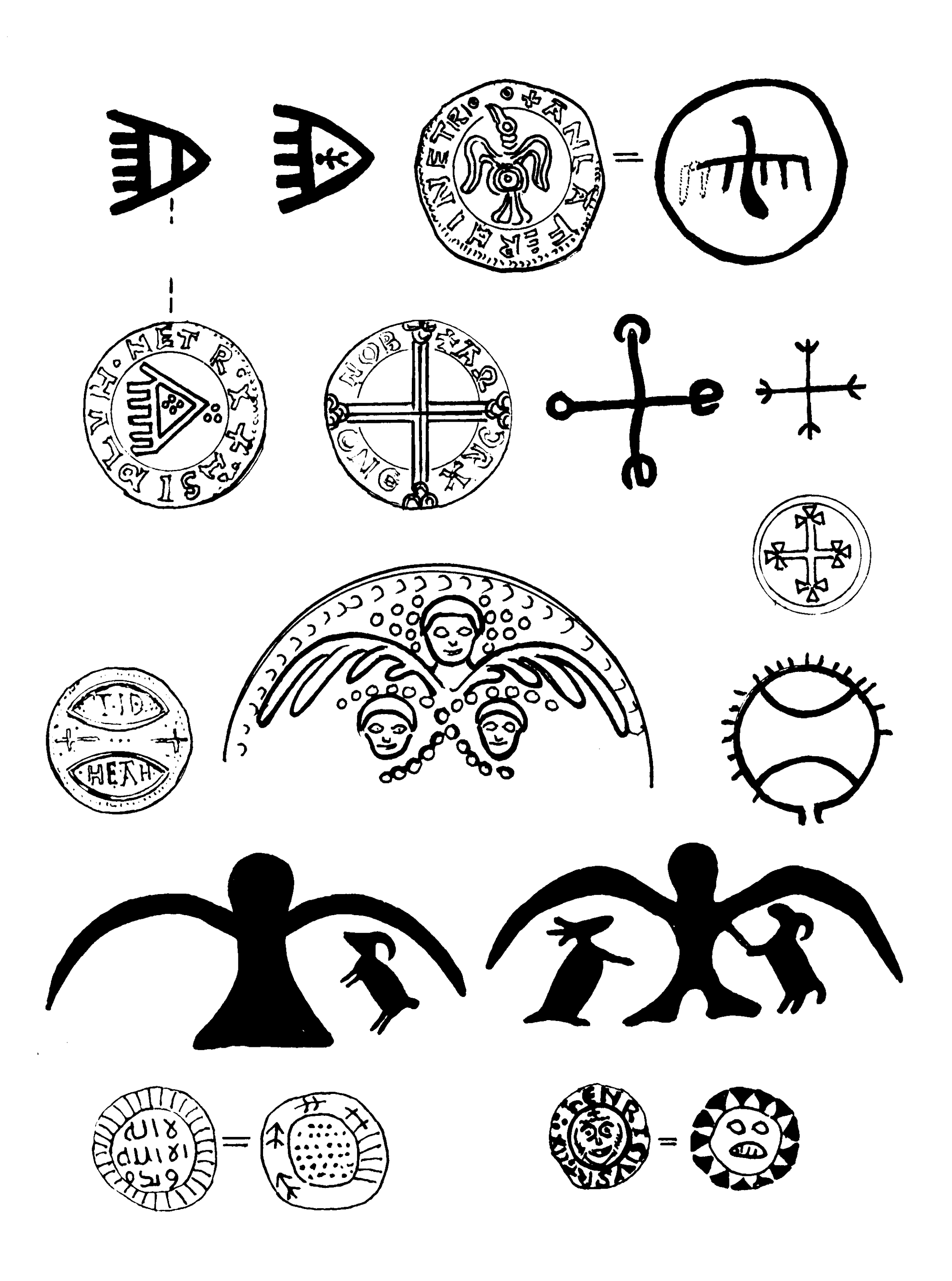
B

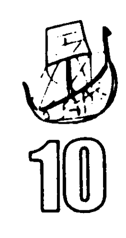
C

D

E

الصفحة المقابلة: شعارات منقوشة على نقود دانماركية (كانت تداولة في ايرلندا) من الفترة ٩٠٠ إلى ١٠٠٠ م، السطور الأربعة الأولى، والشعارات المشتقة منها ـ كما يبدو ـ في كولومبيا البريطانية. وفي السطر الأسفل تظهر شعارات من كولومبيا البريطانية. مشتقة من عملة اسلامية مبكرة (إلى اليسار)، تعود إلى القرن السابع الميلادي، وبني نورماني (إلى اليمين) يعود إلى القرن الثاني عشر.





# 10

# مخطوطات جيفرسون المفقودة

بالاضافة الى اهتماماته ومهاراته الأخرى، كان الرئيس توماس جيفرسون موهو با بميل طبيعي الى اللغات، و يقال أنه أتقن تسعا بما فيها ثلاث من اللهجات الأمريكية الهندية، ومثل بقية الرجال من طرازه، كان يضيق بالمحافظين الأكاديميين وإن لم ينقص ذلك اطلاقا من احترامه للجامعات التي أسس هو نفسه أحداها. لقد كتب لأحد أحفاده، وكان طالباً في كولومبيا ناصحا اياه بألا يضيع وقته في تلقي دروس الأغريقية إذ أنه يستطيع تعلمها بسهولة بتخصيص ساعتين لدراستها وحده في المساء وأضاف جيفرسون قائلا: «لا أعرف معلماً أفضل من قاموس جيد». كما نصح الشاب بأن يتابع دورات في حساب التفاضل ولكن في غير الحالة التي يصر فيها أستاذ الرياضة على تضيعه الوقت في مقرر أساسي في الهندسة.

وكان جيفرسون جد مهتم بهنود أمريكا و بمعضلة كيفية مجيئهم الى أمريكا واقتنع بأنه قد يجد في لغتهم مفتاحاً مهماً للموضوع، وكلف أثناء مدة رئاسته كلا من لو يس (Lewis) وكلارك (Clark) بأن يقوما بوضع قائمة لجميع الكلمات المستعملة في لغات مختلف القبائل التي يمر الكشافان عبر أراضيها وقد اندهش جيفرسون نفسه عندما مر بفيرمونت (Vermont) لمشاهدة شعب الأ بيناكي (Abenaki) يكتبون على قطع ناعمة من اللحاء الداخلي لشجر البتولا (Birch)، وقد كتب هو نفسه عدة رسائل الى ابنته عليها أثناء رحلته.

وفي رسالة كتبها الى جون آدمس (John Adams) سنة ١٨١٢ قال جيفرسون أن اهتمامه بالهنود الأمريكيين ابتدأ في صباه:

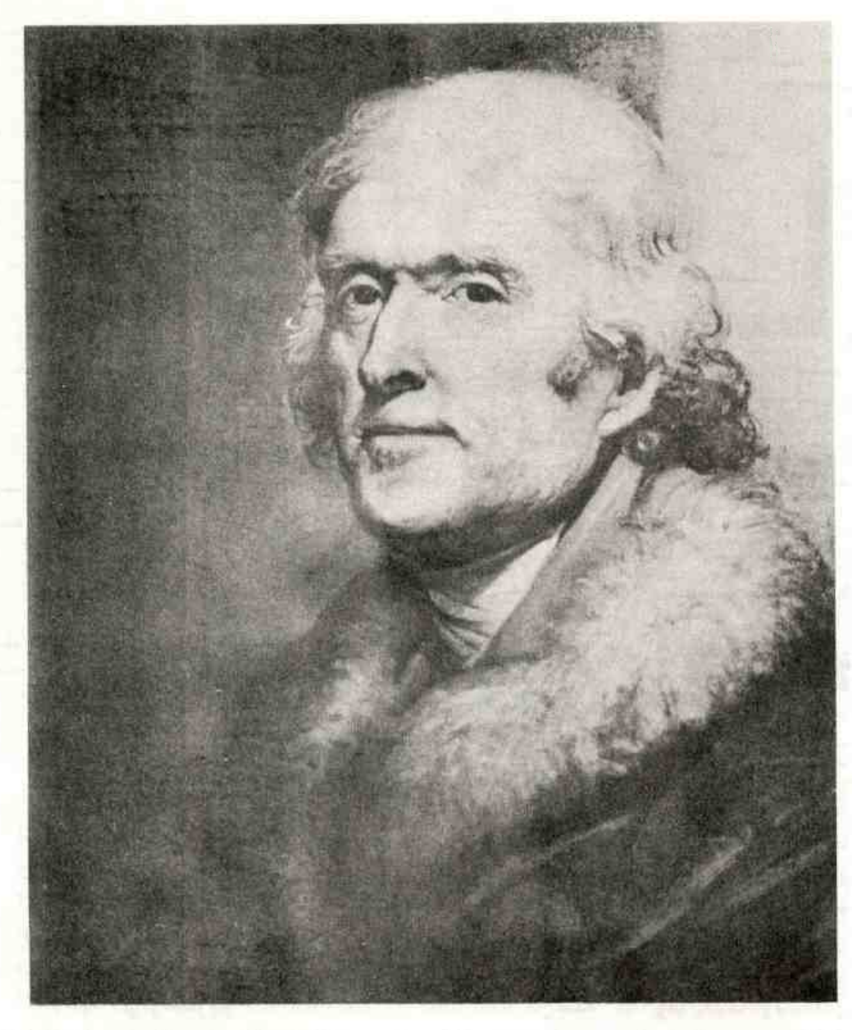
«في المرحلة المبكرة من عمري كنت خبيراً بهم واكتسبت انطباعات ربطتني بهم ولم تمح أبداً وعشت قبل الثورة معهم كثيراً وعلمت الكثير من أوتاسيتي (Outacitu) العظيم وهو مناضل وخطيب الشيروكي (Cherokees) الذي كان دائماً ضيف أبي عند سفرياته من والي ويليامز بورغ (Williams Bourg) وكنت في معسكره عندما

أقام بالقاء خطبة الوداع على شعبه في المساء السابق لمغادرته الى لندن.

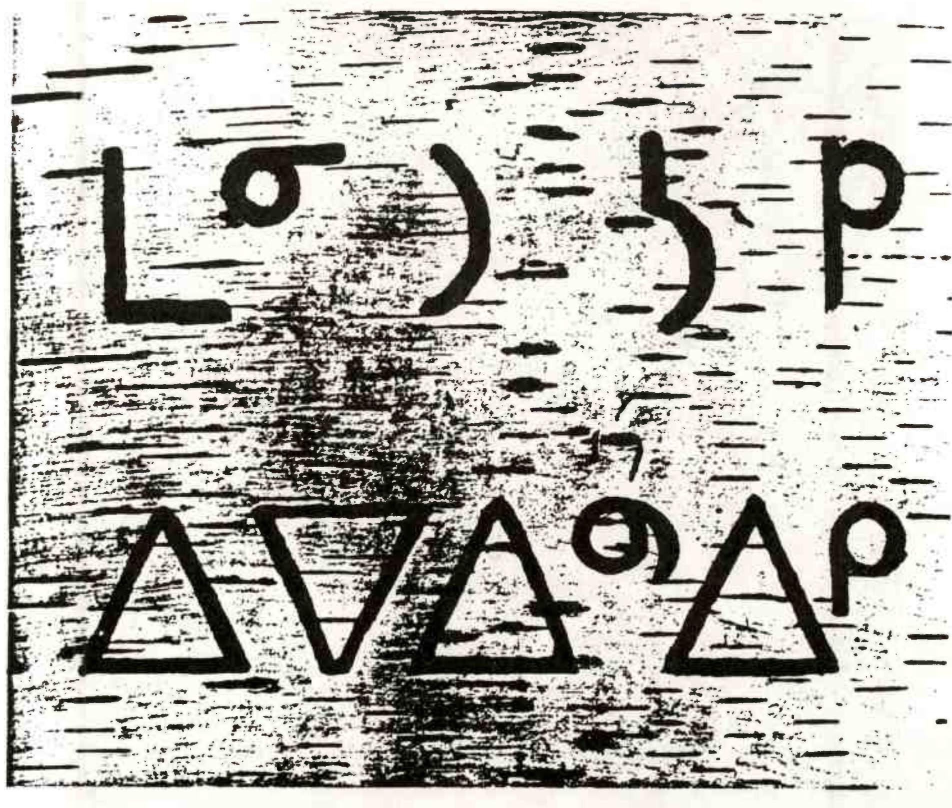
كان القمر في عز سطوعه وبدا كأنه يخاطبه في ابتهالاته لنجاته في الرحلة ولنجاة شعبه أثناء غيابه، وملأني صوته الجهوري ونطقه الواضح وحركاته القوية وصمت جمهوره المطلق حول نيرانهم العديدة. ملأني روعاً واحتراماً ولو أني لم أفهم كلمة مما قاله.

وفي رسائله «ملحوظات حول ولاية فيرجينيا» المنشورة في لندن سنة ١٧٨٧، يبرهن جيفرسون بأن الشغف الطاغي بين وجهاء بريطانيا بفتح أكوام المدافن للبحث عن نفائس عتيقة أو مخلفات أخرى للسكان القدامى الذين هم أسلاف الشعوب الحديثة، قد انتشر الى أمريكا حيث أشرف جيفرسون نفسه على حفر خندق عبر كوم في فرجينيا. وقد أشار الى اهتمامه هذا مرة ثانية في ١٧٩٧ خلال محاضرة ألقاها على جمعية الفلسفة الأمريكية بعد أن انتخب رئيساً لها. إن تعلق جيفرسون باللغات لم يضعف قط ولو أنه كان يستطيع ارضاء هوايته باللغات المنقرضة فقط خلال الفراغ المفروض عليه أوقات بعده عن المناصب. ومثل كل رجل متعلم في عصره، تعلم اللاتينية في المدرسة وكانت لديه مبادىء الأغريقية. أما اللغة الأنجلوساكسونية فجذبته صدفة أثناء بحثه أشتقاق بعض الكلمات الانجليزية، فأصبح شغوفاً بها وبالانجليزية المتوسطة لدرجة أنه ألف مقرراً لتعليم اللغتين بجامعة فيرجينيا. ثم انتخب لأعلى منصب في الجمهورية وعليه أجبر على ترك الدراسات اللغوية جانباً لبعض الوقت.

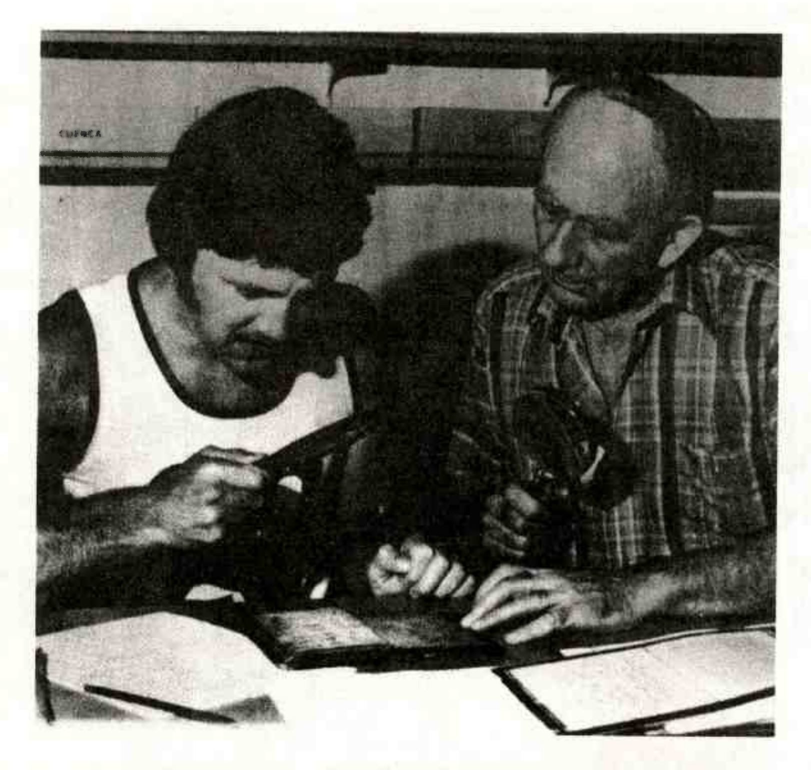
ثم حدثت الحرب ضد قراصنة شمال أفريقية (Barbary Pirates) «أي أساطيل الشمال الأفريقي الاسلامي أيام الجهاد البحري الذي ساهم فيه الليبيون بجدارة أذاقوا الأمريكيين الويل حتى أنهم دعوهم حقداً قراصنة ـ المترجم» أثناء رئاسته يبدو أن موظفي السلك الدبلوماسي، عندما تم فتح مكاتب قنصلية في شمال أفريقيا من طرف وزارة الخارجية (State Department)، قد اختيروا على أساس اتقانهم للغات وذلك أمر غير معروف كثيراً وقد اطلعت عنه في أوراق نسخها لأجلي جيمس هويتال. فنجد في وقت متأخر كسنة ١٨٢٣ أن ويليام شايلر (William Shalet)، قنصل الولايات المتحدة في الجزائر، كان يقدم سلسلة من الفصول العلمية عن اللغة البربرية لتنشرها جمعية الفلسفة الأمريكية. وفي احدى ابلاغاته يقترح بأن يدرب



تـومـاس جـيفـرسـون Thomas Jefferson ، من صـورة زيـتـيـة لـريـمـبـرانـدت بـيلي Peale Rembrandt ، رسـمـت في عـام ١٨٠٥ . وفي ذلـك الـوقت لعل الاتصالات ملا الممثلين القنصليين للولايات المتحدة في طرابلس والجزائر ـ كـنـتـيـجـة للحرب ضد قرصنة الدول الساحلية بالشمال الأفريقي، قد لفتت انتباه جيفرسون إلى امكانية وجود بعض العلاقات اللغوية بين لـغـات الشمال الافريقي وتلك التي في أمريكا الشمالية. فشجع القناصل في شمال أفريقيا على جـمـع المفردات اللغويـة، كما شجع المستكشفين الامريكيين من أمثال لويس Lewis وكلارك Clark اللـذيـن كـانـا يصادفان القبائل الامريكية التي لم تكن معروفة من قبل. غير أن بحثه المزمع حـول الموضوع أثناء تقاعده لم يتحقق نتيجة لسرقة وتدمير السجلات اللغوية التي كان قد قام بجمعها أثناء معظم حياته.

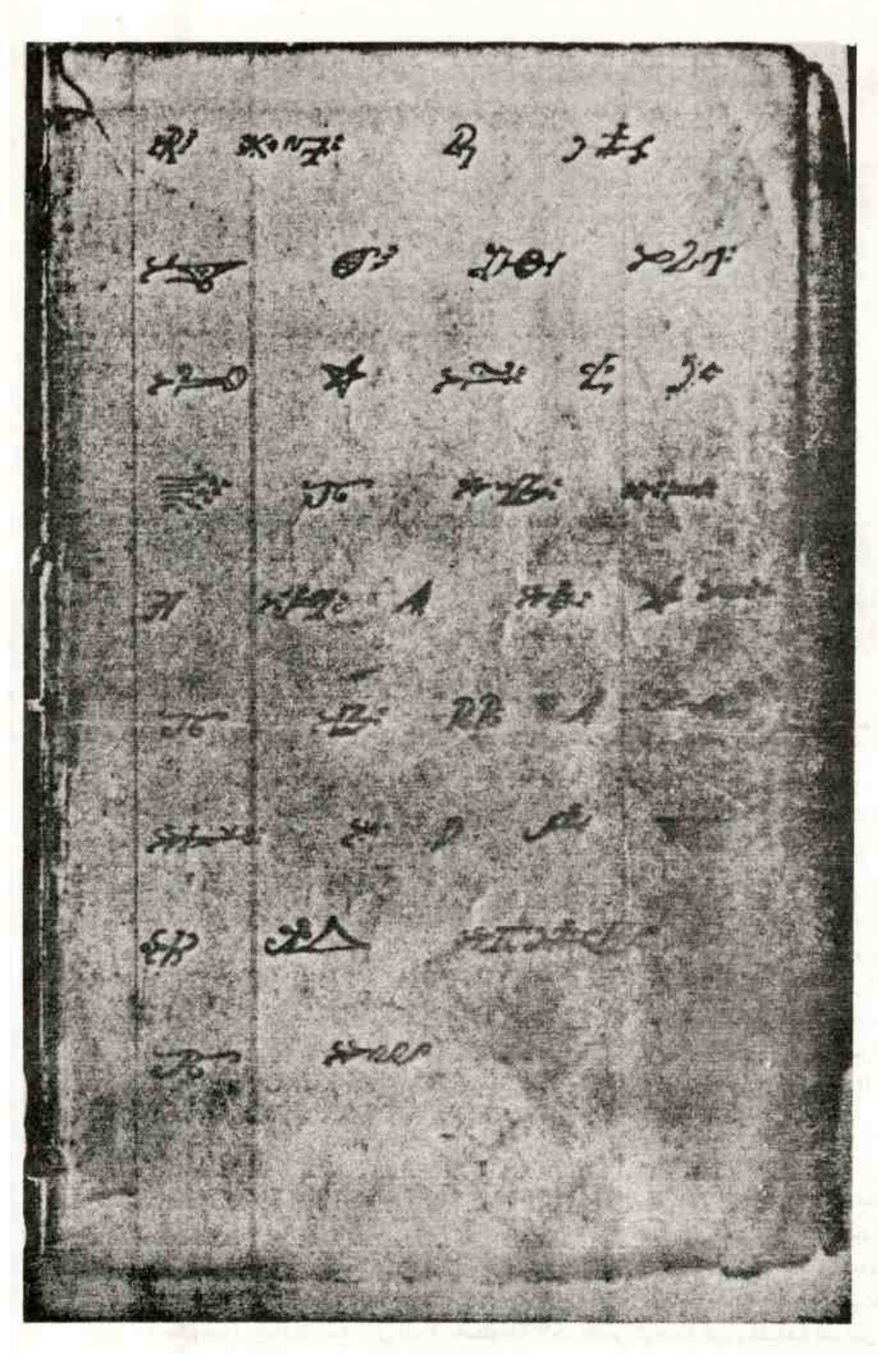


لقد وجد المبشرون الذين كانوا يعملون في قبيلة الكري Cree والقبائل الجونكويانية الأخرى في كندا في أوائل القرن التاسع عشر إن من المناسب تكييفف وتطوير أبجدية محلية لعرض الدعوة المسيحية في شكل جذاب للهنود. ويبدو جلياً أن الاشارات التي تمثل الحروف الساكنة في النص الأصلي قد جاءت من أصل احدى الكتابات الايبيرية القديمة. وجيمس ايفانز James Evans، وهو مدرس من أتباع ونزلي Wesleyan، اشتغل مع قبيلة كري الغربية، في أونتاريو Ontario ومانيتوبا Manitoba من سنة ١٨٤٠ وما بعدها، ويساعده وليام ميسون William Mason بتطوير الكتابة للدلالة على حروف العلة (عن طريق ادارة الحروف إلى أي وضع من أربعة مواضع) ثم قام بعد ذلك بترجمة أجزاء من العهد الجديد New Testement أو (الانجيل). واستخدما في البداية لحاء شجرة البتولاء للكتابة بدل الورق، كما فعل الهنود. ومن المحتمل أن هذا المثال هو من عمل طالب هندي شاب. ويقرأ من السيطر الأعلى، من اليسار إلى اليمين، Ma-ni-to sa-ki (الله هو الحب) ويقرأ السطر السفلي من اليمين إلى اليسار ki-i-chi i-a-i (الروح العظمى). ويطابق سبل من الخط والمفردات جذور العربية الكلاسيكية ذات النغمة والمعنى المشابهين مما يظهر بأن نظام الكتابة لا يمكن أن يكون اختراعاً حديثاً، وانما ـ مثل كما في حالة قبيلة ميكماك المجاورة ـ لابد وأنه أحضر الى أمريكا الشمالية في فترة متقدمة من رحلات شمال أفريقيا. (متحف النقوش، تصوير: بيترج. جارفل).

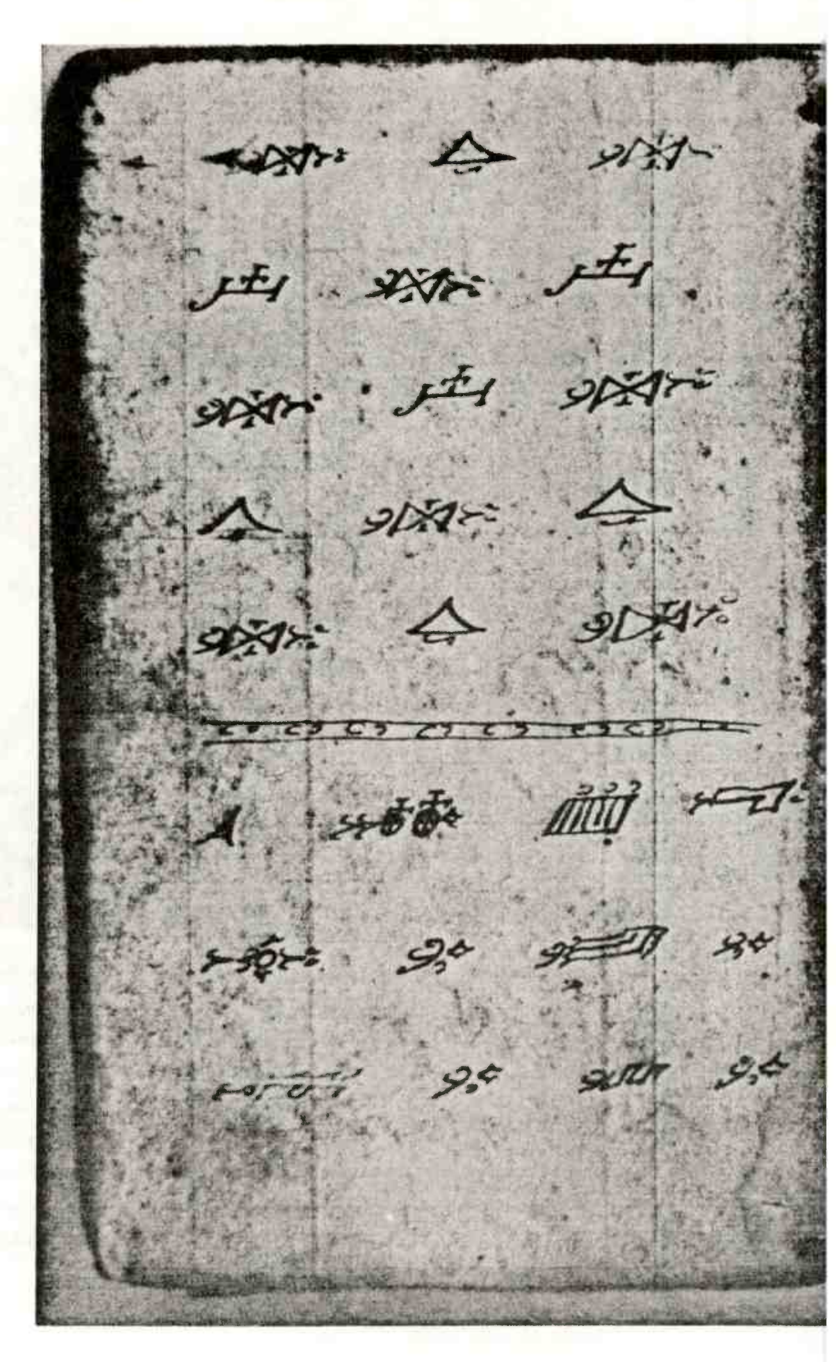



ان استخدام نظام الكتابة الهيروغليفية من قبل هنود الميكماك في نوفا سكوشيا عربي في كتاب (أمريكا قبل الميلاد) الى تأثير من مصر، وتم توضيح تشابه الاشارات مع الحروف الهيرية Hieratic في قوائم. وحيث أن الكتابة الميكماكية كانت مستخدمة في نوفا سكوشيا لمدة قرن (على الأقل) قبل أن يقوم تشامبوليون Champollion أول مرة بفك حروف المصرية القديمة، فقد اعتبر هذا دليلا على وجود اتصال قديم مع الكتاب المصريين لاسلاف الميكماكيين الحاليين. وقادت دراسات أكثر حداثة إلى الاستنتاج بأن الاتصال الميكماكي لم يكن، على نحو كبير، بشكل مباشر مع الكتاب المصريين، بل كان على الأصح مع الليبيين الشرقيين، من الحدود المصرية الليبية. لقد كان هذا الاقليم يوماً موطناً لقبيلة Adrymachid والتي يقول عنها المؤرخ الاغريقي القديم هيرودوت Herodotus بأنها كانت قد «تبنت الاساليب والعادات المصرية».

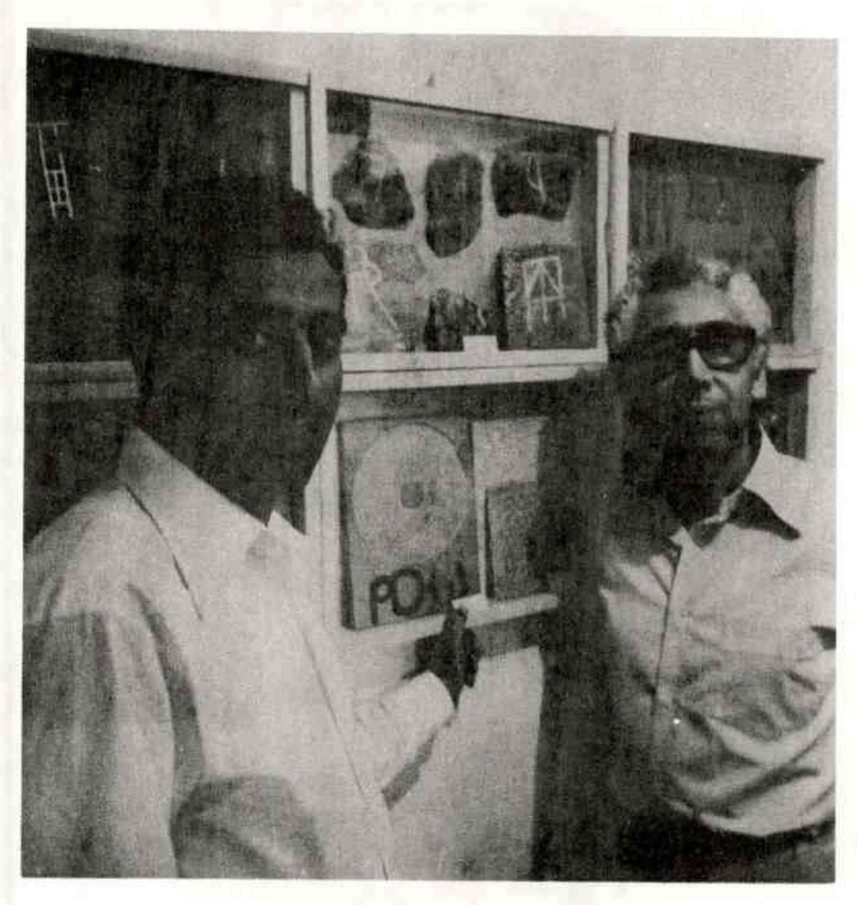
ويذكر هيرودوت أيضاً بأن ليبي اقليم واحة سيوة (وهي الآن جزء من مصر) يتحدثون لغة كانت مزيجاً من «الفينيقية والمصرية». كما لوحظت أيضا اشارات ميكماكية على اعلان ثنائي اللغة لملك ليبي في القرن الثاني قبل الميلاد. وعلى ذلك فلعل الخط الميكماكي يعزى إلى تأثير شرق ليبيا. ويبدو هنا برنارد فرانسيس من مركز الثقافة القبلية الميكماكية بنوفا سكوشيا، يناقش مع فيل Fell مخطوطة لاجزاء من ترجمة هيروغليفية لقداس كاثوليكي، ترجمها أبي ميلارد Abbé Maillard في القرن الثامن عشر. (تصوير: بيتر ج. جارفل).



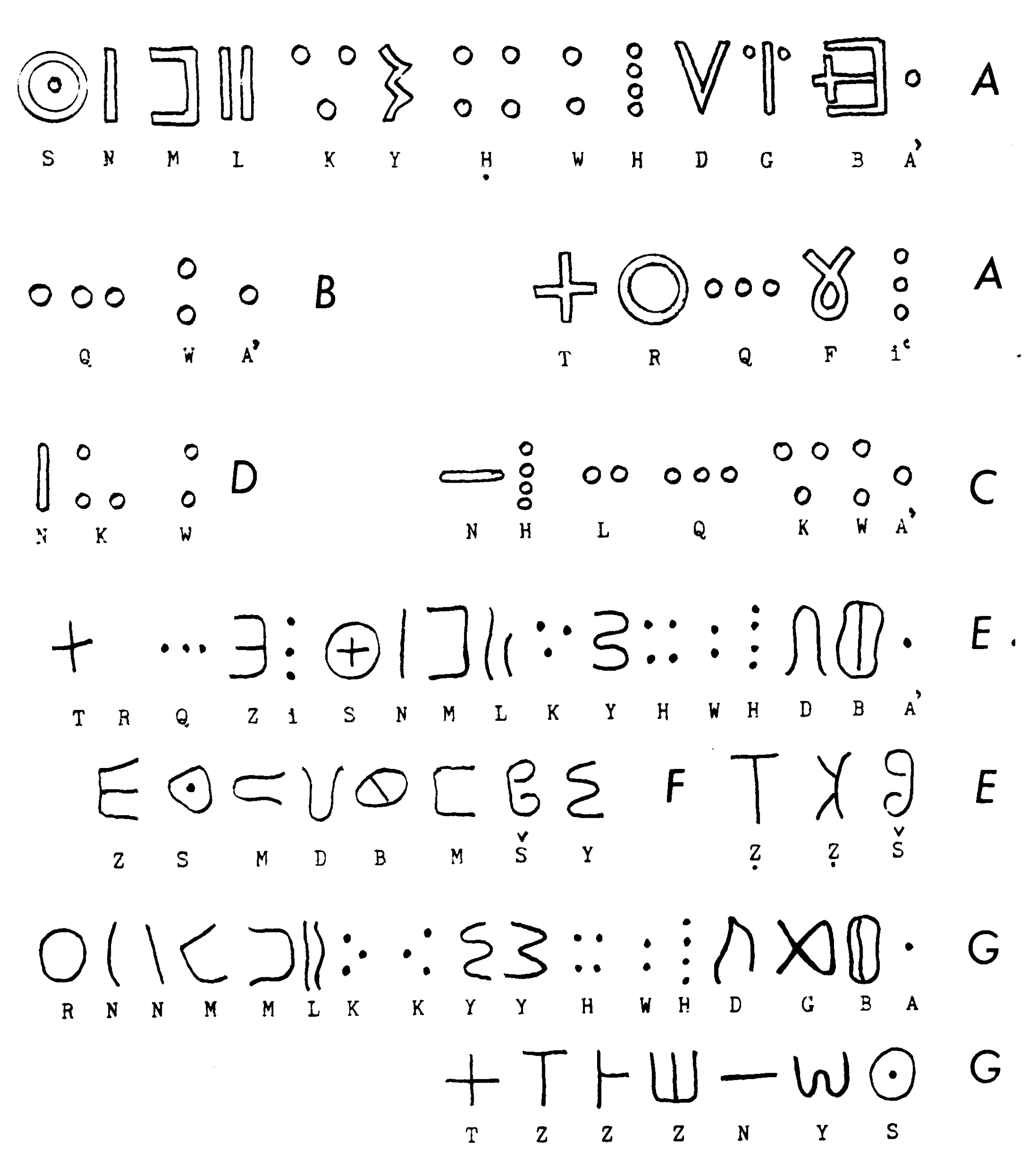
بداية صفحة من كتاب قداسي هيروغليفي، ورد في التوضيح السابق، وهو واحد من عدة نسخ مكتوبة باليد لا زالت موجودة. أما القسم الذي يظهر في الصفحة اليسارية، إلى أعلى، فهو جزء من صلاة كرياليسونية، وتقرأ الخمسة أسطر الأولى كما يلي: (١) إرحمنا، يا الله أرحمنا (٢) يا مسيح ارحمنا، يا مسيح (٣) ارحمنا، يا مسيح (٤) يا الله ارحمنا، يا الله (٥)



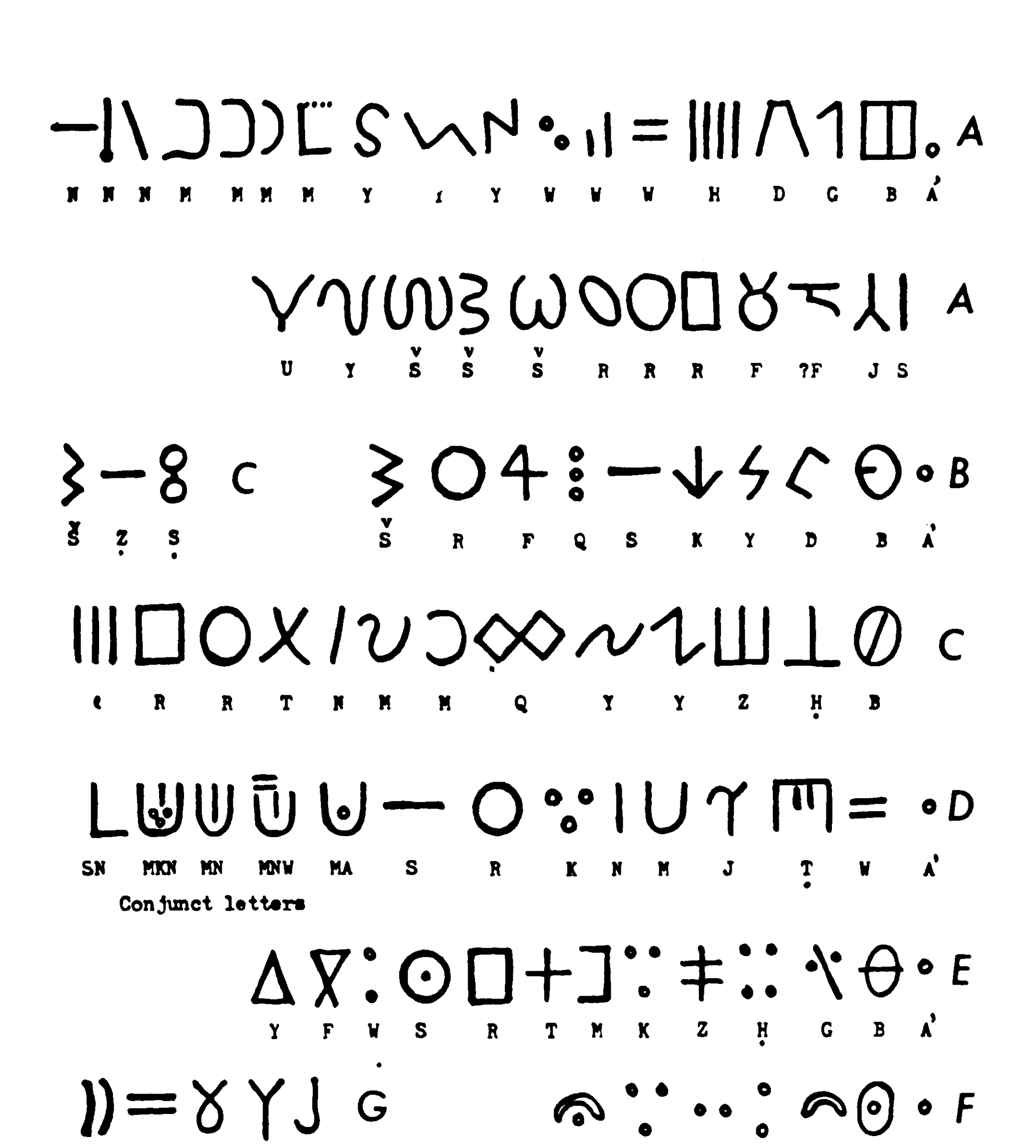
ارحمنا، يا الله ارحمنا. ومن المناسب هنا أن نلاحظ بأنه يرد على عصاة صلاة لكيكابو ـ في مجموعة سيمتسونيان ـ تكرر جملة الصلاة الكرياليسونية ثلاث مرات بالخط القرطاجني (يا الله ارحمنا)، واستخدمت كلمة بعل Baal بدل الله Lord. (تصوير: بيتر ج. جارفل).



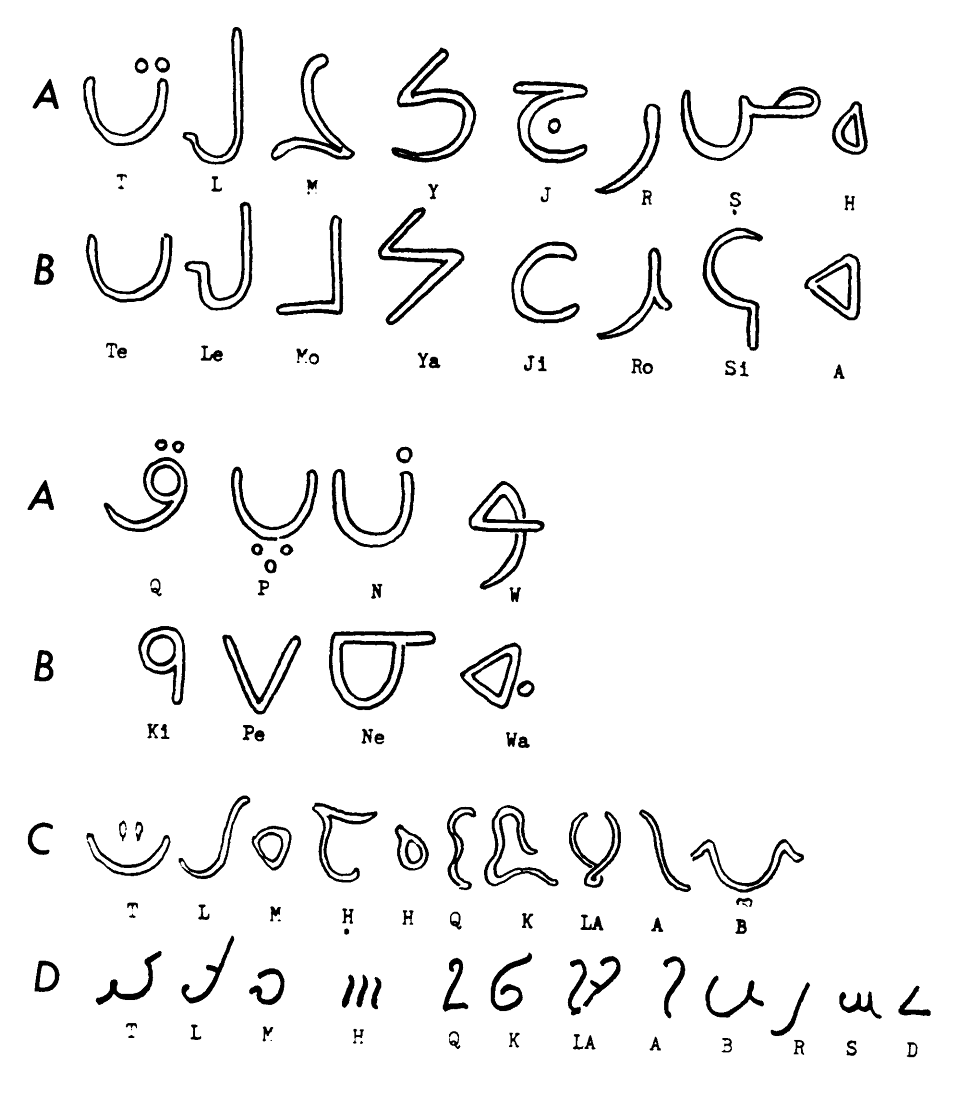

الدكتور محمد الجراري (إلى اليسار) يشير إلى أول نقش كوفي يتم التعرف عليه في أمريكا الشمالية، حيث وردت كلمة شمس (باللغة العربية) مع شكل بالطين الأحمر يمثل قرص الشمس، وعمل منه نموذجاً مصغراً إلى نصف حجمه الطبيعي الذي وجد عليه في موقع بولاية تكساس. ولقد اكتشف في سنة ١٩٣٥، وأشير إليه في الأصل كعلامة سوداء على شكل دودي، مع ما يبدو أنه قرص شمس، وأما طبيعته الحقيقية فقد أشار إليها فيل لأول مرة في محاضرة ألقاها في جامعة مين في سنة ١٩٧٦. إن هذه الزيارة الأولى إلى جامعة هارفر في سنة ١٩٧٧ من قبل الدكتور محمد الجراري والدكتور على خشيم (إلى اليمين) أدت إلى تعاون أوثق بين باحثي شمال أفريقيا والأمريكيين، ثم إلى اكتشاف نقوش كوفية عديدة في مناطق أخرى من أمريكا الشمالية. (تصوير: بيتر ج. جارفل).




أبجديات تشترك فيها أمريكا الشمالية وشمال أفريقيا، ١ ـ أبجديات تيفيناج من شمال أفريقيا وأمريكا الشمالية: A- الأبجدية تاماهان من مرتفعات الهقار Ahaggar (الجزائر)، إنجيل القديس جون كتب بلغة محلية بشمال أفريقيا. B- شرق لايمي East Lyme، نيانتيه Niantic (كونكتيكت)، المعروفة بـ«الحجر القدحي» وهي (علامة شحن ليبية) يعود تاريخها إلى بعد سنة ١٠٠ م. C- نقش الكاهان Al-Kahan، من لاجومارسينو (غرب نيفادا). D- توقيع من شمال أفريقيا، عثر عليها في جارفيلد فلات Garfield Flat (نيفادا). E- خطاب جروف للشيخات Shikkat (لويس رن Louis Rinn) من الجزائر. F- أشكال مختلفة استخدمت في نفس خطاب الشيخات (تبدو أشكال انعكاسات مرآة في سطور تقرأ بالتبادل من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين، أي أن البطرفة كانت ما زالت مستخدمة في نهاية القرن التاسع عشر). G- خطاب بكتابة أجور Aggour (الجزائر): توجد أشكال مدارة ٩٠ في كلمات كتبت عمودية (النص يتلوى في بطرفية معقدة).




ابجديات تشترك فيها أمريكا الشمالية وشمال أفريقيا. ٢ ـ أبجديات ليبية في أمريكا الشمالية: A- ماساكر ليك Massacre Lake وسوان ليك كانيون Swan Lake Canyon، بولاية نيفادا (حروف في خرائط من أمريكا الشمالية وجزر هاواي Hawai، أنظر الفصل الثاني عشر). B- ماساكر ليك، خريطة للرقبة Kasba (قرية من قرى الهنود الحمر). C- ماساكر ليك، سجل حصباء الذرة. D- هيكسون سوميت Hickson Summit، بولاية نيفادا (نص إسلامي، «لا تسال حظا من الله... الخ») ويظهر هذا استمرار استخدام الكتابة الليبية بعد القرن السابع الميلادي. E- جزيرة أوك Oak Island، نوفا سكوشيا. كتابة تيفيناجية ليبية متاخرة، حوالي سنة ٥٠٠ ميلادية. F- تيفيناج من جزر فيرجين Virgin Islands (إسلامي؟). G- من ولاية تينيسي.




أبجديات تشترك فيها أمريكا الشمالية وشمال أفريقيا، ٣ ـ كتابة من شمال ايبيرية تعتبر محلية بين قبائل الجونكويانية الشرقية والوسطى. A- ما يظهر من هذا الشكل، هو نمط الخط العربي الشائع الاستعمال في الوطن العربي اليوم. أما الحروف التي تستخدمها قبائل الكري والاوجيبوي فتظهر في B، ولقد اتخذت بنض القبائل الجونكويانية الأخرى أشكالا مشابهة جداً، وبحلول سنة ١٩٥٠ اتخذ الاسكيمو Eskimo في كندا شكلا معدلا تعديلا طفيفاً. ويمكن ادارة كل حرف في الاستخدامات الجونكويانية والاسكيموية، أربعة مواضع، ٩٠ على نحو مستقل، وبهذا يعطي كل واحد منها امكانية أربعة حروف علة على تبع الحرف الصحيح. C- كتابة نسخية من السلفادور وساحل المحيط الهادي، وهي من أصل اندونيسي. D- الديموتيكية Demotic، وهي كتابة استخدمت في مصر القديمة في أواخر تاريخها. ويوحي التشابه في حروفها مع أبجدية نسخ العربية الحديثة بأن النسخ يمكن أن من أصل ديموتيكي، في حين أن الخط الكوفي أوثق صلة بالكتابة الليبية القديمة.




توزيعات بعض الكتابات من شمال افريقيا وايبيرية في امريكا. H- هيروغليفية شرق ليبيا (ادريماشيد، ميكماك). I- ايبيرية وغرب ليبية مجتمعتان معا. K- عربي كوفي. L- عربية ليبية اونوميدية. N- نسخ. T- تيفيناج. بالاضافة الى أن قبائل الكري والاوجيبوي Ojibway والتشيبوايانية Chippewayan في كندا، تستخدم كتابة الجونكويانية من أصل شمال ايبيري.

شاب يتقن اللغات في باريس على العربية، ليلتحق فيما بعد بقنصليته حتى يبحث في اللغة البربرية. وقد كان جيفرسون حينذاك طاعناً في العمر ولو أنه قائم بمهامه كعضو في مجلس الجمعية. وتشبه القواميس التي زودها بها شايلر تلك التي سبق وطلب جيفرسون من لويس وكلارك اعدادها، وأعتقد أنه من الممكن أن نلمح خلالها تدخل يد الباحث الفرجيني.

ومع ذلك التجمع الدقيق للمواد اللغوية أيام جيفرسون وبداية شعوره، كما يبدو، بأن لغات شمال أفريقيا قد تفيد دراسة اللغات الأمريكية، نتساءل: لماذا لم ينتج شيء عن تلك الدراسات اذن؟. أعطى مترجم حياة جيفرسون توماس فليمنغ (Thomas Fleming) رداً مقتضباً لهذا السؤال في كتابه «الرجل من مونتيشيللو (The Man From Monticello) يقول فليمنغ:

«إن ما تطلع إليه جيفرسون كعمل فكري عند تقاعده قد أتلفه فكان هناك في صندوق شحن من البيت الأبيض الى مونتيشيللو عديد من الأوراق والملاحظات جمعها خلال مدة خمسين عاماً عن اللغة الهندية ولهجاتها. وكان ينوي تأليف كتاب مكمل عنها ليساعد على استقصاء أصولها بمقارنة أنماطهم اللغوية الأساسية معتبرها في حضارات أخرى. فبفضل معرفته اللغة الأنجلوالساكسونية واليونانية ونصف دستة من غيرها، كان جيفرسون جد مؤهل للمشروع، لكن سارقاً صعد السفينة المتجهة الى مونتيشيللو وخطف ذلك الصندوق الفريد. فعندما لم يجد به ما يصلح، ألقى به في نهر جيمس (James River). ثم استطاع بعض الأصدقاء اصطياد بعضاً من المخطوطات وأرسلوها الى جيفرسون ملطخة بالوحل غير قابلة للقراءة. هكذا ضاع كل أمل في انجاز عمل شامل.

إلا أن الدارسين استمروا في التحري بين البربر، وفي الوقت الذي قدم فيه شايلر قاموسه لجمعية الفلسفة، قام الدكتور والتر أودني (Dr. Walter Oudney) برحلة ساحلية في اتجاه تونس، فلاحظ أنه أينما صادف في طريقه مجتمعات بربرية كانت الصخور المجاورة مخدوشة عليها علامات «تشبه نوعاً ما الحروف الأوروبية» وبعد الاستفسار علم أنها فعلا كتابات بربرية وتحصل من سلطان غات على قائمة القرائن الصوتية لتلك الحروف، وقد تم نشر يوميات أودني مع قوائم المفردات البربرية مترجمة الى الفرنسية سنة ١٨٤٥ بمعرفة ١.ف. جومار (E.F.Jomard).

وبمضي الزمن، جمع المزيد من المستكشفين نسخاً من النقوش الغريبة، وأخذ الدارسون يفطنون الى أنه هناك على الأقل نوعان من الأبجديات احداهما تدعى «تيفيناغ» وهي مستعملة من طرف بعض القبائل البربرية حتى يومنا هذا وتعتبر أحدث من مثيلتها الأخرى المختلفة عنها قليلا والتي استعملت في قديم الزمان وتسمى ليبية أو نوميدية، ولذا تكون اللغة المكتوبة بالتيفيناغ بربرية حديثة و يمكن فهمها وترجمتها ممن عرف البربرية، أما لغة الليبيين القدامى، فقد بقيت سراً مطوياً لمدة ١٥٠ سنة تقريباً.

وكشفت استطلاعات أخرى بأن الأبجدية الليبية كانت مستعملة على طول شمال أفريقيا من السودان شرقاً الى المغرب غرباً، ثم وجدت أمثلة للخط الليبي منقوشة على الحجارة الضخمة (Dolmen) في أسبانيا وعلى أوجه الصخور العالية بجزر الكاناري وفي أزمنة متأخرة في أمريكا وبعض جزر الباسيفيك.

عندما تعرفنا عن الكتابات الليبية في أمريكا، أخذت أركز المزيد من الاهتمام بمسألة فك ألغاز اللغة الليبية القديمة. أما بعض النصوص على هيئة خدوش قصيرة والتي تركها كشافون على وجوه الصخور عند مرورهم فيمكن قراءتها كلهجة مصرية وقد ضمنت بعضها في (أمريكاق م). إلا أن الأخرى، في كل من أمريكا وشمال أفريقيا، لم تكن لها صلة واضحة بالمصرية القديمة وبقيت غير محلولة. ثم جاء الحل سنة ١٩٧٦م وكان مفاجأة كبيرة وبدا أن هذا الوجه من عملي هو الذي استقطب اهتمام الدارسين في جامعات ليبيا وفي أقطار أخرى من العالم العربي وهو الذي أدى الى التعاون المتين القائم حاليا، ذلك أن النتائج أخذت تلقي ضوءاً جديداً على تاريخ أقطار البحر الأبيض المتوسط الجنوبية وعلاقتها بكل من العالم العربي والأمريكي.

وعندما غادرت طرابلس لاستئناف عملي حول الكتابات الليبية بشمال أفريقيا، تركت هناك، مع زملائي بتلك الجامعة، ملفاً من مخطوطات فسرتها، لتعليقاتهم واقتراحاتهم وما يحتمل من التصحيحات. وعندما يصدر هذا الكتاب ستكون التفسيرات قد ضمت الى سلسلة منشورات جمعية النقوش (النشرات الطارئة، المجلد ٦ لسنة ١٩٧٩).

مات جيفرسون في سنة ١٨٢٦م وبعد مضي أربعة عشر عاماً وجد مبشر شاب من أتباع و يزلي (Wesley) اسمه جيمس ايفانس (James Evans) الذي أرسل للتبشير بين قبيلة كري (Cree) الى سلسلة جبال روكي، وجد أن مستمعيه كانوا يمتلكون نمطاً كتابياً تخدش حروفه الساكنة أو ترسم على القشور الداخلية للشجر، ففكر ايفانس في استعمال الحروف الهندية الأمريكية في ترجمته لأجزاء من الانجيل معبراً على الحركات بادارة الحروف الى أربعة أوضاع مختلفة ليمثل بهذه الطريقة الحركة بعد الحرف الساكن، إذ تعرف على أربعة منها فقط، بحيث انقلبت الحروف الساكنة الى علامات مقطعية حسب مبدأ نطق: تا ـ ته ـ تي ـ تو (Ta-Te-Ti-To) بدلا من التاء الأصلية، وسا ـ سيه ـ سي ـ سو (Sa-Se-Si-So) بدلا من السين الأصلية وهلم جرا، فهو لم يعلم طبعاً أن الكتابة المحلية منحدرة من الأبجدية الأيبيرية.

واتخذ بقية المبشرين هذه الطريقة لتعليم القبائل الألغونكية الأخرى معتقدين أن إيفانس اخترع أسلوبه الكتابي لذلك الغرض، وهكذا تنتشر الآن من الساحل الى الساحل تقريباً. وفي السنوات الأخيرة اتبع طريقة محورة وفي هذه الحالة أيضاً أعلن عن الطريقة خطأ من طرف الأمم المتحدة بأنها «اختراع جديد» فالحقيقة أن كلا من الكتابة والكثير من المفردات لدى قبيلة كري (Cree) والقبائل الأخرى التي تنتمي إليها ترجع الى أمريكا الشمالية وليس هناك شك بأن الخط والمفردات المستعارة جاءت الى أمريكا الشمالية بواسطة الرحالة القدامى من شمال أسبانيا وذلك لا ينقص شيئاً من قيمة الخدمات التي قدمها جيمس ايفانس باحتفاظه بالخط القديم وتطبيقه على التعبير الجديد.

وقد فكر ايفانس أيضاً في نوع من الطباعة الكريبه، إذ نحت حروفاً بارزة بسكين جيب وجعل منها قوالب عكسية في الطين من الخشب المحفور، ثم رجا وكلاء «شركة خليج هودسون» أن يجمعوا له صفائح معدن تبطين علب الشاي، و بصهرها سبك حروفاً معدنية في قوالبه الطينية، ثم حور مكبس جلود بحيث تقبل حروفه واستطاع في خلوته الموحشة أن يطبع صفحة ترجمته وترجمة أصدقائه للانجيل، وبدلا من الورق استعملوا قشور الشجر وصنعوا الحبر من الهباء الممزوج بزيت السمك. أما المجلدات فحيكت بسيور جلدية وغلفت بجلد الوعول وقد خلد تلاميذه «الكري» الحدث في قولهم: «أن قشور الشجر أخذت تنطق بكلام الله». والآن مكنت الوسائل العصرية استمرارية العمل الذي بدأه ايفانس على هيئة كتب مطبوعة بالشكل الكري.

فلماذا كنا في أمريكا متأخرين بهذا الشكل في التعرف على التأثير الايبيري والعربي على لغات وثقافات الشعوب الأمريكيين الهنود؟.

ليس الرد بعيد المنال. كان جيفرسون فعلا متقدماً على عصره في توجيه فكره نحو العرب اليربر على سواحل شمال أفريقية. فرض التاريخ عليه الانتباه الى ذلك الشطر من العالم لأن السفن الأمريكية كانت معرضة هناك للهجرات من جانب بحارة شمال أفريقيا، الذين عمدوا الى القرصنة أنى سنحت لهم الفرصة، كما فعل الأغريق والأتراك وغيرهم من شعوب البحر الأبيض المتوسط محبين تقليداً قديماً قدم الزمن في مجال النهب البحري الراجع الى عهد ملحمة الايليادة. ويشير هومبروس مراراً الى سبايا فينيقيات عشن في أسر عائلات أعيان أغريق، ويقول كذلك أنهن خطفن أثناء حملات أغريقية على مجموعات بشرية مسالمة. أما في العهد الروماني، فقد قضى بقوة على القرصنة وساد لعدة قرون الأمن على البحار ولكن بعد سقوط روما رجعت العادة القديمة. واستغرقت واستغرقت رئاسة جيفرسون مدة أراد فيها كل من الدول الأوروبية وأمريكا أن تخلف روما وأن تعيد نوعاً من التجارة المنتظمة وحرية السفر، إلا أن جيفرسون كان خصماً مفكراً وحكيماً، وبجعله دول شمال أفريقية تعترف بأن أمريكا مناهضة صارمة وخطيرة، تمخض الأمن الذي تلي ذلك عن نوع من التفاهم أو على الأقل عن رغبة في التفاهم.

وكان انذاك عام ١٨٠٤م فماذا كان العالم الغربي يعرف عن العرب؟ بغض النظر عن البربر الغامضين، لا شيء تقريباً. كانت نبيلة بريطانية غريبة الأطوار، ليدي هيستر استانهوب (Lady Hester Stanhope) قد أنشأت نوعاً من البلاط الملكي في دير مهدم بفينيقيا (لبنان) ومن طريقة عيشتها الشرقية وردت الى أوروبا قصص طريفة. فزارها رحالة مشهورون مثل الشاعر الفرنسي لامارتين والكاتب الفيلسوف الانجليزي اسكندر كينغليك (Alexander Kinglake) الذي روى قصة رحلاته في كتاب عنوانه «ايوثين» (Eothen)، لكنه لم ينشر حتى سنة ١٨٤٤م أي بعد ثمان عشرة سنة من وفاة جيفرسون.

وحتى ذاك الوقت كان العرب قد بدأوا فحسب يصعدون الى مراتب ادراك الأوروبيين والأمريكيين ولكن غالباً كبدو رحل خاضعين لشكل من النظام بفضل استبداد الامبراطورية العثمانية.

ولم تحصل قبل سنة ١٨٤٠ أي ترجمة لعمل أدبي عربي الى الانجليزية. وكانت تلك «ليالي العرب» (أي ألف ليلة وليلة) لادوارد لين (Edward Lane) وهي لا زالت حتى يومنا هذا تقريباً أمثولة الانتاج العربي المعروفة لدينا في الغرب، وحتى جهود لين هذه قللت من شأنها بيوريتانية (تطورية ـ حركة اصلاح ديني) عصره. وعندما قام ريتشارد بورتون (Richard Burton) باصدار نص مهذب بين عامي ١٨٨٥ و١٨٨٨م عند ذاك فقط اعتبر المربون البريطانيون والأمريكيون الكتاب حرياً بأن يعرض على عامة القراء. وفي تلك الأثناء ظهر رحالة جديد بين الانجليز وهو تشارلس مونتاغو دوتي (Charles Montague Doughty) الذي نشر سنة ١٨٨٨ كتاباً عن مغامراته بين العرب، كتب له أن يتبوأ مكانة بين آيات الأدب الانجليزي. وقد كتبه في أسلوب عتيق ومثير يشبه أسلوب تشوسر (Chaucer) والاليزابيتيين، به فقرات مقتبسة مباشرة من عربية مضيقية. فأسمى ذلك الكتاب «رحلات في الربع الخالي» (Travels in Arabia Deserta) وقد اضطرت الشعوب المتكلمة بالانجليزية في العالم أن تكتفي بذلك فقط ـ باستثناء بعض الترجمات الشعرية الرائعة ـ حتى أثرى شاب وهو توماس ادوارد لورانس الشهير بوصف رومانتيكي للثورة العربية التي شارك فيها. ولقد عرف مؤلفه المدعو «أعمدة الحكمة السبعة» أسما فقط في المرحلة المدرسية لجيلنا، إذ صدرت منه ألف نسخة فقط للتوزيع الخاص. ثم صدرت طبعة مختصرة مهذبة سنة ١٩٢٧م. سميت «ثورة في الصحراء» وهي الطبعة التي ملأت عقول الشباب في المعاهد البريطانية والأمريكية بأول ادراك بأن العرب هم حقاً شعب ممتاز وجدير بالأعجاب رغم غرابة سلوكهم الحياتي وخطورته حسب المصادر القليلة المتوفرة لدينا.

إنه بهذه الخلفية الواهية وبدون أي معلومات مفصلة عن أوجه الحياة العربية اطلاقاً تعرفت أنا شخصياً على العرب لأول مرة سنة ١٩٣٩ في الجزيرة وفي مصر. فسحرت بمعاملتهم اللطيفة، كما ذهلت وفتنت بالمعمار المغربي وخاصة باللغة العربية كتابة ونطقاً. ولكن عندما عدت الى بريطانيا ـ ثم الى أمريكا ـ وجدت لدى الجمعيات اهتماماً ضئيلا بهذه المسائل ولم تتوفر مراجع للمطالعة في المكاتب العامة. وكانت تشاهد صور الغروب في الصحراء ومنظر الأهرام والقوافل كلوحات زيتية على جدران البيوت الانجليزيه ولكن أصحاب هذه الصور لم يتحصلوا عليها بالترحال. ولم يعرفوا الكثير عن العرب الممثلين في تلك الصور الزاهية.

من يستطيع قراءة أي مؤلف بالعربية؟ لا أحد تقريباً. فأي معهد يدرس العربية؟ لعمري قليلون. إذ لم يقبل الطلبة على مثل هذه المناهج والمقررات. الى أن

أندلعت الحرب العالمية الثانية ولم يعر أي منا في خضم المعارك في الصحراء الغربية اهتماماً ما إلى آمال وتطلعات شعوب شمال أفريقيا الذين عاش بأراضيهم كل من الألمان والايطاليين والبريطانيين والأمريكيين. وبعد عقد الصلح وافق الحلفاء بشيء من السخط على استقلال دول الشمال الأفريقي.

هذه إذن خلفية ظهور ادراكنا البطيء بعرب وبربر شمال أفريقيا الموهوبين الأذكياء. فلا شك، بحكم تناول تاريخ شمال أفريقيا ودراسة أعراقه البشرية بهذه الطريقة المتباطئة المشتتة، إننا لن نتوقع الكثير مما قد يجذب اهتمام دارسي الأجناس واللغات الباحثين في القبائل الأصلية الأمريكية الهندية في العالم الجديد، فهكذا فاتت أسلافنا الحقائق الأساسية التي طفقت تتجلى الآن، وهي حقائق لا زالت مرفوضة من أناس جد كثيرين بدون تفهم مناسب للأمور التي ينكرونها.



# العرب قبل الإسلام

طيلة قرون، منذ أن بدأ المؤرخون يعيرون العالم العربي اهتمامهم، كان الاعتقاد السائد في العالم أجمع تقريباً بأن اللغة العربية انتشرت في شمال أفريقيا عندما هرعت الجيوش الاسلامية المنتصرة من مصر الى الأندلس ابان القرن السابع بعد الميلاد. أما قبل ذلك فكان الاعتقاد السائد أن البربرية أو لهجة أخرى أقدم ومشابهة لها كانت أداة التخاطب في ليبيا والأقطار الواقعة غربها.

أما في تونس وأماكن أخرى حيث قام القرطاجيون بانشاء مراكز تجارية فقد افترض أن اللغة كانت بونيقية وهي بدورها لهجة فينيقية. وأشار الرومان الى أهالي الجزائر الشرقية وتونس الجنوبية وليبيا كنوميديين، فيجب أذن أن يكون لسان النوميديين بوجه الاحتمال نوعاً من اللهجة البربرية البدائية، أي غير عربية بالطبع. وربما تكلم أهل المغرب الذين أسماهم الرومان ماوريتانيين لغة تشبه البربرية. ويبدو أن هذه الافتراضات دعمها أن الكتابات القديمة في جميع هذه الأقطار من شمال أفريقيا نقشت بالحروف الليبية (أي النوميدية). وعندما رأى الرومان زمن أوغوسطس أنه من المناسب نقل ملك ليبي فجأة لاعتلاء عرش موريتاني، استقبله رعاياه المغربيين بتلك الصفة.

فكل هذه الوقائع التاريخية تعني فيما يبدو أنه قد استعملت في النقوشات المنحوتة على هياكل شمال أفريقيا قبل الفتح الاسلامي لغة سابقة للبربرية. وعندما جهز أول معجم بربري من طرف لجنة فقهاء، بما فيهم الامام سيدي أحمد بن الحاج على سنة ١٨٤٤، اعتبر ورود كلمات عربية كثيرة فيها استعارة من جانب البربر بعد دخولهم في الحظيرة العربية، أي بعد القرن السابع.

هكذا، عندما لوحظ أن الكلمة البربرية عن مبني هي «بنيان» العربية نفسها، قال الباحثون:

«طبعاً، لأن البدو العائشين في الصحراء ليس لديهم كلمة خاصة بهم لأنهم لا ينشئون المباني».

ولو بدا ذلك منطقياً، فانه ليس حقاً، إذ يعيش الكثير من البربر في بيوت من الطين وهم زراع وليسوا رحلا.

يترتب على هذا أن أي كلمة استعملت للدلالة على مبنى في النوميدية القديمة سوف لا تكون «بنيان» إذ لم يكن بشمال أفريقيا من يتكلم العربية في تلك العهود. ولذا لا يمكن استلاف الكلمات.

في سنة ١٩٧٥ قام اثنان من زملائي هما البروفيسور نورمان توتن وجيمس هو يتال، اللذان زارا المغرب، وبناء على طلبي، قاما بنسخ كتابات نوميدية قديمة دفعهما للاعتقاد أنه يمكن ارجاع تاريخها بالتقريب الى الامبراطورية الرومانية المتأخرة وكانت احدى الكتابات تحتوي على نصوص لاتينية توضح أنها شاهد قبر أحد الجنود. فقمت بفحص النص النوميدي واندهشت لملاحظة اعطاء تهجى الحروف النوميدية جملا مفيدة باللغة التي لا يقر بوجودها التاريخ حينذاك. أي العربية بالذات.

في السنة التالية، نشرت جمعية النقوش النصوص وحلولها وترجماتها مع نقد للشواهد المزعومة بأن العرب كانوا غائبين عن شمال أفريقيا قبل انتشار الاسلام. ثم تمكنت بعد ذلك من العثور على نقش بلغتين: بالبونيقية والنوميدية نحتت على حجر أساس معبد شيد لذكرى الملك ماسينيسا. أما اللغة البونيقية فأمكن تهجيها بدون صعوبة لأنها تشبه العبرية القديمة وسبق أن نشر بعض الدارسين ترجمتها. لكن، عند فحص النص النوميدي الغامض على نفس الحجر، وجدت نفس كلمة «بنيان» في الموقع الذي حسب النص البونيقي استوجب وقوع كلمة بنيان. فاتضح لي بسرعة بأن معظم الكلمات الأخرى في النص النوميدي وافقت مثيلاتها العربية، والبقية كانت بربرية حديثة. وهكذا بناء على المعلومات التي زودنا بها النقش تمكنا من تحديد تاريخ حجر الأساس بحوالي سنة ١٣٩ ق م. والآن لدينا الدليل القطعي بأن اللغة العربية لم تكن موجودة في تونس قبل ثمانمائة عام، قبل الفتح الاسلامي فحسب، بل كانت من الأهمية بمكان، مما جعل الخطاطين الملكيين يستعملونها في نقوش رسمية عامة.

وقد أوضحت هذه الحلول وأمثالها لماذا أحيطت قراءة الليبية القديمة ونصوص أخرى من شمال أفريقيا بالخط النوميدي بذلك القدر من الصعوبة. لقد أخطأنا في استبعاد دخول العربية في تلك النصوص ولذا لم يراجع العلماء العرب من طرف الأثريين الذين اكتشفوا النقوش.

وكان يجب اجراء هذا العمل الأساسي عل كتابات من شمال أفريقيا اذ هناك فقط نجد تدوينات ذات صلة تمكن من تحديد تاريخها، كما حصل بالنسبة لحجر ضريح ماسينيسا، ولا يمكن اجراءه على النصوص الأمريكية، لأننا لا زلنا مفتقرين لمعايير تاريخية أكيدة في النقوش الأمريكية.

ولما توصلنا للجواب على ضوء كتابة من شمال أفريقيا، أصبح في مقدورنا حل مشكلة الأمثلة العاصية في أمريكا. وحالما عدت من ليبيا، فحصت ثانيا سلسلة الكتابات الرائعة التي اكتشفتها غلوريا فارلي في جرف سيما رون (Cimarron Cliff)، فأصبح من الواضح فورا أن النصوص التي اعتقدنا في السابق أنها غير قابلة للفك، يمكن قراءتها بسهولة بالعربية باستعمال حروف ليبية **إذ يظهر أن ناقشها من معاصري أبناء عمومته في شمال أفريقيا.**

ان تلك النتائج أثارت اهتماما بالغا في العالم العربي أثناء زيارتي وبعدها وعقب عرضها وشرحها على الاذاعة المرئية بتونس وليبيا.

هناك مسألتان تبرزان معا. أولا، لماذا كان المؤرخون على ذلك القدر من الخطأ حول تاريخ وطريقة وصول العرب الى شمال أفريقيا. ثانياً، ان لم يأت العرب إلا مع الاسلام، فكيف ومتى وصلوا شمال أفريقيا؟. وهناك بالنسبة لنا كأمريكيين سؤال ثالث وأهم: ماذا يعني هذا بالنسبة لتاريخنا؟.

دعوني أجيب عن السؤالين الأول والثاني الآن. فلم يكن جميع المؤرخون على خطأ. فالامر يتوقف على أي كتاب تاريخ تختار. فاذا رجعنا ــ بدلا من المصنفات الاقتباسية مثل «تاريخ كمبرد الاسلامي» ــ (Cambridge History of Islam)رجعنا الى كتاب القدامى من اليونان والرومان، نلاحظ بأنهم على رأي مختلف اطلاقا. فالمؤرخ اللاتيني ساللوست مثلا، الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد، يقول أن الليبيين ينحدرون من شعب أتى من آسيا الصغرى وكانوا مرتبطين بالفينيقيين من حيث لغتهم. ثم ان المؤرخ اليوناني بروكوبيوس، الذي عاش في القرن السادس بعد الميلاد، يصرح بأن المغاربة سليلو مهاجرين أتوا من أرض كنعان بفينيقيا وأنهم غادروا وطنهم زمن حروب ملك اليهود داوود. فالحقيقة بالطبع تقع عند أولئك الكتاب القدامى وأن «الشعب الشبيه بالفينيقين من حيث اللغة» هم العرب الذين نجد لغتهم في كتابات شمال أفريقيا.

فماذا عن نقوشنا الأمريكية؟ انها تقول لنا بالطبع أن رحالة من شمال أفريقيا يستعملون الحروف الليبية و يتحدثون العربية القديمة وصلوا الى سواحلنا وبعضهم استوطنوا هنا. فلم يعد غريبا أو غير مفهوم أمر عثورنا على مفردات عربية في اللهجات الأمريكية التي تستعمل حروفا غير عربية، لأننا نعلم أن الكتابة والتحدث عاملان منفصلان وأي لغة تستطيع أستعارة أبجدية أخرى اذا جعلتها الظروف مناسبة. وبعد أن أثبتنا وجود العرب والبربر في شمال أفريقيا في العصور القديمة، وهما الجنسان السائدان حاليا هناك، فمن الجدير التأمل قليلا في مدى اختلاف العرقين من حيث العادات التي نتعرف منها في الاطار الأثري. فكيف نفرق بين العرب والبربر عندما تكون أسس حكمنا انقاضا لمساكنهم؟ ان نظرة الى طرقهم الحياتية تجيب على ذلك.

باستثناء الأهالي الذين يسكنون المدن، والذين اتخذوا غالبا نمط العيش الغربي، يمكن اعتبار سكان شمال أفريقيا يكونون مجموعتين بيئيتين منفصلتين:

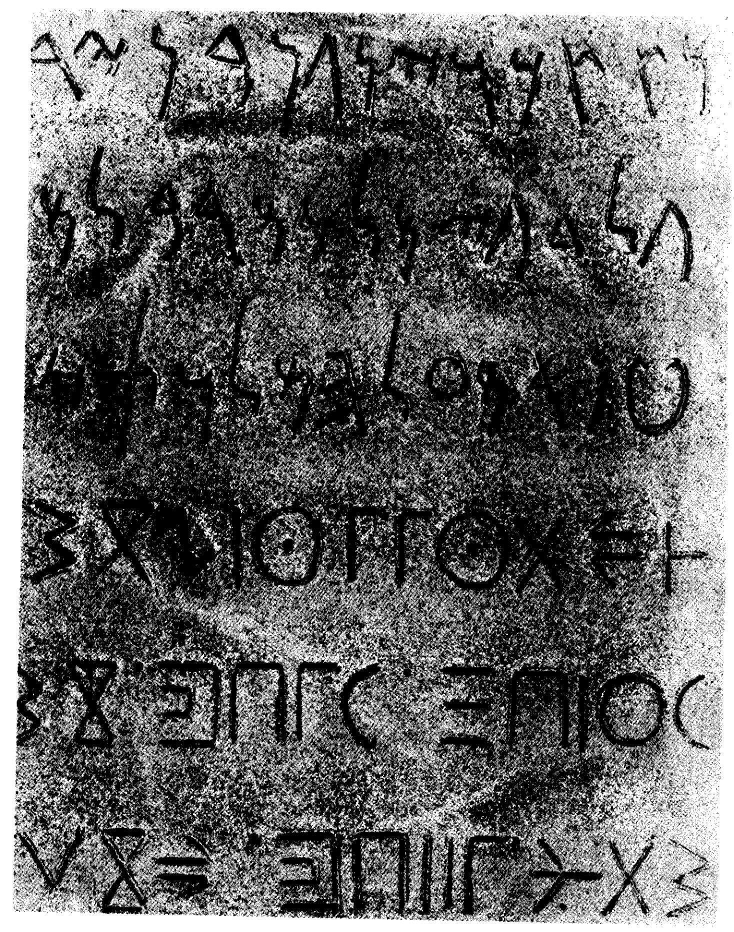
**الفلاحون:** وهم مزارعون يعيشون في مستوطنات ثابتة، عادة في المناطق الجبلية، و يروون الأرض لانماء زرعهم وهؤلاء معظمهم بربر، أي شبه اوروبيين بيض البشرة، لا زالوا يتكلمون البربرية في جبال أطلس وان استعملت العربية في مناطق أخرى. وتشتمل قراهم على مباني ثابتة يشيدونها بالطين المجفف (بالعربية الطوب، أدوب Adobe الانجليزية) أو من حجارة مثبتة بالطين على شكل دور مربعة تقوى سقوفها وطبقاتها بدعامات خشبية تظهر أحيانا خارج الجدران وتستعمل أبراج مربعة كمخازن جماعية للاهالي ونوافذهم فتحات مربعة صغيرة موزعة توزيعا غير منتظم. و يحتفظ هؤلاء البربر بالعادة القديمة في وشم الذقن لدى النساء وهن غير محجبات رغم كونهن مسلمات. أما الرجال، فبالعكس، يخفون رؤوسهم ووجوههم بقطعة قماشية كالشال مبدين للغرباء عيونهم فقط (١).

**الرعاة الرحل:** معظمهم عرب، يعيشون في السهول داخل خيم، يسوقون قطعانهم من بقعة الى بقعة بحثا عن الكلأ، اذ لا يسمح مناخ الصحراء بعيشة مستقرة. فلا يبني هؤلاء قرى ثابتة، بل يحملون خيامهم المصنوعة من الشعر والجلد مع أوتادها بحيث يمكنهم نصب النجع أنى دعت الحاجة. أما النساء فيخفين رؤوسهن ووجوههن وهن غير موشمات ولا يخفي الرجال وجوههم. لغتهم العربية ودينهم الاسلام (٢).

---

(١) يعني المؤلف الطوارق (المترجم).

(٢) غاب عن المؤلف أن كلا البربر والطوارق يدينان بالاسلام (المترجم).

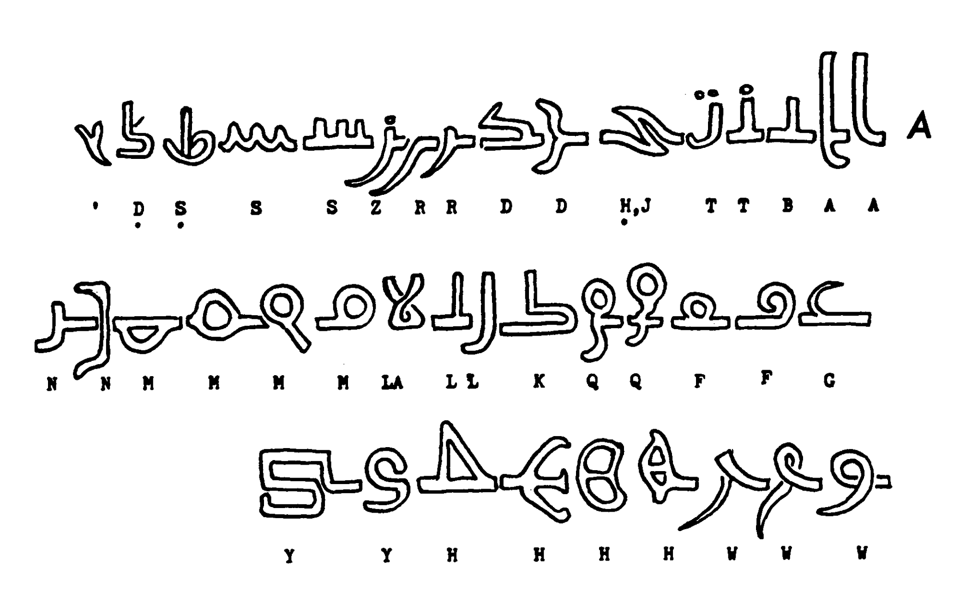


تكلم الليبيون القدماء الذين عاشوا على طول خليج سرت إلى الغرب من شحات لغة تبدو وأنها لهجة ما قبل العربية الكلاسيكية وتحتوي على كثير من الكلمات العامة المحلية القديمة. ويقوم هذا الاستنتاج على اللغة المكتوبة بالحروف النوميدية، والتي وجدت على النصب التذكارية الملكية والمدنية، ويعود تاريخها إلى عهدي ماسينيسا Massinissa وميكيوسن، وهما ملكان ليبيان حكما معظم ساحل شمال أفريقيا في القرن الثاني قبل الميلاد. ويمثل هذا الشكل جزءاً صغيراً من عمود حجري تذكاري للملك ميكيوسن، ثنائي اللغة، حيث يظهر نصبان بالبونية (إلى أعلى) وبالليبية (إلى أسفل) متوازيين وهما ينقلان نفس المعلومات بكلتا اللغتين. اللغة الأولى مرتبطة بالعبرية Hebrew أما الأخيرة فمرتبطة بالعربية. (متحف النقوش، تصوير بيتر ج. جارفل).

الصفحة التالية: كيف كان يكتب الليبيون الغربيون؟ على النقوش الرسمية، مثل تلك التي وجدت عن الملك ماسينيسا والملك ميكيوسن، في القرن الثاني قبل الميلاد، نجد نصوصاً قد كتبت على نحو متقن مستخدمة أبجدية تظر في الشكل B. وبعد القرن الأول الميلادي، غيرت بعض الحروف من أشكالها، وبخاصة الحروف A، L، W، K، Q و H، والتي اتخذت كلها مظهر كتابة بريل Braille مركبة من عدد من النقط. ويدعى النمط الأخير تيفيناغ، كما يبدو في الشكل C، إلى أسفل. إن الاشارة المعلمة (ش) S تمثل صوت Sh في اللغة الانجليزية. وكانت هذه الابجديات يستعملها أهالي شمال أفريقيا على حد سواء.

إلا أن بعد الفتح الاسلامي لطرابلس في سنة ٦٤٦ م، أخذ معظم الكتاب العرب من سكان أفريقيا في استعمال الكتابة الكوفية، كما هي في الشكل A. ولهذه الكتابة أشكال مختلفة،

وتكتب النقوش أحيانا على نحو غير متقن، وفي حالات أخرى (وخاصة في المساجد والأضرحة الملكية) تنقش في شكل فني رائع وتزخرف بالأوراق والزهيرات. واحتفظ بعض الأالي بالأبجدية التيفيناجية إلى العربية في شكال افريقيا اليوم شكلا مختلفا من الأبجدية النسخية، والتي يكتب بعض حروفها بصورة تختلف عن العربية الشرقية، وتعرف هذه الأشكال الخاصة بالخط المغربي Maghrib، ولكن حيث انه لم يتم التعرف عليها حتى الآن في النقوش الامريكية، فقد أغفل ذكرها هنا.




B
Ṭ Ḥ Z Z W H D D G G G G B B B A
S S S N N N N M M M L K K Y Y Ṭ Ṭ
V/S V/S V/S V/S R R Q Q F F F ʼ S S
V/S S H Q K K W L A T T T T

C
Z G F Ṣ Y Š



«إن إزاحة النقوش يعتبر تدنيساً للمقدسات، فلا تنتهك حرمة بعل». هكذا يقرأ نص هذا النقش الليبي القديم، والذي كتب بلغة قريبة من العربية الكلاسيكية، فقد تستخدم حروف قديمة لشمال افريقيا تدعى النوميدية. ولقد وجدت في ممر قمة هكسون، بولاية نيفادا، وأشير اليها كانها نقوش هندية في سنة ١٩٦٢. (نسخة طبع الاصل من متحف النقوش، تصوير: الدكتور جوليان فيل).

٣.

3 Y — m — s — l-i   w   '— i — r — r — m   d — r   t — d — r — s ,

The voice   of   one-crying   in   the desert,

S— n— k — t — b — t   t — r-ai   n   A — m — k — r ,

Prepare   the way   of   the Lord,

Sh— i — g — i — d-i-w-t   t — r — i — n — s .

Make straight   his paths.

ما زال هذا المثال لخط تفنااج، المشتق من اللغة الليبية القديمة، مستخدماً بين قبائل تاماهان Tamahaq في جنوب الجزائر وشمال مالي. ويعرف محلياً بتيلوليم ميدين Meden Tlullen أو «هم، قبيلة لوليم» ومن المحتمل أن تلوليم هي نفس كلمة تلم، وهم لبانون الخدفيون لمساكن الصخرية كما في قرى سكان الكهوف لبلاد الدوجون Dogon، التي تسكنها الان قبيلة هابر Habbé. إن البحث عن نقوش تشبه الموضحة هنا من يعطي تأكيداً لصحة هذا الافتراض. إن الفقعة المقتبسة هي الآية الثالثة من الفصل الاربعين من كتاب النبي العبراني أشعيا El-Kitaba en Nebi Ishaia، بلغة تاماهان لمقاطعة بالجزائر و باقليم النيجر. وتوجد نقوشهم في هذه الابجدية على طول سواحل الاطلسي لامريكا الشمالية، من نوفا سكوشيا، من، كونيكتيكت، وجزر فيرجين، ويعود تاريخها جميعاً الى ما بعد سنة ١٠٠ للميلاد. إن التبني العددي لهذه الابجدية كان مستخدماً بين الهوهوكاميين Hohokan بالولايات الغربية الجافة من أمريكا الشمالية. (أنظر: الفصل السابع، والفصل التاسع).



اسم شخص مسلم (حامد) Hamid وقد نقش بالخط العربي الكوفي القديم (يقرأ من اليمين الى اليسار H-M-I-D) ويقود تاريخه الى ما بعد سنة ٦٥٠ م، وهذه نسخة مطابقة من نقش على صخرة اتلاتل Atlatl Rock في وادع النار Valley Of Fire بولاية نيفادا. وكان يعتبر في السابع بانه نقش هندي خلو من أي معنى، وصنف كـ «كشكل منحني ملتو الخطوط، نوع ١٤». (متحف النقوش، تصوير: بيتر ج. جارفل والدكتور جوليان فيل).

لكل من العرب والبربر مدارس ملحقة بالمراكز الدينية، مثل مقامات الصالحين المحليين. بالنسبة للبربر المستقرين، التعليم يجري في نفس القرية، أما بالنسبة للَبدو وبالعكس لا يتيسر التعليم في المراكز الدينية الا في المراحل الأعلى، و يحتاجون لمعلمين منتقلين لأن الأطفال غالب أوقاتهم مرتحلون مع أهليهم. يستعمل كل من البدو والفلاحين الجلد كثيرا فيدبغ منه وتصنع منه قوارير سهلة الحمل وغير معرضة للكسر[1]. أما اليوم، فيستعمل سكان المدن والقرى والأواني الفخارية تصنع على عجلة باليد وهي عادة الرومان أيضا كما اثبتت الحفريات، الا أنه قبل العهد الروماني كانت العجلة غير معروفة لدى الخزافين الأفريقيين، فكانوا يصنعون الصحون والأقداح وغيرها من الآنية من الطين المدار في اليد، وبهذه الطريقة أمكن تشكيل الأواني على هيئة حيوانات أو حتى ملامح بشرية أو كتل مجردة. وكانت هذه الأواني الفخارية تطلى باليد حسب زخرفة تقليدية تكون أحيانا نماذج متناسقة رباعية العناصر التشكيلية.

روى هيرودوت أن التروغلوديت (فئة تعيش في حفر في الأرض) سكنوا ليبيا. انهم لا زالوا هناك، كانت الجماعات تشترك في حفر حفرة مستديرة في الصخر قطره ٦٠ قدما تقريبا وبعمق ٢٠ قدما ثم ينحت في جدار الحفرة المستديرة حجرات منفصلة تطل جميعها على الحفرة أو القب، الذي يتوسطهات. أن هذه الطريقة تهيء مأوى باردا محفوظا من حر الشمس. هناك قنوات تهو ية توصل الحجرات بسطح الصحراء فوقها. ربما كان هذا النمط الملاحظ في الجبل الصحراوي خارج طرابلس والممتد الى داخل تونس[2]، كان أصل «الكيفاس» (Kivas) المستديرة الموجودة فيما تسمى قرى «البو يبلو» (Pueblo) في جنوب غربي الولايات المتحدة. كما تشبه مساكن الطوب لدى البربر «بو يبلوهات» شمال أمريكا. بينما لا تختلف خيم العرب الرحل كثيرا عن «التيبيس» (Tipis) لدى هنود السهول. وسوف تظهر أوجه شبه كثيرة مع تقدمنا في هذا الكتاب.

هناك حدث جعلني أكثر من غيره أتجه بتفكيري نحو الشمال الأفريقي قبل أن يخطر ببالي أن بقايا «البو يبلوهات» في أمريكا الشمالية قد تخفي صلات تاريخية بتلك القارة وسبب ذلك سلسلة التقارير المبدئية الواردة من أعضاء جمعيةالنقوش. فمن أوكلاهوما على حدود كولورادو، ومن أركانساس، جلبت غلوريا فارلي الى بيتها بهيفنر (Heavener) عددا مرموقا من قوالب لدنة لكتابات أعتقدتها قديمة وكان

---

(١) الغرب (المترجم). (٢) جبل نقرسة.

معظمها في البرازخ العالية لشواطىء الأنهار أو نقشت على صخور على سفح الجبل أو مخفية في الغابات. كانت غلوريا محقة في تقديراتها لأنه اتضح بسرعة ان العلامات نحتت بالحروف الليبية ولو أنه استحال (نظرا للنقص في معرفتنا بالليبية القديمة ذلك الوقت) فهم معناها. وكانت أحدى لقيات غلوريا تحمل حروفا ليبية ولاتينية جنبا لجنب مع صورة لمحارب عاري يحمل حربتين. وكانت محاولاتي لاستخلاص فحوى الكتابة فاشلة حتى أصبحت ملما بشئون بلدان شمال أفريقيا حيث كان البربر والرومان يعيشون جنبا لجنب. واذ ذاك فقط عرفت أن العبارات المزدوجة المعان على نقش محارب «سيمارون» أعطت اسمه بالبربرية والليبية وكانت كلاهما تدل على أنه «مارس» (MARS) رب الحرب(١).

هذا الحدث وغيره كثير رسخ أهمية زيادة معرفة آثار ولغات شمال أفريقيا. فبدونها كنا كالرجال العمي يحاولون قراءة كتابا مطبوعا. فاما كنا أن نستعيد بصرنا أو نجد الوسيلة لقلب اكتابة الغامضة الى صفحة «بريل (Brailie)» للمكفوفين.

تعيش على طول الحافة الجنوبية للصحراء، في دولة مالى، قبيلة هابي (Habbe's) قوامها ٢٥٠ ألف زنجي، لا تمت لغتهم بأي صلة ظاهرة بالبربرية، الا أن ثقافتهم مشابهة لثقافة جماعات البربر الفلاحين المستقرين لأنهم يبنون الأبراج المربعة لحفظ الغلال ولهم بيوت متعددة الطوابق أرضياتها من ألواح الخشب الأفقية البارزة من الجدران الطينية. أنشئت قراهم مثل ميزافيردي (Mesa Verde) معلقة على أجراف الصخور في خط طويل من السفوح السحيقة تدعى «بانديا غارا» (Bandiagara) والمنفذ الوحيد الى هذه المنازل المعلقة على الجرف يكون عادة مدارج ضيقة منحوتة في الصخر أو بواسطة سلالم خشبية. ومن أبرز مصنوعاتهم اليدوية، فضلا عن الأبراج الطينية البديعة (تعلوها عادة أسقف من القش تشبه قبعات السقف) هي القفاف المستعملة لكل غرض وهي من جميع المقاسات والأشكال والأنماط ومنها المستديرة والمربعة تصنع باتقان فتلا وضفرا. فاذا عرفت هذه القبائل من مصنوعاتها فقط، لسميت في أمريكا «صناع القفاف المتأخرين» رقم ٢ أو رقم ٣ وسميت بيوتهم المعلقة المتداعية «بو يبلو». و يعتمد الأهالي، مثل جيرانهم على كهانة العرافين و يعزفون الناي القصبي و ينسجون بنفس طريقة البدو على مناول أفقية مثبتة على الأرض و يغطون أوجه الصخور المجاورة برسوم تمثل رموزا خرافية أو دينية. وكل هذه الأمور تحصل أيضا في أمريكا الغربية.

(١) المريخ ومن اسم شهر مارس الشمسي.

وبناء على أقوالهم (اذ ليس لديهم طريقة كتابية) دفع الأهالي الى الألتجاء الى البيوت الصخرية من طرف أعدائهم الفولاني (Fulani) وهي قبيلة من غربي أفريقيا، حوالي عام ١٣٥٠ب م، ويدعون بأنهم أزحوا بدورهم من تلك المساكن شعبا عاش فيها يدعى تيليم (Tellem) يتألف من أقزام اخترعوا تلك الدور المعلقة. أن ماضيهم الأثري لغامض، لكن تسلسل الأحداث يعيد بطريقة غريبة ما وقع في الشمال الغربي الأمريكي القاحل، ففي المنطقتين نلاحظ بجلاء ظهور تأثرات ثقافية صادرة عن شمال أفريقيا ومتبعة من شعوب مجاورة غير متعلقة ببعضها البعض. ومثلما اتخذ أهالي غربي أفريقيا ثقافة شمال أفريقيا ربما أخذ أيضا أهالي أمريكا عن المعمرين الليبيين عندما وصلوا الى أمريكا.

لم يتمكن البحث الأثري في منطقة الهابي من اكتشاف من هم سابقوهم التيليم، لكن المخلفات المتبقية أسفرت عن أنهم ليسوا أقزاما على الاطلاق. وتوجد حتى الآن شمال سفوح باندياغارا قبائل تتحدث بالبربرية وهم التاماها (Tamaha) الذين لا زالوا يستعملون حروف التيفيناغ الراجع لبربر ليبيا انهم يلقبون أنفسهم «ت أيوليم ـ ميدن» أي «هم، قبيلة أيوليم» وأعتقد أن «تيلم» أسطورة الهابي هم ت أيوليم وذلك متمشي مع الأصل البربري للمعمار الهابي وبقية صفاتهم. وقد تنتهي المسألة إذا ما أجرى تحري عن كتابات تيفيناغ المحتمل وجودها في منطقة سفوح باندياغارا.

تنتشر عبر الولايات الغربية القاحلة من شمال أمريكا أنقاض غريبة تركتها حضارات غابرة. ويتحدث الأثريون عن منشيئيها كأنهم أهالي من البوبيلو، لكن حتى ١٩٧٨ لم يستطع أحد أن يقول أي لغة كانوا يتحدثون أو من أين أتوا. انهم تركوا فجأة مدنهم قبل سبعة قرون وتلاشوا.

من هم قبائل البوبيلو؟ ان الجواب، كما اكتشفنا الآن، يوجد منقوشا على صفح صخرة أمريكية نحتت بحروف قديمة يمكن قراءتها وفهمها حتى يومنا هذا. انها تسفر عن قصة منسية لرحلة طويلة ابتدأت في زمن بعيد على الطرف الآخر من العالم.

قبل اثنين وعشرين قرنا، عندما كان الفراعنة لا زالوا يحكمون مصر اخترق بحارة من المدن المستقلة بشمال أفريقيا قناة السويس التي فتحها الملك داريوس، ثم أبحروا عبر البحر الأحمر والمحيط الهندي الى المحيط الهادي واكتشفوا الساحل

الغربي لأمريكا وهناك أسسوا مستعمرات مزدهرة في عدة نقاط واستغلوا خبرتهم الصحراوية بفائدة كبيرة في المناطق القاحلة التي بلغوها.

وقد جلب هؤلاء الأمريكيون الأوائل معهم معرفة ملاحية وفلكية ورياضية. فكانوا يعلمون أن الأرض كروية وأنها معلقة في الفضاء وخططوا خرط السواحل والجزر التي مروا بها في عبورهم بكل البحار. وأقام فلاسفتهم المدارس لاستدامة معارفهم وكانت أحدى المناطق التي اختاروها لذلك الغرض تقع على هضبة نيفادا العالية، حيث بقوا بدون منازع لمدة اثني عشر قرنا، ثم فجأة وبالسرعة التي وصل بها أجدادهم، تلاشوا دون أن يتركوا أي أثر الا العديد من كتابات منحوتة في الصخر.

وحتى عهد قريب، لم يكن أحد يعرف ماذا تعني تلك العلامات، أو هل كانت تحمل مضامين تدرك. وأسمى الأثريون الرسوم «الخط المنحني للحوض الكبير» ولكن كلما سألوا الهنود ماذا تعني لم يستطع رجال قبلتي بايوت (Paiuts) والشوشون (Shoshone) في نيفادا أن يفيدوهم بشيء سوى أنهم لم ينقشوها بأنفسهم ولا حتى أسلافهم.

ان ما يدعى «الخط المنحنى» يمثل فعلا كتابة وهي بونيقية قديمة و يونانية وعربية من شمال أفريقيا، استعملت فيها الحروف الخاصة بتلك اللغات وهناك كتابات مماثلة في جهات أخرى من أمريكا بما فيها الكلتية والأيبيرية والعربية، ولكن أمثلة نيفادا فريدة في نوعها لانعزالها ـ ومن ثم بقيت سليمة بشكل ممتاز ـ إذ أنها نأت عن أيادي العابثين من الدخلاء المتأخرين وقد صانها فضلا عن ذلك جفاف الجو.

لقد ازداد سكان نيفادا خمس أضعاف عددهم عندما زرتها أول مرة من خمس وثلاثين سنة مضت، إذ كانوا ذلك الوقت بمعدل نفس واحدة للميل المربع الوحد، أي ما يعني أنها كانت أقل سكاناً من الصحراء العربية وهي لا زالت تدعى «ولاية الفضة». وكان الناس في كل مكان يستعملون النقود الجميلة المسماة دولارات غضية و يفتخرون بأنها سكت من المعدن المستخرج من مناجم نيفادا.

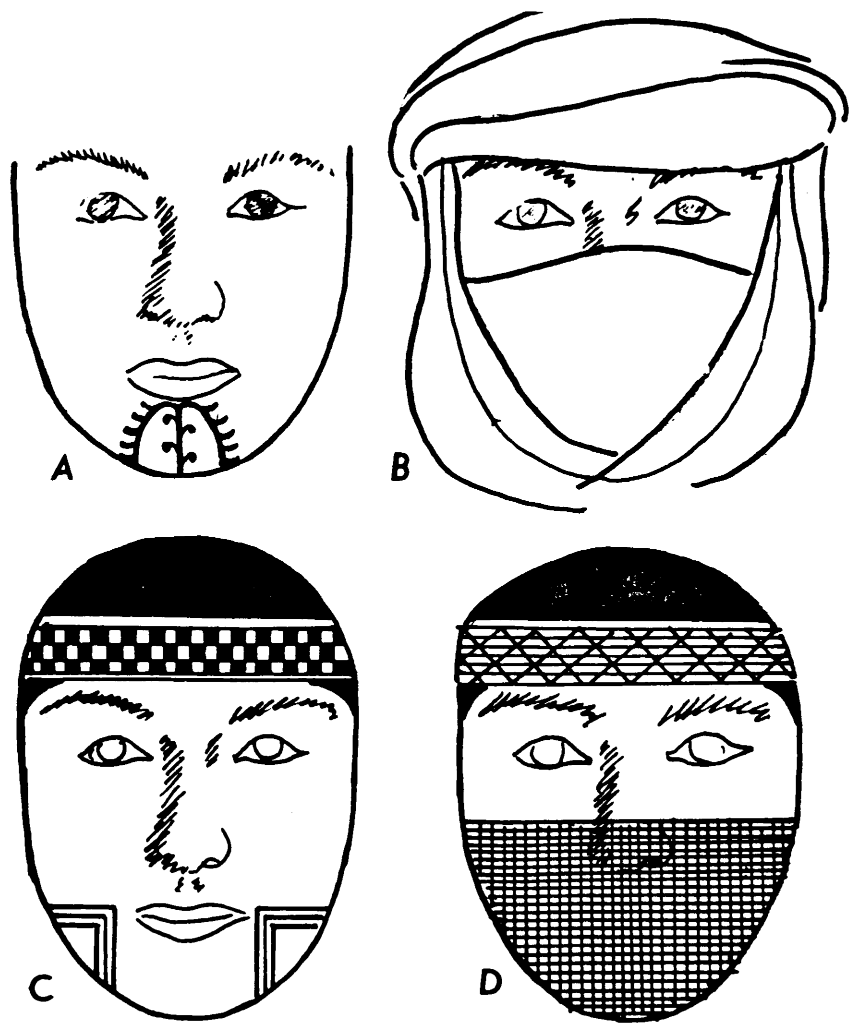
إن عظمة المشهد المقفر لتلك القمم المتعرجة للصخور البارزة فجأة من مهاد الصحراء، تذكرني باليمن وسيناء حيث مررت قبل بضع سنين. انها كانت تشبه بلاد

العرب أيضاً من حيث صفاء الجو وحمرة الغروب في الصحراء التي تشعل رؤوس الجبال في تلك الدقائق القلائل التي تسبق الظلمة. وقد سميت كذلك عن سلسلة جبال «سيرا نيفادا» (Sierra Nevada) التي تحد بقممها المتوجة بالثلج الأفق الغربي، وكل الولاية هي كناية عن هضبة مرتفعة بقدر ميل واحد فوق بقية شمال أمريكا بأكملها وهي فعلا سقف قارتنا كأنها «بامير» أمريكي محاط بأسوار من الجبال ومفعم بجو الغموض أو حتى السحر اللذين نجمعهما دائماً في البقاع الجبلية المغلقة.

في تلك الأيام كان بعض المفكرين في نيفادا قد أصبحوا يدركون بأن هالة من الأسرار طفقت تهيمن على بلادهم، وقبل سبعة أعوام كانوا قد حوطوا «وادي النار (Valley of Fire)» لتكون حقلا محرماً لأجل المحافظة على التكوينات الجوراسية الرائعة وملايين النقوش الصخرية كمتحف في الهواء الطلق للأجيال الأمريكية القادمة. وقبل ذلك، سنة ١٩٢٥، قام الأثري الكاليفورني جوليان استيوارد (Steward Julian) باستطلاع منطقة النقوش بالقلم وآلة التصوير لوضع أسس لبحوث قادمة استغرقت عشرات السنين. إنه هو الذي اكتشف وأسمى «المدينة المفقودة» الغامضة. هكذا سماها، وإن كانت لا تحتوي على أنقاض، إلا مئات من الكتابات منحوتة على صخور ضخمة في حجم العمارات، فليس الاسم الآن غير مناسب لأنه بعد أن أمكن قراءة النصوص عرفنا أن الموقع كان عامراً في بعض المواسم بنجوع من الخيم ينصبها الزوار الصيفيون ثم تفك عندما تهبط ثلوج الشتاء.

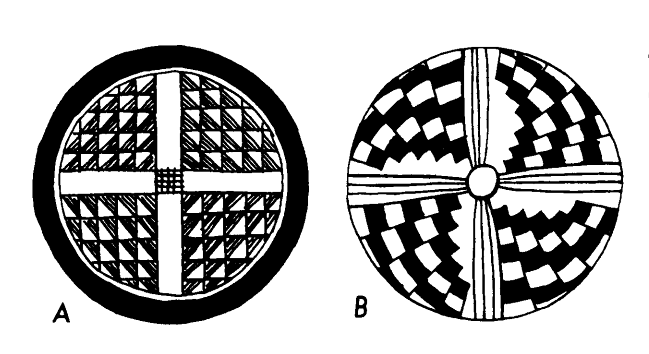
وقت زيارتي الأولى لنيفادا كنت مهتماً من قبل الكتابات القديمة وقد سبق أن نشر معهد علم الأجناس الملكي ورقة لي عن الرسوم البولينيزية (Polynesian)، إلا أن الظرف كان غير مناسب وكان العالم في حرب وكانت رحلاتي تقرر بحكم مهامي كملحق علمي للقوات الحليفة في ساحة الباسفيك بحيث لم تفد الكتابات بشيء في شؤوني حتى استغنى الجيش عني.

عكس ذلك، كانت تجارب الكابتن ج. هـ. سمبسون (J.H. Simpson) التابع لمهندسي المساحة للولايات المتحدة الذي ساقته أعماله الاستطلاعية الى اكتشاف نقوش ميديسين روك (Medicine Rock) في الممر الجبلي الذي سمى عنه. في يوم ٦ يونيو ١٨٥٩ أزال النقاب عن اكتشاف بعض النقوشات على بعض الصخور تحت قمة

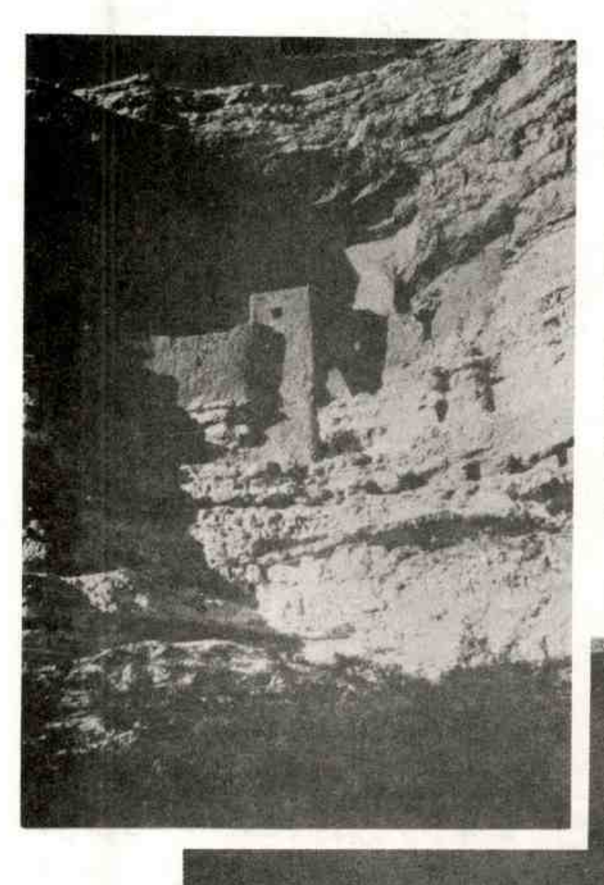



الـوشـم وخـمـار الـوجـه في شمال افريقيا وامريكا القديمة. A و B- زوجان من مجتمع زراعي بجبال الأطلس: A- امرأة بدون خمار ووشم بالذقن، و B- زوجها، ووجه محجب بوشاح على نحـو كـامـل أثـنـاء وجود الزوار (بدون وشم). C و D- زوجان هو هوكاميان من ثقافة الميريز فـالي مـوجـولـون Mimbres Valley Mogolon في نيومكسيكو، في القرن العاشر الميلادي. المرأة C، غيـر مـحـجـبـة ولكن بها وشما في ذقنها، أما زوجها D، فهو محجب، ويبدو أنه بدون وشم (A، B مـن الـواقـع، C و D، على أسـاس رسـم في جـفـنـة قديمة، من متحف بيبودي، بجامعة هارفرد).

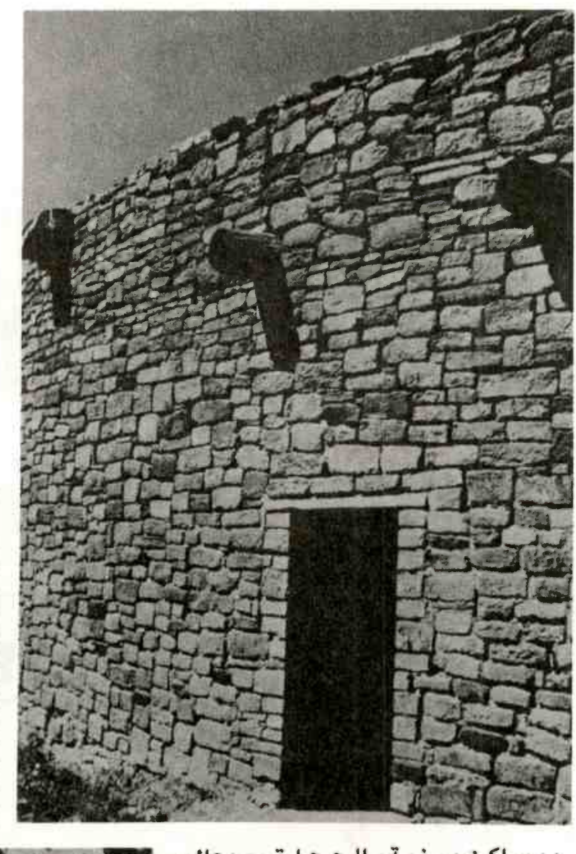
مبـان من الطوب من النمط المستطيلي النموذجب لجماعة زراعية بجبال الأطلس، في المغرب. وتوجد بجوار هذه المباني السكنية المستقرة الحقول المزروعة وهي الغالب مروية.




جفنات خزفية، وهي صناعة يدوية عن طريق لف الصلصال دون استخدام عجلة الفخار، وهي من خصائص ليبيا القديمة وامريكا الشمالية القديمة. وما زالت نفس التصميمات والطريقة قائمة في هاتيد، المنطقتين إلى اليوم. A- جفنة مزخرفة لاستخدامها على المائدة، في ليبيا. B- جفنة مماثلة من منطقة الفور كورنيرز Four-Corners من المنطقة الجنوبية الغربية القاحلة، وتعود إلى حوالي سنة ٩٠٠ للميلاد.

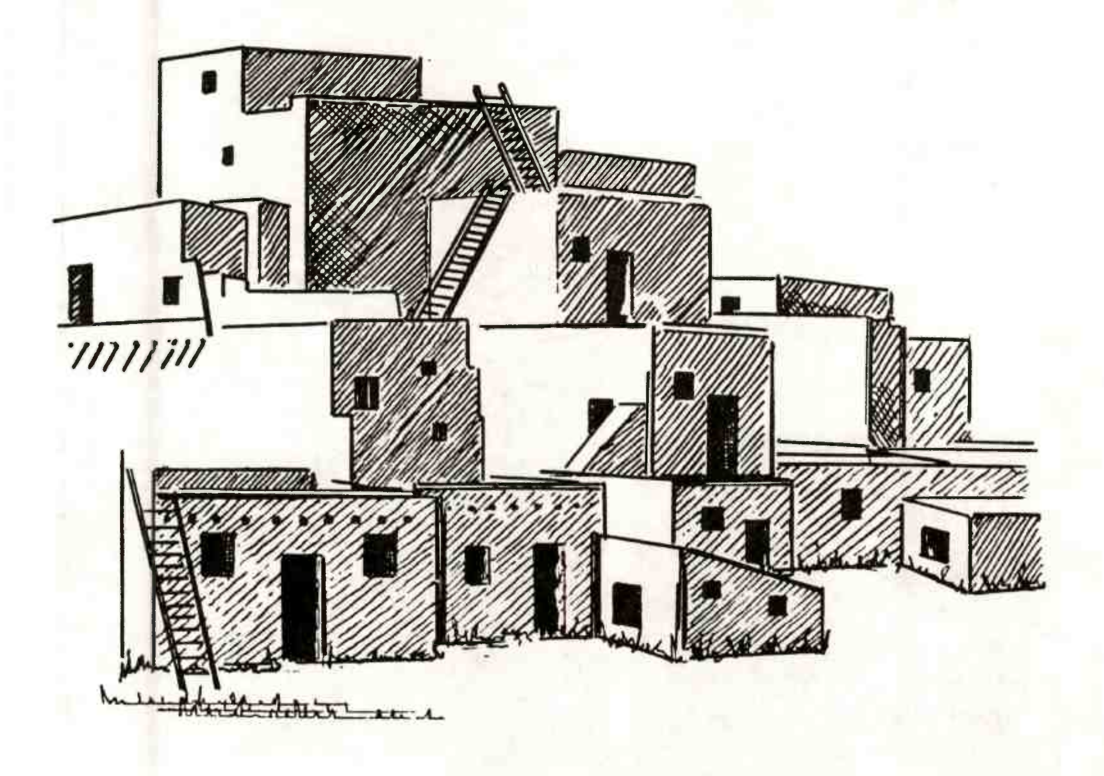


مساكن الكهوف بالنصب التذكاري بقلعة مونتيزوما مونيومنت Castle National Monument Montezuma بولاية أريزونا (إلى اعلى) وبميسا فيردي ناشيونال بارك Mesa Verde National Park، بولاية كولورادو (ويديريل ميسا لونجهاوس Mesa Longhouse Wetherell) (إلى اسفل). وتتشابه قرى غرب امريكا كثيراً مع مساكن الكهوف لسكان شمال أفريقيا، مثل قبيلة الهابي (صفحة ٢٤٦). (تصوير: الاستاذ نورمان توتن).

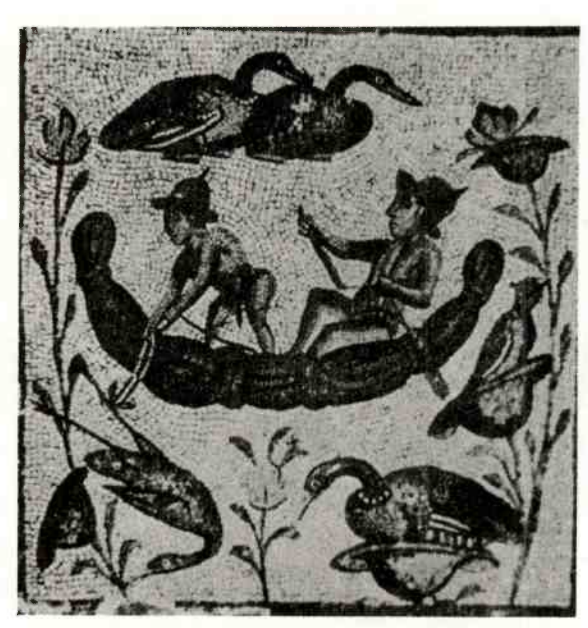




مساكن مبنية بالحجارة مع دعائم خشبية، وهي ايضا تميز مدى شمال افريقيا وهذه الأمثلة الأمريكية من جريت كيفا Great Kiva للثقافة الأناسانية Anasazi، القائمة في الازتيك رونز ناشيونال مونيومنت Monument Aztec Ruins National، بنيومكسيكو (إلى أعلى)، والقصر الصخري Palace Cliff، بميسا فيردي، كولورادو، (إلى اسفل). (تصوير: الأستاذ نورمان توتن).



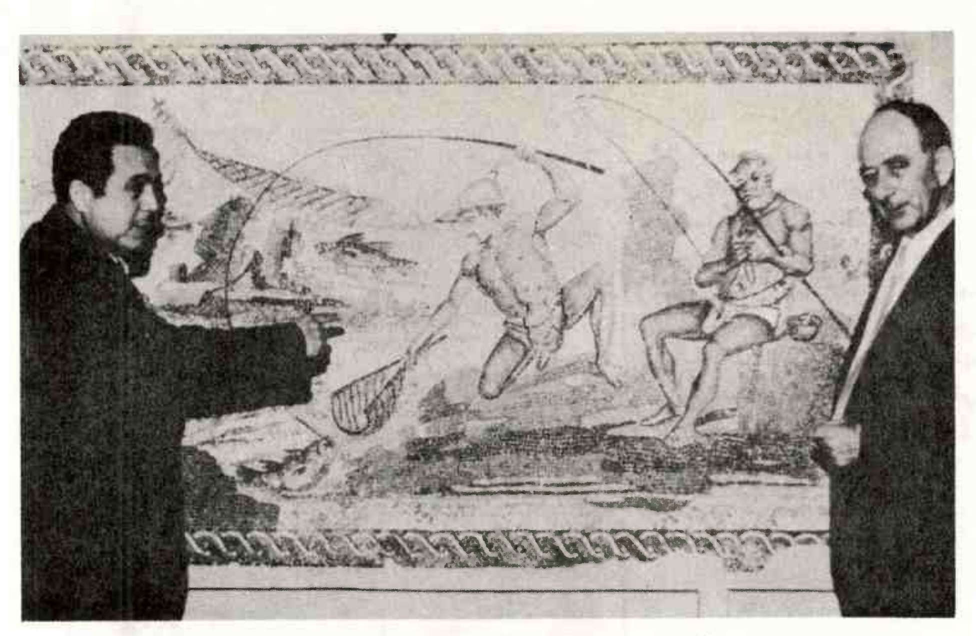
تـقـدم قرى نيومكسيكو مظهراً مشابهاً لتلك القرى المهجورة على منحدرات جبل نفوسة المطلة على سهل الجفارة بداخل إقليم طرابلس الغرب.



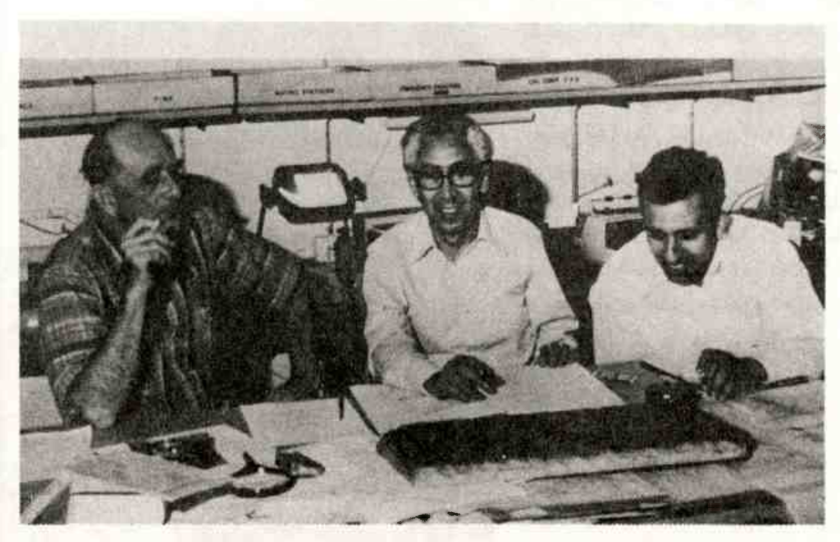
على الرغم من افتقار ليبيا إلى الأنهار، إلا أن الفسيفساء القديمة تشير إلى معرفة سابقة بمشاهد ركوب القوارب النهرية، بما فيها استخدام القوارب البردية ذات الشبه بما استخدمه بعض السكان الأمريكيين في البيئات النهرية أو التي بها بحيرات (متحف الآثار الوطني، طرابلس، تصوير: بيتر ج. جارفل).



قوارب صنعت من جذوع أشجار كبيرة، والتي لم تكن من أشجار شمال أفريقيا، تظهر في بعض اللوحات الجصية الجدارية للمشاهد النهرية. وهي تدل على أنه المعمرين الليبيين في الخارج، لا يكونون بحال مقيدين بالبحث عن بيئات صحراوية، قادرون على الاستيطان بمثل تلك الأقاليم. (متحف الآثار الوطني، طرابلس، تصوير: بيتر ج. جارفل).



الصيد بالصنارة مع عصا في البحر، وشبكة يدوية، منذ حوالي ٢٠٠٠ سنة، على ساحل خليج سرت. (متحف طرابلس، تصوير: بيتر ج. جارفل).



واجتذبت أخبار الاكتشافات الأمريكية علماء من شمال افريقيا للتحقق من هذه الأخبار. ويظهر هنا الدكتور محمد الجراري (إلى اليمين) مدير عام مركز الدراسات الليبية، جامعة طرابلس، والدكتور علي فهمي خشيم (في الوسط) من المجلس التنفيذي لليونيسكو، ومؤرخ إسلامي بارز، يعملان مع فيل Fell (إلى الشمال) بجامعة هارفرد. (تصوير: بيتر ج. جارفل).



المآوي الكهفية والوديان الضيقة في الهضاب الصحراوية التي نحتتها الرياح في أراضي نيفادا، بمنتزه الولاية بوادي النار، حيث توجد الآلاف من النقوش الصخرية، بعضها صور قام برسمها صيادون هنود، وأخرى نقوش كتابية من عمل البدو القدامى الذين استوطنوا الاقليم قبل القرن الثاني عشر الميلادي. (تصوير: جوزيف د. جيرمانو Joseph D. Germano).

المر وهي تشتمل على نص قراءة طالع اليوم القمري الخامس والعشرين من شهر نوفمبر (أنظر صفحة ١٩ من المقدمة). ومع أن الهنود البايوتي نسبوا هذا فيما بعد لقبيلة مودوك (Modoc) التي قيل أنها عاشت هناك في القرن الخامس عشر الميلادي، فان ذلك قليل الاحتمال جداً، و يجب أن يكون من صنع الفلكيين أو العرافين من حضارة قديمة ظهرت في نيفادا.

لعله لو تعرف على اكتشاف سيمبسون في ذلك الوقت لدفع هذا الى التحري حول أصل قبائل نيفادا الأوائل ومن ثم قبائل شمال أمريكا، لأن الرموز الفلكية التي تنم عن معرفة البروج السماو ية لا يمكن أن تأتي إلا من عصر كلاسيكي من حوض البحر الأ بيض المتوسط القديم وتنفي تلقائياً أي مصدر آسيوي (حيث تستعمل رموز مختلفة للبروج في الشرق الأقصى) ولا شك أنه لا يمكن أن تكون الرسوم من «اختراع منفرد» للأمريكيين الهنود.

و بمرور الزمن، اكتشفت آلاف النقوشات وسجلت حتى تصاعد الأمر الى تنظيم أرشيف فوتوغرافي واسع بجامعة بيركلي ( Berkley ) بكاليفورنيا وإلى نشر أشمل تقرير عن الموضوع سنة ١٩٦٢. ذلك هو كتاب «فن ما قبل التاريخ بنيفادا وكاليفورنيا الشرقية «بقلم الأساتذة روبيرت في. هايزر (Robert E.Heizer) ومارتين أ. بومهوف (Martin A. Baumhoff).

لم يعرف في ذلك الوقت أن كتابات من شمال أفريقيا موجودة في أمريكا وافترض أن نقوش نيفادا وغيرها من الأماكن لا تمثل أي نوع من الكتابة اطلاقاً، وقد صنفت في عدة فئات حسبما تمثل: حيوانات أو أشجار أو زخارف مجردة فقط. وقد كان القسم الأخير المدعو «الخط المنحنى للحوض الكبير» من طرف الأثريين، هو الذي يحتوي على نصوص، وإن كانت لا تبدو كتابة لمن هو غير مطلع على خطوط شمال أفريقيا. وهناك أمثال تلك النقوشات في ولايات أخرى، ففي تيكساس مثلا أسماها الأثريون «النقوس الديدانية» بدون أعطاء أي معنى للعلامات التي تشبه الديدان الداخلة تحت تلك التسمية.

في عام ١٩٧٦م، بعد نشر كتابي «أمريكا ق م» حيث نقلت بعض الكتابات من ليبيا وشمال أفريقيا بأمريكا، بدأ الدارسون العرب يزورون معملي الخاص بحل اللغات ومتحفي للنقوش ليروا بأنفسهم ما هي أسس استنتاجاتي، وكان رد فعلهم

سريعاً وحماسياً، وبدلا من الاكتفاء بزيارتهم لأمريكا عملوا على تمكيني من مشاركتهم في دراسة مسائل مشابهة في أفريقيا الشمالية. ثم حشدنا قوانا في أمريكا والعمل الآن يجري بخطى حثيثة. وزودنا دارسون يونان وكلت بخبراتهم وفي كل عام نكتسب رؤية أوضح في التاريخ الماضي لهذه القارة وأهلها.

إن الثورة التي حدثت في علم الآثار الأمريكي تعود لعامل جديد واحد: أننا الآن نستطيع قراءة الكثير من الكتابات التي تركها خلفهم أسلافنا على هذه القارة. وما تقوله هذه الكتابات لنا هو أننا حتى اليوم قد اشتغلنا كأميين يجمعون مخلفات شعوب غابرة و يحاولون تصور حياتهم بدون الانتباه للسجلات المكتوبة التي أورثونا اياها. لقد جعلت شظايا من الفخار أساساً لتفسيرنا التاريخ.

فدعوني أشرح لكم النقطة هذه بمثال استخلصته مؤخراً أثناء مناقشتي هذا الموضوع مع أحد الأثريين البارزين.

لنفترض أننا نجهل تاريخ انجلترا في القرن الثامن عشر، وعلينا أن نعتمد على البحث الأثري لاعادة كتابته، فاليكم كيف كنا نتناول الموضوع قبل بضع سنوات في أمريكا:

«إن الدراسات الجارية في عدة مواقع ببريطانيا تدل على أن «شعب الفخار الملمع بالملح استمر في احتلال انجلترا بدون انقطاع الى مطلع القرن الثامن عشر عندما حدث غزو جديد. وبمعاينة حلقات جذوع الأشجار النامية حتى الآن في الغابات بقرب دريزدن بألمانيا وبعد مقارنتها بحلقات الخشب الموجودة بالمنازل المنهارة في المنطقة، يمكننا ارجاع تاريخ أولى غزوات أهل الخزف لسنة ١٧١٠ م، وهم قبائل يعتقد أن أصلها من آسيا حسب فخارهم الأبيض المطلى. وفي انجلترا تحدد بلوغهم لندن بعمر الأشجار بسنة ١٧٢٩. ومع أن شعب الفخار المطلي بالملح بقي آمناً في عدة مواقع، إلا أن الغزاة انتشروا. وفي عام ١٧٥٩ (حسب تاريخ حلقات الأشجار) احتلت جماعة غازية ثانية استافورد شير (Stafforshire). و يبدو أن هذه الغزوة الأخيرة نشأت في إيطاليا الشمالية وجعلتنا آنيتهم المميزة نسميهم ذوي «ثقافة الفخار الأبيض الأزرق غير المطلي». وكان بعض الفخار ذات ألوان أخرى. غالباً أبيض وأسود، ولكنه بأكمله سهل التعرف عليه لنمطه الكلاسيكي الذي يشبه النقش على الأحجار الفرعية (Cameolike Style) الشبيه بالزجاج الروماني

والأتروسكي المنقوش من عهد قديم. وبنهاية القرن الثامن أصبح الشعب ذو الخزف الأبيض القبيلة المهيمنة على انجلترا. وفي أغلب أوجه ثقافتهم اتخذوا كما يبدو عادات أسلافهم أي شعب الفخار المطلي بالملح، لكن هناك عدة أمور أدخلها شعب الخزف، منها تنمية القنوات عبر البلاد وذلك ربما لتسهيل التجارة ولو أنه هناك نظرية تقول بأن انجلترا شاهدت تغيراً في المناخ فاقتضى انشاء شبكة للري لمنع توسع الصحراء. ولا يعرف شيء عن أصل أو لغة أولئك القوم، لكنه كما قلنا، هناك معطيات قوية تجعلنا نتوقع مجيئهم من آسيا وشمال ايطاليا.

والآن مهما بدت هذه الصورة الرائعة للتاريخ الانجليزي مضحكة، يبقى الواقع المؤلم أن معظم تاريخ أمريكا الشمالية قد أعيدت كتابته بهذه الطريقة. إننا لم نعر انتباهاً لعبقرية الأهالي الخلاقة وفاتنا أن نفكر بأن شعباً واحداً يمكنه الارتفاع بانفراد من مستوى الى آخر بدون «تدخل» غرباء من الخارج. فبامتثالنا بسذاجة للرأى القائل بأن جميع التطورات تأتي من مكان آخر بفضل قبيلة بدوية سريعة التنقل وأن أنماط الفخار هي السمات المميزة القطعية للشعوب، خلفنا جمهرة متباينة من الشعوب الخيالية أفعمت بمجيئهم وذهابهم المعقدين صفحات مراجع الآثار الأمريكية، التي لا تقول لنا شيئاً بتاتاً عن اللغة أو الوطن الأصلي لأي منها.

في نظر أساتذتنا، لا يستطيع مواطن أمريكي أن يظهر ملكية الخلق التي يتمتع بها صانع خزف دريزدن أو فن وتقنية جوسيا ويدجوود (Josiah Wedgwood) من سترافورد شير. ولا أمريكي يستطيع السفر الى الخارج والأتيان بعينات من منتجات وآنية أقوام أخرى الى عشيرته ومن ثم، لا صانع فخار أمريكي ـ أو قاطع قناة أو رياضي أو فلكي أو غيرهم ـ يمكنه التأثر بما أحرز من تقدم في أقطار أخرى.

إن تناول التاريخ القديم ـ بما فيه تاريخ العصور الوسطى ـ للأمريكتين وأمريكا الوسطى، كان يرتكز على مثل هذه المعتقدات الباطلة. وبطلانها يتجلى بشكل كاف في «السجلات المكتوبة» التي تركها لنا نفس الأمريكيين الذين افترضنا تاريخهم على أساس بعض الآنية المهشمة المهملة. ففي كل ساعة يلقي أمريكيو اليوم بأطنان من أطباق مكسرة، لكني آمل ألا يأتي زمن يدون فيه تاريخ الانسان في الفضاء من طرف بحاثين يركزون اهتمامهم على الأطباق المكسرة وقنينات الكوكاكولا. وبكل احترام لمعتقدات الأثريين التقليديين وتصرفاتهم، فانني موقن

بأنه مهما بقي من سجلات عن تقنية الصواريخ في عصرنا. فلن يسهم في الموضوع جامعو شظايا آنية المطابخ. سواء كانت مطلية أم لا. فترانزيستور واحد إن نجا أو الرسم المعتاد على اللوحات لمعادلة ط=ك س[٢] (طاقة تساوي الكتلة مضروبة في سرعة الضوء أس اثنين) ستعنى بالنسبة للأثريين القادمين أكثر من أي طبق أو قدح.

لكني استطردت. إذ كما أسفرت الأحداث بعد قليل. كنا على وشك وجود دليل جديد طالما فاتنا لمدة خمس سنوات. ألا وهي مخلفات أولئك الملاحين العرب قبل الاسلام. الليبيون الذين وجهوا سفنهم الى المشرق لعبور المحيطين الهندي والهادي لاكتشاف العالم الجديد بالابحار في عكس المسيرة التي سلكها أسلافهم من قرطاج.



# الرحلات البحرية الكبرى

لقد تم اكتشاف أقدم خرط أمريكا وجزر وسواحل المحيط الهادي، لسببين هامين: أولهما، أني عدت من أعمالي الميدانية في ليبيا متأثراً جداً بشواهد التفوق البحري للحضارات القديمة بتلك الربوع. وثانيهما، إني كنت مدركاً تماماً أثناء دراستي للفسيفساءات البحرية الموجودة في المتحف الأثري بطرابلس بشواهد في شكل كتابات منقوشة في الكهوف باللغة الليبية، كنا رأيناها في أريانة الشمالية الغربية (غينيا الجديدة) سنة ١٩٧٤م، وكانت تلك النقوش الغينية تحتوي على خرط نجومية ومخططات ملاحية وحتى حسابات تنسب لا يراتوستين، واتضح أنها من عمل ملاح ليبي وقع أسمه بحرفي م ـو (M-W). فالكلمة «ماوي» بالمصرية تعني وكيلا أو ملاحاً، لكنها تنطق مثل الاسم البولينيزي «ماوي» وكان ماوي هذا في الأساطير البولينيزية ملاحاً عظيماً، وكان في عرف البولينيزيين، حسب تعبير مجازي قد «اصطاد جزراً جديدة في البحر» وتروي مآثره ومغامراته الخرافية الأخرى في جميع الجزر المنتشرة في بولينيزيا والظاهر أنه كان شخصاً حقيقياً وربما أحد مستطلعي المحيط الهادي.

وعندما نقلت النقوش الليبية من غينيا الجديدة، اعتبرت أن م ـو في نصوص الكهف هو نفسه ماوي الأساطير البولينيزية. فشرعت في استقصاء اللغة الليبية لقديمة للتأكد من أن لغة بولينيزيا مرتبطة بالليبية وسرعان ما اتضح أن الأمر كذلك ومنذ سنة ١٩٧٥ ساهم كل من البروفيسور لينوس برونر (Linus Brunner) من سو يسرا والدكتور رييول لوخور (Reuel Lochore) من نيوزيلاندا وأنا، في الاضافة لاشتقاق اللغة البولينيزية على أساس دراساتنا للغات شمال أفريقيا والأمم السامية.

وقد دفعت بي النقوش الغينية للاستنتاج أن ماوي دخل المحيط الهادي من المحيط الهندي الشمالي وقد عبر الهادي في اتجاه الأمريكتين مكتشفاً في طريقه بعض الجزر البولينيزية. و يبدو أن تاريخ الرحلة هو العام الخامس عشر من ملك بطليموس الثالث بمصر وذلك الكسوف الشمس المشاهد في غينيا الجديدة في شهر نوفمبر

من سنة ٢٣٢ قبل الميلاد يبدو نفس الكسوف الذي سجله ماوي بصفته واقعا في «العام» الخامس عشر من ملك الفرعون» وعام ٢٣٢ ق م هو العام الخامس عشر لملك بطليموس الثالث فأعطانا ذلك دليلا معقولا جداً عن رحلة ماوي إذا كنت قد قرأت النقوش قراءة صحيحة.

ولذا لم تكن لي مندوحة من الشعور أثناء أعمالي الأخيرة في المواقع الليبية بشمال أفريقيا بأننا يوماً ما سنعثر على خرط لرحلة ماوي هذا أو لخلفائه، لكن أين؟ لقد خذلت في ليبيا نفسها حيث انعدمت كما يبدو، رغم غزارة الفسيفساءات الممثلة للحياة البحرية، انعدمت بقايا الأدوات البحرية أو رسم الخرط بالفسيفساء.

هكذا عدت أمريكا للبحث مؤملا أن تقدم لنا غربلة اضافية لحاصيلنا المتزايدة من النقوش القديمة مفتاحاً ما. ولم يكن التوفيق هذه المرة بعيد المنال، وقد وقعت في يدي سلسلة متصلة من مفاتيح الحلول، أدت بي في النهاية للضالة المنشودة.

في السنة السابقة كان كل من بيتر غارفال (Peter Garfal) وجون فوراتيني (John Foratini) من شونهوف (Schoenhof) وهما صاحباً مكتبة في كمبدرج متخصصان في البحث عن منشورات أجنبية، قد قاما ينقبان في أسواق نيو يورك بحثاً عن مؤلفات لغوية وأثرية، وكان من بين لقياتهم بعض الكتب التي تبحث في ثقافة «الموتشيكا» (Mochica) الغامضة. وأولئك قوم مجهولو الأصل أسسواحضارة نابضة بالحياة على ساحل بيرو الشمالي الشرقي ما بين سنتي ٢٠٠ و٩٠٠ م، ولم يعرف شيء عن لغتهم، لكن فخارهم ودماهم الطينية كانت تنم عن إحساس رقيق بالفن وروح الدعابة ، والكثير منها ذو اتجاه جنسي. وبسبب ذلك الأرهاف الفني المقترن بمواهب موسيقية واضحة ونمط زيهم المتشابه لزي شعوب البحر الأبيض المتوسط في الأزمنة الكلاسيكية اكتسب الموتشي لقب «أغريق أمريكا الجنوبية».

وعندما درست فنهم، جذب انتباهي أمران. كان هناك تأثير ليبي ضئيل لكن ملموس، فمثلا لاحظت على تمثال مطلي لفهد الحروف الليبية «ت ج ر س» (T-G-R-S) وفوقها شيء يبدو كأنه خط عربي مشوه «م ــ م» (M-M) وقد علمنا من الكتابات على الفسيفساءات الليبية لمشاهد الصيد بشمال أفريقيا أن الفهد في ليبيا في الأزمنة الكلاسيكية لم يدع «باردوس» أو «ليو باردوس» (Pardus Leopardus) وإنما دعى «تيغريس» (Tigris). وليس هناك نمور أفريقية، ولذا يبدو أن الأغريق، بعد

حملات الاسكندر في آسيا، أدخلو هذه التسمية للحيوان الآسيوي في شمال أفريقيا واستعملوها للدلالة على الفهد، بحيث لو أعترض فهد ليبيا لأسماه نمراً وهي العبارة التي تمثلها الحروف الليبية على التمثال من ظاهر تهجيها. هذا، وفي أساطير أمريكا الجنوبية كانت فهود «البوما» و«الجاجوار» (Puma) (Jaguar) تحظى بحرمة دينية وفي لغة كو يتشوا (Guechua) في بيرو كلمة «ماما» (Mama) تعني أماً الهية. هكذا، ولو أنني غير متأكد من الموضوع، أفادتني النقوش بأن فناناً من بيرو قد زوق كلمات كو يتشاو ية وليبية على تمثاله الصغير، فهل معنى ذلك أنه قد تم اتصال بالليبيين، وفي حالة الايجاب، كيف؟.

من أكثر الأوجه استيقافا للفن الموتشي صور على الآنية الفخارية لما يبدو ظاهرياً سفناً تنينية الشكل عليها بحارة يلقون بأدوات الارساء وحبالة الأمان و يطرحون خيط الرصاص لسبر غور البحر وناشرين شباك الصيد المستديرة في الهواء بمطافحها شبه الفلينية على حافاتها، الى غير ذلك. وبالرغم من ذلك، لاحظت داهشا أن الباحثين السابقين قد اعتبروا تلك الرسوم البحرية كأنها «تمثيل مردة بحار» بدلا من سفن وهي فحواها الواقعية.

ولذا بحثت في متحف طرابلس عن قطع مشابهة من حفريات بليبيا، لكني أخفقت. هناك قطط واشارات لعبادة القطط في الكتابات الليبية في نقة بتونس، كما أوضحت لزملائي من شمال أفريقيا، لكنا لم نعثر على رسومم لسفن تنينية ولا خدوش على آنية تعادل «النمر الأم» اذا كانت الدمى البيرونية تعنيها بالذات.

وبعد أن بدأت في دراسة كتابات نيفادا، سرعان ما اهتديت لمفتاح أثار اهتمامي بالمسألة لأنها احتوت على خدوش تمثل سفنا، بما فيها سفنا تنينية، وكانت تحت أحدى السفن عبارة بالحروف الكوفية «ف، ل، ك،» أي التهجي للكلمة «فلوكة» التي معناها قارب بالعربية. اذن كانت هناك سفن تنينية على الساحل الغربي للأمريكيتين وهي بالاضافة لذلك متصلة بلا شك بحضارة استيطانية ليبية حيث استعملت العربية الفصحى.

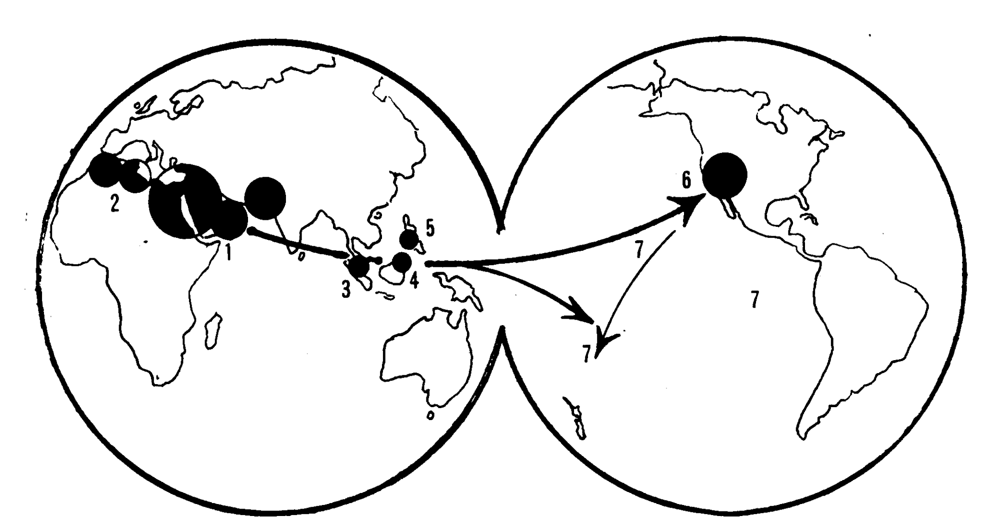
كان ذلك المفتاح الأول المطلوب فوجدناه.

المسألة الثانية هي: هل كان لدى المستعمرين الليبيين من شمال أفريقيا المتحدثين العربية معرفة بالأراضي الأجنبية؟ فاذا كانت السفن التنينية لزوار من كاليفورنيا أو كولورادو، اذن نتوقع من المستوطنين بالوجه الجنوبي الغربي القاحل والمرتفع الصحراوي أن يتركوا أثرا لتلك الواقعة.

وبمراجعة ما اكتشفناه مسبقا، تذكرت أن غلوريا فارلي عثرت على نقش على حجر لحصان في مجموعة سيمارون وأن ذلك الحصان كان يحمل وسما ليبيا. وقد تساءلنا مرارا كيف استطاعت خاطرة ظاهرية لحيوان عاش في أفريقيا وليس في أمريكا أن تترك انطباعا عميقا بدرجة ينتج عنه نقش بذلك الوضوح على سفح جبل. هنا ابتدأت أشك في أنها خاطرة وليس شيئا نقله الأجداد كتقليد من تقاليد البلاد، بل ربما شيئا رآه النقاش نفسه فعلا في رحلة له خارج أمريكا. هذه معلومات قد يستهزأ بها لو أفصحت عنها في محاضرة عامة، ولذا رأيت أنه من الأصوب ألا أشير اليها في وقتها. وأعدت فحص رسوم الفيلة التي ذكرتها في «أمريكا ق ل» واستلمت من صديقي الدكتور كلايد كيلر (Clyde Keeler) نسخة لتمثال خزفي صغير لفيل عليه راكب شرقي عديم الرأس استخرجه دكتور ه. أ. مونداي (H.A. Monday) من كوم تيوكاللي (Teocalli) في كو يرنافاكا (Cuernavaca) بالمكسيك، مع تقليدين محليين من الحجر عثرا عليهما أيضا في كوم الدفن، وأوحى الي كل ذلك احتمال سفر أمريكيين الى أوطان تلك الحيوانات حاملين معهم في عودتهم جميع قصص الرحالة عنها مما ظهر في النقوش أو، فيما يخص تمثال الفيل الصغير، انهم حملوا فعلا المصنوعات الفنية من الهند أو الصين.

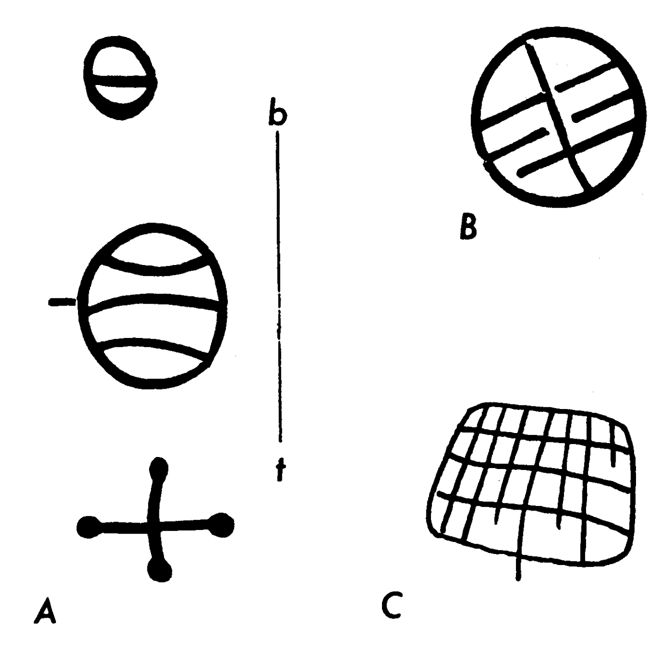
حينذاك شرعت في تمشيط منظم لجميع النقوشات المسجلة الواردة من تلك الولايات بحثا عن معلومات بحرية. وهكذا جلبت انتباهي الخرط القديمة المنحوتة على الصخر التي نقلها بأمانة علماء الأجناس المعاصرون بصفتها نقوشات غير ذي معنى.

وكانت الخرط تحمل اسم ماوي، فيجب اذن أن تكون الخرط التي رسمها بنفسه خلال رحلته الأستكشافية الكبرى قبل اثنين وعشرين قرنا. لكن، بالطبع، لم ينحت بالفعل النسخ التي نراها، فلم تترك له سفرياته الطويلة وقتا كافيا لصعود نهر كولورادو والترجل مئات الأميال عبر سلسلة جبال سيرا (Sira) الى الوهد الخفي الواقع في الطرف الشمالي من الحوض الكبير.

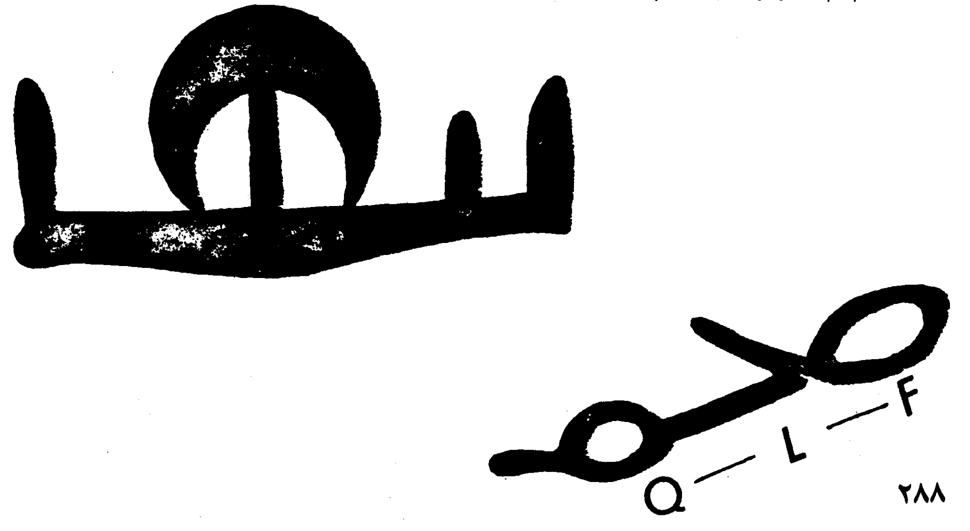


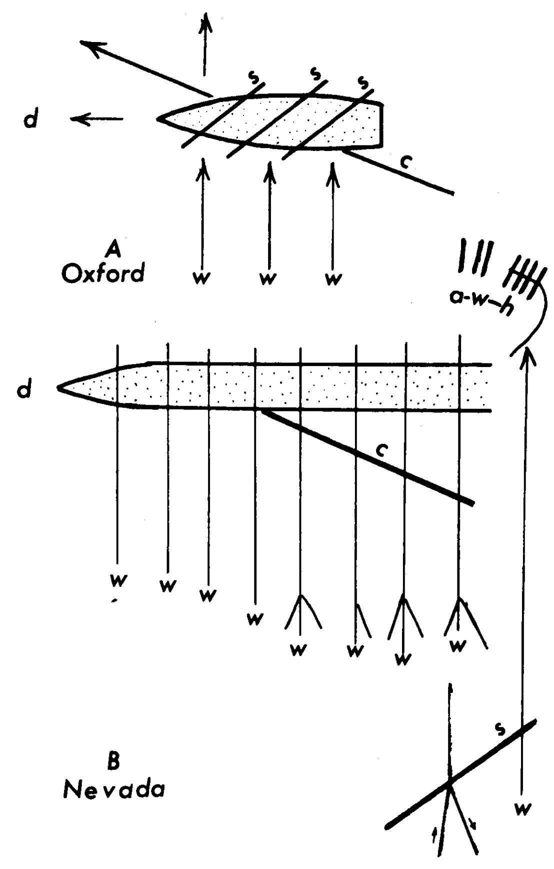

انتشار اللغة والنقوش العربية، بقايا الأبجديات والمفرداتن الاحفورية التي تدور حول الكرة الأرضية، وتعلم الطرق البحرية القديمة عبر المحيط الهادي إلى أمريكا الشمالية. ١ ـ اللغة العربية الكلاسيكية، ما زالت باقية. ٢ ـ اللغة المغربية العربية، ما زالت باقية. ٣ ـ لغة الملايو Malay، كانت تستخدم الخط العربي في السابق، ما زالت تحتفظ بكثير من المفردات العربية، معظمها إسلامية. ٤ ـ دياكية Dayak ودياكية بحرية Sea Dayak، مع استعارة مفردات عربية. ٥ ـ السامالية Samal والتاو سوقية Tau Sug والباجانية Bajan في جزر سولو Sulu، وتشتمل على بعض المفردات العربية، وكانت الحروف العربية مستخدمة في السابق، جاليات إسلامية أو كانت إسلامية ومسيحيون عرب. ٦ ـ عربية هوهوكامية، تكتب ويتحدث بها، أبجدية ليبية وعربية كوفية، انقرضت الآن. ٧ ـ لهجات بولينيسية غنية بالعربية الكلاسيكية والليبية. كانت تضم في السابق بعض حروف الأبجدية الليبية، كانت الاتصالات جزئياً عن طريق اتصال مباشر مع أندونيسيا، وبعضها اتصالات غير مباشرة عن طريق الرحلات الهوهوكامية من غرب أمريكا الشمالية، حيث تم الآن اكتشاف خرائط بولينيسية قديمة.

الصفحة التالية: في حين كان الأطفال الناطقون بالانجليزية يتعلمون أن C-A-T تكتب cat، فان بقايا مواقع المدارس القديمة في نيفادا تظهر أن أطفال أمريكا قبل ألف سنة كانوا يتعلمون بأن F-L-Q تكتب سفينة (الكلمة العربية والليبية «ذلك»، وهي كلمة Felluca). وتنتشر في مناطق الصيد في نيفادا نقوش صخرية مبعثرة لسفن متطورة، بعضها مكتوب احيانا بالعربية أو الليبية (وكانت تظن خطأ بانها رسوم عابثة هندية)، إذ أن الأولاد كانوا ـ كما يبدو ـ يدرسون على أيدي مدرسين، في حين أن الكبار كانوا منشغلين بالصيد وبنقل الجلود والفراء لأسواق التجارة عبر المحيط الهادي. وهذا المثال يوجد في موقع ستيوارد ٢٠٧ في منطقة النقوش الصخرية في Grimes بمقاطعة تشرتشل بولاية نيفادا.

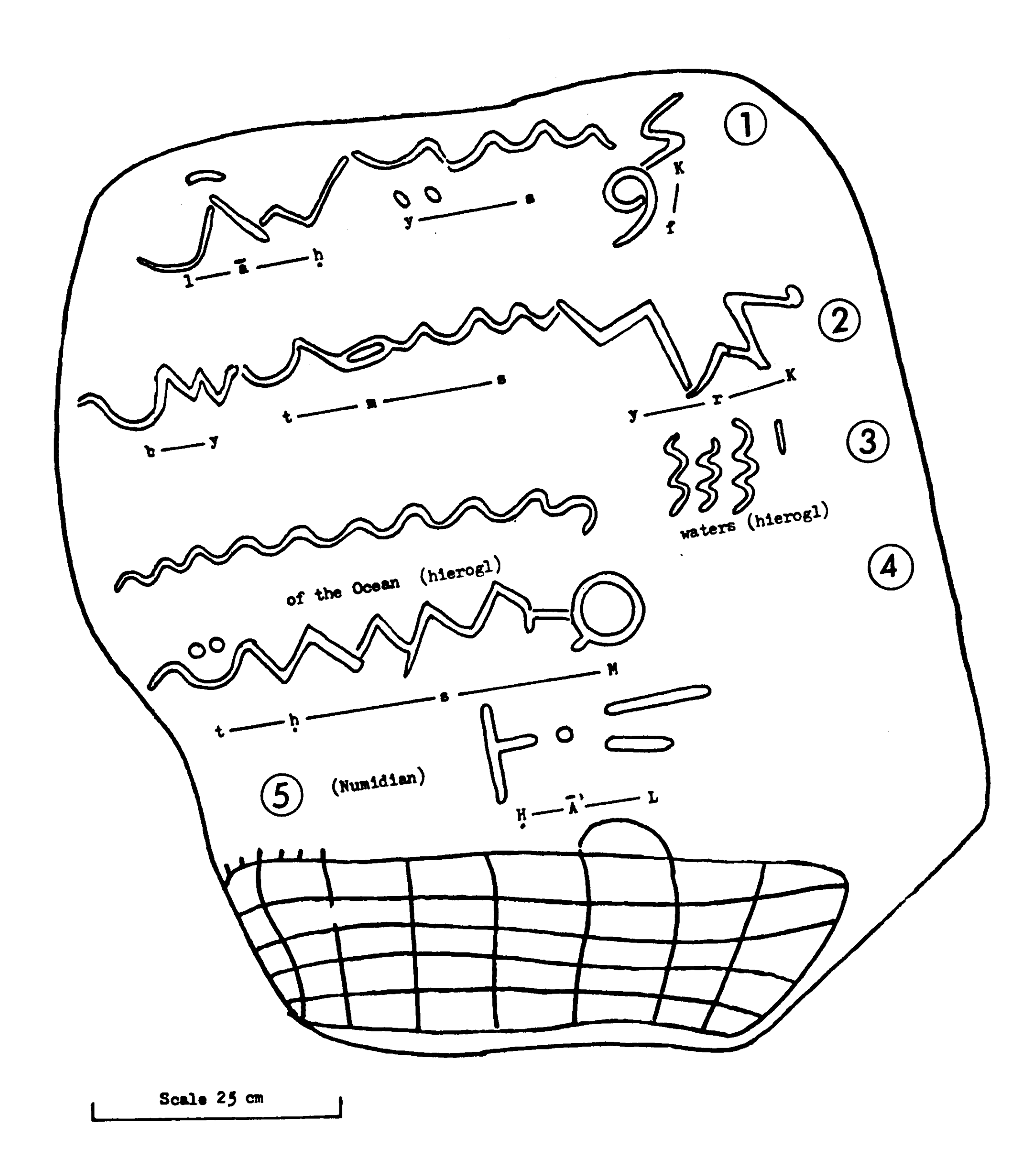



ومن المحتمل أن أطفال نيفادا أثناء «المدرسة الصيفية» (في الحقيقة، يعتبر الخريف والربيع فصلي الصيد بالمرتفعات، كما استدل هايزير وبومهوف على ذلك) قد تعلموا أن الأرض كروية (العربية الليبية T-B، أي taba، الكرة الأرضية) مطوقها خط الاستواء والدوائر المدارية، وتعلموا أيضاً علاقة الخرائط المسطحة بشبكة دوائر خطوط الطول والعرض التي أسسها العالم الليبي إيراتوستينيس Eratosthenes. وتوجد هذه الأمثلة للنقوش المدرسية في جنوب شرق كاليفورنيا، حيث يستر الغربيون المتحدثين بالعربية (من المحتمل أنهم هوهوكام) بعض الوقت، وخصص الأستاذ جوليان ستيوارد موقعاً برقم ٣٨، وآخر برقم ٢١٠ من ترقيم هايزير وبومهوف لمقاطعة أينيو. وقد ترك الانتروبولوجيون الذين اكتشفوا مناطق هذه النقوش دراسات ممتازة لما وجدوا ولكنهم فشلوا في إدراك أهميتها، لأنهم لم يتعرفوا على الكتابة.

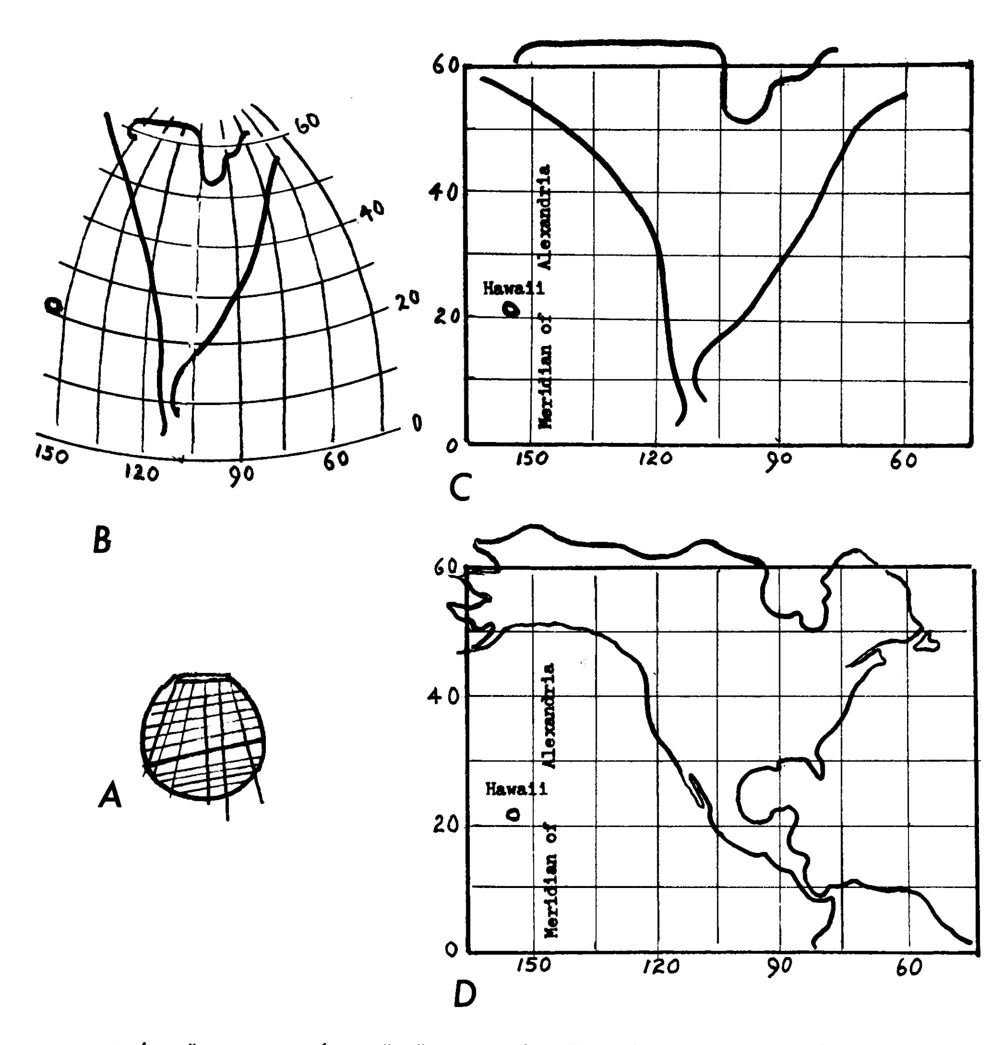




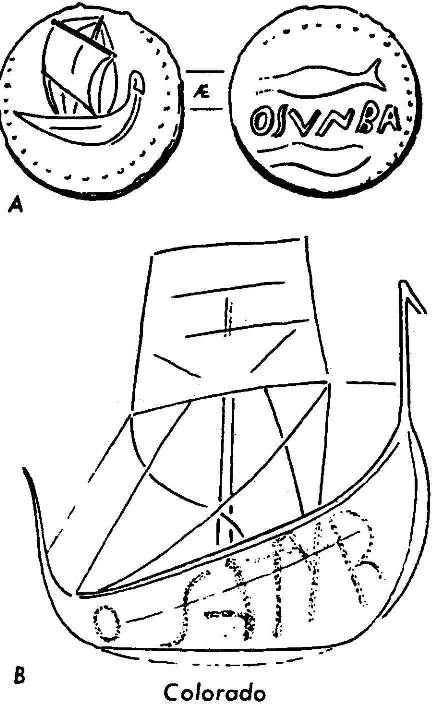

ومع تقدم الأطفال في السن، ارسل من بينهم من يبشر بنبوغ مرتقب، إلى مدارس تقدم تدريباً اكثر تقدما، اي إلى نسخية باول اكاديمية امريكية بحرية، وتقع في مواقع الأستاذ جوليان ستيوارد التي تحمل رقم ٢٠٢ و ٢١٢، قرب نهر ايست ووكر في مقاطعة لايون، بولاية نيفادا. ونرى في المقارنة العليا الحقائق السرمدية للبحر كما عبر عنها مدرسو الملاحة منذ ٢٠٠٠ سنة. A- رسم بياني ورد في دائرة معارف أوكسفورد للشباب (المجلد ٤، ١٩٥١) يشرح كيف يتحتم على السفينة الشراعية ان تضبط اشرعتها (S) لكي تحقق مساراً (C) عند وجود تيار هوائي (W) حيث يثبت سكان سفينة للاحتفاظ بجسم السفينة في الاتجاه الصحيح (d). B- رسم بياني منقوش على جلمود بازلتي، في موقع لجامعة كاليفورنيا رقم Ly-1، نهر أيست ووكر، بنيفادا، كما سجله هايزير وبومهوف، عام ١٩٦٢، وهي نقوش تعزى إلى الصيادين القدامى. ويفسر الرسم البياني كيف أن الفلوكة الليبية ـ الأمريكية ذات الشراع المثلث الجسم الطويل الأملس الانسيابي، يتحتم عليها ضبط أشرعتها حتى تحقق مسارها (C) في وجود تيار هوائي (W). ويوضح رسم بياني (لم يرد هنا) كيف يجب وضع المجذاف الموجه لكي يحتفظ بجسم السفينة مستقيما في اتجاهه (d). وكلا الرسمين يوضحان أثر انحراف السفينة مع الريح، انحرافها إلى اتجاه الريح تحت تأثير الريح من التيار. ويقاوم من السفينة ذلك وتزيد من المقاومة المساحة الواسعة من الشراع. وأما بالنسبة لأمريكا، فان تيار الريح قد حدد عن طريق رقعة في الجزء الأيمن الأعلى H-W-a (باللغة العربية هواء hawa). وتسبق حروف النقش زمنيا النمط التيفيناجي، وقد تؤرخ الرسم البياني إلى تاريخ يسبق القرن الأول الميلادي. ومن بين المواقع الأخرى التي استخدمت لتعليم الملاحة لاجومارسينو Lagomarsino، وتقع على مسافة عشرة أميال إلى الشمال الشرقي من مدينة فرجينيا، وهي معروفة منذ سنة ١٩٠٤ عندما اكتشفها جون ريد.



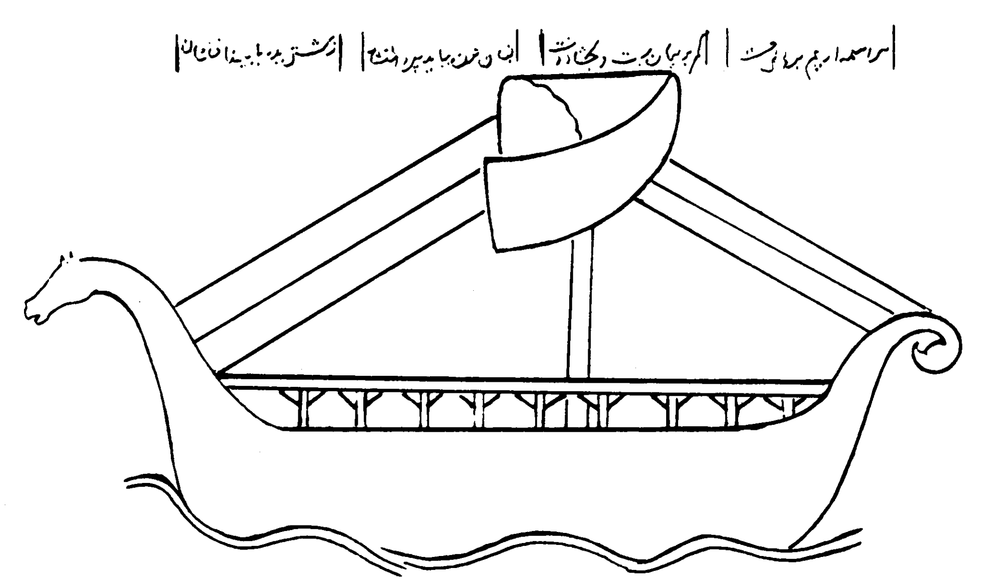

وتقوم ولاية نيفادا بحماية هذا الموقع، وقد قام ستيوار بالبحث في هذا الموقع سنة ١٩٢٩، وكذلك علماء اثار من جامعة كاليفورنيا، بيركلي، بيد أنه لم يكن من الممكن تقويك أي معنى لذه العلامات. وكما هو واضح الآن، فقد كان الغرض من الموقع القديم دروس في الملاحة والجغرافيا. ويقرأ هذا المثال بالخط العربي الكوفي (١) التحويل المتساوي المتاكفىء (٢) لزوايا السمت الدائرية للأرض (٣) ومياه المحيط (٤) للأسطح المنبسطة. ويقرأ نص ليبي (٥) التحويل. وهو واحد من سلسلة من النقوش التي تعالج المساقط المخروطية في رسم الخرائط



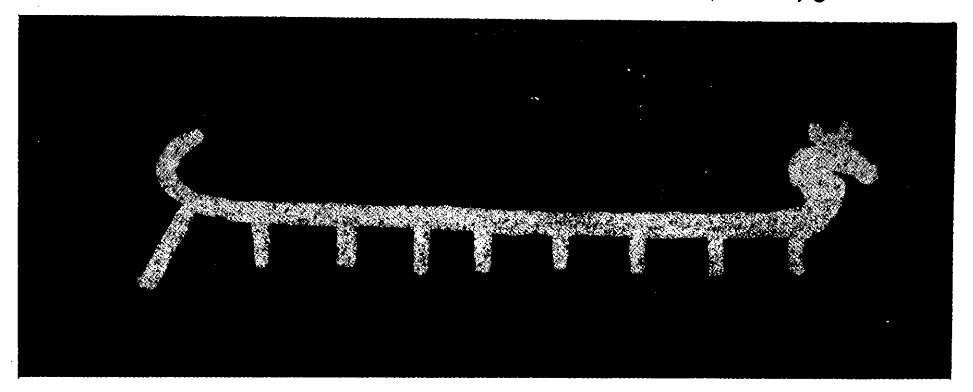

يبدو واضحاً من هذه المساقط المخروطية والخطوط المستقيمة من الأسطح الدائرية A ، أنها قد درست. B- (وقد أضيفت اليها لتوضيح شبكة الخطوط) وبهذا أمكن تحويلها الى C ، وتشبه مسقط ميركيتور Mercator ، أو سالفه المبسط D . ويقابل الرسم العام لأمريكا الشمالية الموضح في الشكل B ، ما ورد في نقش نيفادا ، الذي أغفل حتى الآن.

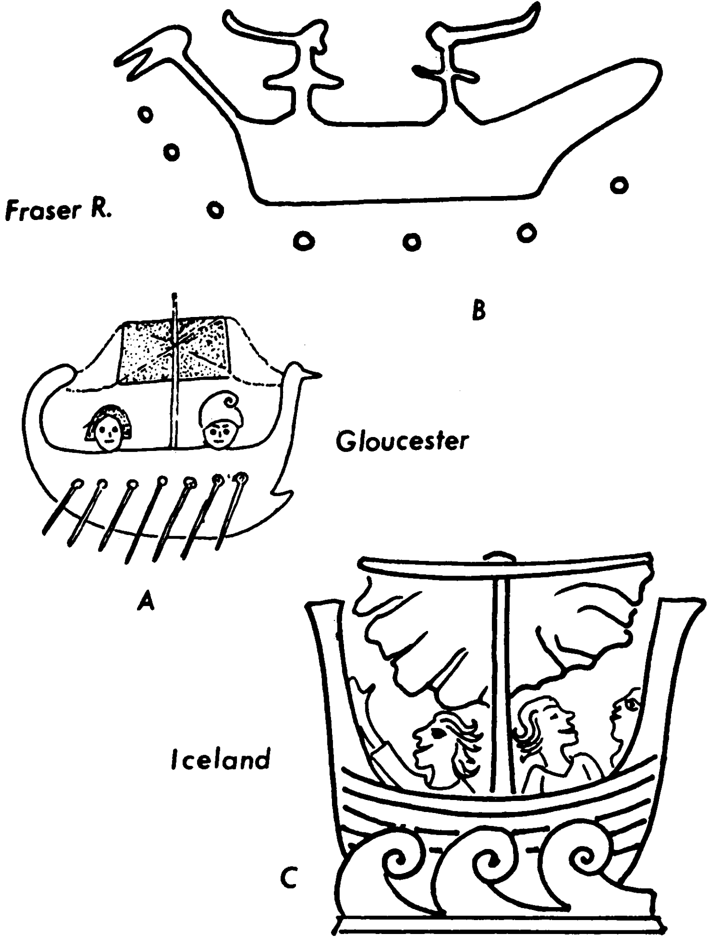



وحيث أن تدريبهم الفعلي كبحارة قد مكن هؤلاء الشباب المتخرجون من أكاديمية نيفادا من الابحار في الطرق البحرية للمحيط الهادي، فان السفن التي كانوا يقودونها كانت تختلف من منطقة الى اخرى، مع تغير الأشكال وانها ليست في العالم القديم. إن أقدم مركب أمريكي يتوفر لدينا عنه معرفة مفصلة هو المركب الذي وجد مصوراً في نقش حجري رائع بكولورادو، اكتشف من قبل جلوريا فارلي وفريقها في اوكلاهوما، خلال سنة ١٩٧٨. إن هذا الكشف، والقطع النقدية المعاصرة، تظهر بجمال وفن، خطوط السفن الايبيرية الفاتنة للقرن الأول الميلادي. ولا ريب في أن سفن شمالي أفريقيا وأمريكا الشمالية المعاصرة كانت متشابهة. A- قطعة نقدية تعود للقرن الاول الميلادي من مدينة أكشونية بالبرتغال Osunoba (يعتقد أنها كانت ميناء قرب مدينة فارو Faro الحالية) تظهر أن تصميم سفينة ايبيرية قد تطور الى بناء جسم انسيابي بحلول القرن الاول الميلادي. إن نفس التصميم ـ وبصورة أكثر رشاقة ـ يشاهد في نقش كولورادو، B، والذي تم كشفه حديثاً من قبل ديل مورفي Dale Murphy، وهو عضو مع ترومان توكير Truma Tucker، فما بعثته فارلي الى مقاطعة باكا Baca، حيث يعرف الآن أن كثيراً من النقوش توجد هناك. انه من المعقول الاستنتاج بان تلك السفن، من ذلك النمط الموضح على العملة ومن خلال النقش الحجري، كانت تعبر الاطلس اثناء القرن الأول الميلادي، لانه حتى وإن كان نقش كولورادو قد نقل عن القطعة النقدية من مدينة اكشونية، فلا بد وأن سفينة قد عبرت المحيط لتوصل القطعة النقدية الى أمريكا. إن القطعة النقدية لمدينة اكشونية ـ وهي المثال الوحيد ـ مفقودة الآن، والرسم المبين أعلاه مأخوذ من نقش عمل خلال القرن الثامن عشر عندما كانت القطعة من ممتلكات فري مانويل سيناكولو Frei Manuel do Cenacula أسقف باجة Beja. وتبدو العلامات على جسم سفينة كولورادو شبيهة بالاسم OSVNB. الشكل A عن Dos Santos, Arqueologia do Algarve (١٩٧١)، والمعلومات الوثيقة بين سفينة كولورادو وما وجد على القطعة النقدية لمدينة أكشونية. B- رسمت من قالب من عصارة الشجر حصلت عليه جلوريا فارلي، عام ١٩٧٨.

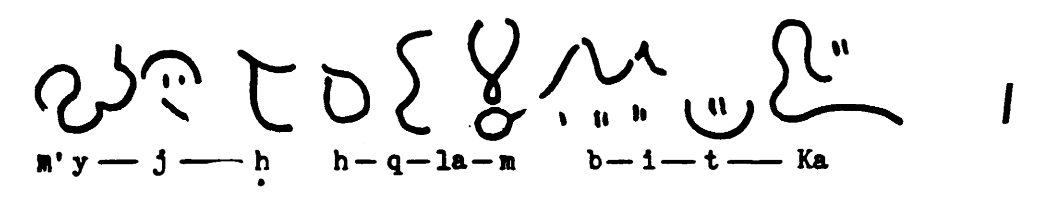


مخطوطة عربية تعود الى العصور الوسطى من البحر المتوسط، وهي تصور سفينة نورسية (أعلاه) برأس حصان كتمثال في مقدمتها. ولقد جاء هذا النمط، على ما يبدو، الى شمال أمريكا، حيث وجد نقش حجري في موقع المدينة المفقودة Lost City لستيوارد يمثل سفينة من هذا النوع (الى أسفل).






ان السفن التي تخر البحار، ومقدماتها على شكل رأس طير، يبدو وكأنها اختراع كلتي، اذ ان أقدم مثال معروف من فسيفساء القرن الرابع في لو هام Low Ham، بانجلترا، ويعود تاريخ الى زمن الاحتلال الروماني (الشكل A). لقد كان من المألوف ذلك الوقت تقريباً بأن رسم النساخ السفن باثنتين من البحارة الضخام الجسم مما لا يتناسب مع حجم السفينة، على الرغم من أن صف المجانيف يتطلب أكثر بكثير من النوتيين. وتظهر هاتان الخصوصيتان في المثل الانجليزي أعلاه. وهناك طريقة مميزة أخرى قد تم تبينها من قبل الفنانين الكلتيين وهي حمى الميل الى تصوير الرجال والحيوانات في أشكال ثنائية مطابقة. ان جميع الخصائص السابقة تظهر في الرسومات الصخرية الكولومبيا البريطانية في الشكل A، واكتشفت من قبل خون كورنير في ملتقى نهري فريزير وستاين. ولما كانت المقاطعة تزخر بالنقوش الاوجامية، وحيث يعتبر وادي فريزير موطناً للمتحدثين باللغة الكلتية فلا شك في أن النقوش الحجرية في كولومبيا البريطانية هي من عمل فنان كلتي كان على ما يبدو مطلعاً على السفن التي تمخر عباب البحار. ويحصل على انعكاس مرآة لنقوشه، فانه يجعل الريح تهب من اتجاهين متقابلين في وقت واحد لتنقل شعر رأس البحار أو غطاء رأسه الى اليمين والى الشمال. C- رسم مماثل يعود الى العصور الوسطى وهو لفنان نورسي، جزء من زخرفة لنسخة Icelandic Jónsbók الموجودة بـ Kongelige Bibliotek، في كوبنهاجن Copenhagen، وترجع الى اوائل القرن الرابع عشر. (المعلومات الخاصة بـ B من:







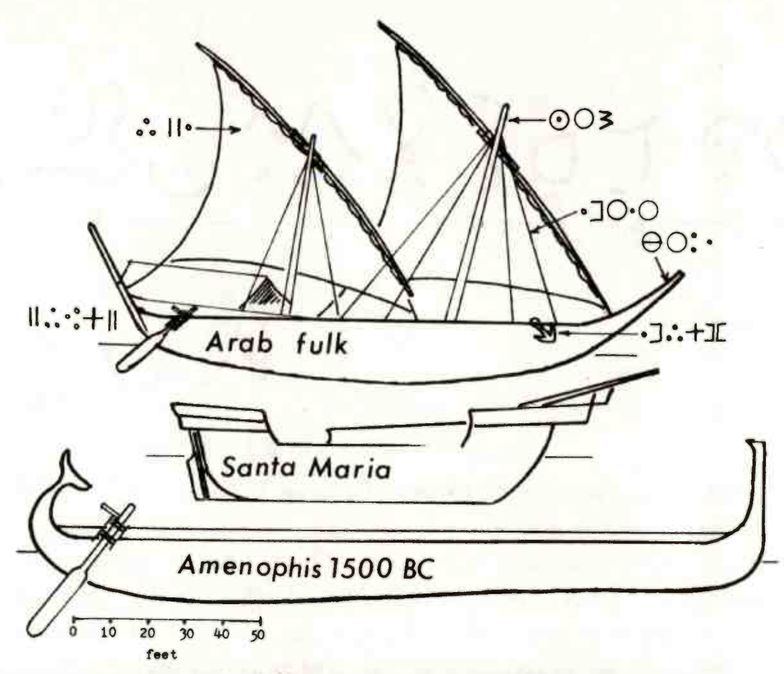
Visitors from abroad also came to America, bringing news of newer ship

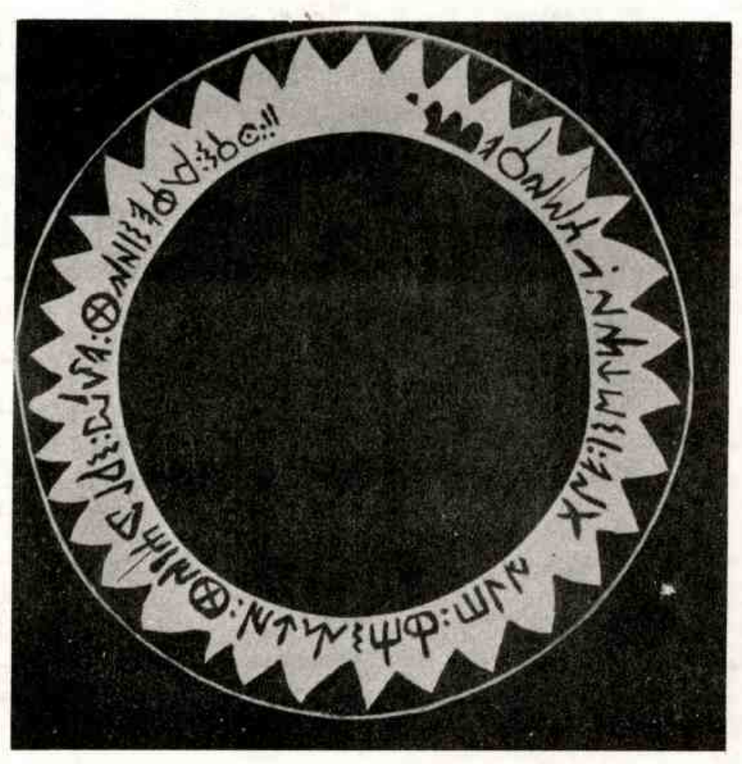
كان الزائرون يصلون من الخارج إلى أمريكا، ناقلين أخبار نماذج لسفن جديدة. Malaya-Katiba malaqah hagimi «سجل زيادة لرحلة من الملايو» ـ هكذا يقرأ هذا النص العربي الذي عثر عليه ريمبيرتو أ. جاليسيا Remberto I. Galicia، في كهف بلا جروتا دي كورينتو La Gruta de Corinto، بالسلفادور، وأرسل من أجل ترجمته ذن طريق ماكسيميليانو أ. مارتينز هـ Maximiliano A. Martinez H، سان سلفادون. ويوجد تحت النص العربي (والذي من المحتمل أنه يعود إلى الفترة من القرن العاشر إلى الثاني عشر الميلادي، عندما كان الرحالة العرب نشطين في اندونيسيا) ثلاثة أسطر كتبت بخط غير معروف، من الواضح انها كتاب تصويرية، ولعلها استخدمت نند زيادة السلفادور. بامكان البحارة المتحدثين باللغة العربية والذين يصلون غرب أمريكا من اندونيسيا فهم الليبية للمستوطنات التي أقامها الليبيون قبل ذلك بالف سنة، إن الاتصالات المتقطعة مع العالم القديم (وقد دلل عليها وصول الدين الاسلامي) شانها ترسيخ اللغة في الاقاليم الساحلية الأقل. وباحتلال ملوك الهندوس الاقوياء لاندونيسيا بعد القرن الثالث الميلادي وادخالهم نظام العد العشري السنسكريت الى جزر جاوة، فمن الممكن أن الوصول المبكر للتدون العشري الى أمريكا الشمالية قد يكن ثم عن طريق بحارة ملاويين أو جاويين.

(بالنقش من: متحف ديفيد ج. جوزمان David J. Guzman ترجمة: فيل ١٩٧٧).

الصفحة التالية (الى اعلى): آخر أحدث نمط للسفينة العربية، وهي الفلوكة، التي ذكرت فيما سبق، وتظهر هنا اجزاء السفينة كمد حدد في نص تيفيناجى ليبي. كما يظهر هنا، من أجل المقارنة، جسم سفينة سانتا ماريا وسفينة بناها الفرعون امينهوتب Amenhotep (مينفيس Amenophis) حوالي سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد.

الصفحة التالية (الى أسفل): لقد كان هؤلاء البحارة على دراية تامة بأمور الملاحة البحرية. وكان بحوزتهم البوصلة المغناطيسية، فضلا عن معرفتهم بالنجوم (الفصل الخامس) منذ حوالي سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد، كما يظهر في هذا القرص المدرج الايبيري، وهو حافة جفنة خزفية صنعت في ليريا Liria بجنوب اسبانيا والتي بها حجر مغناطيسي أو علقت بها ابرة ممغنطة. (تصوير: بيتر ج. جارفل.


Arab fulk
Santa Maria
Amenophis 1500 BC
0 10 20 30 40 50
feet



I I—C—B—S A-B̤—H—S—I—N Y—TH H—D—Y S—R—N

To the mainland this bowl will guide you when sailing by night

Dh-J-I-N-TH Y—W—M—S T—B̤ T—G—Y D—N—(h)E

and on overcast days. Observe it when dusk has fallen on the world.

I—S SH—W M—G—N J—N—Y—B—(h)E.

how faces the stone magnetic towards the south.

(H)E—B—R Z—Š—B G—(H)E—Y—ᶜ—S (?) Z—B—G R—E—Y

The needle cause-to-point by floating (it) on quicksilver poured in

B—R—Y—E—Z Th-K—N—R BAR—ᶜ—D—G E—B—Ẓ—S—Dh

till it reaches the circle (of writing) on the vessel at the rim.

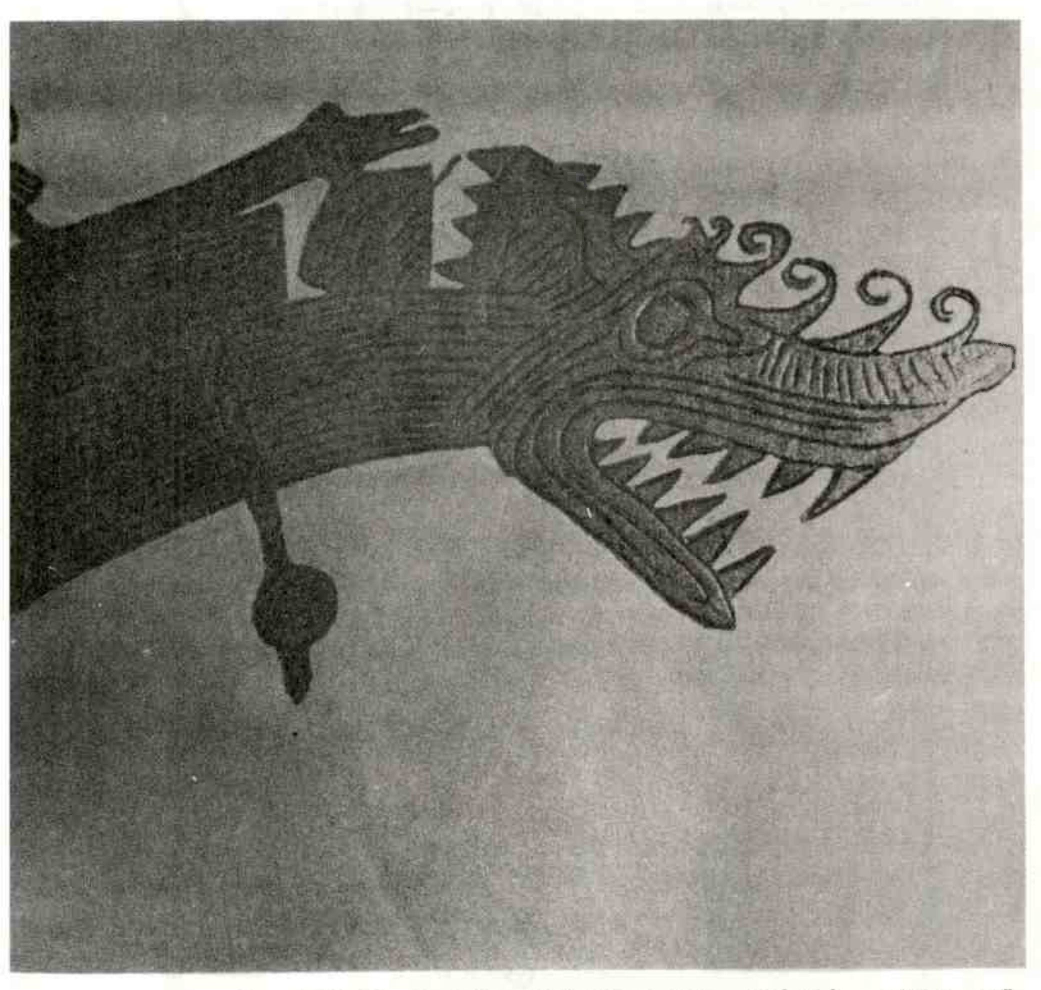
W —— G Dh — ᶜ —— L Y— AU — Dh — ᶜ

It will guide one-who-has-lost-his-bearings to-find-his-position in

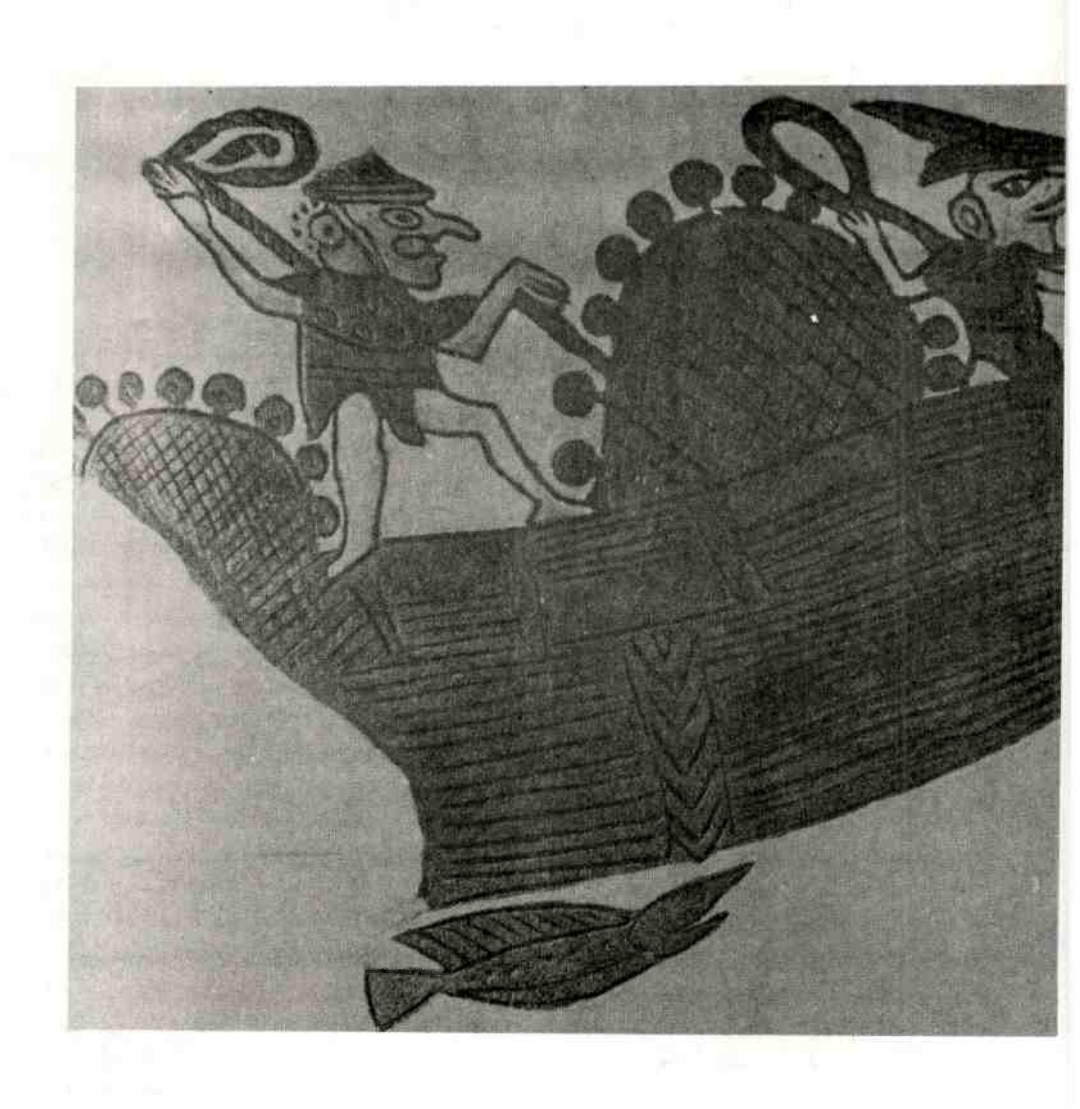
Z — Th — Th

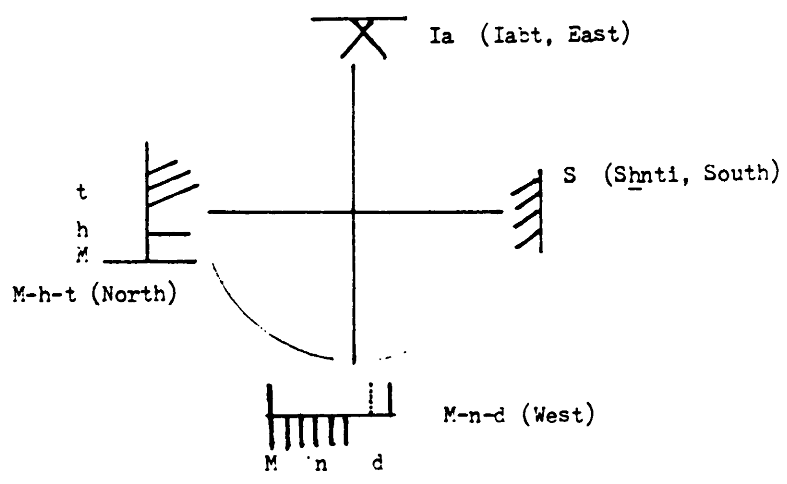
overcast weather.

عينتان من دك لنقوش المكتوبة على وجه بوصلة ليريا نشرهما في الاصل (مع البشر 2) فيل Fell، في نشرة The Occasional Publication لجمعية النقوش.



قـام سـادة الـبحـر في نـيـفـادا بـرحـلات على طول الشاطىء الامريكي، نحو الجنوب، الى بيرو، حيث قام فنانو موشيكا Mochica المحليون برسم هذه التفاصيل الغربية، وهي غير صحيحة على نـحـو ملفت للنظر، لصورة تمثل البحارة وهم قادمون للشاطىء، مع خيط السير المتوازن وحبـل الـرسو الجاهز للالقاء، وشباك الصيد (التي تمد البحار بحاجته من الطعام الطازج) الـتـي تـجـفـف في الشمس. ولكنه لما كان الفنان مطلعا على سفن القصب القديمة، فقد خصص خـطـا لـلـسـفـيـنـة الـتـنـيـنـة السريـعـة الشمالية جسما مبنيا من القصب. الصورة النموذجية المطابقة من جفنة من موشيكا، تصوير: الدكتور جوليان فيل).






A simplified
(and Egypt
Disk, and e
lished in th

قرص بوصلة مبسط عليه كتابة بالخط الاوجامي مع استخدام اصطلاحات ليبية (ومصرية) للاتجاهات الرئيسية ويعرف بقرص تينيسي وقد نقش على صفيحة حجرية، كما نشر تفسيره أيضا من نشرة Occasional Publications The لجمنية النقوش.

8. Ra – (A)-m —— n q —— r
May Ammon-Ra abide (with us).

7. (Characters illegible, probably a signature.)

6. k —— (t — b) w w —— r —— q ı
Wrote this record.

5. 9 (A)n R z ž
nine. I, the Captain,

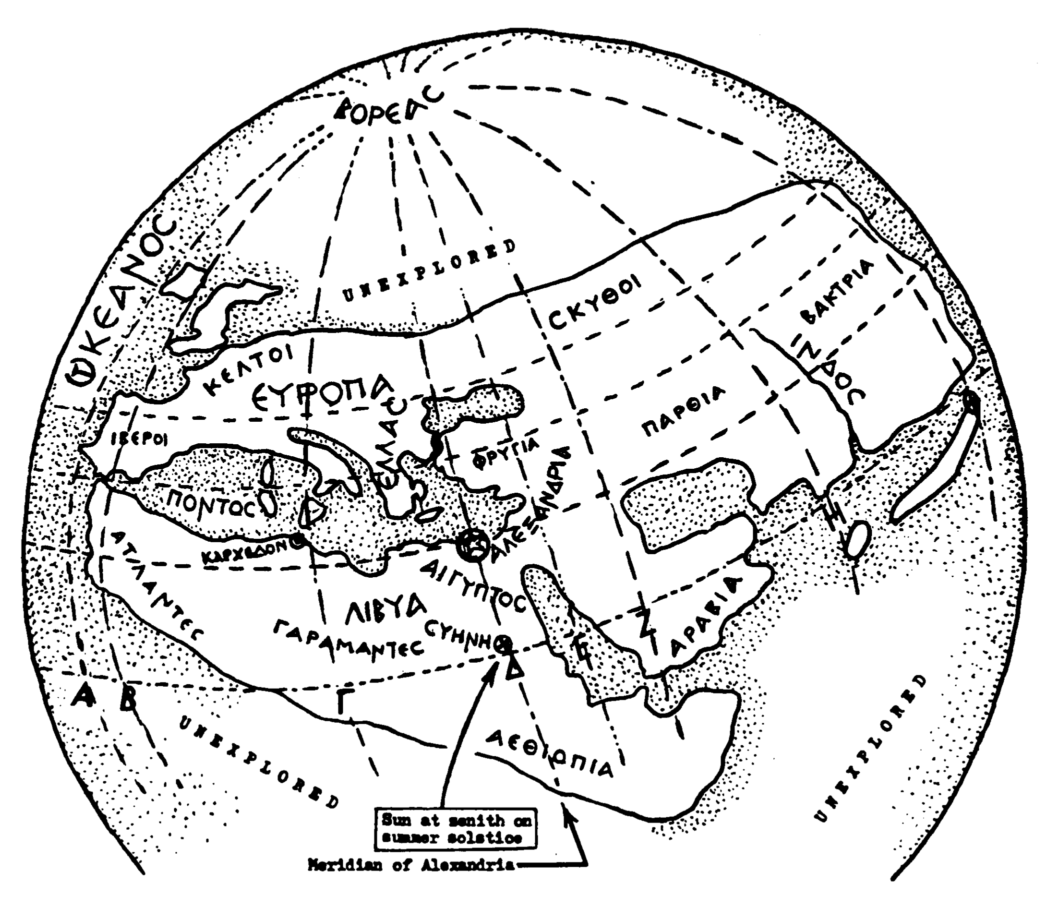
4. z —— w t —— w —— r z —— b —— t
alone in foreign parts for weeks

3. z —— r m —— y
vegetables and water

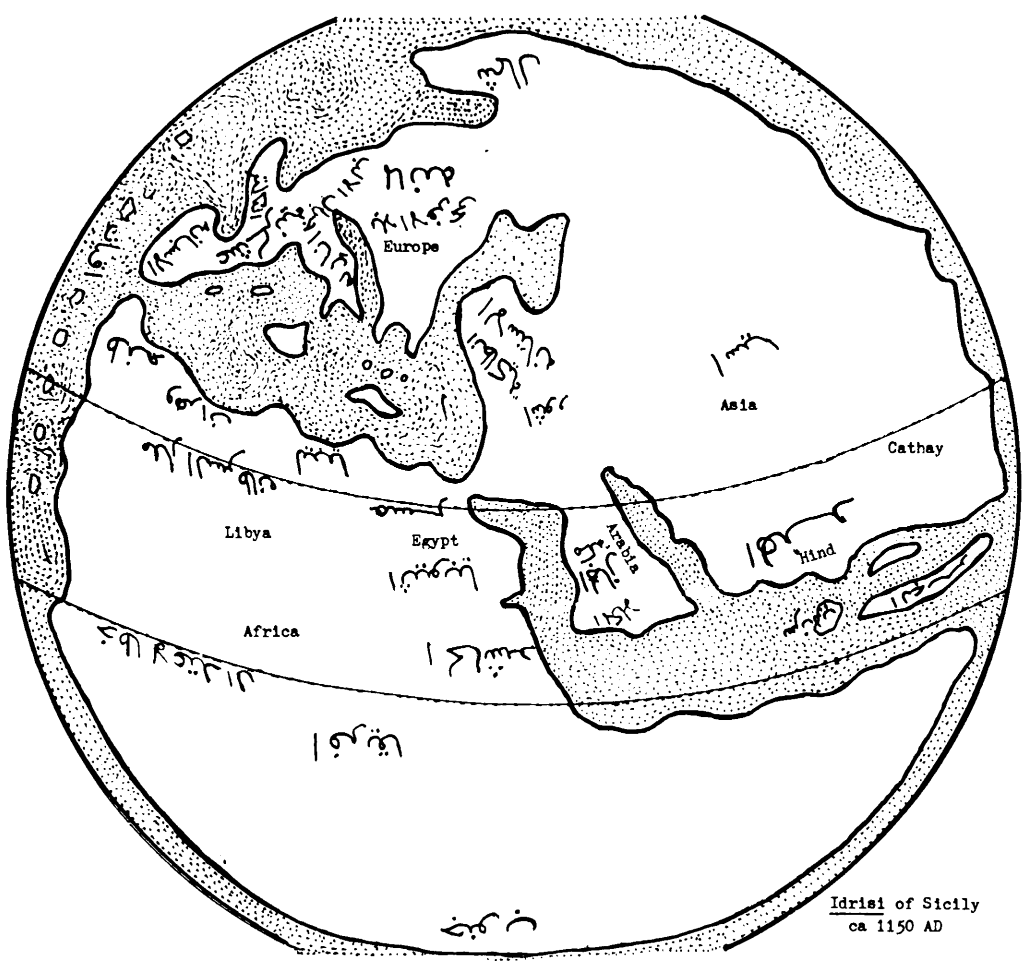
2. g —— w —— r n —— s —— c' —— n
on an exploratory mission. We put in here for

1. S —— f —— n n
Our ship is

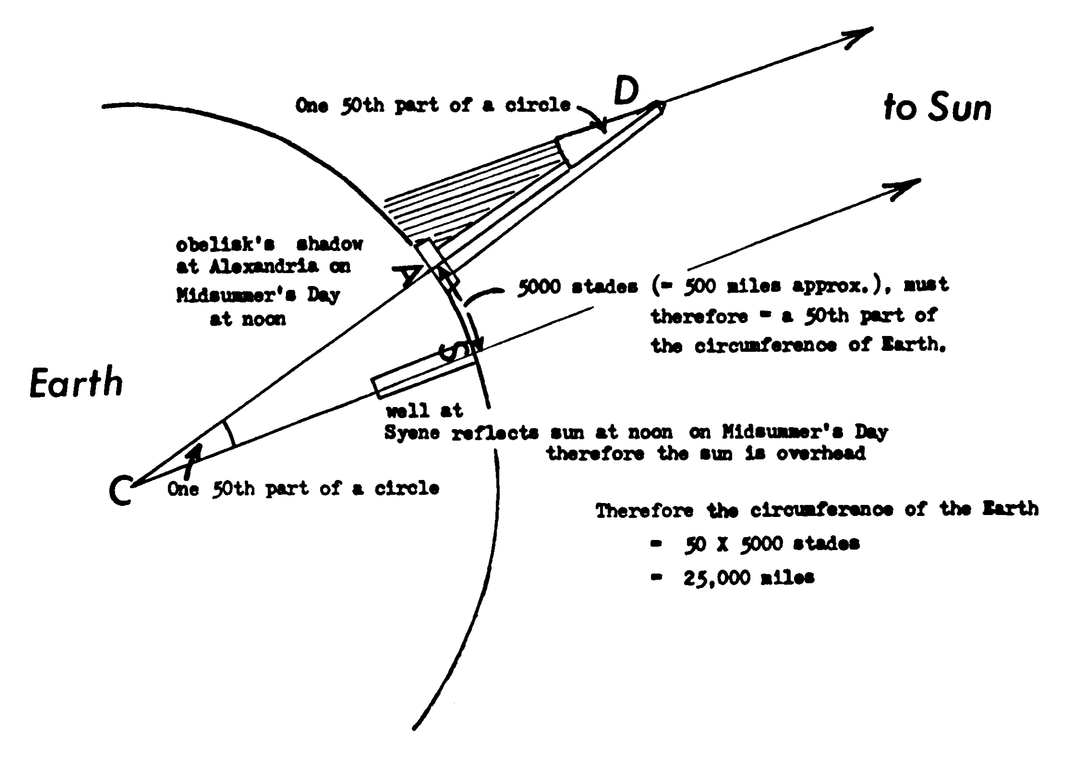
وكما يدل قرص تينيسي، فان الرحلات البحرية استمرت من الربع الشرقي من الامريكتين، في حين كانت المياه الغربية في مرحلة الاستكشاف. لقد وجد هذا السجل القديم لرحلة بحرية فوق المحيط الاطلسي منقوشا على صخور جزر الكناري Canary، في برانكو دي بالوس Barranco de Balos من قبل انتونيو بيلتران مارتينز Antonio Beltran Martinez من متحف الكناري، لاس دي جران كاناريا Las de Gran Canaria (١٩٧٢). وعند الكتابة تبين بانها كتابة عربية ليبية لعلها تعود الى القرن الثالث الميلادي (وقد ترجع الى ما قبل ذلك التاريخ). ويقرأ النص من أسفل الى أعلى. وقدم فك الكتابة في الأصل بمركز الدراسات الليبية، بجامعة الفاتح، مع كتابتها بالخط النسخي العربي (أنظر Occasional Publications، المجلد السادس، جمعية النقوش، سنة ١٩٧٧).




كان من الممكن للعالم اراتوستينيس Eratosthenes الآن أن يقدم المعروف من العالم في أيامه كجزء من الكرة الارضية واضعا عليه عدداً مختاراً من خطوط الطول أو العرض. إن خرائط من هذا القبيل (وضعت هنا طبقا لاستنتاج لعدم وجود أمثلة فعلية) كانت بكل تاكيد عملها جميع السفن التي تعبر المحيطات.




بعد مرور ١٥٠٠ سنة، لم يتذكر جغرافيو العالم القديم ـ والذين كان العرب قادتهم في ذلك الوقت ـ إلا هذه النسخة الناقصة لخريطة اراتوسثينيس، وبسبب تدني الملاحة والعلوم في ايبيريا (والذي أشتكى منه ابن خلدون المؤرخ العربي الكبير) نسيت طريق الملاحة القديمة الى أمريكا في الجامعات المتردية وساد الجهل معظم أوروبا.




كان لبحارتنا خرائط أيضا مع أنه لم يبق منها الا آثار قليلة نسخ كمخطوطات رقية غير دقيقة ومن منطقة البحر المتوسط، وكنقوش حجرية في أمريكا. لقد مكنت ملاحظة اراتوستينيس المشهورة، حوالي سنة ٢٣٩ قبل الميلاد، من تحديد حجم الكرة الارضية وبذلك تسنى وضع خطوط الطول والعرض عليها. وهي ان هذه الملاحظة تشرح في هذا الرسم التخطيطي. فالشمس؛ وهي على مسافة كبيرة من الارض (كما فهمها الاغريق آنذاك) لا بد وأنها ترسل أشعة فعالة متوازية نحو الارض. ومن ثم، فلا بد أن الزاوية C في مركز الارض تساوي الزاوية D القابلة للقياس. وقام اراتوستينيس بقياس الزاوية D، وقبل التقدير الرسمي لمكتب البريد المصري للمسافة بين الاسكندرية وأسوان Syene، ٥٠٠٠ ستيد Stade (٥٠٠ ميل) واعتقد بأن أسوان تقع جنوب الاسكندرية (كلا التقدير بين صحيحان تقريبا). ومن ثم، فان محيط الارض لا بد وأن يكون خمسين ضعفا لـ ٥٠٠ ميل، أو ٢٥ ٠٠٠ ميلا.

كلا، فاسم ماوي والنسبة اليه، يجب أن تقارن بالخرط الحديثة التي تعرف بأنها «مسقط ميركاتور» (Mercator Projection) وكان جيرهاردوس ميركاتور (Mercator Gerhardus) أستاذا بجامعة لوفان (Louvain) وقام سنة ١٥٦٨م باستنباط طريقة رسم الخرط التي لا زالت تستعمل حتى يومنا هذا. وبنفس الطريقة، علينا أن نعتبر ماوي كرائد استحدث نوعا من الخرط تمثل الوجه المجهول من الكرة الأرضية وقد بلغت شهرته درجة أن خرطه كانت تنسخ لقرون بعده، وأعاد نسخها دارسون أمريكيون عرفوا وحدهم عمل ماوي، فكانت الخرط التي أمامنا نسخا قام بها رساموا الخرط بنيفادا أبان الألف سنة الأولى قبل الميلاد . أما الخارطة المنحوتة بالليبية بأكملها فقد تكون على الأرجح أقدم من عام ٦٥٠ بعد الميلاد، في حين أن الثانية، المكتوبة قسما بالليبية وقسما بالخط الكوفي، لا شك أن النص المنحوت، على الأقل، قد كتب بعد سنة ٦٥٠م. ولا يمكن أن تكون أي خارطة أحدث من سنة ١٢٥٠م لأن رسامي الخرط بنيفادا كانوا قد رحلوا بحلول ذلك التاريخ للهروب من أفواج الغزاة اذ بلغ أمريكا عصر الهمجية تمهيدا لعصور مظلمة كما حدث لأوروبا عند انهيار الأمبراطورية الرومانية ازاء هجمات أجدادنا الشماليين.

لا شك أن خرط ماوي الأصلية قد رسمت على جلود حيوانات أي على المادة المسماة رقا وربما وجدت قطع رق قديمة في مكان ما بالجنوب الغربي الجاف مدفونة تحت الرمال والتراب مما غطى مدن الهوهوكام (Hohokam). في القرن الثالث قبل الميلاد أجرى ونشر ايراتوستين بالاسكندرية حساباته الشهيرة، ولذا، عندما رسم أولى خرطه للبسيطة على أساس المعلومات عن القياسات التي أعطاها الرحالة هيكاتيوس (Hecataeus) سنة ٥٠٠ق م، وكان كتابه «الجغرافيا» في مكتبة الاسكندرية، رسم خط طولي أساسي عند الاسكندرية، وبعد مرور أربعة قرون نقل الجغرافي اليوناني الروماني كلوديوس بطليموس (Claudius Ptolemaeus) خط الطول الاساسي ليمر من جزر الكناري أي أقصى طرف غربي للعالم القديم. وعقب القرن السابع بعد الميلاد نقل الجغرافيون العرب (الذين عملوا وحدهم على ابقاء العلوم الغربية حية في القرون المظلمة) نقلوا ثانيا خط الطول الاساسي وجعلوه يمر من مكة، العاصمة الدينية للعالم الاسلامي.

هكذا، يمكننا تحديد تاريخ وضع الخرط من ملاحظة وضع خط الطول الاساسي وهو يمر حاليا عبر غرينتش بانجلترا باتفاق دولي). وليس هناك خارطة من خرط

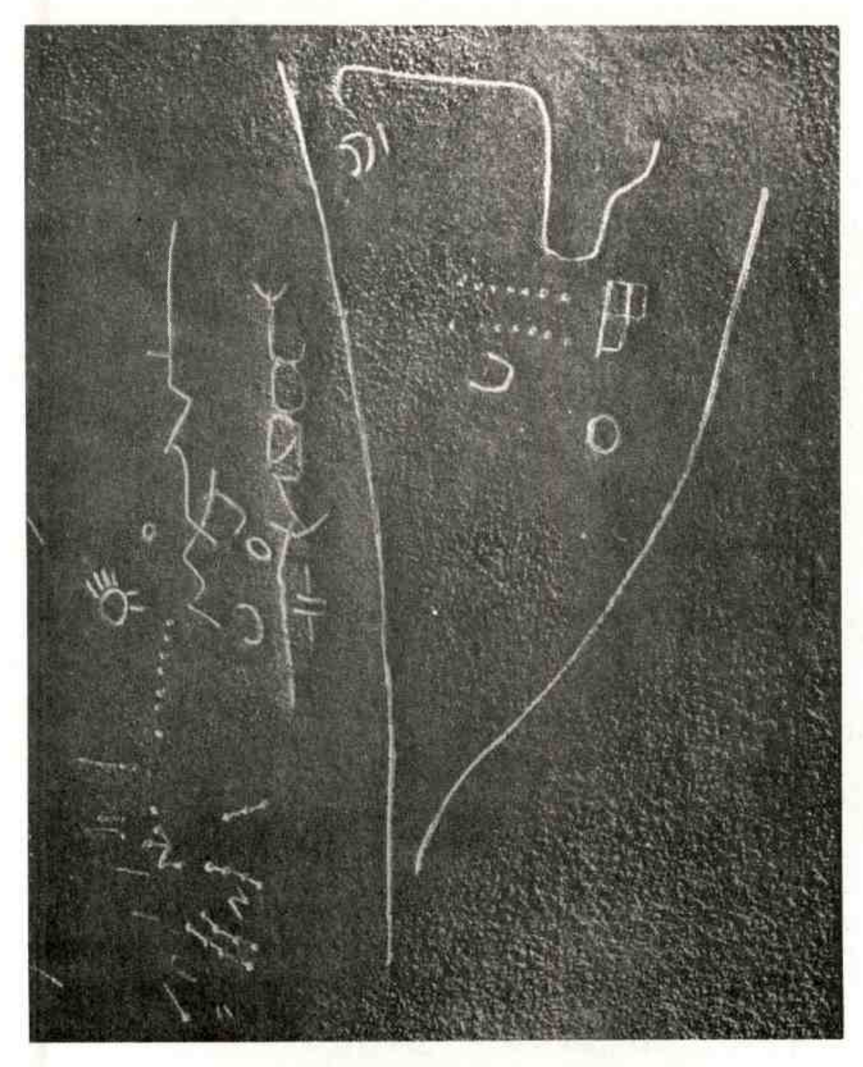
ماوي تبين العالم القديم، ولذا لا نستطيع استنباط موقعه لأنه يبين خط تغير تاريخ اليوم الدولي القديم (Date Line).

حالما قرر ايراتوستين أن الأرض كرة ذات أبعاد قابلة للقياس، أصبح من البديهي أنه لا بد أن يوجد في مكان ما خط طول يبتدىء عنده النهار رسميا. ولما كانت الأرض كرة تدور، تضيئها الشمس، فكل خط طول يشاهد بزوغ الشمس وغروبها في أوقات مختلفة. ولذا استوجب تعيين نقطة يبتدىء منها النهار بحيث تشاهد جميع الأماكن الواقعة غربه الفجر في أوقات متأخرة عنه بشكل متتابع خلال الأربعة والعشرين ساعة. وذلك بسبب فرقا في التاريخ التقويمي قدره يوم على طرفي خط البداية. ولأجل الاقلال من أثر الفرق، جعل خط البداية على أبعد مسافة من الاسكندرية، أي بقدر اثنتي عشر ساعة ومائة وثمانين درجة طولية.

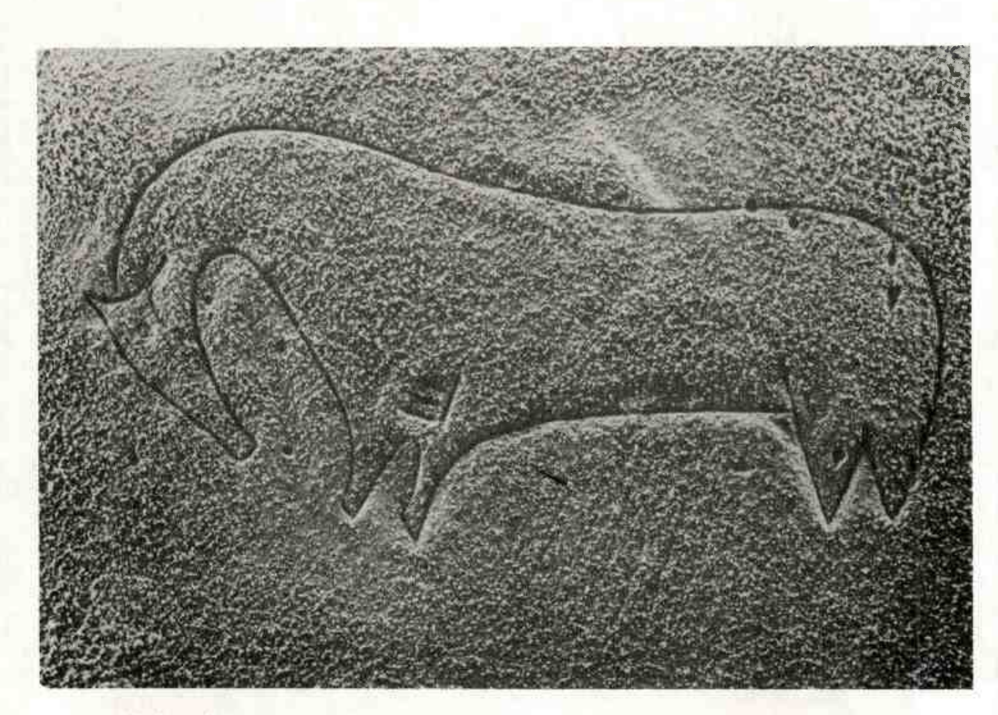
أنظر الى كرة أرضية. خط الطول الذي يمر من الاسكنرية عبر القطب الشمالي وانحدر الى ما وراءه في نصف الكرة البسيفيكي، تجده يمر على مسافة عشر درجات شرقي هاواي وهو اذن خط تغير التاريخ اليومي الدولي سنة ٢٣١ ق م.

والآن تأمل في خارطة ماوي، وسترى خطا منقطا يمر من الشمال الى الجنوب على بعد حوالى عشر درجات من هاواي، رمز اليه بالحروف الليبية «ل—و—ن—را» المعادل للعبارة العربية الليبية «ليوان رع» أي منحنى رع، أو خط طول اليوم . فهو واضح بأن ماوي قد وضع طول مائة وثمانين درجة من الاسكندرية هناك على الجانب الخلفي من الكرة الارضية، معينا به بداية اليوم.

وترتب على ذلك استنتاجان: (١) يبدو أن خط الطول الاساسي وقت رسم تلك الخارطة كان لا زال بالاسكندرية، بحيث أحتفظت الخارطة التي ورثناها من خرطيي نيفادا الاقدمين بالخط المحدد من ماوي وليست نسخة منقحة متأخرة لتناسب نظام الخرط الروماني لكلوديوس بطليموس ولا النظام الاسلامي المرتكز على مكة. ولذا أرجح تاريخ الخارطة لعهد ماوي ولو انها نسخة رسمت في وقت متأخر عنه. ثم (٢) فان موقع خط الطول المضاد لخط الاسكندرية ينم على أن ماوي قد ملك وسائل قياس الأبعاد الطولية سواء بالحساب المحض أو باستعمال الساعة الرملية المخترعة حديثا أو كلاهما. كما يبين أنه كان ملاحا دقيقا اذ لم يصدر أي خطأ ملموس في معداته البدائية.

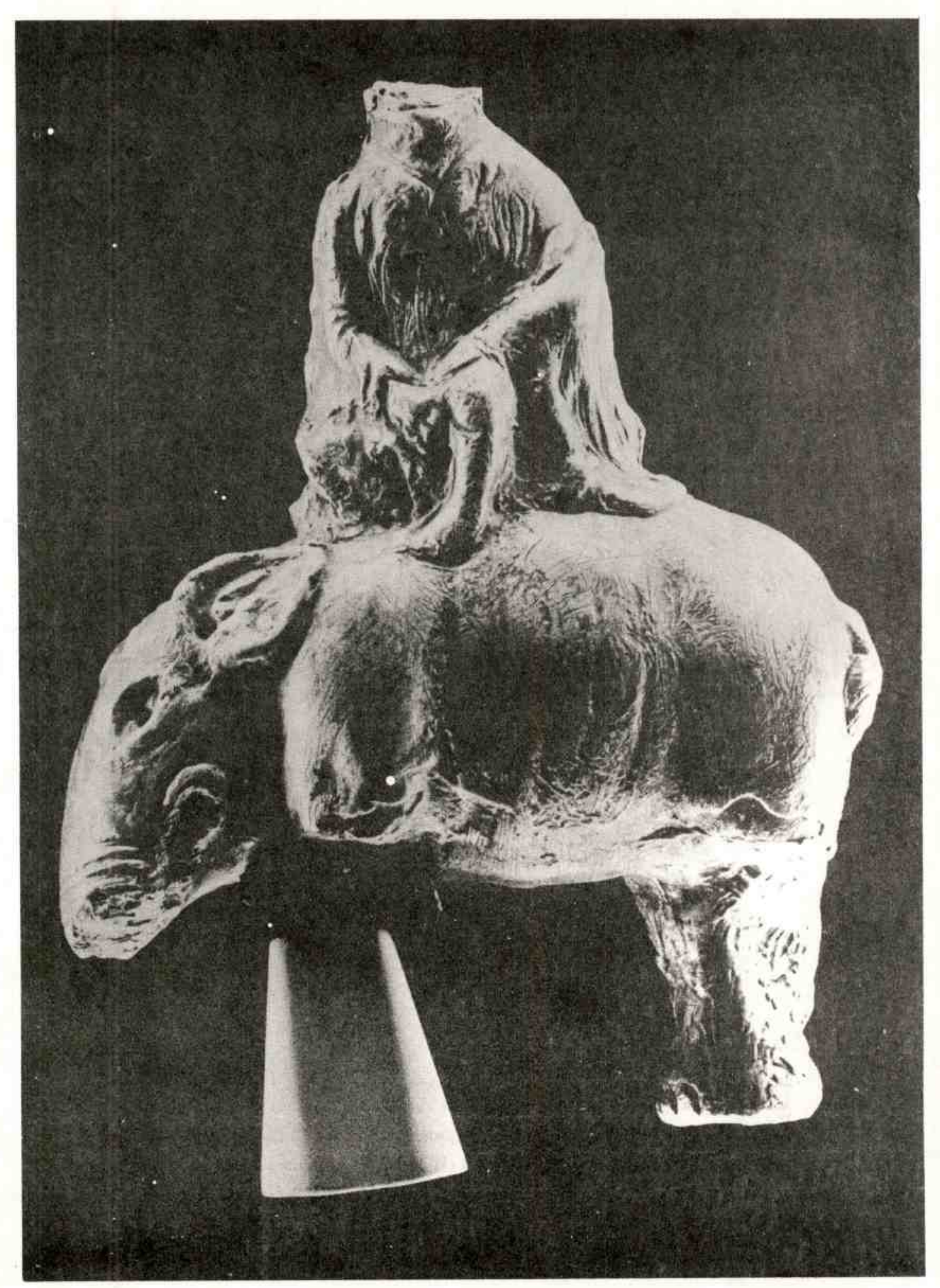


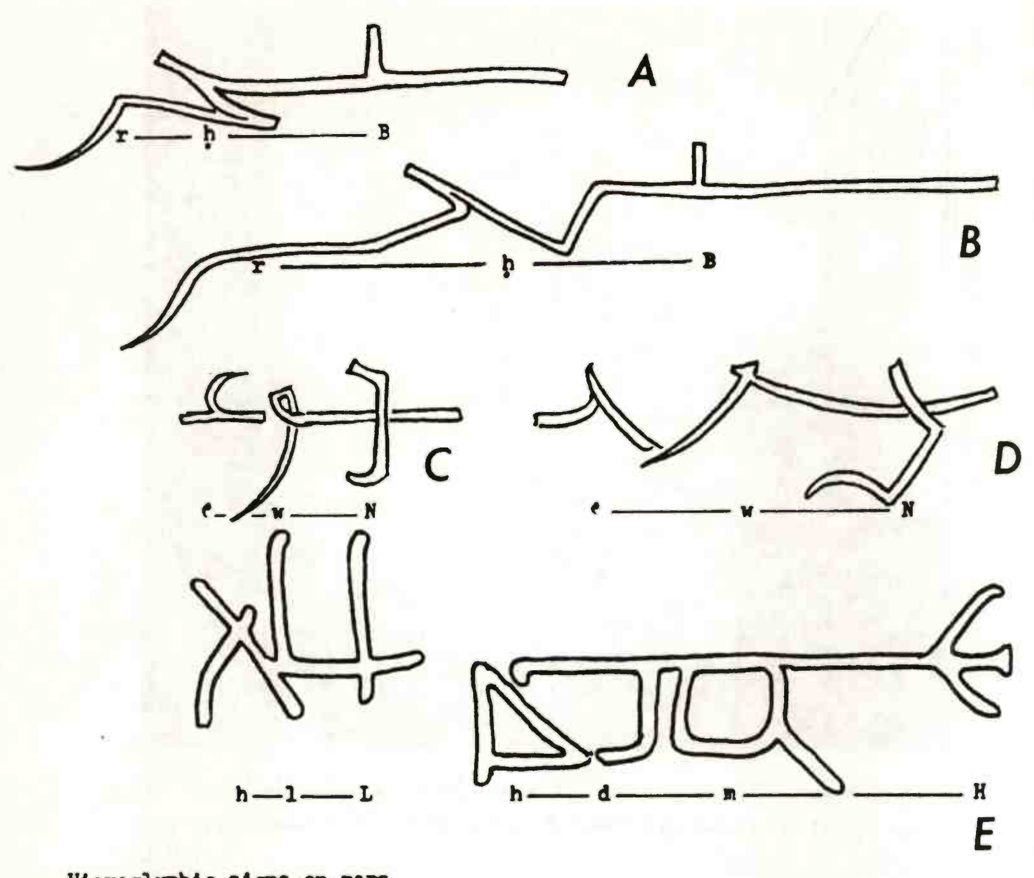
وفي هذه الأثناء، تمت المحافظة على استمرارية فن الملاحة والخرائط مفعماً بالحيوية في غرب أمريكا على أيدي بحارة البلدان الجافة. فقد قاموا بانتاج خرائطهم لذلك «الجانب المخبأ من العالم»، وكان معروفاً لديهم بالطبع إن الخرائط الاصلية ـ وبدون شك كانت ترسم بالتفصيل على الجلود أو الرق ـ قد فقدت، ولكن النقوش المبسطة الى حد ما، والتي أعدت في حجرات الدرس لتعليم الصغار، قد بقيت. وهذا النقش الواضح الذي يحدد أمريكا الشمالية من خليج هدسون الى بنما مع انه أغفل فلوريدا Florida وباها كاليفورنيا Baja California يعتبر أحد هذه النقوش التي ما زالت موجودة. ويبدو أن تاريخها يعود الى حوالي ٢٠٠ سنة قبل الميلاد، كما تدل على ذلك الحروف الليبية، بيد أن جوامش الخط العربي الكوفي تظهر أنها كانت لا تزال مستخدمة حتى حوالي سنة ٧٥٠ ميلادية أو بعد ذلك التاريخ. ولم يذكر وقت هنا انتظاراً لاتخاذ الاجراء الرسمي لحماية هذا الأثر من أعمال العبث. (من النموذج المطابق، تصوير: بيتر ج. جارفل).



نقش صخري يمثل حصانا، وقد رسم على نحو رائذ، وعثرت عليه جلوريا فارلي في إقليم سيمارون، وعلى غير المالوف فانه يشتمل على علامة ليبية، H-N (سريع الجري). وكانت تقام تماثيل في ليبيا القديمة للجياد الفائزة في السباق، ولعل هذا النقش واحد منها، ولكن ليس لحصان أمريكي فائز بالسبق (من النموذج المطابق، عن صورة ل: جلوريا فارلي).

الصفحة المواجهة: ان البحارة الامريكيون الذي زاروا الصين، أو التجار الصينيون الذين زاروا غرب أمريكا لا بد وأنهم باحضار هذه القطعة الخزفية البونية. وتم العثور عليها مع نسخ أمريكية غير متقنة منقوشة على الحجر في مقبرة بتيوكالي Teocalli، في المكسيك، من قبل الدكتور هـ. أ. موندي H. A. Monday. (أعد النموذج المطابق: الدكتور كلايد كيلير Clyde Keeler، تصوير: بيتر ج. جارفل).






Hieroglyphic signs on maps

= B R or R B = Arabic B-R — = Land, (cf. Egypt. )

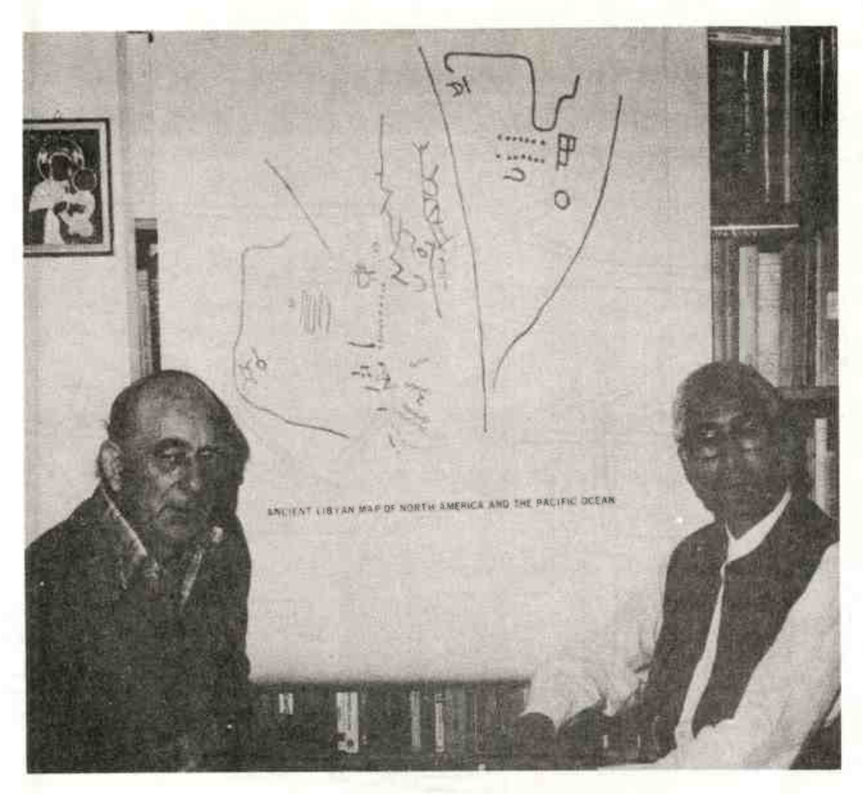
= Island, Arabic Jazira — = alternate form of B-R above.

= sun, or day (Ra). — L-W-N ....... Ra = Meridian of the Day (or zero of longitude)

= island arc. — = sea, ocean. — = sailing track

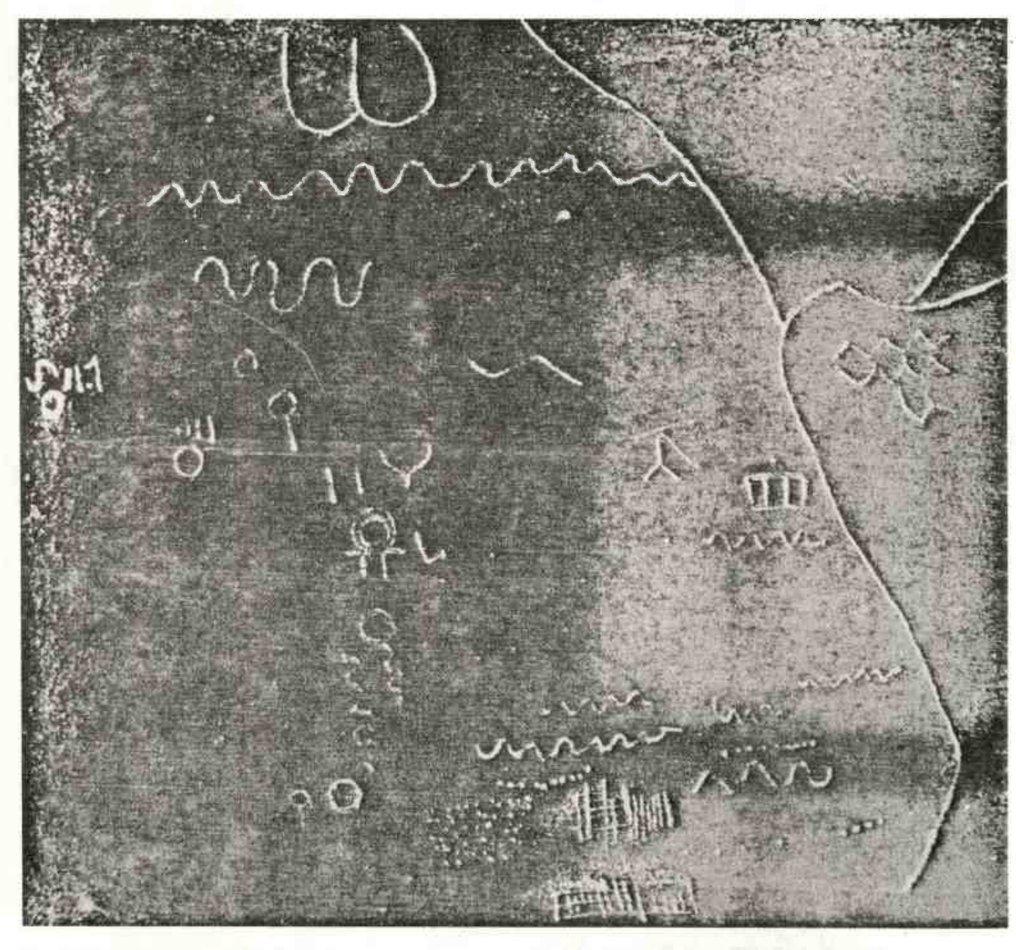
= mountains. — R N = Jazira nari, Volcanic island.

...... = Land boundary.




الاستاذ على خشيم من مركز الدراسات الليبية، جامعة الفاتح تباحث مع فيل Fell، وبجانبهما نسخة مصغرة لخريطة أمريكا الشمالية والمحيط الهادي. (تصور: بيتر ج. جارفل).

الصفحة المقابلة: شرح للحروف الليبية والحواشي أضيفت بالخط العربي الكوفي لخريطة ماوي Maui لأمريكا الشمالية. إن السطرين العموديين الكوفيين، الموضوعين بجانب ساحل المحيط الهادي، يردان هنا أفقيين، ويقرأن من اليمين الى اليسار، حسب الترتيب B، D، E. وتظهر الحروف الصحيحة مع التعريف، والصفة الصوتية المقصودة هي: Hamid-hu 'Llah Bahr Naw'i (محيط عاصف، سكنه الله). وللمقارنة كذلك ترد A، الكلمة Bahr (بحر). وقد جاءت في الخط الكوفي المغربي على نمط كتابة عين الحاج Ain Lahag، بالمغرب، حوالي القرن الثامن الميلادي، و C، حيث ترد الكلمة Naw'i (عاصف) على نحو مشابه أيضا. ولما كانت الخريطة منسوبة إلى M-W (Maui) بالحروف الليبية على الخريطة، فانه من المفترض أن الكلمات الكوفية قد كانت إضافات تالية، وأن باقي الحروف (بالخط الليبي) هي أقدم كثيرا، ولعلها نقلت من خريطة أصلية مفقودة قد قام ماوي نفسه برسمها، حوالي سنة ٢٣١ قبل الميلاد. لاحظ الحرفين h و h، أن الأول ينطق قبل ch الالمانية. ولاحظ كذلك، أن بعض الحروف الصحيحة عندما ترد في بداية الكلمة فانها تكتب على نحو يختلف عما تكتب به عندما ترد في وسط الكلمة، أو في نهايتها. ان جميع الحروف تكتب بصورة مختلفة في الخط العربي المعاصر، المعروف بالنسخي. ويبدو ان السطور الخرزية في الاجزاء السفلى للخريطة اضافات متاخرة جدا، ولعلها كانت على أيدي قبائل الشوشون Shoshone، تقليداً للخط النسخي.



نسخة طبق الأصل لنقش حجري تصور، على ما يبدو جزر الهاواي Hawai والاقليم المجاور. ويعتقد أن العلامات التي تشبه شبكة القضبان المتصالبة والخطوط الاخرى التي لا صلة لها بالموضوع هي في الواقع اضافات تالية، ولا علاقة لها بالخريطة الاصلية. (تصوير: بيتر ج. جارفل).

**الصفحة التالية : شرح للعلامات الموجودة على الخريطة السابقة.**

Chart # 1, Northeast Pacific (words read right-to-left)

= G-A-W-Y, Modern Kauai.

Y- W - A - G

= U-W-H, Modern Oahu

H —— W —— U

R Z = M-W Z-R, "Maui's Plantation", Modern Maui.

W —— M

F = J-F-Y Land = Sierra Madre Occidental, Mexico (literally, "Mountain Land")

Y J Land

R N Y V S = V V S-S-Y (Island) N-R = "Great Volcanic Island" = Modern Hawaii (called H-W on Chart # 2).

V S

= "Announcement of new discoveries in the Ocean".

Sha' (ocean) Y - Sh

Chart # 2, North America (words read left-to-right)

(Note: Annotations in Kufic Arabic shown separately on page ).

= Arabic mamanu "Passage obstructed" (i.e., Northwest Passage)

M- M — N

= H-W (Island) = Modern Hawaii. F D N R = D-F R-N, "Coasts sighted".

H —— W

= M-H-W = "Compressed" (i.e., portion of west Pacific omitted).

M — H — W

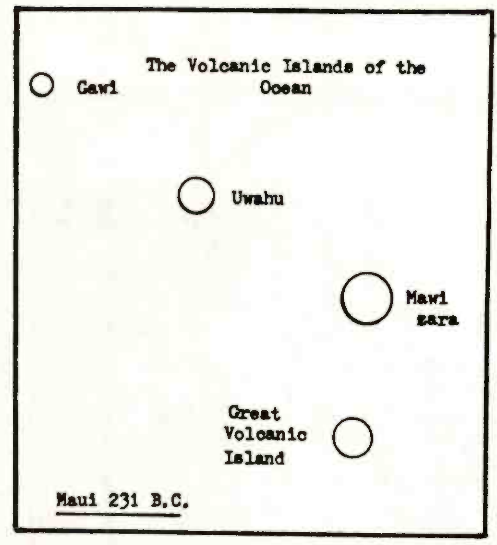
= M-R Egyptian, "Land Across the Sea." = R-S-M, "Chart".

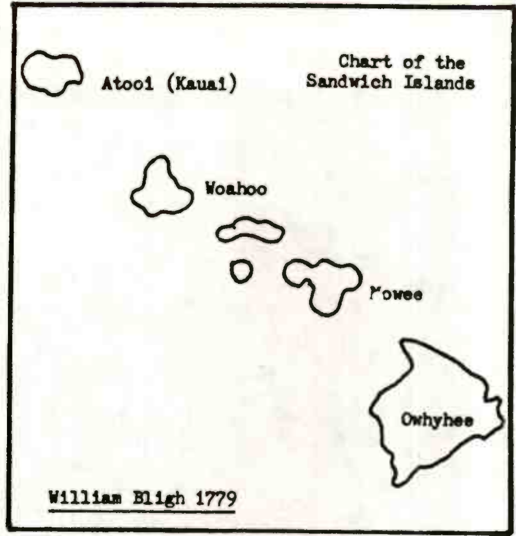
M —— R R S M

= M-W, Maui.

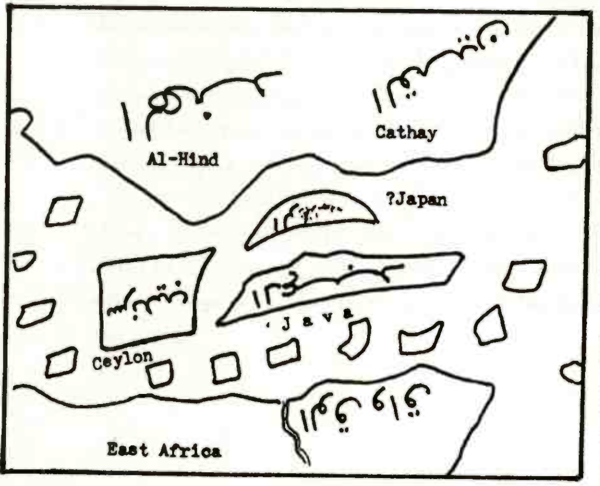
M —— W

Lower part of Monogram, perhaps = S-S, in which case entire monogram is to be read as "CHART BY MAUI THE NAVIGATOR"




خريطتان من جزر الهاوي، تبعد الواحدة منها عن الأخرى زمنياً بحوالي ٢٠٠٠ سنة. فنسخة ماوي (الى اليسار) قد سمت على نحو صحيح كاواي Kauai (بجاوي Gawi في حدود التهجئة الليبية)، في حين أن خريطة بلي. Bligh، ويعود تاريخها الى اكتشاف كوك Cook للجزر في سنة ١٧٧٩، تذكر الاسم كـ«أتوي Atooi». وكلا المستكشفان يتهجاان إسم أواهو Oahu بصوت حرف أولى هو W ويبدو أن ماوي قد استقر في الجزيرة التي تسمى ماوي، كما هي مذكورة على خريطته باسم Maui Zara (أرض ماوي). كما ويبدو أنه سجل الجزيرة الكبيرة هاواي، من مسافة بعيدة، إذ إن حجمها النسبي يبدو صغيراً جداً. ويسمي ماوي المجموعة على خريطته بـ«جزر النار»، وهو اصطلاح يعني باللغة الليبية الجزر البركانية أيضاً. وأغفلت من خريطة ماوي جزيرتا لاني Lanai ومولوكي Molokai. ونلت جزر الهاواي على خريطة ماوي، لشمال المحيط الهادي وأمريكا الشمالية، على أنها هو Hawa.




يتضح من خريطة الادريسي من جزيرة بصقلية (حوالي ٧٥٠ م) تفوق جغرافيو أمريكا الشمالية على معاصريهم في العالم القديم. وان الكتابة العربية مقلوبة نظراً لان الادريسي جعل الجنوب في أعلى الخريطة. وقد ظهرت جزر سرنديب (سيلان) وجابدن (جاوة) على شكل غريب جداً واخطىء في تحديد مكانها الصحيح. وتحتل شرق أفريقيا المحيط الهندي، والخريطة لا تخدم الملاح كثيراً. إن السرنديبية، وهي فرصة اكتشاف الاشياء مصادفة، هي الكلمة الحديثة المشتقة (مع ملاءمة فريدة) من الاسم العربي لسيلان.



الاستاذ ريمون أ. دارت Raymond A. Dart، عالم الانتروبولوجيا البارز من جنوب أفريقيا، يفحص جماجم بولينيسية مع فيل Fell، أثناء زيارة أخرى لجمعية النقوش. ان النقوش في الواردة في هذا الفصل، وفي منشورات سابقة للجمعية، تسير إلى وجود اتصالات ليبية هامة مع بولينيسيا. وقد دعمت هذه الاستنتاجات الآن عن طريق دراسات لقياسات الجماجم، ووجود فريق من خبراء التشريح بجامعة الاباما Alabama- تحت اشراف الاستاذ البرت إ. كيسي Albert E. Casey- بان التركيب الجمجمي يربط الماوري القدامى بنيو زيلاندا New Zealand، مع شعوب شمال أفريقيا وايبيرية وزوني Zuni، وكذلك ببعض قبائل نيو انجلاند وشمال شرق كندا. وكان قد عثر على الجمجمة التي بيد الاستاذ دارت، من ركام بنيو زيلاندا، من قبل فيل Fell، عام ١٩٣٧ وهي تظهلا تطويباً عظيماً قوياً على نحو غير ماوي. (تصور: بيتر ج. جارفل وستيفن أ. سيلفيستر، A. Sylvester Stephen).

وترتب عن ذلك استنتاج هام آخر. فقد نبه ايراتوستين ماوي بأن يحتسب اليوم مرتين عند اختراقه خط تغير تاريخ اليوم من الغرب الى الشرق، والا وصل الى أمريكا وتقويمه متقدم يوما عن تقويم المعمرين الليبيين الذين عبروا الأطلنطي. وبناء على هذه النظرية، كان واجبا على ماجيلان (Magellan)، الذي أبحر في الاتجاه العكسي، أن يهمل يوما كاملا عند اختراقه خط الفصل. غير أن ماجيلان لم يتلق النصح من أي فلكي، بفعل ذلك، وهكذا لم يفعل، فرغم مسك كل شخص على متن سفينته سجلا دقيقا لكل يوم قضاه في الرحلة، عندما عادت السفينة الى البرتغال، اندهش جميع رجال الطاقم وضباطهم، اذ اكتشفوا أن كل واحد منهم قد ضيع يوما كاملا لأن جميع الناس في البرتغال كانوا يستخدمون تقويما متقدما بقدر يوم واحد عن حسابهم على متن السفينة. الا أن المسألة قد حلت في ظرف بضعة ساعات بفضل بيغافيتا (Pigafetta) القس المثقف المرافق لهم.

تذكر رحلة ماوي التاريخية الاستكشافية في جميع أرجاء بولينيزيا كأسطورة نستطيع الآن اقرارها كحقيقة. وتقول الأسطورة أن ماوي «اصطاد جزرا جديدة من البحر» وهي طريقة شاعرية لتخليد اكتشافاته ليابسات مخفية وراء الافق، وتقول الأسطورة أيضا بأن ماوي احتجز الشمس وأجبرها على التريث بحيث قطعت في يومين المسافة التي تقطعها عادة في يوم واحد عبر السماء. و يجب الآن اعتبار أصل اسطورة ماوي الثانية هذه كواقعة حقيقية. ولما كان بحارة ماوي غير ملمين بالاسباب العلمية التي بمقتضاها كانوا يعيشون يومهم مرتين عند أختراقهم «منحنى رع» الذي اكتشفناه مؤخرا، بقدر يوم عن بقية التقاويم، بحيث أنه عندما أرسى ماوي في بنما، أو في أي مكان آخر حط به، كان بحارة يندهشون لايجاد تقويم المعمرين الليبيين الذين وصلوا أمريكا عبر الاطلنطي مطابقا لتقويهم رغم كونهم قد عاشوا يوما زائدا عن مواطنيهم في بنما الذين لم يعيشوه، ولا يساورني شك في أن هذه الحادثة هي التي ولدت الخرافة بأن ماوي أبطأ الشمس في مجراها. وهي تقول لنا أيضا أن الرجال الذين اخترقوا خط الفصل الزمني مع ماوي في طريقهم الى أمريكا دخلوا هم الآخرون الى بولينيزيا لأن الاسطورة عن ماوي والشمس هي من التراث البولينيزي

وسرعان ما ترجمت الكفاية من الكتابات على خرط ماوي المنحوتة لارضاء نفسي حول طبيعتها وأصالتها (كان وجودها معروفا من مدة عشرين سنة على الأقل وقرر لفيف من المنقبين بأنها نقوش هندية وسجلوها في محفوظات الصور الفوتوغرافية بجامعة كاليفورنيا بيركلي). فاستدعيت حرمي ريني (Renee) للاطلاع على

المكتشفات، ثم رآها بعد ذلك بقليل بيتر جارفول (Peter Gartall) أيضا وتناقشنا حول فماذا نفعل بها بعد ذلك.

كتب هابي غالدو ين (Happy Galdwin) يقول: «منذ أن حدثتموني بالهاتف وأنا في حالة شبه ذهول... انكم تعلمون أهمية التواريخ المستخرجة من النقوش التي من شأنها تأييد تاريخي بالنسبة للجنوب الغربي» ومن منظمة الأمم المتحدة التربوية العلمية (يونسكو).

جاء الأستاذ علي خشيم الذي لم يضيع وقتا في مراجعة قراءاتي للنصوص الكوفية، وقد كان مثلنا متحمسا وأخذ معه صورا فوتوغرافية لمناقشتها مع زملائه في ليبيا و باريس، وقررنا ألا نقوم بأي إعلان رسمي في ذلك الوقت.

كان من السهل فحص وتحليل الخرط كما نقلت بالرسم اليدوي من الصور الاصلية التي نشرت في المطبوعات المتوفرة عن نقوش الصحراء الغربية (الأمريكية) الا أنه صعبت زيارة وفحص النقوش شخصيا. بسبب سلسلة من الظروف غير المناسبة، ألم مرض بالدكتور روبيرت هايزر (Robert Heizer) وهو الكاتب الأهم للتقارير الأولى لتلك النقوش، في نفس الوقت الذي خططت فيه زيارة الموقع. وفي تلك الأثناء، بناء على معلومات منشورة، طلبت من زملائي في الغرب أن يقوموا باعادة استكشاف البقاع التي قيل بوجود الخرائط بها، لكن مجهوداتهم باءت بالفشل. علمنا فيما بعد أن أحد المواقع المشار اليه كان يبعد بقدر ثمانية أميال عن التحديد الخاطىء. ولما أصبح من الممكن، بعد لأي الحصول على نصائح السلطات المختصة، علمنا بأن التقارير الأصلية كانت تعتمد على صور قدمها متعاون آخر قبل ستة عشر عاما، فانتقلنا بتساؤلاتنا اليه لنكتشف أن صوره مودعة في مكان آخر ولم يهتد اليها حتى الآن، بحيث أصبح لزاما علينا الا أن يشرع في البحث من جديد وحتى اليوم لم نهتد لموقع الخرط الاساسي ولو أننا وجدنا النقوش المتعلقة بها المشار اليها في نفس المناسبة، كما زرنا الموقع الثاني. وبذلك فان العمل لا زال جاريا وحتى يتم، علينا أن نعتمد على دقة الرسوم اليدوية المنقولة عن الصور الأصلية التي ليست في متناولنا حاليا، الا أننا متأكدون من شيء واحد (وذلك بناء على تجربة شخصية) ألا وهو أن المنطقة التي توجد فيها الخرط المعنية نائية ومتوحشة ومقفلة بشكل يجعل من غير المحتمل أن تنالها الأيادي العابثة قبل أن نهتدي اليها ثانية.



# 13

# نظام المدارس في أمريكا القديمة

ان كانت المهرجانات الكبرى بأمريكا القديمة مناسبات بهيجة كمثيلاتها في الأوطان الأصلية في حوض البحرالمتوسط، فان الحياة في عالم جديد كانت أمرا جادا بالنسبة للمستعمرين، الذين لم يفتهم كذلك الغرض الأساسي من تلك الابتهاجات الموسمية، كان أسداء الشكر لآلهة الطبيعة الذين يتوخون أفضالهم لمباركة البذور والذين يرفعون اليهم الحمد عند الحصاد.

عندما قدم المعمرون لأول مرة الى البراري، كان أول همهم تعلم وسائل الكفاح من أجل البقاء، ثم بعد ذلك، اذا حكمنا عليهم من شواهد المهاجرين بمساتشوستس (Massachusslts)، كان همهم الثاني ضمان بقاء تقاليدهم الدينية ومعارفهم بواسطة فتح مدارس للنشأ.

أما في الولايات الشرقية، حيث نشاط المعمرين المعاصرين تمخض عن تلف عشوائي للآثار الأمريكية الهندية التي قوضتها الفلاحة وهمجية مقتنى التحف ونباشي القبور، فان البقايا الهشة التي خلفتها لنا ثلوج الشتاء وافتنا بقليل من الكتابات القديمة المنقوشة في الصخر. أما الكتابات التي دونت على مواد أقل صلابة مثل لحاء شجر البتولا، فقد أصيبت بأضرار من جراء الزمن والجو، ولذا لم يعثر على أي أثر لمدارس قديمة في المنطقة.

أما في المناطق الغربية القليلة الاستيطان حيث وصل المعمرون في وقت متأخر وحيث يساعد الجو على بقاء النقوش على الصخور فالوضع مختلف، ولذا نتوقع حظا أفضل في استعادة التاريخ الذي أضاعته الولايات الشرقية بأكملها.

في ربوع شمال أفريقيا القديمة المتمتعة بجو دافىء كانت تقام المدارس في الهواء الطلق لقرون عدة. فكان يجلس أو يقف المعلم في وسط حلقة مكونة من الطلبة ويلقي دروسه التي تكون عادة محفورة أو مرسومة على لوحات خشبية يستلمها كل

تلميذ ليحفظها عن ظهر قلب، أو في حالات أخرى يسطر درسه بالطباشير على لوحة كبرى أو على وجه صخرة مناسب. وقد ينسخ الطلبة الدرس على لحاء الشجر أو الورق أو أي مادة أخرى، ثم يتخلص منها بعد قليل، أما المعلم فيحرص على الاحتفاظ بانتاجه في ألواح خشبية تدوم من سنة لسنة (وليس من قرن لقرن). وهناك مدارس باقية من هذا النمط بين البدو وفي أثيوبيا والسودان والصومال، أي البقاع الصحراوية البعيدة عن المدن.

وأعتقد أن معظم النصوص والمخططات والجداول التي نجدها حاليا في الولايات الغربية القاحلة منقوشة على الصخر تمثل آخر الأجزاء المتبقية مما كان قي قديم الزمن نظاما مدرسيا للمستويين الابتدائي والعالي.

وقد حدت أعوام من العمل الميداني المضني بأثريين من كاليفورنيا الذين جمعوا وصدفوا آلافا من النقوشات بالغرب الخالي، وبالاخص الباحثين بروفيسور روبرت هايزر (Robert Hrizer) ومارتين بومهوف (Martin Baumhoff) حدت بهم الى الاشتباه في علاقة بين مواقع النقوشات والحيوانات المفترسة الممثلة فيها. وبعد التشاور مع علماء الحيوان، فكروا بأن العديد من الأماكن كانت مضارب مؤقتة حيث كان الصيادون يتربصون لمدة أسابيع أبان هجرة الحيوانات المتوحشة من والى مراعيهم الصيفية والشتوية. وهكذا، حسب هايزر وبومهوف كانت المواقع تعمر بالناس في بعض أشهر السنة، رأيي يتفق مع رأيهما هذا.

وكانت معظم المواقع اثناء الشتاء مغمورة بالثلج وخالية من الصيد، ولما كانت المنطقة جافة لا تصلح للزرع، فيستبعد بالطبع أن يبقى الصيادون في مثل ذلك الوسط الموحش، ولا شك أنهم كانوا ينسحبون الى أقاليم على خطوط عرض منخفضة في أوقات العسر هذه.

وإذا قرأنا كتابات البحارة القدامى من البحر الأبيض المتوسط، أو بالأحرى، كتابات المتعلمين المختلطين بالبحارة مثل الشاعر اليوناني هيزيود (Hesiod)، الذي عاش في القرن الثامن قبل الميلاد. فنعلم أن أغريق أرخبيل ايجة (Aegean) كانوا يعيشون حياة مزدوجة، فكانوا يسحبون سفنهم في الشتاء الى الشاطىء ويلجئون للتعيش بمحصولهم الصيفي السابق، وهم يبذرون الحب في الربيع وفي الصيف ينطلقون لحملات قرنصة على السواحل الأجنبية، وفي الخريف يعودون بغنائمهم الحرام ويحصدون محاصيلهم.

وبدراسة الكتابات في نيفادا وكاليفورنيا الشرقية يتضح أن الخطاطين الغابرين كانوا يعيشون بتلك الطريقة. فخرطهم ومخططاتهم الملاحية وارشاداتهم للنوتيين تبين أنهم كانوا رواد بحار. فالمنظر المرعب لسفنهم التنينية الشكل التي رسمها فنانون معاصرون في كل من أمريكا الشمالية والجنوبية تنم عن شعب له نزعات «الفيكنغ» (Viking). اني أظن بأن سكان الربوع الشمالية من ولايات أمريكا الغربية القاحلة كانوا يمارسونها في الفايكينغ الوحشي أثناء الصيف و يعودون الى مضاربهم في الربيع في وادي كلورادو الأسفل أثناء الشتاء و يقومون بالاصطياد في الربيع والخريف عندما تتحرك قطعان الوحوش. أما في الجنوب، بأريزونا ونيومكسيكو، فكان أبناء عمومتهم يعيشون عيشة مستقرة، وقد أدخلوا الري الى سهول أمريكا الشمالية وفتحوا للفلاحة الأراضي البور.

جلس أغلب الكهول الأمريكان في شبابهم حول موقد المضرب لسماع أقوال كبارهم المجربين وهو نوع من التربية على أيدي أساتذة معمرين في علم العيش في الأحراش والجبال، وفي رأيي أن هذه الطريقة الحديثة تكتسب قوة استحواذها على النشأ بسبب ايحائها بطريقة شخصية محضة بتقاليد الماضي السحيق.

وأعتقد بأنه قبل ألف أو ألفين سنة كان الشباب الامريكي يفقه حول سوق المضرب أثناء مواسم الصيد من طرف الشيوخ الأكثر حنكة الذين وجدت رواياتهم عن غرائب العالم وفن الملاحة آذانا متشوقة من بين الصغار، وعندما ينتهي الصيد للسنة المنقضية، كانوا يعودون للأنهار و يقلعون بقواربهم نحو السواحل و يستعدون لغزواتهم الموسمية عبر البحار الكبرى، وفي حالة الرحلات الطويلة كانوا يقضون الصيف على اليم وكانوا ينزلون في الشتاء الشطوط الأجنبية ليعودوا الى حظائرهم في أمريكا الغربية في فصل الصيف التالي.

كان أولئك البحارة يحتاجون للقيام بتلك الرحلات الطويلة مثل العبور من كاليفورنيا الى الصين والعودة، وهي أطول من سفرات فايكينغ أوروبا، يحتاجون لنوتيين مهرة وفلكيين وحاسبين مؤهلين، وبسبب ذلك نشأت الحضارة المرموقة بنيفادا وكاليفورنيا المكونة من جماعة متحركة فيها، الرحالة والبحارة يقومون بدورين مزدوجين تحت أمرة رجال موغلين في علم البحار.

وهكذا، حدث أن صخور تلك الولايات الغربية تحمل عدة رسوم تخطيطية بحروف أو بدونها معهودة عند أول نظرة للذين من بيننا تلقوا تدريبا على مسح المحيطات أو في علوم البحار أو الملاحة في حين أنها لا تحوي معنى بالنسبة للاثريين العاديين أو علماء الأجناس، ولذا سجلت بأنها «نقوش بدائية» غامضة الفحوى.

إني في هذا الفصل أتناول موضوعا قريبا منا. أي تعلم الكتابة وأسس نظام مدرسي منهجي قد يضاهي أي مثيل له آخر في العالم قبل ألفين أو ألف سنة مضت.

وكما يمكن الاطلاع عليه من خلال الصور بصفحتي ( ٣٢٤ ) و ( ٣٢٥ )، نواجه في عدة مواقع في الولايات الغربية، خاصة بنيفادا وكاليفورنيا الشرقية، بصيغ بسيطة تقترن فيها حروف ليبية بصورة معهودة لشيء يبتدىء اسمه بالعربية بذلك الحرف وفي بعض الحالات تكون الحروف المكونة للاسم مشكلة في أحجية كما في حالة «رجل» حيث «ر ـ ج ـ ل» الساكنة وضعت لتوحي هيئة انسان (ان الحركات مهملة في كتابة العربية القديمة).

وهكذا، فان ما يبدو دروسا بلغة أوغام، موضحا بصورة لحيوان أو شيء مسمى، يظهر في عدة مواقع اكتشفها جون جورنو (John Corner) سنة ١٩٦٨ م في كولومبيا البريطانية، ولو أن اللغة الأوغامية لم تكن معروفة حينذاك. والنصوص الأوغامية متوافرة جدا في منطقة بحيرات نهر فريزر بقرب مناطق، كانت وما زالت، يتحدث فيها باللغة التكهلني (Takhelne)التي تنتمي الى الغيلية، وحيث توجد غرف حجرية من أصل مجهول، وهي تحت الفحص حاليا من طرف بروس ماكدونالد (Bruce Macdonald).

كانت الرياضيات البسيطة تدرس بلا شك في المدارس المنهجية، الا أنني جمعت من أجل السهولة، النقوش الرقمية المتوافقة مع المعادلات الرياضية المعقدة.

وفي النهاية، ولو نفتقر لدلائل مباشرة في صيغة مكتوبة حتى الآن، يبدو الآن مؤكدا أن أناشيد البيما (Pima) التقليدية بالجنوب الغربي التي بينت في «أمريكا ق م» أنها ترتل بلغة عربية محرفة، لا بد وأنها قد جلبت لأمريكا من طرف معمرين يتحدثون العربية، وبعض هذه الأناشيد بسيطة جدا وهي روايات مقتضبة لخرافات ايزوب (Aesop) وهو مؤلف كلاسيكي أغريقي كان لا شك جد معروف لدي معلمي

قورينا في ليبيا، ومن المحتمل أن طلاب مدارس قبيلة هوهوكام (Hohokam) في الغرب القفر ثقفوا بتلك الوسائل، ولذا أورد هنا ترجمتين جديدتين من أناشيد بيما سجلها روسيل (Russell) سنة ١٩٠٨، واعتبرت حتى الآن غير قابلة للترجمة أو أنها نقلت بنوع مزر زعم أنه ترجمة من صنع المرافق الباباغو (Papago) المترجم لفريق سميثون بقيادة روسيل وهي ترجمة سخيفة لدرجة ضياع معناها.

وقصة ايزوب «الثعلب والغراب» من مساهمة قوريني في الأدب الليبي القديم لأنها موجودة في مخلفات الهوهوكام التي يمكننا تمييزها الآن في أناشيد بيما المجمعة من طرف بعثة معهد سميثون الأثرية برئاسة فرانك روسيل المذكور سنتى ١٩٠٢/٩٠١ كما نشرت سنة ١٩٠٨ (التقرير السنوي رقم ٢٦، مكتب علم الأقاليم للولايات المتحدة، ص ٣١٦-١٧) والترجمة التي قدمها المرافق البابا غو، هذا نصها:

أغنية كو يوتي (Koyote Song).

يقوم الكو يوتي و يبتدىء الأغنية (معاد).

جاءت طفلة بسرة عند سن البلوغ امرأة، بينما تطول الأغنية الو يوتي (معاد).

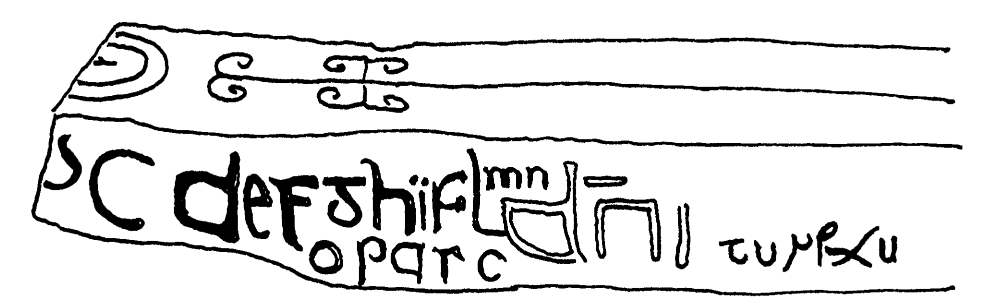
ريش نسر، ريش نسر، أنتم الذين صنعتم قبعتي.

أنتم الذين صنعتم قبعتي، أنظروا زيادة، قلبي، انظروا زيادة.

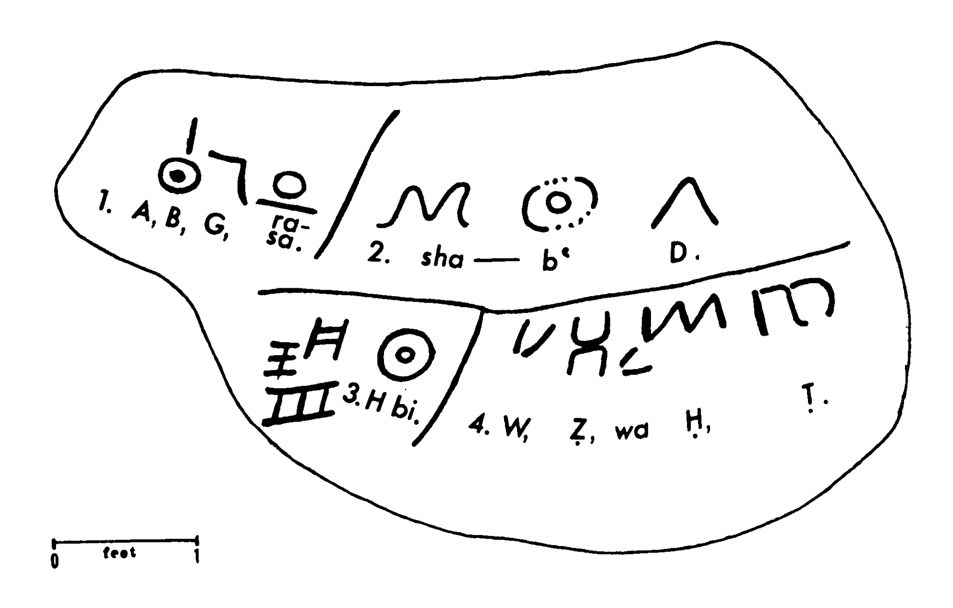
حول الماء، حول الماء، فالى هناك في العيون الكو يوتي الزرقاء أنا أجري.

(فيعجب الانسان بينه وبين نفسه اذا ما كان فن الداديزم قد صدر عن واشنطن دي سي، بدلاً من النمسا بعد عشر سنوات) وانه من الأهمية بمكان أن الفكرة

أساسية المنعكسة كالعادة في العنوان بالترجمة المزعومة ـ في هذه الحالة «الكو يوتي» أي الثعلب. واقترح هذه الترجمة البديلة بقراءة النسخة الأسمثونية على أنها عربية محورة خلال سبعة قرون عبر الذاكرة بسبب ضياع الأبجدية المكتوبة ابان الغزوات المتبربرة:



**ان حجر كيمالكيدير Kilmalkader للأبجدية القديمة، قرب دنجل Dingle، بمقاطعة كبرى، بايرلندا، على كتابة كلدنية منقوشة كتلك التي استخدمها ناسخو كتاب كيلز، حوالي سنة ٧٥٠ ميلادية. ويدل هذا الخط والصليب المنقوش على الوجه الآخر للحجر ـ ضمنا ـ على أن الرهبان المسيحيين قد قاموا على ما يحتمل ـ بتعلم الأبجدية للأطفال الصغار. وكان الاطفال، في العراء وفي الجو الصافي، يتحلقون حول المدرس وحجره «السبورة» فيما يشبه كثيراً الطريقة القديمة التي كان يتم بها تعليم الاطفال في شمال أفريقيا. ان حجر أبجدية الين سبرنجز Allen Springs في نيفادا أقدم من الحجر الايرلندي بألف سنة، ويستخدم ابجدية سبقت الكتابة التيفيناجية للعصور المسيحية، وكانت شائعة ككتابة علمية في عهود الملوك الليبيين بالقرن الثاني قبل الميلاد. كما ان كتابة حجر ألين سبرنجز تشبه أقدم خرائط أمريكا الشمالية والبولينيزيا، الموقعة من طرف ماوي، الملاح الليبي الذي اكتشف الساحل الغربي لامريكا الشمالية.**



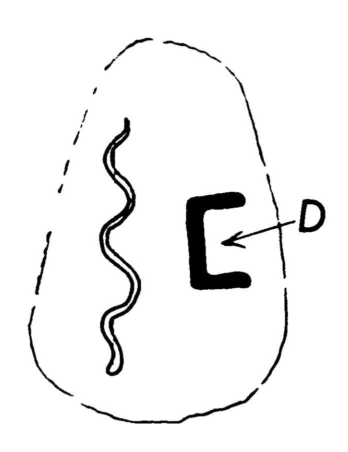

يقدم حجر ألين سبرنجز للأ بجدية القديمة بنيفادا تتابع الحروف في الابجدية الليبية لفترة ما قبل الاسلام. إن أبجدية شمال أفريقيا القديمة تتبع نفس تسلسل الحروف السامية القديمة والاغريقية، وكان يشك في ذلك لوقت طويل الا أنه لم يثبت من قبل أبداً، بخلاف الأبجدية العربية الحديثة التي حلت محلها في أمريكا وفي شمال أفريقيا. واذا ما أعطينا الحروف الاسماء التي لقي نسبها لدى سكان شجات الليبيين، فان النقش يقرأ على النحو التالي:

١ ــ الفا، بيتا، جاما، تاتي أولا.
٢ ــ ويضاف إليها دلتا.
٣ ــ ثم حرف هيبسيلون.
٤ ــ ديجاما (W)، زيتا وهيتا، تيتا.

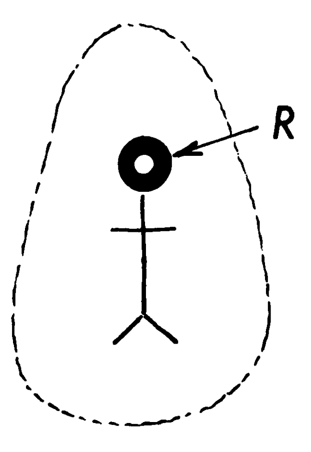
(ومن الواضح أن الابجدية تستمر على حجر آخر. لم يكتشف بعد) واذا ما أعطينا الحروف الاسماء التي من المجمل انها كانت معروفة بها لدى العرب الليبيين، فان النقش ينطق كالآتي:

١ ــ أ، ب، ج، تاتي أولا.
٢ ــ ويضاف لها د.
٣ ــ ثم هـ خفيفة (تكتب باية طريقة من الطرق الثرث الموضحة).
٤ ــ و، ز، ثم هـ حلقية، ت.

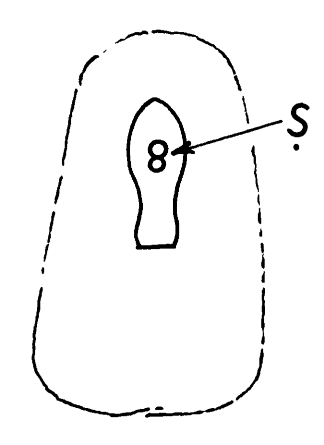
يمكن مقارنة حجر الأبجدية الليبية، وهو أول ما وجد على الاطلاق، مع حجر الابجدية الغيلية المشابهة من مقاطعة كبرى بارلندا؛ الموضح في الصفحة السابقة. إن العثور على ذلك الحجر في أمريكا الشمالية. ان هو الا دليل واضح على أن الليبيين القدامى قد جاءوا الى أمريكا الشمالية لا كزوار بل كمستوطنين دائمين فأسسوا المدارس وربوا أطفالهم كأمريكيين وتوضح الصفحات التالية دروس المدرسة الابتدائية التي تلقاها أولئك الاطفال الأمريكيون الاوائل. إن نمط الكتابة يظهر أنها كانت في فترة الملك ماسينيسا، في حوالي القرن الثاني قبل الميلاد. إن حجر ألين سبرينجز اكتشفه الاستذ روبرت هايزير ومارت بومهوف (١٩٦٢) وأشير اليه كـ «نقوش هندية منحنية الأضلاع»، لا تعرف له قيمة، الا أنهما أدركا قدم الموقع.



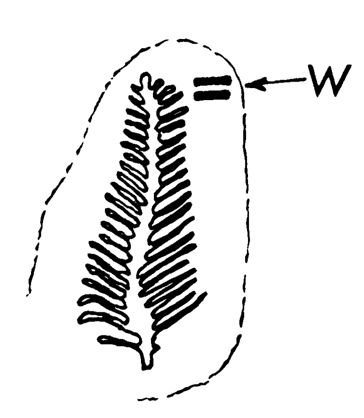

D stands for Dud (which is Arabic and means Worm)



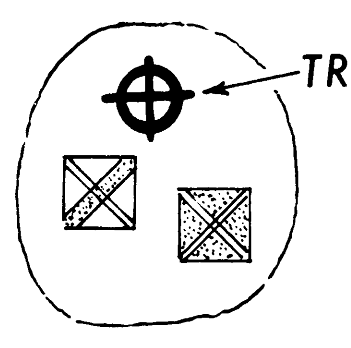

R stands for Rajul (which means Man)



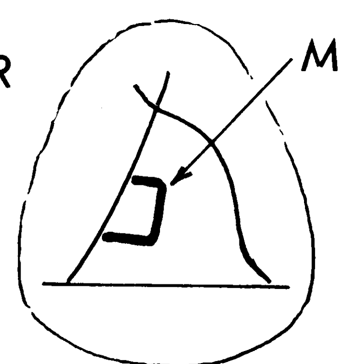

S stands for Sandal (a Greek word borrowed by others)



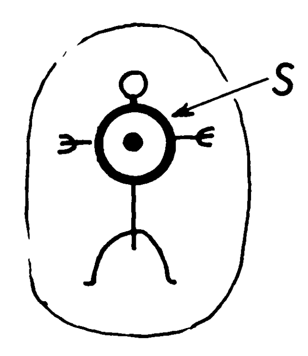

W stands for Waraq (which means leaf).



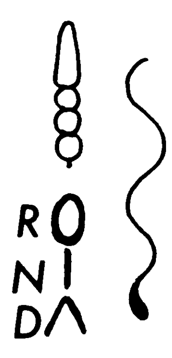

TR stands for Turs (which means warshield).



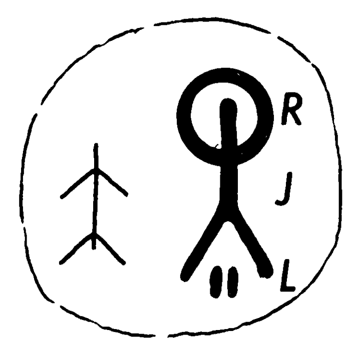

M stands for Ma'war which means tipi.




S stands for Sidra (which means chest).

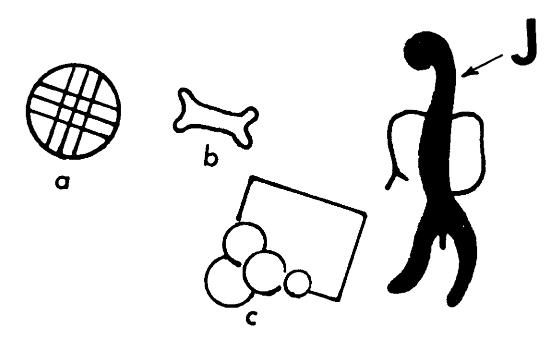



DNR stands for Danar (which means rattle). Note that some letters change if written vertically.

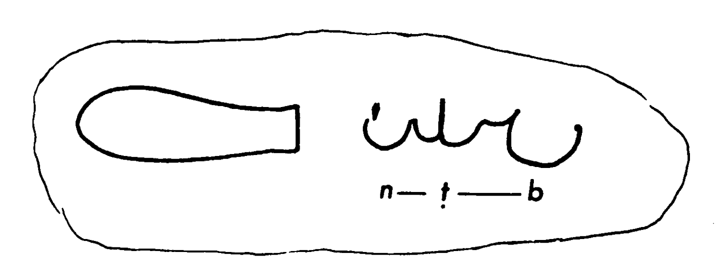



RJL spells Rajul, a man.

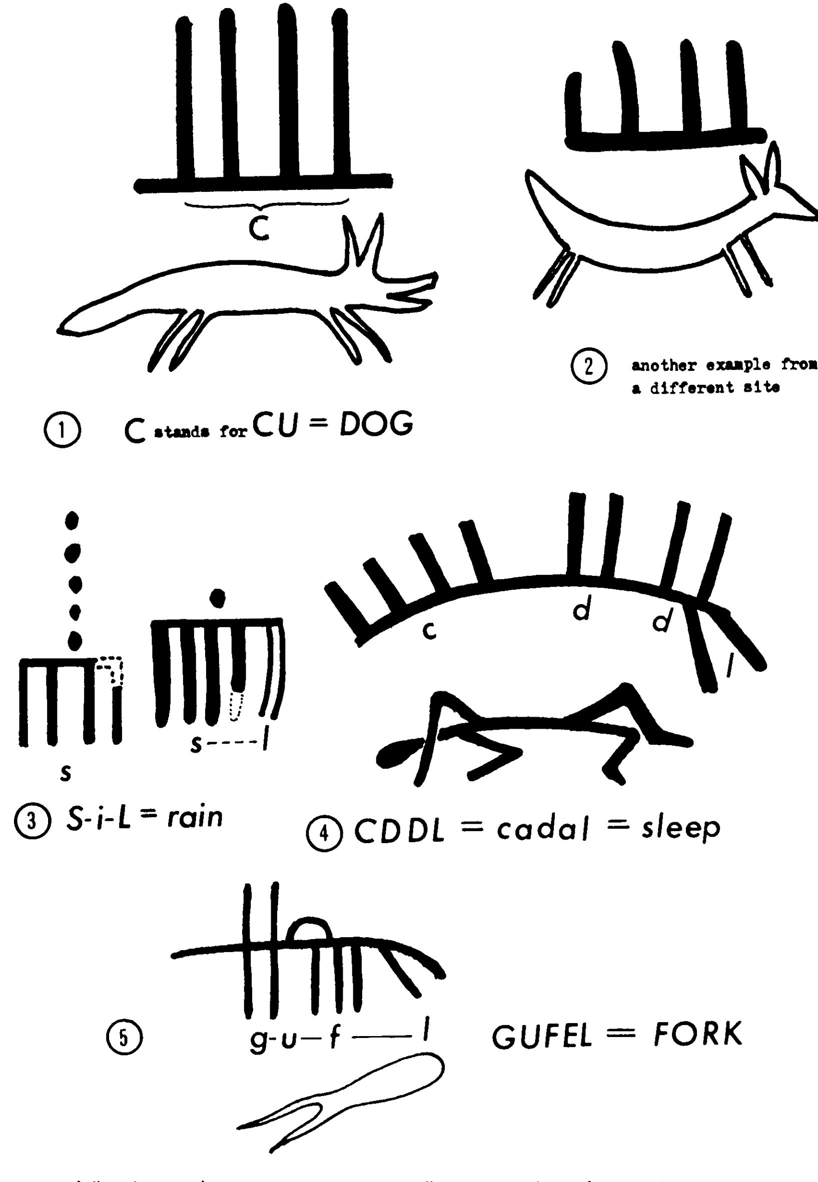
الصفحة المقابلة: أحجار نموذجية لأ بجدية ليبية من نيفادا واينيو، مواقع في كاليفورنيا، كما سجلت دون فك كتابتها من قبل هايزير وبومهوف (مطبعة جامعة كاليفورنيا، ١٩٦٢).



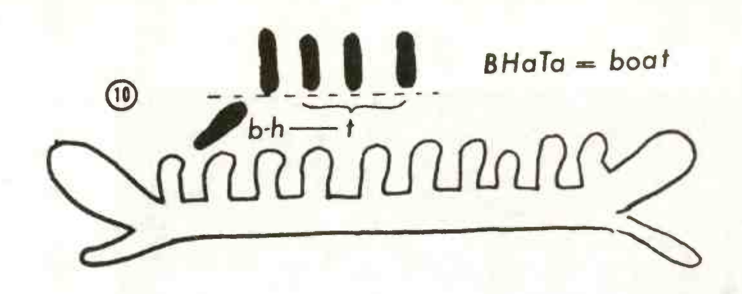

حجر لأ بجدية ليبية يظهر عليه الحرف J (وهو يرمز لـ Jaza أي النقود) ويوضح الكلمة كنقوش لعملات ايبيرية a، وقطعة غير مسبوكة b، وصندوق نقود c. وجعل المدرس الحرف الليبي J يشبه انساناً. الموقع في مقاطعة أينيو، كاليفورنيا، رقم ٤٨، في ترقيم الاستاذ جوليان سيتوارد.




مثال ليبي آخر B-T-N وفيه تهجئة لباطن القدم أو أثر القدم باللغة العربية، من موقع لاجومارسينو، في نيفادا.




طرق تعليم مشابهة استخدمت من قبل الكليتين المتحدثين بالغيلية في كولومبيا البريطانية. ويبدو بوضوح أنهم أسلاف التاكهيليين من سكان بحيرات نهر فريزير. كما ذكر فيل Fell (١٩٧٦، محاضرة في متحف هاموند Hammond). ولقد حدد مواقع هذه الامثلة جون كورنير (الكتابة التصويرية في دواخل كولومبيا لم يتعرف مع ذلك على محتوياته الاوجامية أو أهميتها ككتابة.

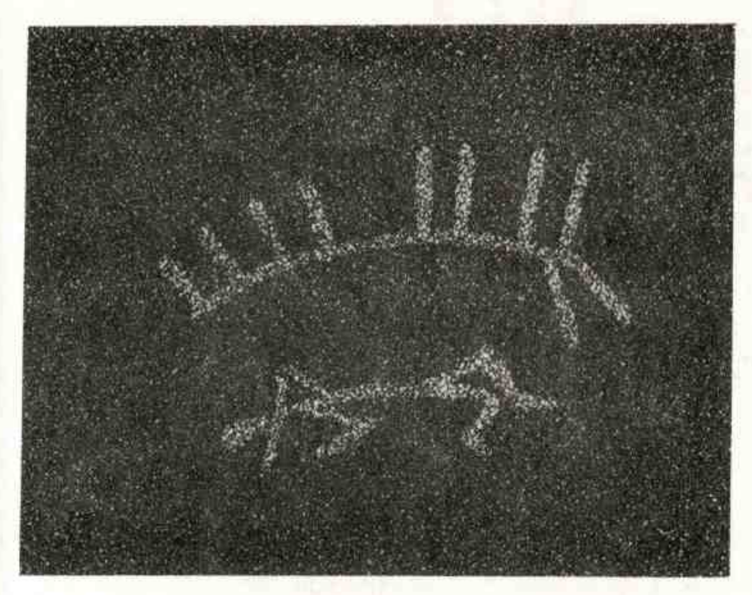


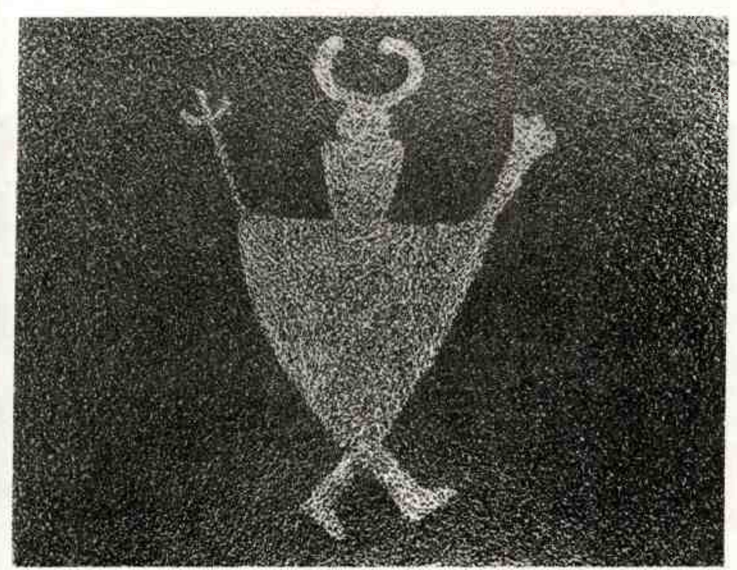

B L F S N
H D T C Q
M G Ñ Z R
ea oi ui ia ae

قارب بالكتابة التصويرية مع كلمة أوجامية غيلية BH-T (بهاتا. قارب) والى الأسفل، الابجدية الاوجامية كما استخدمت في نيو انجلاند وكولومبيا البريطانية، وفي حذف حروف ـ العلة عادة ـ إن المواقع الرئيسية في كولومبيا البريطانية حيث يمكن مشاهدة الكتابة الاوجاميةهي مواقع كورنير رقم ٥، ٦، ٧، ٥١، ٦٥، ٨١، ٩٤. كما توجد الاوجامية أيضاً، وعلى نحو واسع، في أوريجون، واشنطون، واجزاء من نيفادا.



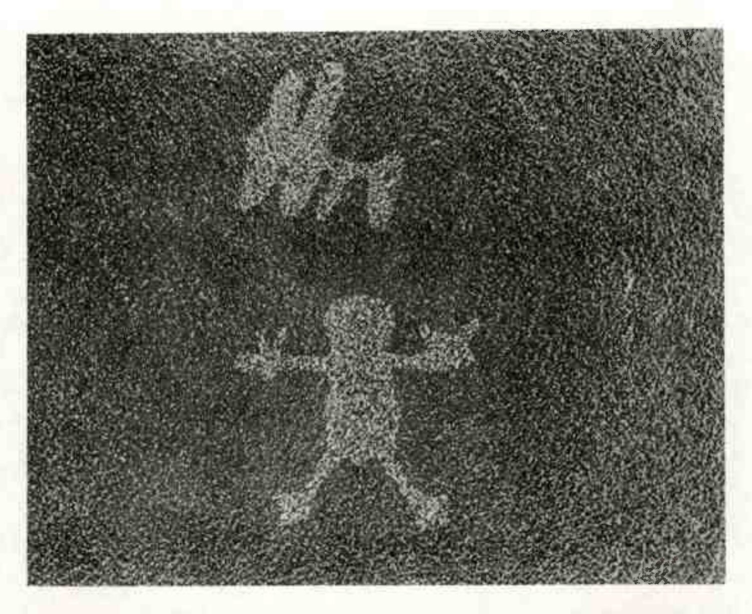
درس في مدرسة غيلية، بكولومبيا البريطانية. وتتهجا الاوجامية F-R (Fir، رجال أو سكان). لقد أشير إلى الاوجامية بدون حروف علة، في الأصل، من نقوش ايرلندية قديمة جداً، من قبل ايوجان روده أوسويليبهين Eoghan Ruadh ua Suilleabhain، وسجلت تحت اسم اوجام ذات الحروف الصحيحة، عن طريق المذجمي الايرلندي بادريج دانيين Dinnen Padraig، في سنة ١٩٠١. وعندما اكتشف مرة أخرى في أمريكا، وأشير الى ذلك في كتاب (أمريكا قبل الميلاد) استخف بالفكرة، الا أن مئات من الكتابات التصويرية مصحوبة بكلمات غيلية واضحة في أوجامية ذات حروف صحيحة قد تم اكتشافها وهي تدل دلالة قاطعة على أن الكلتيين القدماء، ويتحدثون لغة مشابهة تماماً للغيلية الايرلندية، قد شغلوا يوماً ما المواقع الامريكية التي تم العثور منها على النقوش. لقد سجل هذا المثال، في الأساس، جون كورنير، في سنة ١٩٦٨، قبل سبع سنوات من التعرف على أول حروف صحيحة بالاوجامية في أمريكا. (تصوير: بيتر ج. جارفل وستيفن أ. سيلفيستر).

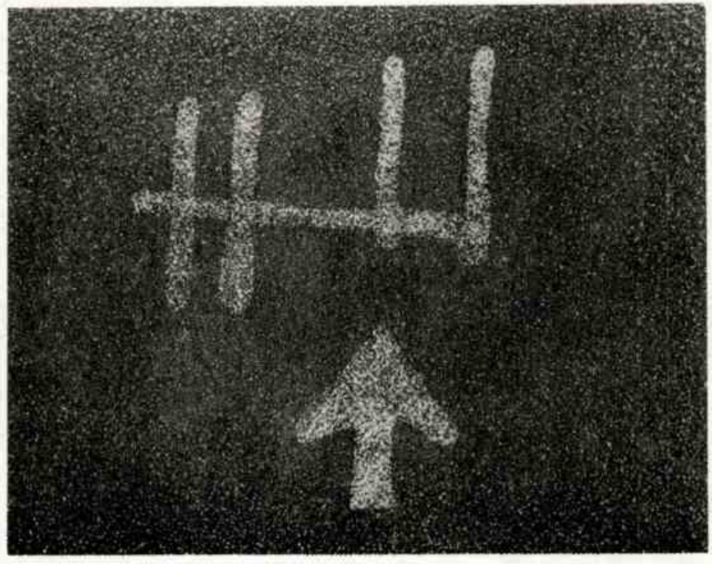




درس في مدرسة غيلية، كولومبيا البريطانية، واكتشفه في الأصل جون كورنير. وتتهجا الحروف C-D-D-L (Cadal وتعني نوم) وبجانبها شكل مطابق يظهر انسانا نائما. (تصوير: بيتر ج. جارفل وسيتفن أ. سيلفيستر).

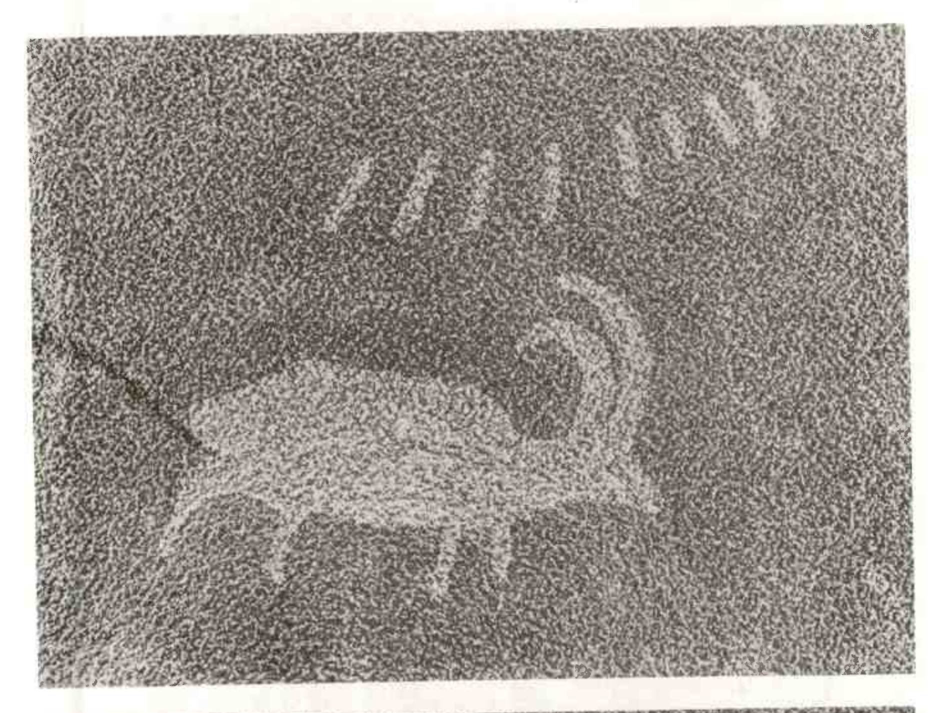
يظهر إله الكلتيين وهو إله الصيد ذو القرنين سيرنونوس Cernunos ممسكا برمح ثرثي الشعب، في هذا النقش، في موقع المدينة المفقودة نيفادا. (تصوير: بيتر ج. جارفل وستيفن أ. سيلفيستر).

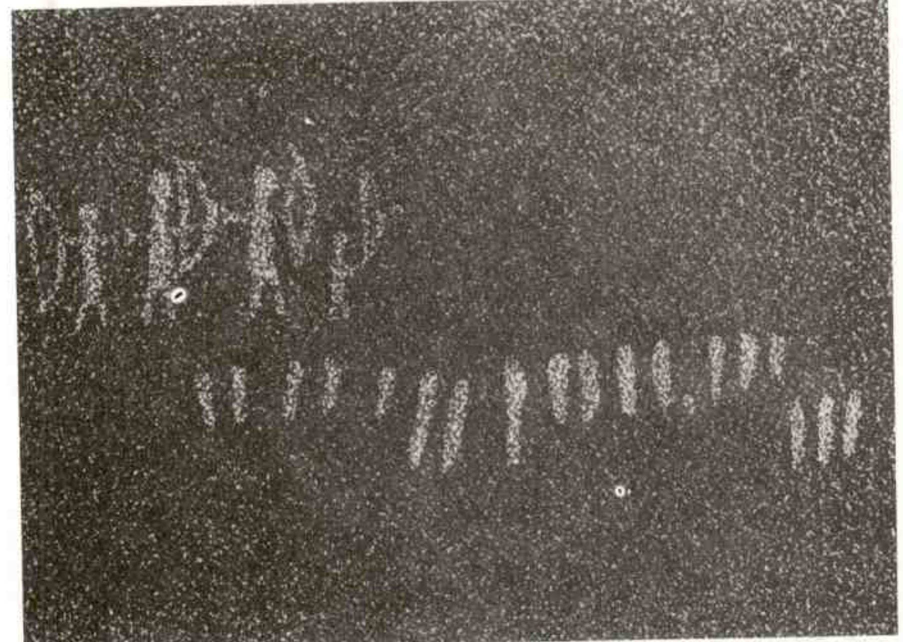


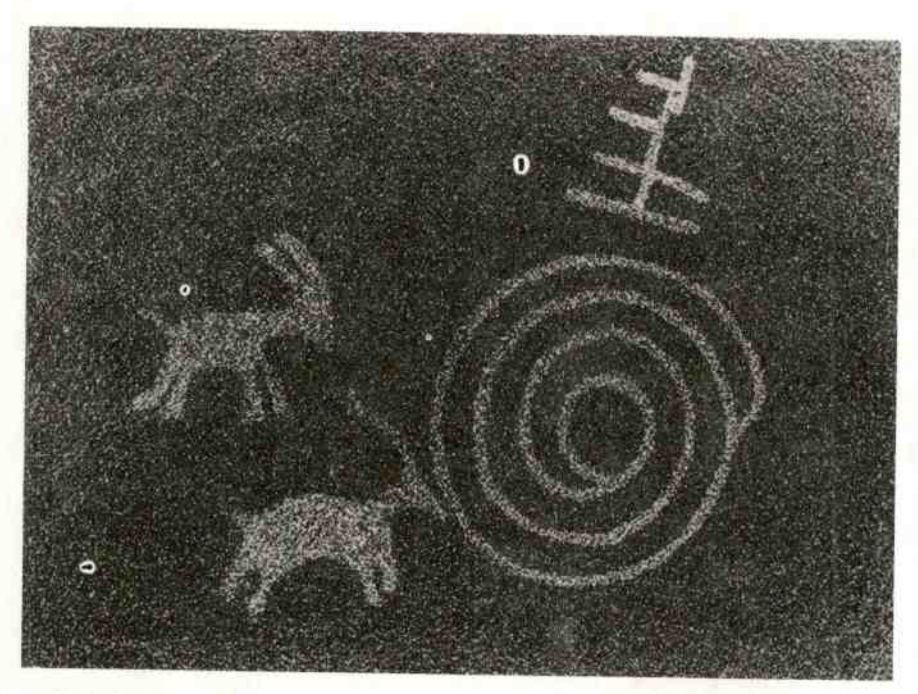


درس في مدرسة غيلية نقش في موقع بوادي النار نيفادا، وسجله هايزيز وبومهوف (١٩٦٢). وتمثل الحروف الاوجامية G-L، الى جانب الكتابة التصويرية لطفل. الكلمة الغيلية Gille أي طفل. (تصوير: بيتر ج. جارفل وستيفن أ. سيلفيستر).

درس في مدرسة غيلية في موقع آخر من مواقع جون كورنير في كولومبيا البريطانية: وتتهجأ الحروف G-D في هذه الكلمة Gad، وتعني نصل رمح أو رأس حربة (تصوير: بيتر ج. جارفل وستيفن أ. سيلفستر).



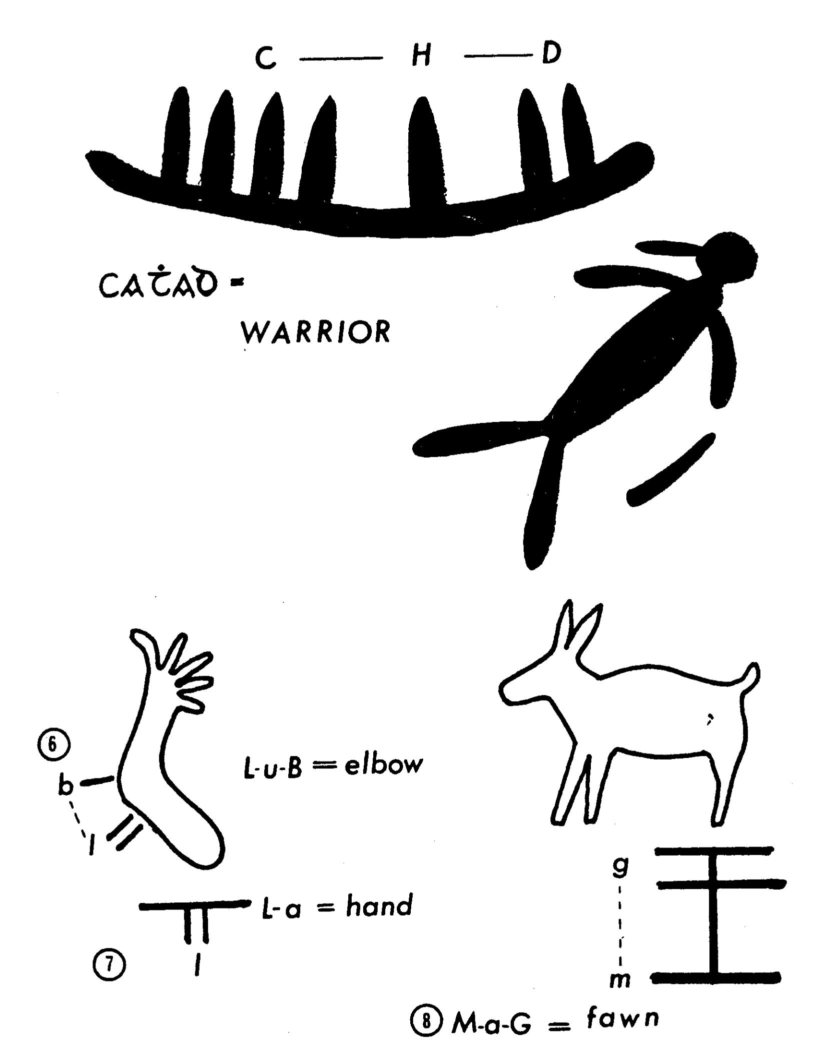




درس في مدرسة غيلية وفيه يستخدم نفس الحرفين الأوجاميين G-D، ولكن كما تشير الصورة، فانهما يدلان على كلمة ايرلندية أخرى هي Gad، سلك لولبي ملتوي، كما يستخدم عند البدء بصنع سلة من الاغصان أو الاعشاب، أما المعزاتان الى اليسار فانهما يدلان على ان القراءة البديلة Ged أي عنزة مقصودة كذلك. إن الكلمة Ged هي مثل كثير من الكلمات الغيلية مستعارة من النورس الشماليين وسجلت الكتابة التصويرية أول مرة من قبل هايزير وبومهوف (١٩٦٢) من موقع في كاليفورنيا. (تصوير: بيتر ج. جارفل وستيفن أ. سيلفيستر). Peter J. Garfall and Stephen A. Sylvester.

الصفحة المقابلة الى أعلى: درس في مدرسة غيلية، صخرة أتلاتل، وادي النار، نيفادا. ويمثل الحرفان R-T الكلمة الايرلندية القديمة Rete أي كبش، أما الأنواع المصورة فهي الأغنام ذات القرون الكبيرة من جبال روكي. أشار اليها في الأصل هايزير وبومهوف (١٩٦٢). (تصوير: بيتر ج. جارفل وستيفن أ. سيلفيستر).

الصفحة المقابلة الى أسفل: درس في مدرسة غيلية، بحيرة كولومبيا، كولومبيا البريطانية، وسجلها في الأصل جون كورنير في سنة ١٩٦٨. وتقرأ الحروف الاوجامية: H-G M-C T-F D-D، لتفهم على سلفها الغيلية Daidi (h)og maca, tafa(n) وهي تعني باللهجة الارلندية القديمة «الاباء والابناء يصطادون». (تصوير: بيتر ج. جارف وستيفن أ. سيلفيستر). يمكن ايجاد تفاصيل فك كتابة جميع النقوش الاوجامية المشار اليها أعلاه، والكثير من غيرها، في كتاب فيل Inscriptiones Gadelicae Americanae Fell، ١٩٧٨.




أمثلة أخرى لمواقع تعليمية في كولومبيا البريطانية للغيلية الاوجامية. وكما هو في اوجامية نيو انجلاند، فان حروف العلة تغفل عادة، وهي ممارسة متطابقة أيضاً مع الطريقة الليبية للكتابة في نيفادا والمناطق الأخرى التي تقع بين كولومبيا البريطانية ونيفادا.

(١) النص البيما كما نسخه روسيل صوتيا.

(٢) الجذور العربية القرينة في صفة معجمية.

(٣) الترجمة.

يتبع الجداول المقارن باللغات الثلاث على صفحتى (312)، (313).

ان المثل الانجليزي الملخص لهذه الخرافة الاغريقية لدى البيما المنتقلة بالعربية المستعملة من طرف الهوهوكام هو: «اليوم ديك، غدا ريش» ومغزاها الأساسي: «عش ليومك، ودع الغد للمقادير».

فالترجمة للخرافة المذكورة التي قدمها لروسيل مرافقة البابا غو تقول كما يلي: (التقرير السنوي لمكتب علم الأقاليم، ١٩٠٨، ص ٢١٣):

**أغنية السمان**

تجمع جمع غفير من السمان الرمادي، فأتى الثعلب جريا ليرى
(معاد)

فر جمع السمان الأزرق بأكمله، فرآه الثعلب شاخصا جزرا
(معاد)

وهنا أيضا، ولو ضاع معنى الأغنية، بقي الموضوع، وهو في هذه الحالة السمان (بدلا من بيضها)، أما ثعلب الصحراء الأشهب الاغريقي فقد عوض بالثعلب الأمريكي «كو يوتي» المقابل له. وبناء على تهجي روسيل، يمثل حرفا (Tc) صوت (Ch) وهو معادل لحرف ج، بحيث أميل الى مطابقة لكلمة (أتيكوفا) (Itcova – Ichova) بالكلمة العربية الأصلية «جوزل» التي تعني في الاستعمال الحديث فرخ الحمام الزاجل. ان حرف (V) يقابل في لغة بيما حرف «و» العربي.

## الرياضيون الأمريكان القدامى:

تحمل صخور كثيرة في نيفادا خدوشا غريبة تعبر بوضوح عن بعض أنواع العمليات الحسابية. والطابع الحقيقي للعلامات متغير و يمكننا تمييز فئتين أساسيتين،

## *The Fox and the Seashells*
(Another Fable by Aesop)

Pima 1. Kaka mangai kaka itcovu kaka wota miyanna
Arabic 2. Konka mauwajan kaika jawazal kaika watr muyun
English 3. Shells marine and eggs of quail, each with the other confused,

Pima 1. lumun gali muliva tatai pan
Arabic 2. lamma galat malawan tazaj bunni
English 3. were collected in error day by day freshly by a brown fox.
(*repeat*)

Pima 1. Yuina himu tcutcu nangi kaka itcova
Arabic 2. Yauma himaj taqqtaqq nagba kaika jawazal
English 3. One day he was hungry so he cracked open and gobbled up the eggs of quail.

Pima 1. Kaka wotu vai lukai lumun gali
Arabic 2. Konka watr wa'y luqyan lamma galat
English 3. The seashells one by one he carefully laid aside as collected in error.

Pima 1. Nyui naku kaka van yuina himu.
Arabic 2. Niya naqd konka bunni yauma himaj.
English 3. Decided to store up the seashells the brown-fox for a day of famine.

*Aesop's Fable of the Fox and the Crow*

Pima 1. Panai kuki waka. Nyunyui rsarsan ut cona.
Arabic 2. Bunni * qa'qa' wakd. Na'yna'iy rasm 'tuqub.
English 3. A brown-fox a crow desired. This fable tells of his cunning. *(repeat)*

Pima 1. Tco vanga mohofi. Yaikapi worsan yimu panai.
Arabic 2. Taqqa waniya ma'ihuha. Yakaza waswasa 'ima bunni.
English 3. He feigned illness and fell over. With furtive glances played-his-act the fox.

Pima 1. Nyunyui valuna himu pahangu yahanu. Komus huku,
Arabic 2. Na'na'a wahla himaj bahha yauhunu. Kama hukkum,
English 3. Cawing, fearing his appetite, the-croaker kept-his-distance. At last he-flew-down

Pima 1. Vany—vanam hat conaa va hama tco.
Arabic 2. Wany—wanan hatta kana wahm taqqa.
English 3. relaxing-his-vigilance and-stayed-on the-ground deceived by the fraud.

Pima 1. Ikamanyi imoi taku vahama tco inga sikali rsonu.
Arabic 2. Kumana 'ima taqqa wahm tuquls sakira rasuna.
English 3. Lying-in-wait the-trick acted-out the-deceiver, wily, feigning to be lifeless.

Pima 1. Kama ku-ta Ngu Panai sitcu na-kimu mam
Arabic 2. Kama kata Naga Bunni sata naqima mimma
English 3. At-length hopped-nearer the-croaker. The-fox pounced and attacked by means of

Pima 1. a-sina kon yu nga wuwui Va Pai'muna.
Arabic 2. asinna kunya nagba wa'wa'a Fa Bun'munya
English 3. his teeth, then gobbled it down with-a-yelp. Thus Fox had-his-wish.

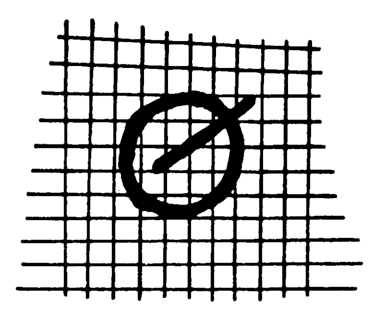
* The Libyo-Iberic root *bunni*, meaning a brown animal, is evidently the word *bunny* of Old English nursery language. In America its expanded use includes the derivative *panai*, desert-fox or coyote of classical Pima (Hohokam), as well as other applications. The Oxford English Dictionary is silent on Iberic roots.

واحدة متقدمة في الزمن وتعوزها علامة الصفر، ثم أن قيمة أرقامها لا تتوقف على موضعها، والأخرى متأخرة عنها تكتب بها الأرقام بطريقتنا المتبعة حاليا بالتقريب. وحتى زمن قريب كانت هذه العلامات لغزا ولم يتعرف عليها كأرقام وسميت «خط الحوض الأكبر المنحني»، والبرتغال القديم يعطينا الحل للسر:

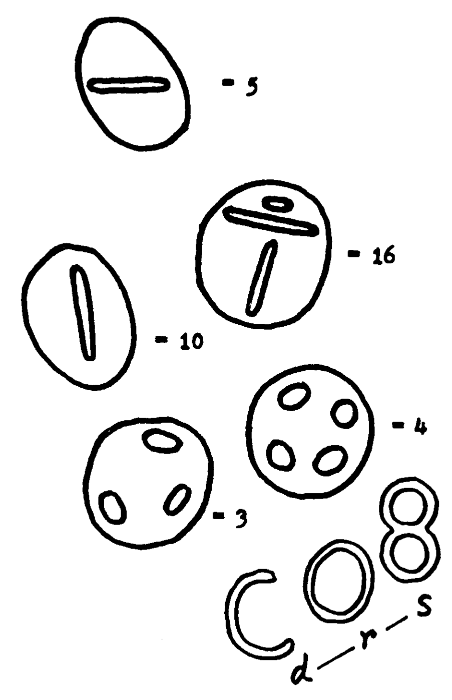
| قيمة النقود | العلامة المكتوبة |
|---|---|
| ٥ تيستونس (= نصف اسكودو) | — |
| ١٠ تيستونس (= اسكود واحد) | I |
| ١٥ تيستونس | I— |
| ٢٠ تيستونس | \| |
| ٢٥ تيستونس | \| |
| ٣٠ تيستونس | \|I |
| ٣٥ تيستونس | \|I— |
| ٣٦ تيستونس | \|I—• |
| ١٠٠ تيستونس (= عشرة اسكودوس) | ⦶ |

**الطريقة البرتغالية القديمة في التعبير عن القيم المالية (طبقاً لدوس سانتوس dos Santos، ١٩٦٣). إن هذا النظام الايبيري القديم ـ ويبدو من الواضح أنه أحضر الى البرتغال عن طريق العرب من شمال أفريقيا ـ يمكن التعرف عليه كالنظام العددي القديم بنيفادا مستعملا قبل إدخال النظام العشري السنسكريتي من الهند.**

ان الجداول المربعة العديدة المشاهدة في نقوش نيفادا هي أمثلة عملية للضرب ١ هكذا مثلا في موقع رقم مي ٥ (Mi-5) بجامعة كاليفورنيا في (هو يسكي فلات، مينيرال كاونتي، نيفادا) (Whisky Flat, Mineral Countyع Nevada) وجد البروفيسور هاريزر والمستر باومهوف النقش التالي:



ولم يجدا تفسيرا له، والنقش الآن واضح، فهو يعبر عن الرقم الأ يبيري القديم المائة المطبق على شبكة تحتوي على مائة مربع صغير. اننا قد ألفينا في عدة مواقع مربعات أو مستطيلات توضح هذه القواعد الحسابية مثل ٧ مرات ٧ يساوي ٤٩، أو ٧ مرات ٨ يساوي ٥٦، وهلم جرا. فليس لدي شك بأن هذه الأشياء تقع في أماكن




نقش حجري بكيهول كانيون Keyhole Canyon، في نيفادا، يوضح قيما عددية لعملات رمزية، وفقا للنظام العددي الايبيري القديم، وموضحا بالكلمة الليبية المنقوشة S-R-D (عد). عن هايزير وبومهوف (١٩٦٢).

كان يدرس بها المعلمون القدامى أسس الرياضة على أطفال الهوهوكام في الفترات التي يسمح بها الصيد القيام بنشاطات أخرى.

ان الموقع س ١ ـ ٢٣ لنقوش كاليفورنيا يقع في كيهول كانيون (Canyon Keyhole) في كلارك بنيفادا. ولقد وجدنا رسوما لمناضد لعب أو فيشات قمار كل واحدة تحمل قيمتها بالأرقام الأ يبيرية كما نشاهد تحت كل صورة للفيشات الحروف الليبية «س ر د» مكتوبة بطريقة التهجي القديمة من اليمين إلى الشمال وهي تكون الكلمة الفصحى «سرد» وهي تعني بالاستعمال العربي الحديث «عد» وواضح أن معنى هذه المفردة القديمة كان الحساب أو الرياضة.

ومع أننا لا نمتلك سوى النقوش المقتضبة فقط لدراستها، إلا أنه يبدو جليا أن قوم الهوهوكام كانوا مؤهلين للقيام بجميع العمليات الأساسية بالأرقام اللازمة للنشاط التجاري وأنهم كانوا قادرين على مسك دفاتر مكتوبة لها. و يديهن أن مثل تلك الدفاتر كانت من لحاء الأشجار أو مثلها من المواد الصالحة للكتابة لأغراض مؤقتة فقط، وقد اندثرت وتلاشت من بين أنقاض مساكنهم وساحات مخيماتهم. وبقيت هذه النقوش الصخرية الثابتة كشواهد صامتة عن مواقع تدريس المعلمين القدامى.

وإليكم هنا أمثلة عن كيفية اجراء العمليات الحسابية للأمريكان القدامى قبل اكتشاف الأعداد العشرية.

(١) اجمع أربعة إلى ثلاثة، فكم يكون لنا؟

زائد تعطي =

(٢) اطرح خمس من احدى عشرة، كم يبقى؟

تساوي وإذا حذفنا منها خمسة يبقى ٦

(٣) اضرب ستة في اثنين: خذ ستة مرتين ورتب العلامات لتحصل على اثني عشر.

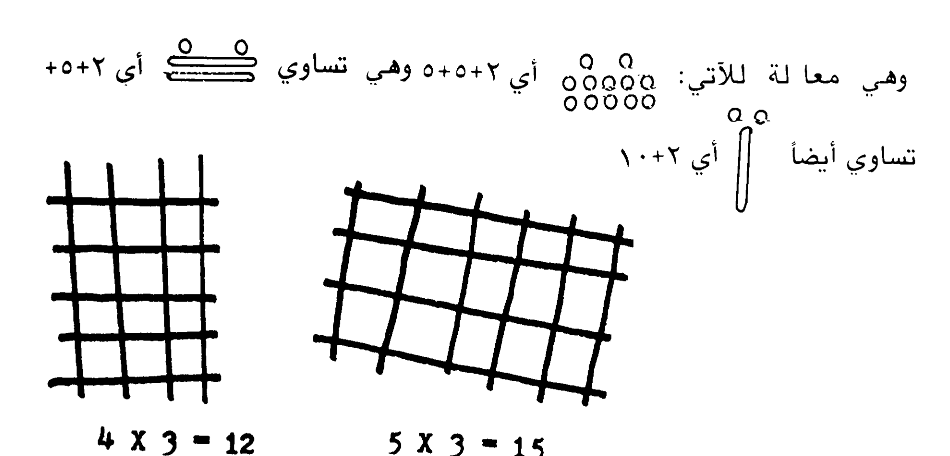
تساوي =

أو يمكننا رسم شبكة ضلعها مكون من ست وحدات والثاني من اثنتين، ثم عد المربعات:

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| o | o | o | o | o | o |
| o | o | o | o | o | o |

وهي معا لة للآتي: ooooo ooooo أي ٢+٥+٥ وهي تساوي أي ٢+٥+٥

تساوي أيضاً أي ٢+١٠



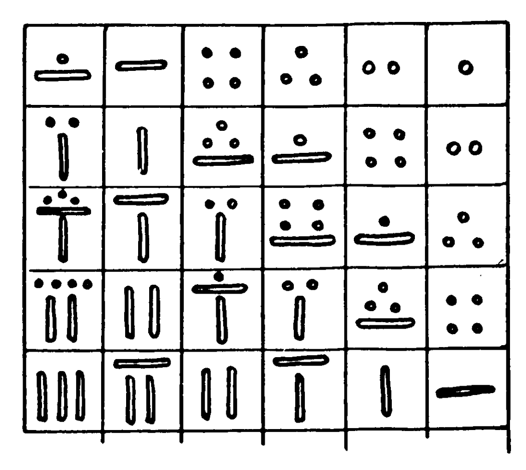

أمثـلـة أخـرى لجداول الضرب في موقع ويسكي فلات Wisky Flat، حيث درس مدرسو نيفادا القديمة سابقا الحساب لشباب الهوهوكاميين.

وفي أفريقيا الشمالية في وقتنا الحاضر لازالت هناك طرق تكاد تكون مطابقة تستعمل لتعليم الحساب وتجدون أسفله قسما من جدول الضرب مطبوعة في كتب التمارين تباع للمدارس بطرابلس حتى اليوم، وقد جلبت أمثلة للمقارنة مع النقوش الرياضية القديمة في نيفادا. انني أنقل الجزء الأسفل من القيم بالشبكة التي تمتد إلى العشرات أفقيا ورأسيا. الأرقام مكتوبة بالعلامات العربية الحديثة المشتقة في أصلها من الأرقام العشرية السانسكريتية التي نلاقيها في نيفادا في مواقع أقل قدما يرجع تاريخها للقرن الثالث بعد الميلاد.

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| ٥ | ٤ | ٣ | ٢ | ١ |
| ١٠ | ٨ | ٦ | ٤ | ٢ |
| ١٥ | ١٢ | ٩ | ٦ | ٣ |
| ٢٠ | ١٦ | ١٢ | ٨ | ٤ |

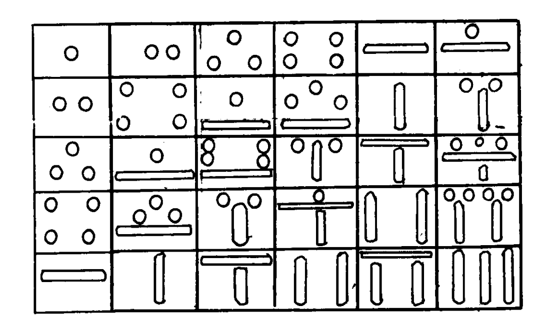
الصفحة المقابلة الى أعلى: جزء من جدول ضرب حديث كما هو مستعمل في المدارس الليبية في الوقت الحاضر. وتقرأ الارقام في الصف العلوي من اليمين الى اليسار ١ الى ٥. أما البقية فيمكن استنتاجها عن طريق المعاينة. ويستخدم نظام مشابه في خرائط الطرق بامريكا لاعطاء المسافات بين المدن.

وبناء على الأرقام في مواقع المدارس بنيفادا وجداولها للضرب والمستعملة في أمريكا الشمالية، نستنتج أن التلميذ بنيفادا كان يكتب على لحاء الشجر أو لوحته الخشبية ليحتفظ بالدرس في تلك الأيام قبل أن يستورد النظام العشري من الهند وقد يبدو الجدول كما يلي:



جدول ضرب لمدارس نيفادا القديمة، مع ادراج الارقام في المربعات. ويمكن تحديد قيم العلامات بيسر عن طريق المعاينة.

هذا جدول مستنتج لمدارس نيفادا القديمة بالأرقام.



يسفر النظام العددي المستعمل في نيفادا (بلاشك في عامة أراضي هوهوكام بكلورادو وكاليفورنيا الشرقية ونيومكسيكو وأوتا وآريزونا) يسفر عن تشابه للنظام المتبع في المكسيك بعد القرن الأول بعد الميلاد والظاهر أن النظامين مرتبطان وكلاهما ينحدران من الأرقام القديمة السابقة لحضارة الشعوب الاسلامية بشمال أفريقيا وشبه جزيرة ايبيريا.

الرياضة الأمريكية القديمة:

بعد القرن الثالث الميلادي جلبت الأرقام الهندية القديمة إلى أمريكا من طرف ملاحى نيفادا. وهي: ٠ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩

| | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| 9 | z | 6 | 6 | u | 8 | 3 | Ω | ٦ | ٥ | النمط الهندسي: |
| 9 | N | ɗ | 6 | v | 8 | 3 | o— | ٩ | ٥ | النمط النيفادي: |

وعلامات العمليات هي: زائد ٥ يساوي ٥٥ ناقص/ وهذه هي الحروف الأولى الأبجدية التيفيناغ (ليبي) تعادل كلمات عربية معناها أجمع، أعطى وأطرح.

ولأجل الاجابة عن السؤال: «ماذا يعطينا جمع ٨٨ بعدد ١٩٤»، نستعمل المعداد (الذي يعلم العد) (Abacus)، كما هو مبين على حجرة أنديانا للعد والحصى المعادلة للأعداد ولما كان النظام النيفادي عشريا، فنكتب الأرقام مثل ما نفعل في الطريقة الحديثة، ولذا ٨٨ زائدا ١٩٤، تكتب:

فأول عمود في المعداد للآحاد والثاني للعشرات والثالث للمئات والأخير في أقصى الشمال للآلاف. ولأجل اجراء الجمع ضع العدد ٨٨ على المعداد ملء خانات العمود

الأول بثمان حصى، ثم توضع ثمان حصى أخرى في خانات العمود الثاني وهي مبينة في الجدول المرفق كنقاط سوداء ثم نضيف عدد ١٩٤ بالطريقة التالية:

نضع ٤ حصى على عمود الآحاد، وبما أنه تزيد عليه، نأخذ عشرة منها ونعوضها بواحدة في خانة العشرات، فتبقى لدينا وحدتان، فأفعل نفس الشيء بعمود العشرات واضعاً ١ محولا حصية إلى عمود المئات، فتبقى ٨ حصى في عمود العشرات. فالجواب هو اذن ٢ من المئات و٨ من العشرات و٢ من الآحاد، فنكتب:

تجري عملية الطرح بسحب الحصى من الخانات، أما عمليتا الضرب والقسمة يحتاجان إلى معدادين، لكنا لا نعلم بعد إذا كان أهل نيفادا يستعملون هذه الطريقة.

وهنا نحب أن نتسائل: ما احتياج معمري نيفادا لآله حاسبة قادرة على معالجة كميات تقاس بالآلاف؟ ولما كان النقش الذي كونا منه المعداد قد جاء من انديانا، فما هو استعمال أهالي انديانا لتلك الأداة؟ الأجوبة قريبة المنال. كان أهل نيفادا تجارا وفي نفس الوقت صيادين وبحارة، والظاهر أنهم لم يصطادوا في أعالي البطاح موسميا من أجل اللحم فحسب بل أيضاً من أجل فراء وجلود الصيد، وكان لأجداد الليبيون جد محنكين في دبغ الجلود بعصارات اللحاء النباتية، أي أن بحارة نيفادا كانوا يمتلكون بضاعة رائجة، يقول عنها الكتاب الرومان أنها مطلوب بالحاح على مرافىء الهند والصين، لكن الصينيين لديهم مقابلها آنية خزفية وهي ثمينة مع الحرير وتماثيل الخزف الصيني وغيرها من الروائع (من بعد القرن التاسع) مثل النظارات والعدسات المكبرة. ومعادلة أسعار تلك المنتجات الرفيعة بجلود الأرانب أو الجاموس تحتاج لعمليات حسابية معقدة لا تكفي لها الأصابع، فكان المعداد خير وسيلة، وبعد اختراع طريقة الخانات الهندية، أقبل عليه التجار المتوسع في حساباتهم.

يأتي شاهد انديانا من حصاة مفرطحة تحمل أيضاً عبارة «حصاة عد» منقوشة بالخط الأيبيري، تمثل الكلمة العربية (والألغونكية) لذلك المعني. فواضح أن

الغونكيو انديانا كانوا يتاجرون مع زوار سلكوا مجرى المسيسيبي (Missisipi) وروافده حاملين بضائع مغرية من أوروبا. فأي بضاعة؟ قوارير فينيقية مثل التي وجدها مؤخراً سالفاتوري ترينتو (Trento) وفرقته في نيويورك (صفحة ١٠٧) أو تماثيل الفيلة المبينة في (صفحة ٣٠٨)، وبكل احتمال أشياء هالكة لم تبق كالحرير الصيني والقماش الأحمر من فينيقيا.

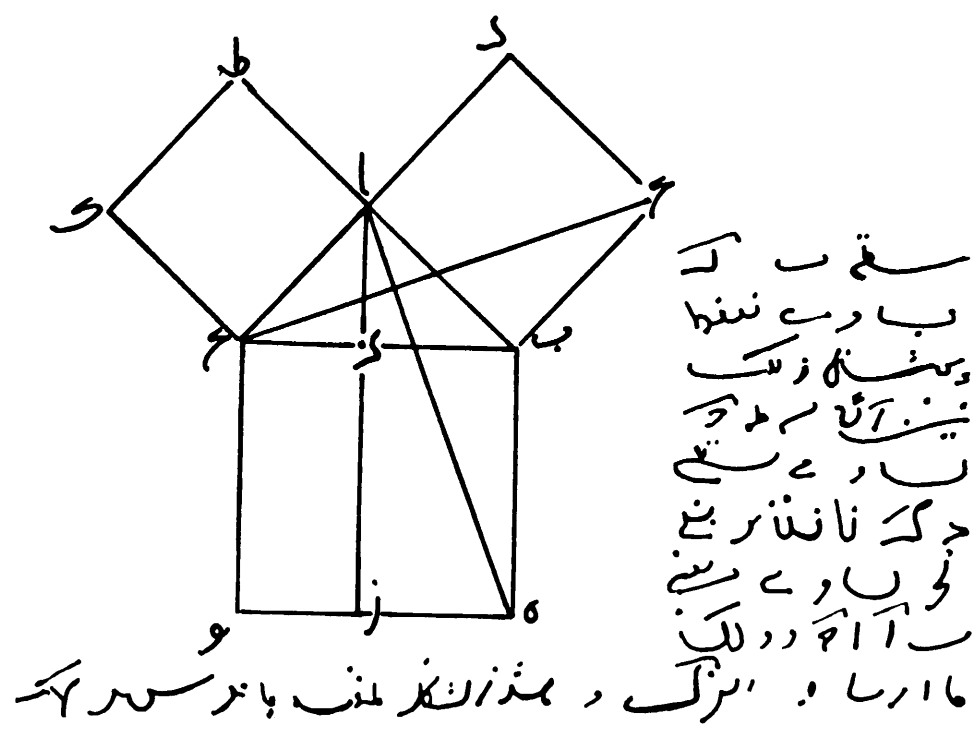
قبل ابتكار النظام العشري في الهند، كانت الأداة الحاسبة المتمثلة في المعداد شيئاً ضروريا، إذ لم يقدم كل من النظامين الروماني واليوناني للترقيم لا يصلحان كوسيلة حسابية بدون استعمال المعداد. فاذا قام الفينيقيون ـ أو أبناء عمومتهم الأفريقيون ـ القرطاجيون ـ بتسويق بضائع ثمينة لدى الأمريكيين، فلا بد أنهم استخدموا المعداد الصغير ذو الخمس خانات المصمم لتطبيق النظرية الأيبيرية «أل ـك ـهـ ـن» (أنظر صفحة ٣٤٨ للشروح).

وكما يلاحظ في الأرقام على السبورة المبينة في الصورة (٣٤٩)، تشبه العمليات الحسابية في النظام الأيبيري مثيلاتها لدى المايا. إذ كل من النظامين المايا والأيبيري يستعملان أربع نقط للآحاد تتبعها خطوط للخمسات كما أن كلمة (الكهن Al-Kahan) المهجاة بأخذ القيم الأبجدية للعلامات المستخدمة أيضاً كأعداد في النظام الأيبيري هي عربية سابقة للفصحى (أي أصلها من العالم القديم). وحسبما أعلم هي ليست كلمة من لغة مايا. ان النظامين المايا والأيبيري ظهرا كما يبدو في القرن الثاني من تقويمنا. ولذا أتوجس أصلا مشتركا. وإن الشعوب المتحدثة بالعربية هي التي اخترعت الطريقة. ولكن ذلك لا يعني أن المايا أخذوه عن الأيبيريين، بل قد يكون من وضع معمرين أيبيريين تحت تأثير مايا في أمريكا. فاذا كان الأمر كذلك. فيجب علينا الاعتراف بأن طريقة الترقيم الأيبيرية شيء انتقل من أمريكا إلى العالم القديم لأن الدليل المذكور سالفا يمنع أي افتراض بأن الطريقة ابتكرت في كل من المكسيك وأوروبا بصفة مستقلة.

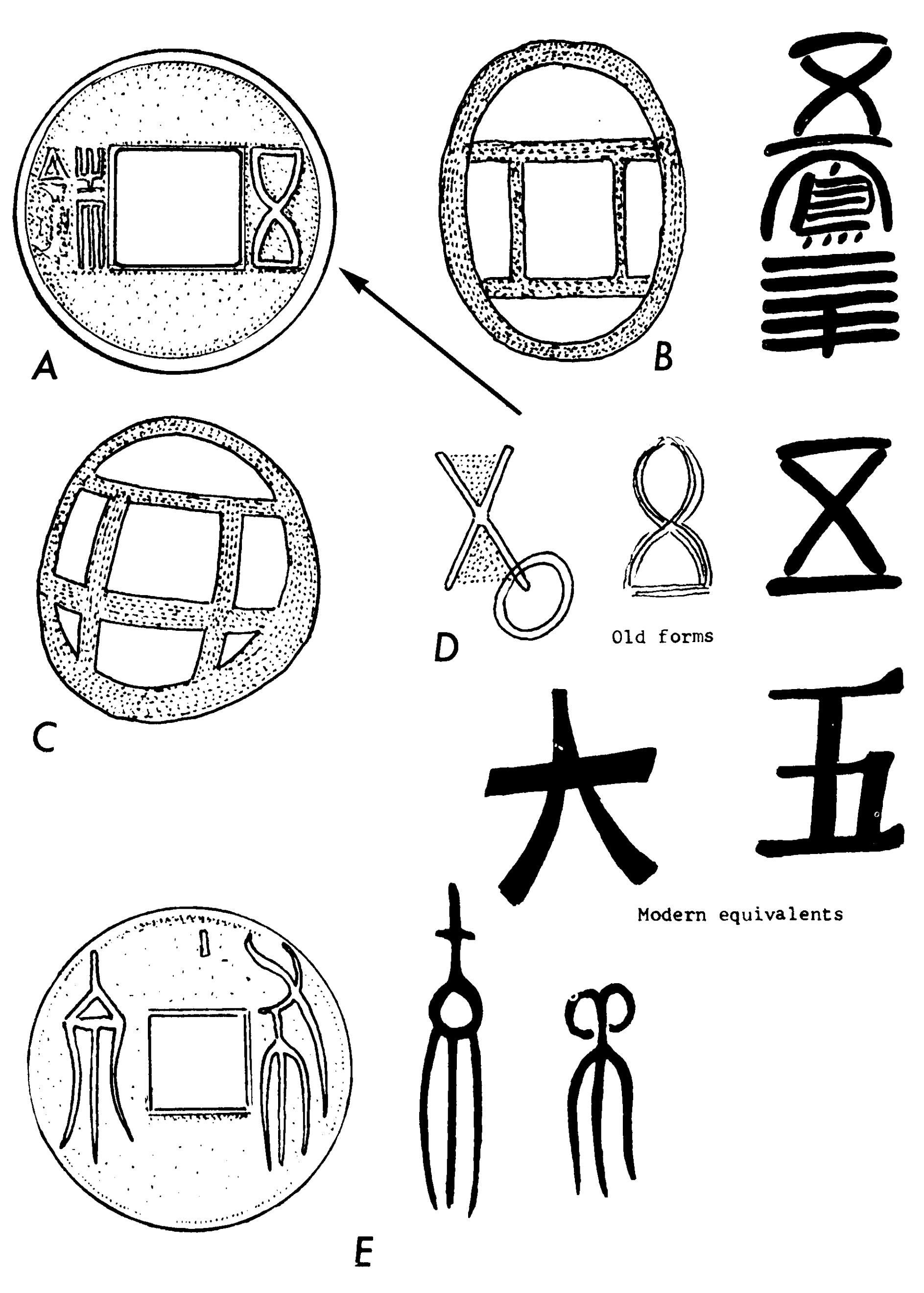
وكما كان أسلوب الترقيم الرياضي بأمريكا الشمالية القديمة يوحي بأصل واحد مع أيبيريا وشمال أفريقيا فكذلك توحيه اصطلاحات الأبجديات المكتوبة. وكما هو مبين في صفحة (٣٥٨) و (٣٥٩). فان الخطاطين القدامى بأمريكا الشمالية اتبعوا نفس القواعد المتبعة من قبل زملائهم في حوض البحر المتوسط. فلم تكمن حروف الهجاء واحدة فحسب بل زيادة عن ذلك. شكل الحرف نفسه يتغير بعين النمط

حسب ما هو منفصل أو في بداية الكلمة أو في وسطها أو في نهايتها. واستعمل الخطاطون الأمريكان أشكالا حرفية والتزموا بقواعد كتابية مطابقة لقواعد القرن الثامن عشر في غربي البحر الأبيض المتوسط. وبما أننا نعلم عن وجود العرب بتلك المناطق منذ آلاف السنين قبل مجيء الاسلام. فينتج عنه أن الخطاطين العرب بشمال أمريكا قد جاؤوا هناك من ربوع البحر المتوسط نفسها إذ يستحيل أن يكون أسلوب الكتابة بأمريكا الشمالية قد اخترع على انفراد.

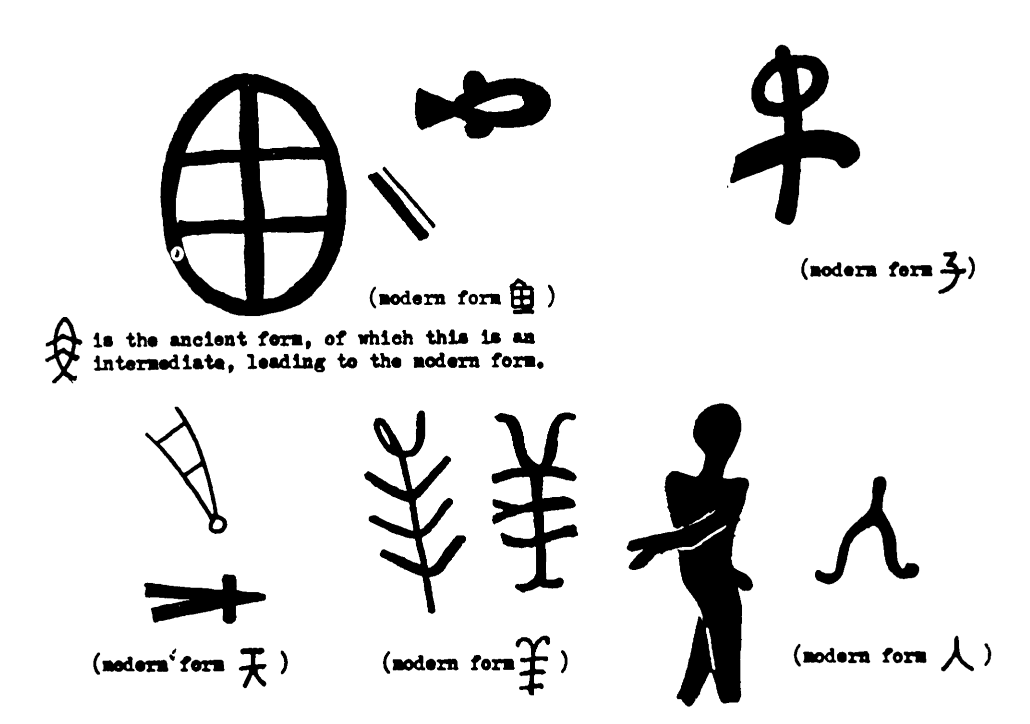
في مايو ١٩٧٩م قدم الدكتور جون بولانسكي (Jon Polansky) بناء على طلبي، البرهان إلى البروفيسور روبرت ف. هايزر. وهو أثرى مرموق من جامعة كاليفورنيا أسفرت استكشافاته عن الكثير من تلك الكتابات. وكما توقعنا، أحس البروفيسور هايزر فورا بواقع تلك النقاط. هكذا وفي الوقت الذي يذهب هذا الكتاب إلى المطبعة، أصبحت نتائجي، على الأقل في كاليفورنيا، ينظر إليها كاستمرار منطقي للأسس الموضوعة في الخمسين سنة الماضية من قبل الأثريين في تلك الجهة من أمريكا الشمالية الغنية بافراط بشواهد ماضينا القديمة. فالى روبرت هايزر وكذلك لهنرولد غلادوين وزملائهم السابقين في الحقول، بروفيسور جوليان ستيوارد واي. رينوه ومارتين باومهوف، نعترف بواجب الشكر على استكشافاتهم المضنية وتدوينهم الأمين للكتابات التي أصبح الآن مفتاحها في متناول أيدينا.



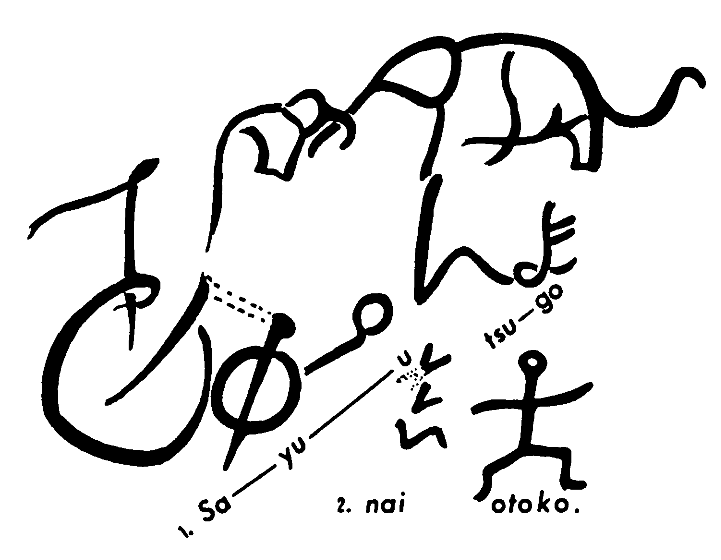

في حين كان العلماء الامريكيون يفضلون الطريقة التجريبية للجلول والتقريب عن طريق النسبة المقياسية للرسوم، حافظ علماء العرب في العالم القديم على الابقاء على معاملة إقليدس Euclid للهندسة وهي اكثر تعقيداً وتتطلب جهداً أكبر. الى أعلى يظهر جزء من شرح ثابت بن قرة لنظرية فيثاغورس Pythagoras في سنة ٨٩٠ ميلادية، عندما كانت أوروبا في بداية خروجها من العصور المظلمة عقب تدمير المكتبات والجامعات من قبل القبائل الهمجية. انظر صفحة ٣٢٦، للاطلاع على شرح عالم نيفادا القديمة لمساحة المثلث.



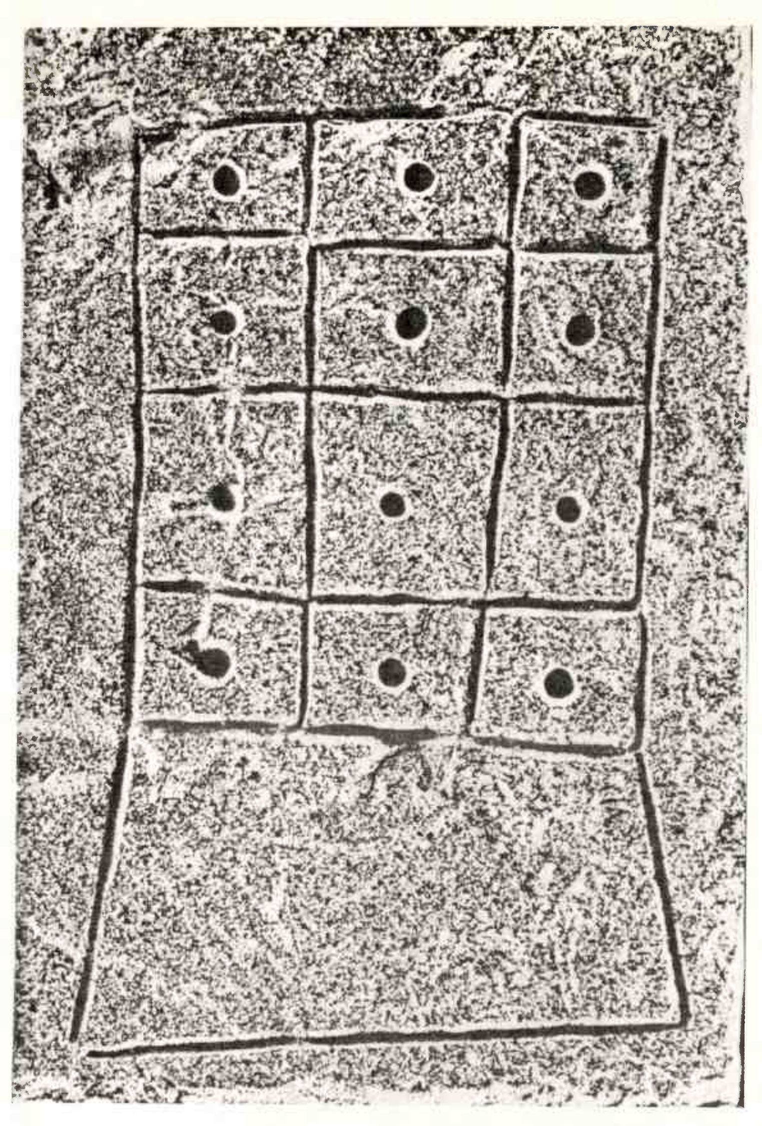

يبدو أن بعض اللغات الأجنبية كان يدرسها الملاحون الشبان حينما كانوا يتدربون للاستفادة منها في خبراتهم في المستقبل فيما وراء البحار. بعض هذه النقوش الحجرية B ، D و E تصور المظاهر البارزة لعملات أسرة هان Han الصينية (من القرن الثالث قبل الميلاد الى القرن الثالث الميلادي) الشكل A ، وأسرة سانج Sung فيما بعد الشكل E .



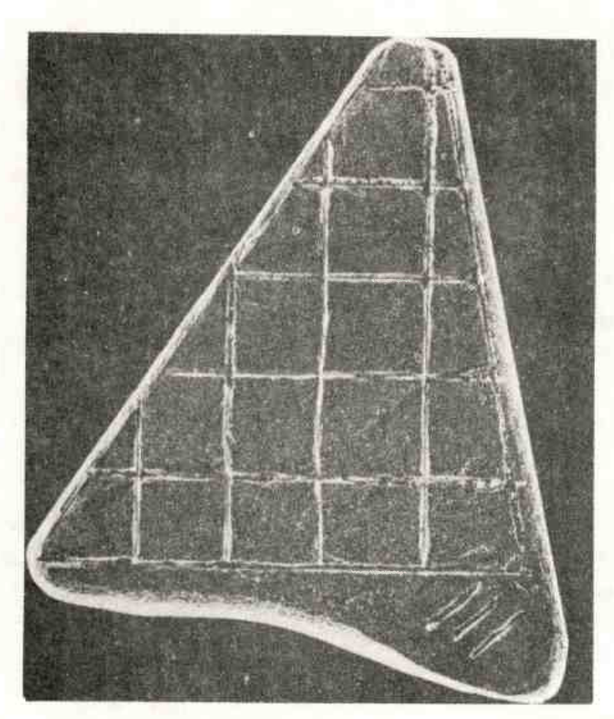

امثلة لصور صينية رمزية من النمط القديم، مع الأنماط الحديثة لأجل المقارنة، عثر عليها في صخرة أتلاتل، بوادي النار، نيفادا، حيث يبدو أن عالما قديما قد عاش أو علم ـ أو أمريكيا كان قد زار الصين. وتبين الرسوم على سمكة، صبي، مذنب، كبش جبلي، ورجل.




حروف يابانية هيراجانية Hiragana، ليست أقدم من القرن التاسع الميلادي، توضح مثلا نيابانيا على جلمود قرب التقاء نهري ادا Ada وسموك Smoke في ايداهو Idaho، عثر عليها وصورها دوجلاس بليزارد Douglas Blizzard، رئيس جمعية البحث عن المواقع القديمة Early Sites Research Society، في سنة ١٩٤٦. «القوة للفيل وليست للانسان». (رسم من صورة قدمها: جيرترود جونسون).



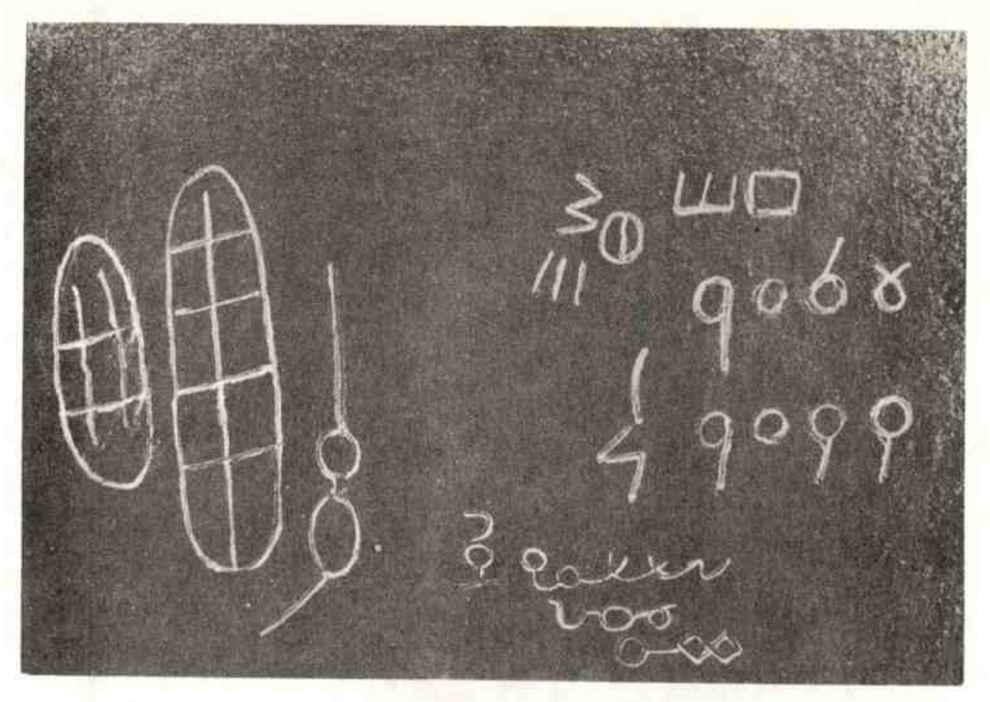
معداد ليبي قديم، عثر عليه منقوشاً على صخرة في كهف بقليب كتبا Gleib Qetba، المغرب. وبامكان هذا المعداد العد حتى ١٢٤. يأخذ العمود على الجهة اليمنى أوتاداً صغيرة لتدخل واحد تلو الآخر في الثقوب، وكل منها يمثل وحدة، وعلى هذا، يعد العمود الأول الى العمود الثاني وتوضع في ثقب واحد، حيث يصل العدد الى ٢٠. وعندما يصل العدد ٢٠، تستخدم جميع الاوتاد الأربعة في العمود الأول لتنتج ٢٤. وعندما يصل الى ٢٥، تنقل جميع الاوتاد من العمود الأول والثاني، وتوضع جميعها في ثقب واحد في العمود الثالث. وعندما يمتلىء العمود الثالث فان المعداد يسجل ١٠٠. وعندما يكون كل وتد في مكان، فان الرقم المسجل هو ١٢٤. لقد اشتق هذا المعداد من عد الأصابع بخمسة كأساس. وفي تسجيل الأعداد كتابة، فان النقط تستخدم كوحدات حتى الى العدد ٤، وتستخدم القشبان للخمسات. توجد اختلافات لهذا النظام في الحسابات البرتغالية القديمة، وفي نقوش نيفادا،.وفي النظام العددي المياني Mayan بالمكسيك. ويبدو أن جميعها تعود الى حوالي القرن الثاني الميلادي. (جامعة دي لا لاجونا Universidad de la Laguna، متحف النقوش، النموذج المطابق، تصوير: بيتر ج. جارفل).



لقد درست الهندسة الأساسية في مدارس نيفادا القديمة عن طريق النهج التجريبي. وفي هذا النقش الحجري، وهو أيضا من موقع -لاجومارسينو (ويبدو انه كان مكاناً لمركز رياضي) يظهر مثلث بارتفاع ٦ وحدات وقاعدته ٥ وحدات. ويمكن تقدير مساحته من خلال حساب المربعات الكاملة مضافاً إليها اجزاء المربعات التي هي مساوية للنصف أو أكثر منه، حيث ينتج ١٥، ويوضح ذلك بثلاثة قضبان عند القاعدة اليمنى للمثلث (كل قضيب يمثل ٥). إن هذا البناء هو شرح ابتدائي لنظرية اقليدس «مساحة المثلث تساوي ٢/١ القاعدة مضروباً في الارتفاع». (نموذج مطابق من متحف النقوش، تصوير: بتير ج. جارفل).

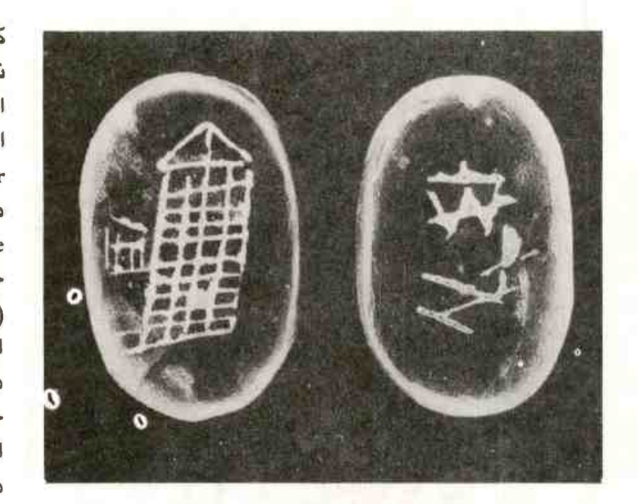



تبعث الرياضيات الاميريكية القديمة مرة أخرى لطلبة في منهج دراسي حول الانماط القديمة للفكر قدم في كلية ماونت هوليوكي Mount Holyoke. (الى اليسار) الاستاذ ستيفن هـ. ديفول، مارتا ل. هادزي Martha L. Hadzi مع فيل Fell طلاب يعملون في نموذج خشبي كبير لمعداد منقوش على نحاس ثم العثور عليه في اكوادور. إن لهذا النمط من المعدادات الذي لم يعرف بعد من شمال امريكا مصرف تخزين للأرقام، ممثلا في كرات رخامية توضع في اكواب على طول الهوامش، بينما تجري العمليات على السطح المربع، على أعمدة تتفق قيمها مع القواعد المستخدمة في النظام العددي المایاني. (يناير ١٩٧٧، تصوير: بيتر ج. جارفل).

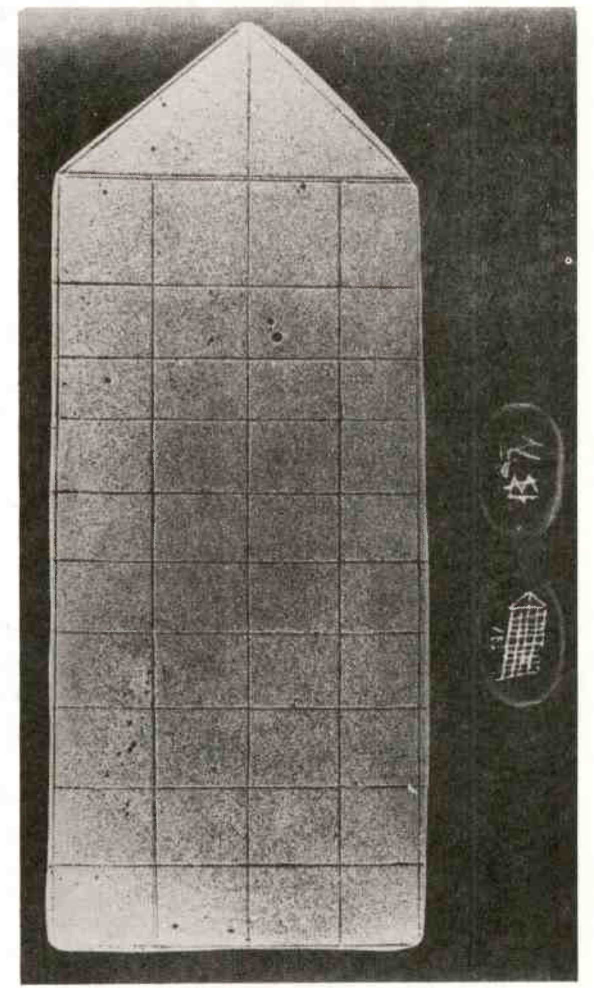


لقد ثورت التدوينات الرياضية في شمال أمريكا في القرن الخامس الميلادي عندما أحضر رحالة نيفادا تدوين النظام العشري السنسيكريت المكتشف حديثاً من الهند. ويظهر في هذا النموذج لنقش حجري رياضي من ماسكير ليك - في شمال غرب نيفاد - تقرير المحصول السنوي عند الذرة (يبدو انه يزرع في موقع منخفض الى حد ما) بالخط الليبي القديم (اللغة العربية) مع أرقام حسابية سنسكريتية. وهذا يوضح أن الارقام الحسابية قد احضرت من الهند مباشرة، حيث أن أشكالها تطابق العلامات الاصلية للتدوينات السنسكريتية، وتختلف الى حد بعيد عن الشكل الذي تبناه العرب في العالم القديم، والذين عن طريقهم - في فترة لاحقة جداً - تحصل الاوروبيون على النظام الحسابي العشري الاول، خلال القرن الحادي عشر الميلادي. وعلى هذا، فان علماء الرياضة الامريكيون كانوا يسبقون معاصريهم من سكان البحر المتوسط، بحلول ذلك الوقت.

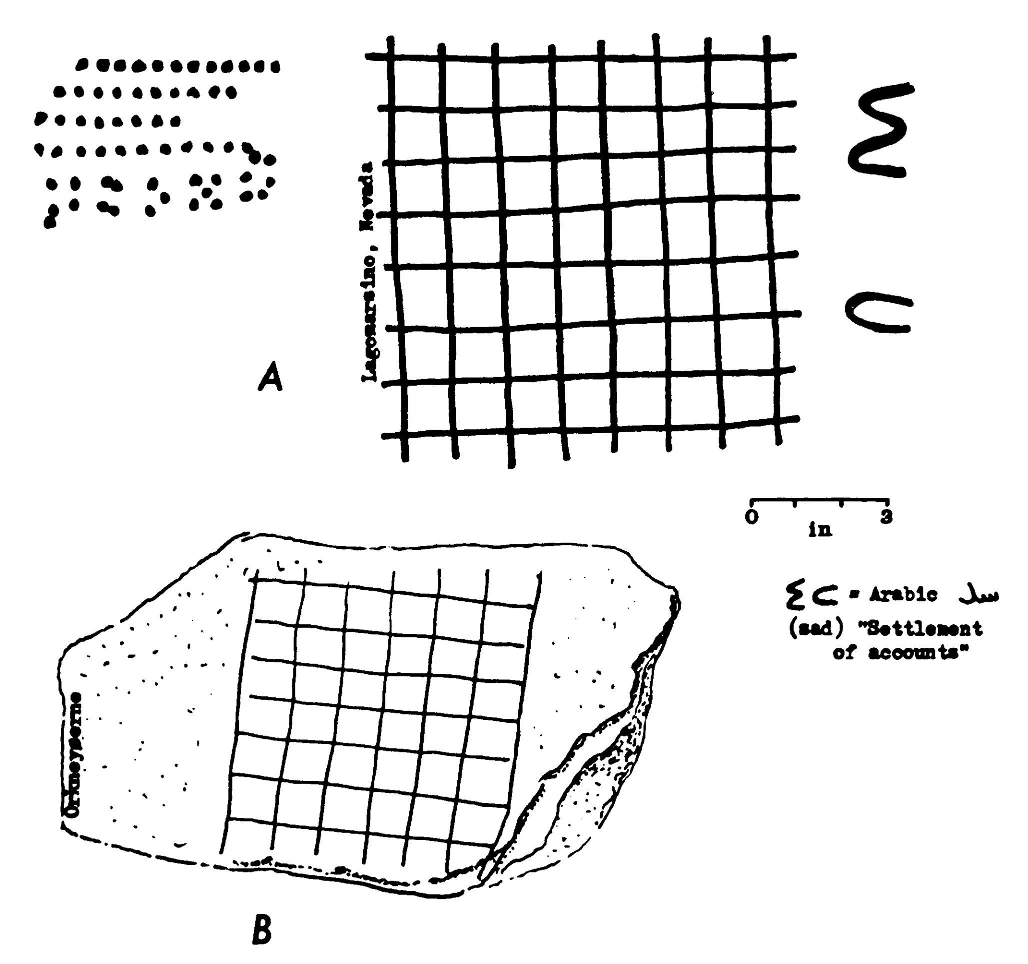
إن تفسير هذا النقش كما يلي: الى اليسار نقوش تصويرية من بلينز Plains (داكوتا Dakota) للذرة، مع الحروف الليبية التي تقرأ عموديا S-N (الانتاج). الى اليمين (أعلى الحروف بالاعداد السنسكريتية ٩٥٠٧٤. ويقرأ السطر التالي Yana (جنى) متبوعاً بالعدد ٩٥٠١١. الى أسفل، كتب بخط ليبي متصل H-R-M- SH-T T-Y M-R-R R-Z-Q، لتقرأ بمعنى لما قبل الكلاسيكية العربية: «نوضعها جانباً للتخزين لموسم الشتاء، طعام نافع من الرزاق». اما كلمة (razaq) رزاق، فهي واحدة من ٩٩ من أسماء الله الحسنى في الدين الاسلامي، مما يدل على أن النقوش جاءت بعد القرن السابع الميلادي. (متحف النقوش، تصوير: بيتر ج. جارفل).



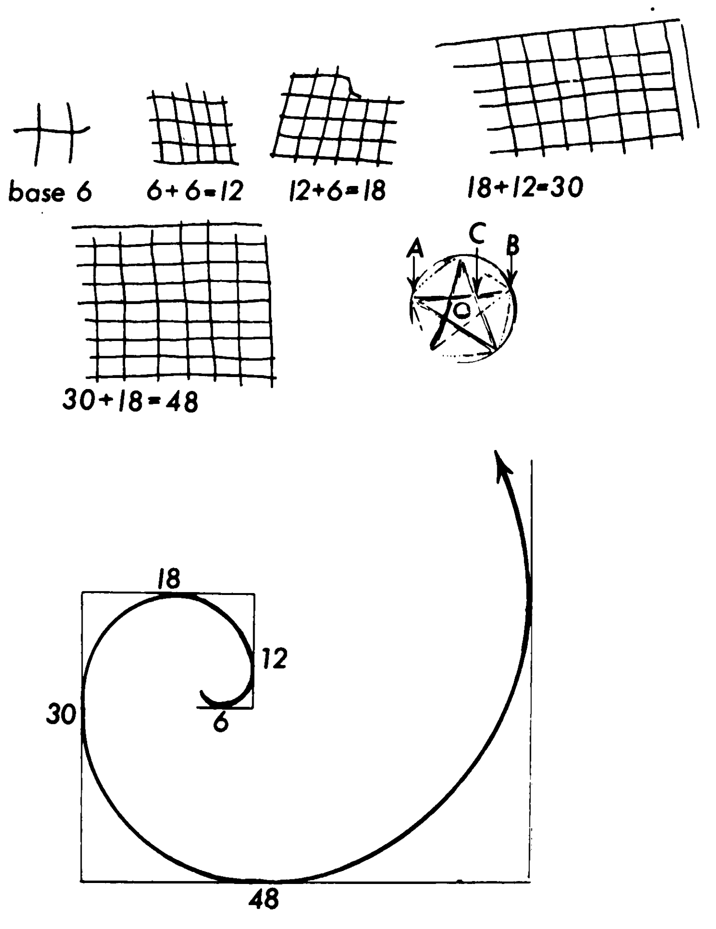
كان تدوين النظام العشري يتطلد
نوعاً جديداً من المعدادات، ا
القاعدة ١٠. وجدت هذا الحاسد
الحصوي، السيدة كاترين كريه
Mrs. Catherine Kramer، في
مقاطعة تيبكانو :ountry
Tippecanoe، بانديانا. ويوجد عا
جانب* حروف ايبيرية I-S-N
(وبالعربية hasun، الحاسد
الحصوي)، على الوجه الآخر رسا
معداد الى القاعدة ١٠، وقادر على العا
حتى ١٩٥٩٩٩، عندما تملأ جمير
المربعات. أما الحصى فهي من صخ
محلي بانديانا. وتعني كلمة ıasun
باللغة الجونكوينية اليوم حجراً أر
حصاة ــ وهذا إن هو إلا مثل لمئات
من الكلمات العربية المستعارة في
اللغات الهندية الامريكية. (متحف
النقوش، تصوير: بيتر ج. جارفل).



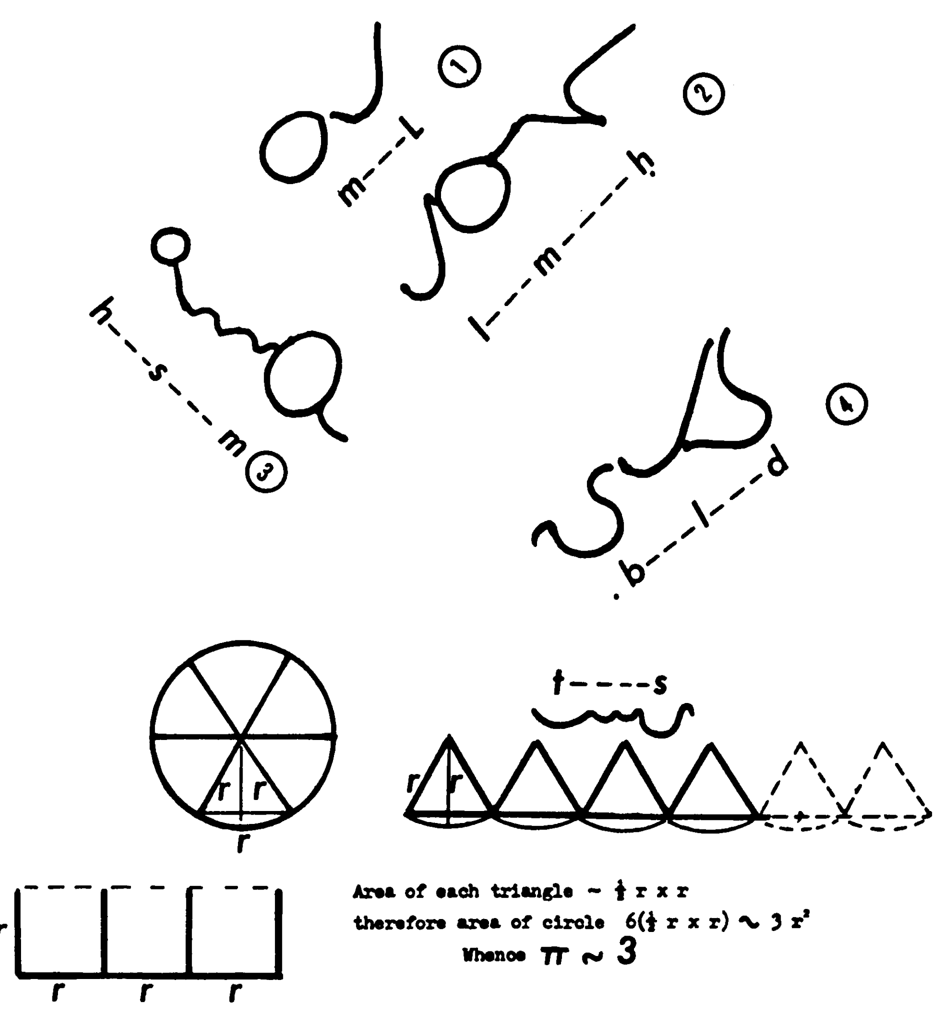
نسخة طبق الأصل لمعداد الى القاعدة ١٠، قادر على العد الى ١٩٥٩٩٩، نسخ مباشرة من نقش على الحاسب الحصوي الموضح الى جانبه (متحف النقوش، تصوير: بيتر ج. جارفل).



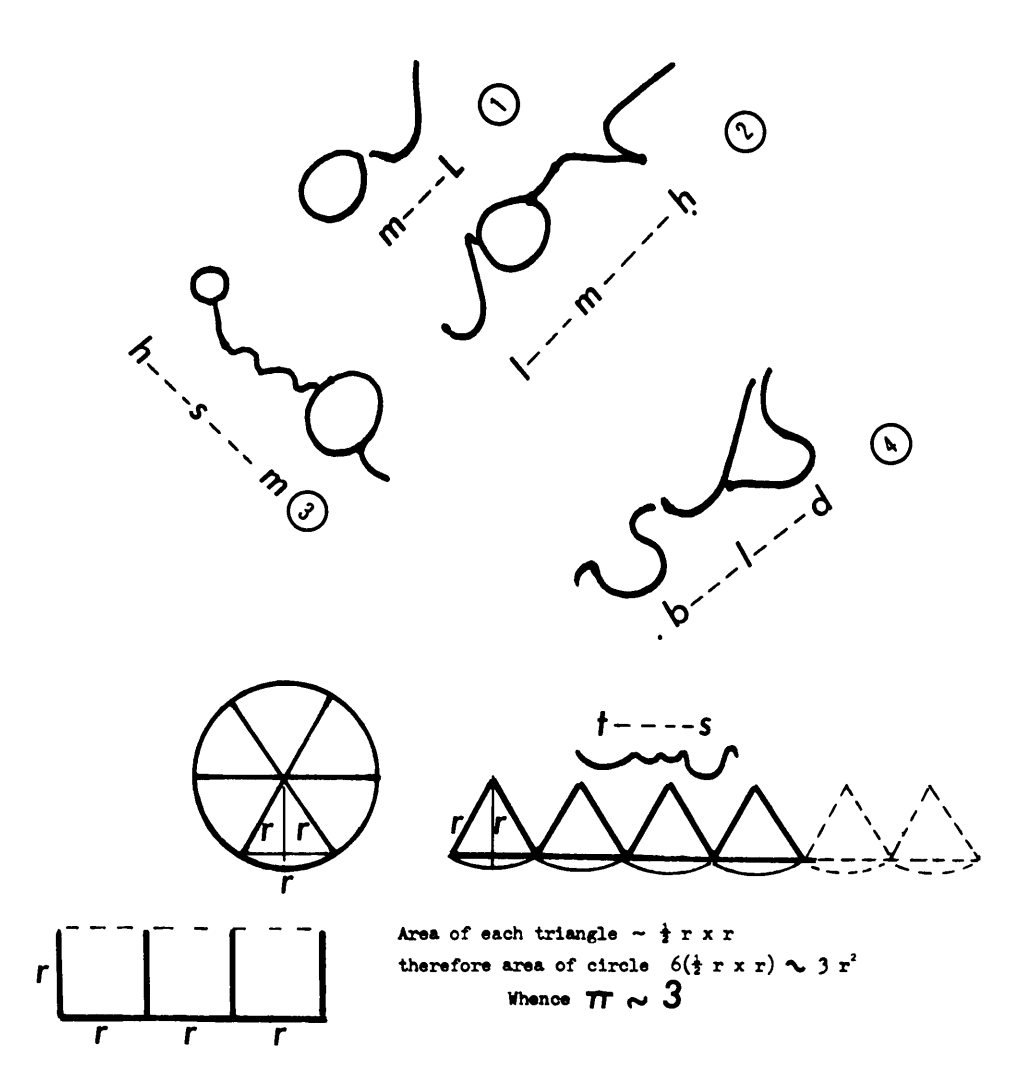

ان المعدادات كثيراً ما يعتقد خطأ بأنها الواح لعب. ففي الشكل A، مشبكة من موقع لاجورماسينو بنيفادا، ويتهجا الحرفان الليبيان على الجانب الكلمة العربية S-D (سد، تسوية حسابات) وعلى هذا فهي تبين بوضوح ان الغرض من المشبكة ان تكون معداداً. ويبدو أن الاجمال كان يظهر عن طريق النقط الى اليسار. ولقد أشير الى مشبكة مشابهة منقوشة على حجر، في جزر أوركني Orkney، ومن موقع نورس بانها «لوحة العاب للفايكنج» إن ذلك ممكن إذ إن رقع الداما توجد في مواقع الاحتلال النورس لا بل إنه كان لها تأثير على التصميمات الخرزية الجونكوينية والاروكوزية (أنظر: الفصل التالي) ولكنه من الممكن أيضاً أن اللوح كان معداداً من نمط معدادات نيفادا..




تعتبر الى حد بعيد أكثر أنماط رقعات الداما التي وجدت بمواقع النقوش في نيفادا صقلا تلك المجموعات التي عثر عليها في موقع و يسكي فلات، رقم Mi-5 من تصنيف جامعة كاليفورنيا، وسجلها هايزير وبومهوف. تقدم المربعات الموجودة في كل واحد من المشبكات الخمس المشتركة تتابعا من الارقام كما هو موضح أعلاه، ويسميه علماء الرياضيات سلسلة فايبوناشي Fibonacci. ومن بين خواصها أنها تنتج، عندما توضع على رسم هندسي كما هو مبين ادناه، شكلا يسمى لولبا لوغارثميا. وكان هذا الشكل معروفا لدى فيثاغورس الذي ربطه بخواص شكل خماسي منتظم (وجد منقوشا كذلك قرب سلسلة فايبوناشي في نيفادا) كما استخدم ايضا في تشكيل منحنى العمود تالايوني. كما تعطي السلسلة كذلك زيادة في تكاثر السكان. وكان فايبوناشي راهبا ايطاليا تنكر في أواخر القرن الثاني عشر كمسلم، بموافقة البابا انوسينت الثالث يلتحق غالبا باحدى الجامعات العربية. ومن بين المواد الرياضية التي احضرها معه عند عودته السلسلة التي سميت باسمه. وتظهر النقوش الحجرية التي عثر عليها في نيفادا بان سكان نيفادا الناطقين بالعربية كانوا ملمين بالرياضيات كما درست في الجامعات العربية في منطقة البحر المتوسط.




يعتبر النقش الحجري بموقع ستيوارد رقم ٢٠٢، المسمى بغناء آثار العصور القديمة في مقاطعة واشو Washoe Country، نيفادا، أقل أهمية نظرية، ولكن له فائدة عملية كبيرة، في بلد كان يفتقر الى حيوانات الجر، ولهذا لم يكن يعرف استخدام العملة على شكل متطور. وهو يقدم بالخط الكوفي العربي طريقة ايجاد مساحة الدائرة. قسمها الى ٦ قطاعات متساوية، ثم أعد توزيعها كما هو موضح بالرسم. ويقرأ النص باللغة العربية dulab Lamma Hamala Misaha (أعد جمعها ثانية للحصول على مساحة الدائرة). ترد عند ذلك المساحة بالنظرية السابقة لمساحة المثلث (صفحة ٣٢٦) كما وصفت أعلاه. وهي تعطي وقت قريب، كانت احدى الولايات الجنوبية من الاتحاد الأمريكي تعترف بالقيمة القانونية لـ «ط» على أنها ٣، وهي أيضاً القيمة المخصصة لهذا الثابت في كتاب العهد القديم التوراة Old Testament.

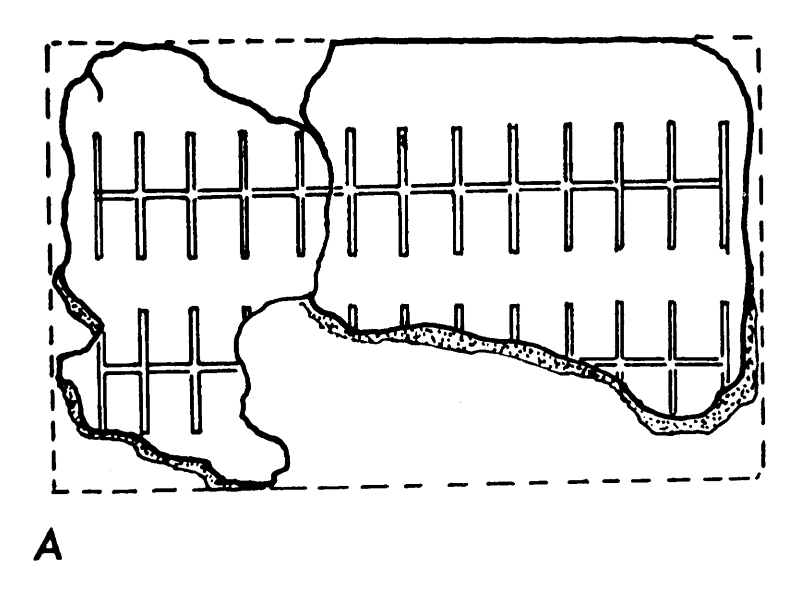

m---L
l---m---h
h---s---m
b---l---d
t----s
r
Area of each triangle ~ ½ r x r
therefore area of circle 6(½ r x r) ~ 3 r²
Whence π ~ 3

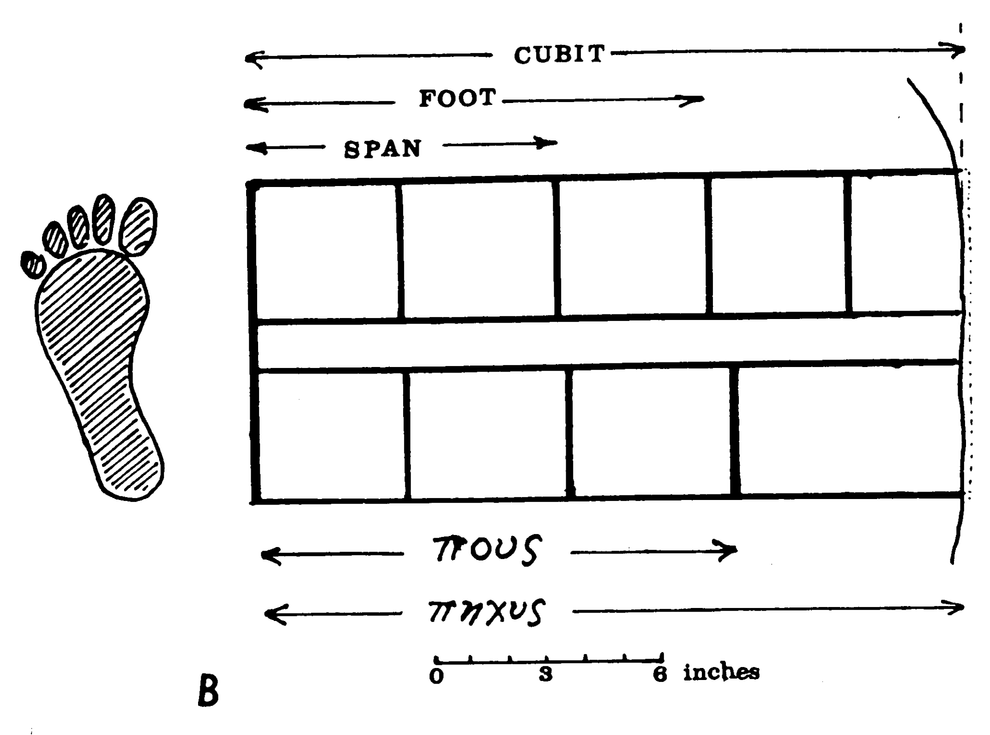
توجد في الولايات الصحراوية الغربية لأمريكا الشمالية آلاف النقوش الحجرية الغربية التي تشبه الشكل العام «الانساني» كما تظهر في الشكل a الى أعلى. ولقد ظل معناها لعشرات السنين غامضاً. بعضها يشبه أشكالا بشرية نحيلة مع توسعات خرزية، وبعضها الآخر له دوائر متحدة المركز ومركبة فوق اشكال كعدان الثقاب. ومعظمها يشوه الجسم البشري بطريقة يتعذر تفسيرها أو تعليلها، مغفلة الأطراف، أولها أطراف كثيرة، أو ملتوية، وكل الأشكال تقريباً لها تثخين يشبه شكل الخرز أو شكل الماس للعمود الفقري. إن السلسلة التي تظهر في الشكل a هي من مجموعة أكبر بكثير جمعها الاستاذ هايزير والاستاذ بومهوف من أماكن متعددة في نيفادا وكاليفورنيا. ومن الممكن تقديم شرح لأصولها كما يلي:

عندما تطور فن الخط في الوطن العربي بعد بزوغ الاسلام وأصبح مطلباً دينياً ان تكتب حروف القرآن الكريم في أبهى شكل، علم المدرسون العرب تلاميذهم التناسب الصحيح للحروف عن طريق الاستفادة من الرسم في الشكل b. ويصور هذا الشكل الحرف ألف (A) مكتوباً بخط النسخ العملي، كما هو مبين الى اليمين. وهناك ٥ ماسات لتساوي ارتفاع الحرف أ، كذلك يجب أن يكون كل حرف من أبجدية حروف النسخ داخل حدود دائرة يساوي قطرها حرف أ. ويسمى مقياس التناسب هذا الخط النسخي.

وفي الشكل c نقش حجري اكتشفه الاستاذ هايزير والاستاذ بومهوف في موقع جامعة كاليفورنيا رقم Wa-35، بنيفادا وهو نسخة مدرس في نيفادا القديمة للخط النسخي منقوش على صخر كان على ما يبدو موقع تدريس. وتعيد نفس العبارة «٥ ماسات تساوي حرف أ»، وكذلك تتطلب مربعاً ونقطاً دائرية لتتمشى مذها. وتمر الدوائر ذات المركز الموحد من خلال مركز النقط الخمس، اذا ما ركبت فوق الدائرة التي يساوي قطرها الحرف أ. وفي الشكل d، الى اليمين، يظهر درس مبسط، قرب بحيرة ماسكير، نيفادا. وهو أيضاً يربط بين النقط الخمس وحرف الألف، بيد أن دقة القسمة تبدو الآن يقل وضوحاً إذ إن الماسات لا تتلامس.

وتبين الأشكال المتوسطة المختلفة بانه عندما طرد السكان القاطنون في الولايات الصحراوية الغربية والمتحدثون باللغة العربية، أو (فروا الى الخارج) في حدود القرن الثاني عشر الميلادي عندما استولت المجموعات الهمجية من الا ثاباسكانيين Athapascan (أباتش Apache ونافاهو Navajo) على أراضيهم، أصبحت مواقع المدارس القديمة اشياء ملفتة للنظر وموضعاً للتبجيل الديني بين الغزاة الاميين. وقبل مضي وقت طويل، بدأ الا ثاباسكانيون وكذلك الشوشونيون Shoshone وغيرهم من الغزاة في تقليد الدروس المدرسية، وحولوا الرسومات الى وحوش خرافية غريبة وأشكال شبيهة بالانسان، وهي من المألوف العثور عليها اليوم.




نقش حجري من نيفادا يعطي القياس الأمريكي للطول الرسمي للقدم، الشبر، والذراع، وهو حسب القياسات بشمال أفريقيا. وهي مسماة بالهيروغليفية عن طريق نقش قدم الى جانب القياسات المحددة. وللمقارنة، الشكل A، الى أعلى، هو أحد القياسات الحجرية المنقوشة للقياس في رصيف ساحة السوق في لبدة العظمى.

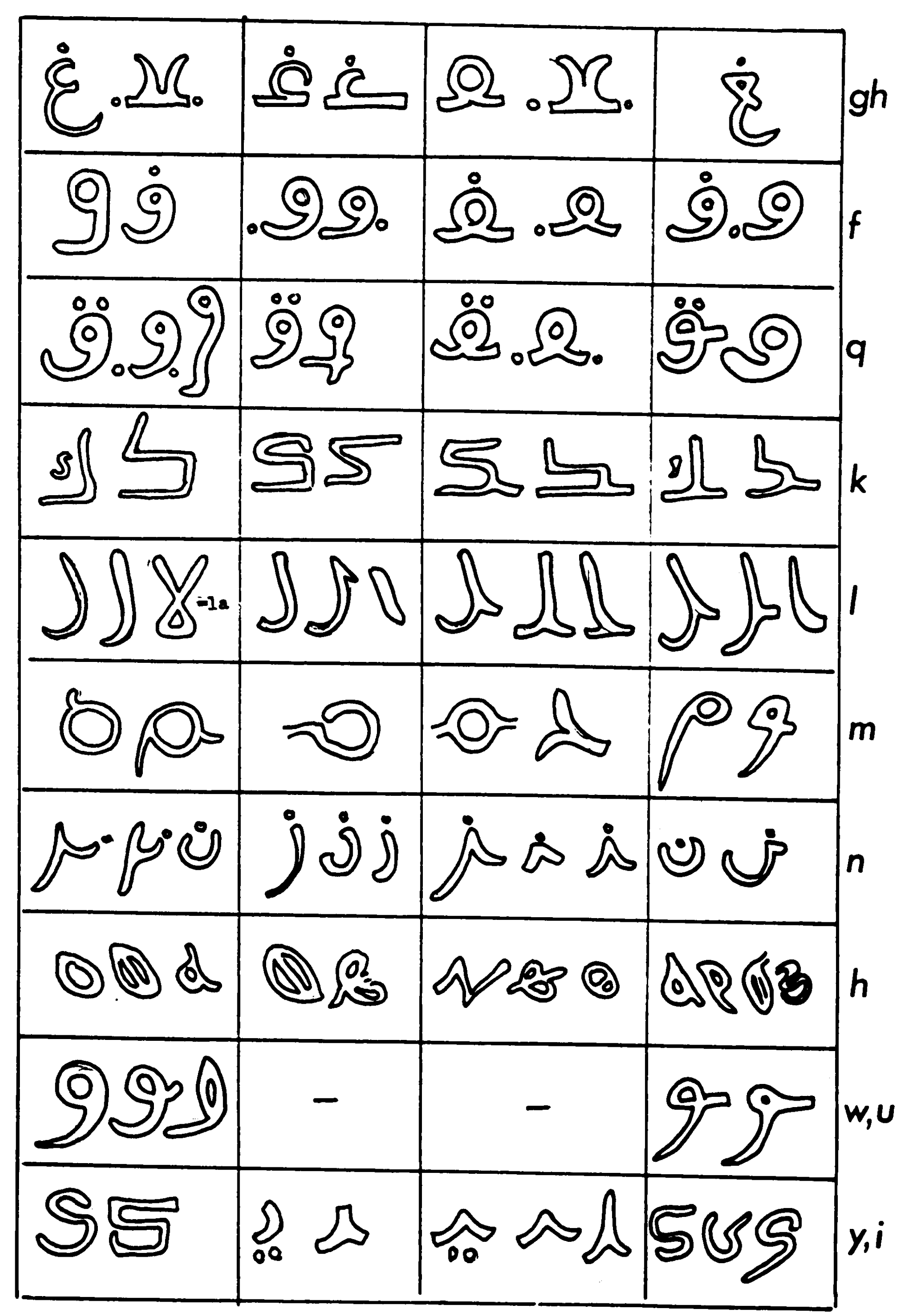
Table of Arabic letters.

| منفصل Isolated | بدء الكلام Initial | حرف متوسط Medial | حرف أخير Final | |
|---|---|---|---|---|
| | | | – | ā |
| | | | | b |
| | | | | t |
| | | | | th |
| | | | | j |
| | | | | ḥ |
| | | | | kh |
| | | | | d |
| | | | | dh |

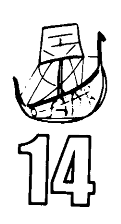
لوحة الحروف العربية.

| منفصل Isolated | بدء الكلام Initial | حرف متوسط Medial | حرف أخير Final | |
|---|---|---|---|---|
| ر ر | ر - | ـر | ـر | r |
| ز ز | ز - | - | ز ـز | z |
| سـ سـ س | سـ س | ـسـ ـسـ س | ـسـ س | s |
| شـ ش | شـ شـ | ـشـ ـشـ | ـشـ ش | sh |
| صـ ص | صـ صـ | ـصـ ـصـ | ـصـ ص | ṣ |
| ضـ ض | ضـ ضـ | ـضـ ـضـ | ض | ḍ |
| ط ط | ط ط | ـط ـط | ط ط | ṭ |
| ظ ظ | ظ ط | ظ ط | ظ | ẓ |
| عـ ع | عـ | ـعـ ـعـ | ع | ʿ |

لوحة الحروف العربية (تتمة).




لوحه تورد الحروف العربية (تتمة).



# 14

# الزوار والمستوطنون الاسكندنافيون

حتى اصدار ثورمود تورفاسون (Thormod Torfason) لكتابه «تاريخ فنلند (Vinland) سنة ١٧٠٥م، كان قليل من العلماء خارج اسكندنافيا قد سمعوا عن رحلات اسكندنافية إلى أمريكا، ورغم ذلك ساد التشكك لمدة قرنين إلى أن بلغ الدكتور س. تي. كاريلي (C.T. Curreliy) وهو مدير متحف أونتاريو الملكي، سنة ١٩٣٠ م، بأنه قد اكتشف سيف غريب مع فأس حرب يوم ٢٤ مايو في بيردمور (Beardmore) بأونتاريو، فلم يضع أي وقت في ارسال موظف من موظفي المتحف للبحث. كان الاكتشاف قد حدث بواسطة جيمس ايدوارد دود (Edward Dodd James) وهو منقب عرت مفجراته الأشياء في دغل من شجر البتولا. وزار الأستاذ مك الراث (Mcllwraith) الموقع مع المستر دود الذي أراه الأثر المصدأ في الأرض حيث كان السيف مردوما، فوجد قطعة من الحديد كانت تغطي السلاحين وكان معهما ترس اندثر ولم يبق منه سوى الزر. فحملت المصنوعات إلى المتحف وبعد الفحص من طرف الخبراء عرف أنها اسكندنافية و يرجع تاريخها إلى الربع الأول من القرن الحادي عشر، أي سنة ١٠٢٥م وكان ذلك زمن أوائل رحلات ليف ايريكسون (Leif Eriksson) إلى «فنلند» ابتداء من سنة ١٠٠٠م وهو عام اعتناق ايسلاند المسيحية.

وكان التصديق. برحلات الاسكندنافيين يزداد و يقل حسب النزوات كنتوراء السناء. في أواخر ١٩٣٠ صدق إلى حد كبير بأن الفيكنغ جاؤوا إلى هنا وأن مخلفاتهم موجودة، ثم في سنة ١٩٤٠م صرح الأميرال صامو يل ايليوت موريسون (Samuel Eliot Morison) من كرسيه في هارفرد أنه لم يكن لكولومبس سابقون ولم يجرؤ أحد أن يخالف هذا القول. وما حان عام ١٩٦١ حتى أصدر متحف اونتاريو الملكي التصريح التالي: «اننا لم نتمكن من تأكيد قصة الاكتشاف المزعوم (أي أشياء بيرد

مور) ولا البرهنة على أن الأشياء من أصل فايكينغي حقيقي» والآن المتحف يرجع تاريخ الاكتشاف إلى سنتي ١٩٣١م أو ١٩٣٢م بخلاف التاريخ الصحيح الذي ذكره مديره الأول.

هناك علماء قلائل اليوم يستبعدون حقيقة الوجود الاسكندينافي في أمريكا والبحوث الآن متجهة إلى تبويب السجلات المرتبكة والناقصة لزياراتهم ومستوطناتهم.

تقول الأساطير الآيسلاندية بأن غرينلاند قد سكنها الآيسلانديون سنة ٩٨٥م وأن ابن المؤسس ليف ايريكسون أقلع في رحلة بعد خمس عشرة سنة حملته إلى أرض جديدة ممتدة في الجنوب الغربي أسماها «بلاد الكرم» وقامت بها مستوطنة، لكن معارضة الأهلين أجبرتهم على هجرها بعد موسم أو اثنين.

فكيف كان الألغونكيون ينظرون إلى الاسكندينافيين كلما لاقوهم أثناء غزواتهم؟ من الصعب كجملة حضارة، أنه لمن الصعب أن نجد اليوم بلدا أكثر تقدما أو أهدأ من الدانمارك أو أضيف من شعب اسكندينافيا اللطفاء الذين قضت حرمي عاما كاملا بينهما سنة ١٩٥٣، لكن أولئك الشماليين أنفسهم ينحدرون من أسلاف غاية في العناد.

أثناء اقامتي بكوبنهاجن تمكنت من تصفح موجز لسجلات كنيسة اسكندنافية جمعها اندريياس نيسن (Andreas Nissen) لصالح كاتدرائية القديس أنسغار (St. Ansgar) وهي وثيقة مفيدة جداً عن انتشار المسيحية في الشمال بين القرنين التاسع والحادي عشر، ولكن فيما بعد، عندما قارنت هذه السجلات الدانماركية بسجلات الكنائس الانجليزية وكاتدرائياتها ظهر واضحاً بعض الاختلافات الغريبة. كانت هناك قضية واضحة، أن اعتناق الشماليين للدين المسيحي لا دخل له بالاقلال من حدة وحشيتهم. وسأوضح المفارقة بمقارنة مجموعتي السجلات ببعضهما البعض.

تروي السجلات الانجليزية عن غارات ضارية من طرف الدانمركيين على كنائس ومدن انجليزية ابتداء من سنة ٧٨٣م لمدة ٣٠٠ سنة التالية. أما السجلات الدانماركية فتقص تنصر الدانمارك المستمر من سنة ٨٢٢م إلى ما بعده، أي منذ أن

أرسل البابا باسكال (Paschal) الأسف ايبو (Ebo) الدانمارك. وفي سنة ٨٣٠م أسس الأسقف أنسغار ابرشيته من مدينة لوند (Lund) في السويد الجنوبية. ومنذ سنة ٩٤٦م كان قد اعتنق المسيحية من الدانماركيين كثرة أجبرت البابا اغابيتوس (Agapitus) الثاني على انشاء أبرشيات جديدة في آرهوس (Aarhus) وفي رايب (Ribe) واشليسفيغ (Schlesvig)، وفي نفس الأثناء قام الدانماركيون بسلسلة موفقة من سبع عشرة غارة على مدن انجليزية وجزروا أهلها. وفي سنة ١٠٠٠م ــ وهي نفس السنة التي رسى فيها ليف ايريكسون على ساحل فاينلاند (بلاد الكرم) للشروع في انشاء المستوطنات الأمريكية المؤقتة الأولى ــ أصبحت جزيرة آيسلاند بأكملها مسيحية بقرار من مجلس النواب المسمى آلثيغ (Althig) وبعد احدى عشرة سنة، أي في عام ١٠١١م هدم الدانمركيون مدينة كاتدرائية كانتربري (Canterbury) في انجلترا وقتلوا ألفيج (Alphege) أسقف كانتربري نفسه. وفي ١٠٥٤م منحت آيسلاند أبرشيتها الخاصة في اسكالهولت (Skalholt) وفي سنة ١٠٦٠م أسست ثلاث أبرشيات أخرى في دانمارك من طرف البابا نيكولاوس (Nikolaus) الثاني وبعد تسعة أعوام حرق الدانمركيون يورك (York) في شمال انجلترا وتركوا ثلاثة آلاف نورماني قتيلا وراءهم وبعد احدى عشرة سنة في عام ١٠٨٠م، أسس البابا القديس غريغوري (Gregory) السابع أولى أبرشيات جزر الفيروس (Faeroes).

يبقى المرء بالانطباع بأن سرعة انتشار كلمة السلام في اسكندينافيا لم يتضح لها أي تحسن في طريقة معاملة الجيران من طرف أهل الشمال. ويبدو أن المجازر المقترفة من أيام الاثنين إلى السبت يمكن الاعتراف بها والحصول على العفو عنها كل يوم أحد تال، الأمر الذي مكن من استخدام القساوسة استخداما كافيا، والذي يبرر ذلك العدد في الكنائس التي بناها الشماليون لأنفسهم، فبقدر ما حرقوا في انجلترا زادوا من مجد المسيح في وطنهم وكثيراً ما زينوا كنائسهم بالغنائم المنهوبة من كنائس الكلت والساكسون.

ولنتناول الآن سجل مستوطنات غرينلاند، وقد جمعه وأعاد بناءه بعض المؤرخين الدانماركيين والنروجيين منه بدأ الجليد القطبي يتراجع في العشرينات من هذا القرن ليكشف عن المستوطنات التي عفا عليها الزمن على الجانب الأمريكي من غرينلاند.

وكانت غرينلاند نفسها قد اكتشفت من طرف ايرك الأحمر (Erik the Red) المنفي في النرويج لقتله بعض أصحاب الملك وقد أنشأ ما يسمى المستوطنة الشرقية على الرأس الجنوبي لغرينلاند وما يسمى بالمستوطنة الغربية على الساحل الغربي في مكان بقرب مدينة غودتاب (Godthaab) الحالية. وخلال بضعة أجيال ازدهرت المستوطنات (وكان الجو ألطف في ذلك الوقت) لدرجة أنه قد قامت ما لا يقل عن ست عشرة كنيسة مبنية بالحجر، تبعها انشاء كاتدرائية في غاردار في الجنوب. وعين البابا باسكال الثاني ايريك غنوبسون (Erik Gnupsson) كأول أسقف لغرينلاند وفينلاند (Vinland) في سنة ١١١٢م مما يدل على أنه في ذلك الوقت كانت هناك جماعات وكنائس على الأرض الأمريكية. وجعلت غاردار مركزاً مستديماً لأسقفية من طرف البابا كاليكستوس (Callixtus) الثاني سنة ١١٢٤م، بينما تحصلت آيسلاند على أسقفية ثانية سنة ١١٠٦م بفضل البابا باسكال الثاني المذكور. والواقع أنه طيلة القرن الأول على الأقل بعد قيام المستوطنات في غرينلاند، استمر الدانمركيون والنروجيون في انزال الرعب والموت والدمار على أهالي انجلترا واسكوتلاندا وايرلاندا السيئى الطالع، ولذا لا يبدو محتملا أن ليف وأتباعه قاموا بدور خدام الله اللطفاء عند نزولهم بالسواحل الأمريكية. فان كان الهنود الأمريكيون «السكريلنغس» (Skraelings) غير مرحبين بهم فأطلقوا عليهم نبالهم فمات بسببها أحد أقارب ليف، فلا يجب أن ينعكس عن ذلك حكمنا على نوع ضيافة الألغونكيين، لأنهم يطبقون ناموسا قديما يعرفه الشماليون جيداً: العين بالعين والرقبة بالرقبة كما هو منصوص عليه في الشريعة الاسلامية.

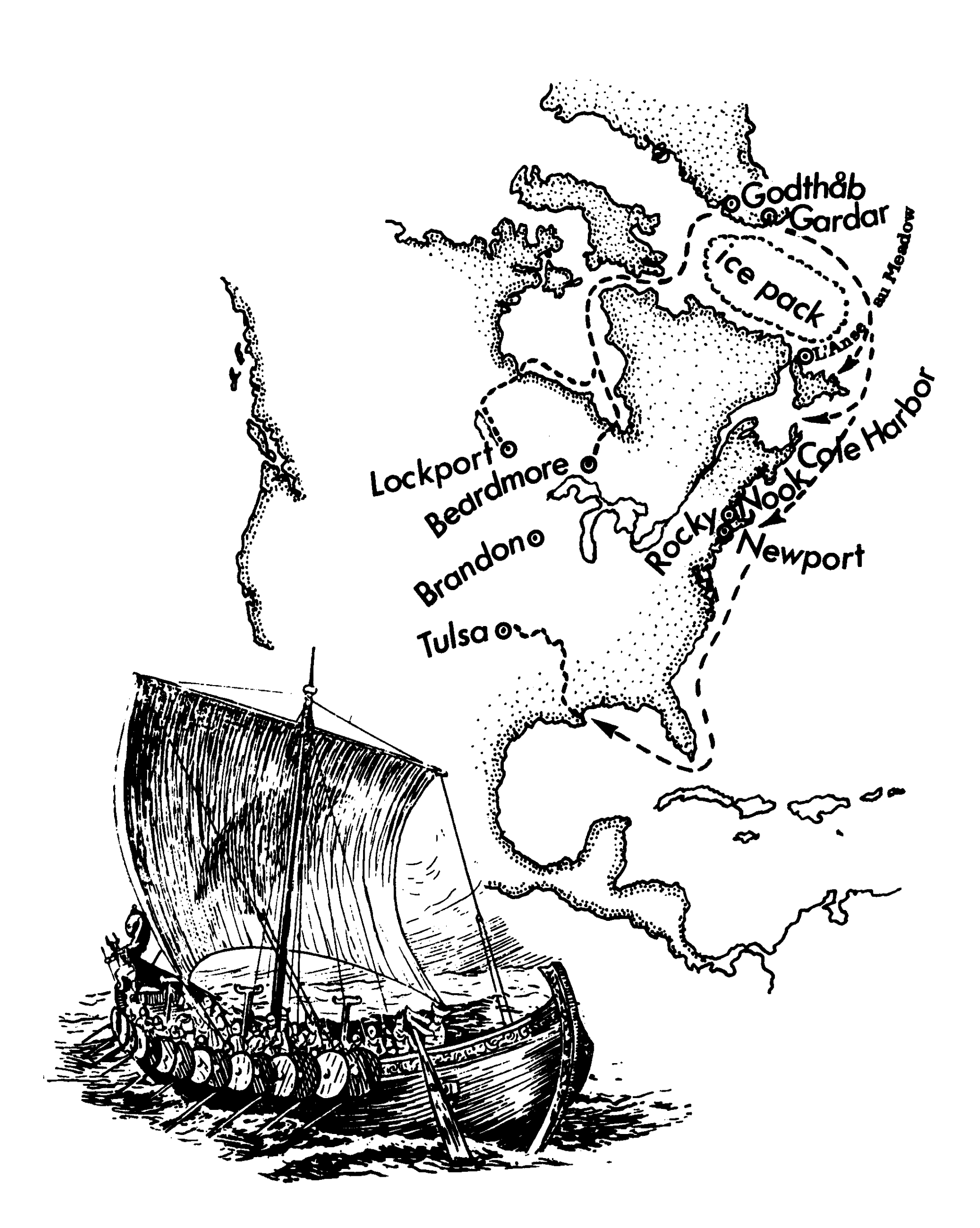
وهكذا، يبدو أن الاتصالات الأولى بين اسكندنافين غرينلاند والهنود الأمريكيين كانت بلا ريب غير ودية، إلا أنه بعد ثلاثة قرون انقلب الوضع، فأصبح الدانمركيون والنرويجيون في الوطن الأصلي مهملين في ارسال سفن الاغاثة إلى مستعمرات غرينلاند، وقام أثناء فترة الفاقه تلك بحارة انجليز من بريستول برحلات متقطعة إلى غرينلاند جالبين معهم بين ما جلبوه التقليعات الأخيرة في بداية القرن الرابع عشر، إذ وجدنا على الجثث في مدافن غرينلاند أثوابا لعلها كانت ترضي الأذواق في قصور أوروبا في القرون الوسطى. وربما انتشر الخبر عن طريق أولئك الزوار الانجليز، وبما وصل حتى روما، بأن أهالي غرينلاند غدوا جد لطفاء مع «الكفار» حتى قيل أن الغرينلانديين اتخذوا عاداتهم الوثنية، ولكن قبل التحري بامعان حول تلك المعلومات، هناك مواضيع تتعلق بالفترة السابقة تلفت انتباهنا. أي ماذا ترتب

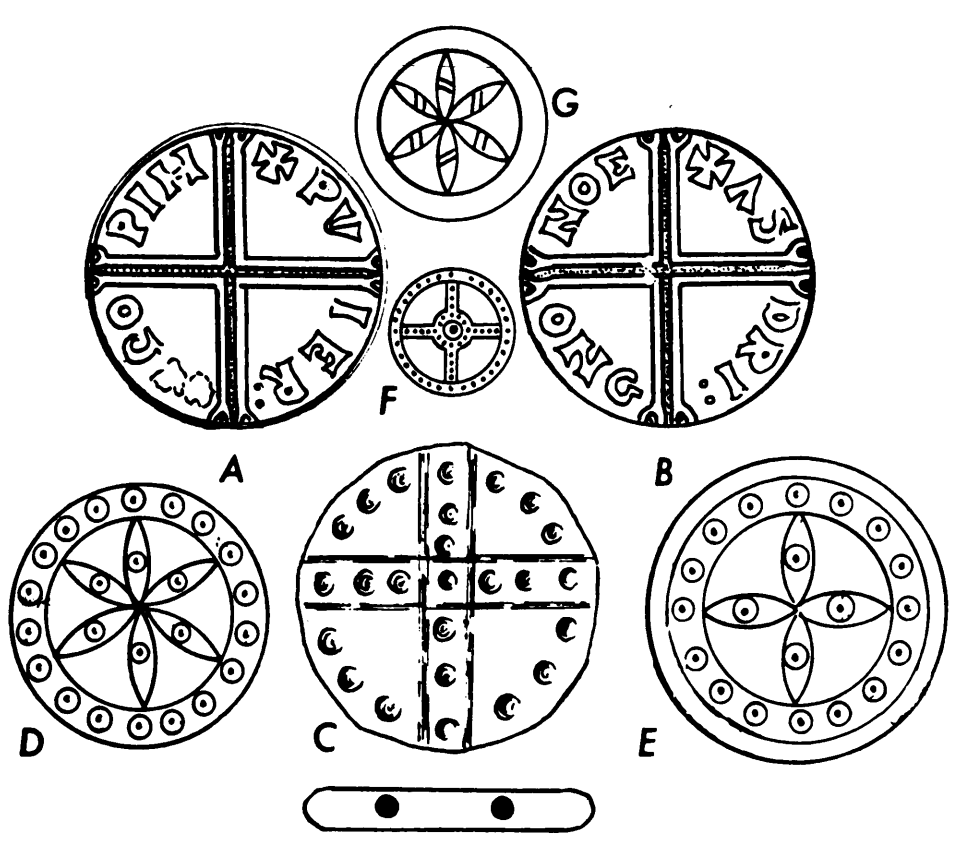
عن أولي زيارات ليف ايركسون لفينلاند (Vinland). هل دامت الاتصالات الأولى للقرن الحادي عشر؟.

ان الاكتشافات في أمريكا وأوروبا تؤيد الرأي القائل بأن زيارة ليف تلتها سلسلة من الرحلات امتدت جنوباً إلى ما وراء المياه الكندية بطول ساحل نيوانجلاند، ثم إلى أقصى الجنوب حول فلوريدا إلى مصب المسيسيبي، ومنه صعدوا على طول النهر ذاته ورافده الأركنساس إلى داخل أوكلاهوما، وامتدت الاتصالات بعدها إلى كولورادو، أما بالنسبة للساحل الشمالي لكندا فقد سارت حول لابرادور إلى داخل خليج هودسون حيث أدى النزول هناك إلى أجزاء من مانيتوبا واونتاربو.

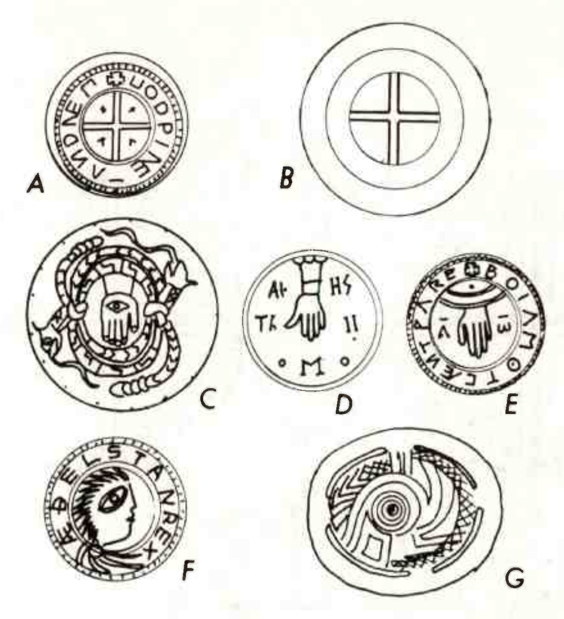
في مطلع سنة ١٩٧٢م أخذت الصحافة الايرلاندية تنقل أخبار اكتشافات خارقة لمئات من القطع القصديرية في بالوعة من القرون الوسطى بدبلن، وقد خرج إلى النور ما يربو عن ألفين من تلك القطع الشبيهة بالنقود، وظن مبدئياً أنها بدائل صغيرة كانت تستعمل في الحالات الايراندية ربما حوالي سنة ١٢٠٠م إذ كانت دبلن قد سكنت من قبل الاسكندنافيين (الذين سرعان ما وقعوا تحت نفوذ الكلت) ولعل هذه البدائل تعكس كلا الذوقين الاسكندنافي والكلتي في الفن بالتساوي
(الصفحة ٢ وهناك أشياء أخرى يرجع تاريخها إلى ما بين سنة ١٠٠٠م وسنة ١٢٠٠م وجدت أيضاً بايرلاندا وتمثل قطع قمار بها رسوم مميزة (الصفحة٢٣٢) زد على ذلك أن مبالغ الرشوة المدفوعة من قبل الانجليز للدانمركيين ليكفوا عن ازعاج السواحل البريطانية بلغت أكثر من خمسين مليونا من الدراهم الفضية
(الصفحة٣٦٧)وهي عملة أصبحت شائعة حيث ذهب الاسكندنافيون ومن ثم أصبحت تستعمل في غرينلاند. والظريف في الأمر هو أننا في أمريكا قد عرفنا منذ زمن رسوم تلك القطع التي ظهرت مؤخراً أنها بدائل عملة وقطع قمار في حين أننا ظنناها ودعا أو حليا صدرية نحتتها قوم الألغونك والأيروكي في الصدف. انني أعتقد أن هذه المصنوعات الأمريكية هي مقلدة محلياً عن بدائل قصديرية وفضية ونقود أدخلها زوار اسكندنافيون في القرن الحادي عشر وبعده.

ولبست هذه الأشياء الوحيدة من ذلك النوع. إذ عندما تم البحث في ركامات تينسي لأول مرة، منذ قرن أو أكثر وجد بها مجموعات معروفة جيداً من الأقراص الصدفية التي دخلت كثيراً من المتحاف، وبها رسومات مميزة بشكل يحمل تفسيراً فرضياً حتى الآن (الصفحة٣٦٨ ) وأعتقد أن هذه أيضاً يجب اعتبارها مقلدات


Godthåb
Gardar
ice pack
L'Anse au Meadow
Cole Harbor
Nook
Rocky
Newport
Lockport
Beardmore
Brandon
Tulsa



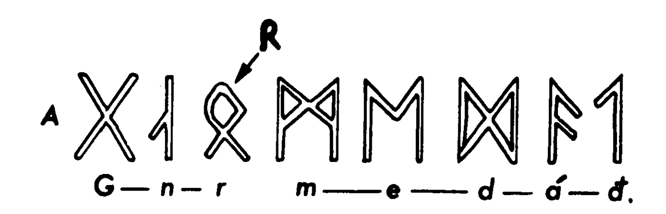

تمثل هذه القطع النقدية الابتزاز الدولي على نطاق كبير (A و B). ضريبة دانجيلد الدانمركية ـ نقود دفعت للدانمركيين للابتعاد عن انجلترا ـ وصلت الى ٥٥ مليون قطعة. حيثما سافر النورسيون أو الدانمركيون كانوا يحملون معهم البنسات الفضية الانجليزية التي حصل عليها من الرسوم السنوية من ايتيلرد. Aethelred الثاني ملك انجلترا. وتكشف السجلات الانجليزية عن ان ما لا يقل عن ٣٧٬٢٠٠٬٠٠٠ بنسا من الفضة الانجليزية دفعت في الفترة ما بين سنة ٩٩١ و ١٠١٢ ميلادية كضريبة دانجيلد الى سفن Sven ملك الدانمرك وأولاف Olaf ملك النرويج. كما دفع في سنة ١٠١٤ ميلادية مبلغ اضافي قدره ١٧٬٢٨٠٬٠٠٠ بنسا الى كنوت Cnut ابن سفن الشكل (B). ولما استقر النورسيون في جرينلاند Greenland وفينلاند Vingad، أصبحت هذه البنسات الفضية «ذات الصليب الطويل» العملة الرئيسية لدى النورسيين. ويبدو ان القطع الاروكوازية والالجونكوينية لصدفات خرزية تقليد لشمال شرق امريكا للقطع النقدية ذات الصليب الطويل (الشكل C). وما زالت تكتشف دفائن من بنسات الملك ايثيلرد المدفونة في الدانمرك اليوم وتباع لجامذي القطع النقدية في انجلترا. ومع تقدم أجهزة الكشف عن المعادن، فان الأمثلة الأمريكية لا بد وأنها ستكتشف قريبا. D و E، قطعتا لعب نورستية وجدتا في دبلن، ويعتقد أن تاريخهما يعود الى القرن الحادي عشر الميلادي. (D و E من Bord Failte، الحكومة الايرلندية).

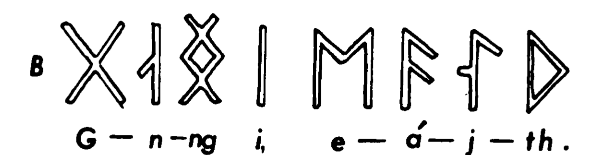


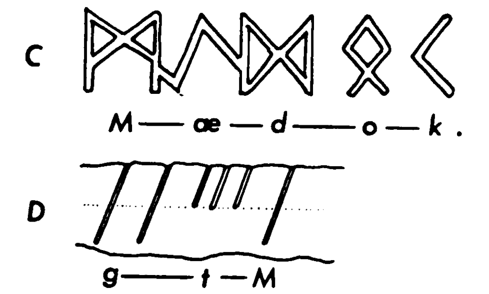

أقراص صدفية منقوشة وجدت في تلال الدفن في شرق الولايات المتحدة، وهي تشبه العملات النورسية المعاصرة لوقت رحلة ليف Leif الى فينلاد سنة ١٠٠٠ ميلادية. A بنس من سفن فوركبيرد Sven Forkbeard ١٠١٢-٩٩٠ ميلادية و B قرص صدفي منقوش من مقبرة في ناشفيل Nashville بتينيسي. أما الشكل C، فهو يد محاطة بثعابين ملتفة تشبه الكتابة المنقوشة النورسية التي تحيط بها ثعابين. D- بنس من عهد أدوارد الأكبر، أما E، فهو من عهد الملك ايثيلرد الثاني، وقد ضرب من أجل سداد ضربة دانجيلد في سنة ٩٩٩ ميلادية، وتدل اليد الالهية على اقتراب نهاية سنة ألف ميلادية C- قرص صدفي منقوش من قرطاج، الاباما، عثر عليه في مقبرة، ومثال مشابه يعرف انه اكتشف في بحيرة واشنطون، الميسيسيبي. F- سنت ايثيلستان Aethelstan، وهو يمثل الكثير من القطع النقدية الساكسونية والنورسية غير المتقنة السك، والتي يبدو أن تصميمها ينعكس في أقراص تل ناشفيل، مثال G.



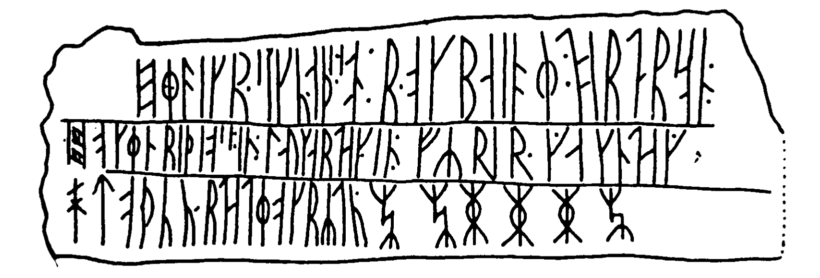
جلوريا فارلي من اوكلاهوما الى جانب نقش على صخرة هيفينر Heavener الضخمة في منتزه الولاية على جبال بوتو Poteau (الصورة من: جلوريا فارلي).



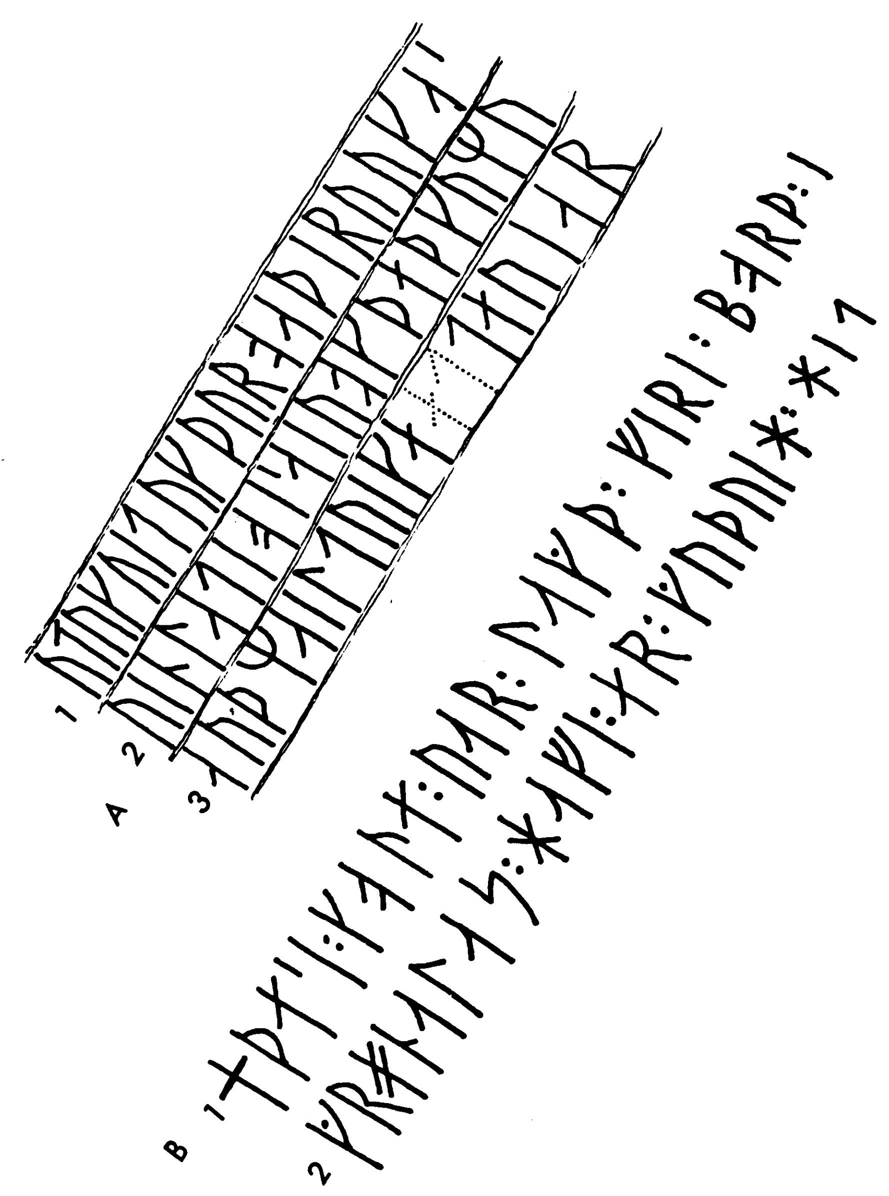




A- نقش هيفينر، نورسية، ولكن المعنى غير اكيد.
B- نقش بوتو، نورسية، ولكن المعنى غير اكيد كذلك.
C- نقش شاوني Shawnee، ويعتقد انه شاهد ضريح، ويقرا مادوك Madok.
D- نقش أوجام، على حجر ويلزي، ويقرأ في اتجاه عكس M-T-G أو Madog. أما أحجار الكتابة المنقوشة بولاية أوكرهوما فهي بابجدية لم يعثر على مقابل لها وبالتالي فهي موضع تحليلات مختلفة. ولا زالت هذه الحروف موضع إشكال.



1. ELIKR·SIKUATHS·SONR·OK·BAINE·TORÐRSON
2. OK·ENRITHI·ONSSON LAVKARTAKIN·FYRIR·GAKNTAG
3. HLOPU·UARDA·TE·OK·RYDU·

الى أعلى: حجر عليه كتابة منقوشة ـ والى أسفل: كتابة حروفها ـ عثر عليه في قمة ركام من الصخور اقيم في كنجيكتورسوك Kingiktorsoak، قرب جزيرة ديسكو Disko، حل بافين Baffin، ويعتقد بانه يسجل رحلة نورسية في القرن الرابع عشر الميلادي. وتقرأ الترجمة: (١) Bjarni Thordarson و Erling Sigvatsson و (٢) Eindridi Jonsson يوم السبت قبل يوم الابتهال (٢٥ أبريل). (٣) رفع الركام وكتب: "DDCCCL" ويوجد الحجر الآن في المتحف التاريخي القومي بكوبنهاجن.



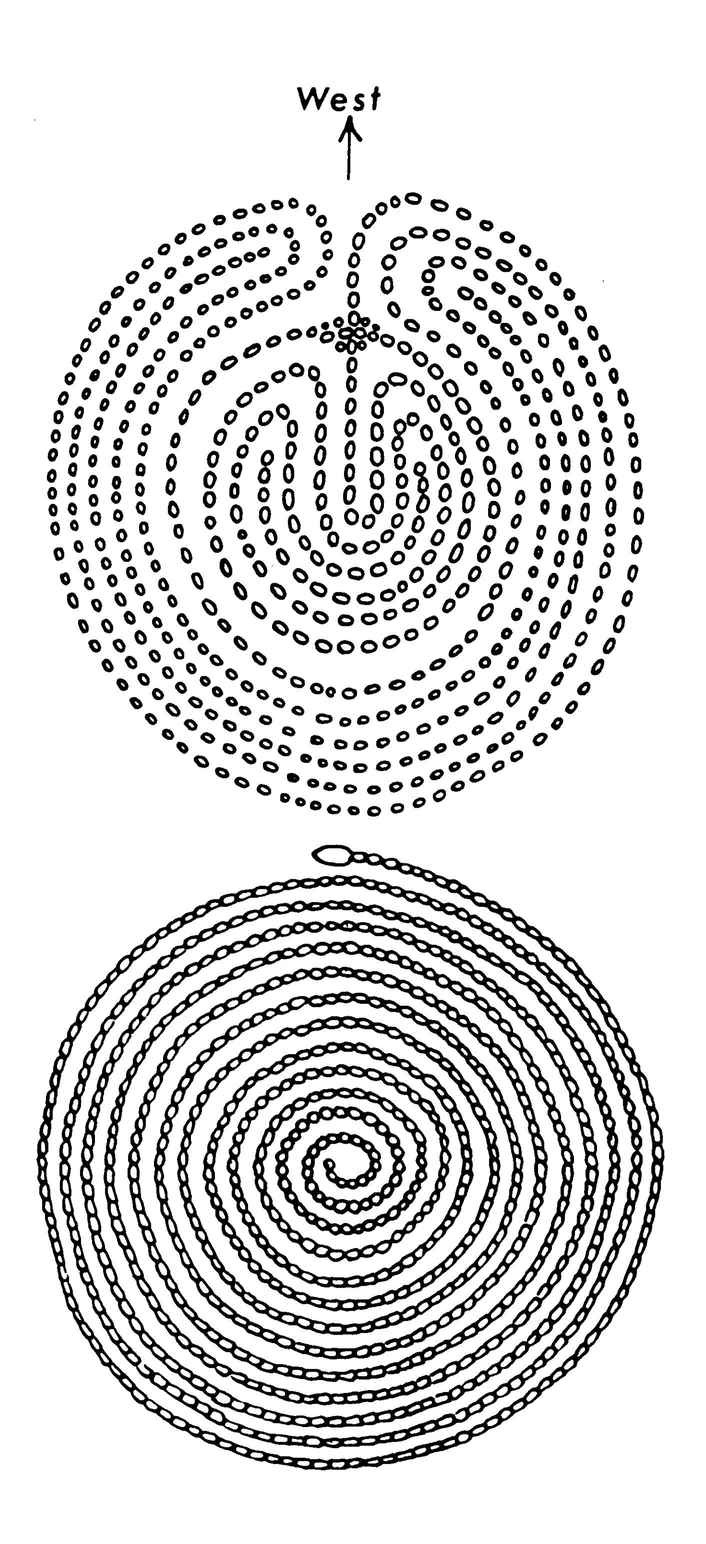

نقشان نورسيان قديمان يشيران الى أمريكا الشمالية وجرينلاند. A- من هونين Hönen، رينجيرايك Ringerike، النرويج، ويعتقد العلماء الاسكندنافيون أن تاريخهما يعود الى القرن الحادي عشر. وتقرأ ترجمتهما (١) «لقد أبحروا بعيداً وعلى نحو واسع بحثاً عن الملابس الجافة والطعام (٢) ووصلوا الى جليد في اقليم فينلاند غير المأهول. (٣) أولئك الذين يحيق بهم سوء الحظ يموتون صغاراً » B- وجد منحوتاً على لوحة خشبية في تابوت فارغ في هيرجولفسنيس Herjulfsnes، بجنوب جرينلاند، ويشير الى أن صاحب التابوت اقتضى الأمر دفنه في البحر. (١) «إن هذه المرأة قد القيت من المركب الى (c) بحر جرينلاند. وكان اسمها جوثوية Guthwih (Gudvig)». سوفوس بوجي Sophus Bugge (١٩٠٢) وأولاف ستراندوولد Olaf Strandwold (١٩٤٨).

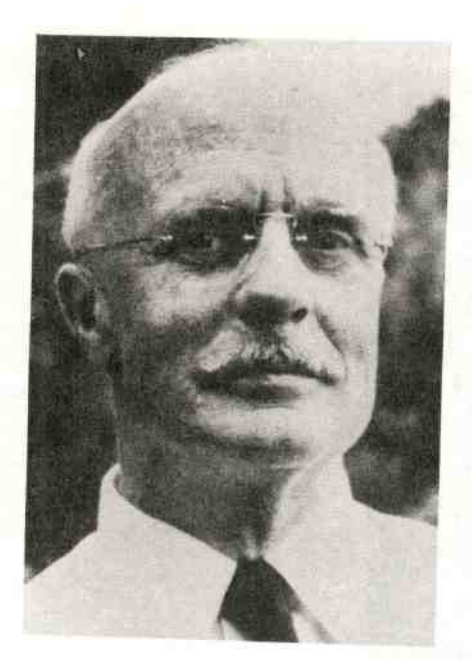


نـقـش حـجـري يـصـور رأس تـمـثـال مـنـحـوت في مـقـدم سـفـينة فايكنجية سجله الاستاذ إ. ب. رينود Renaud E. B. في سـنـة ١٩٣٨ مـن مـوقـعـه N.M.224 في أعـالي نـهـر ريـو جـراندي Rio Grande، نيو مكسيكو.

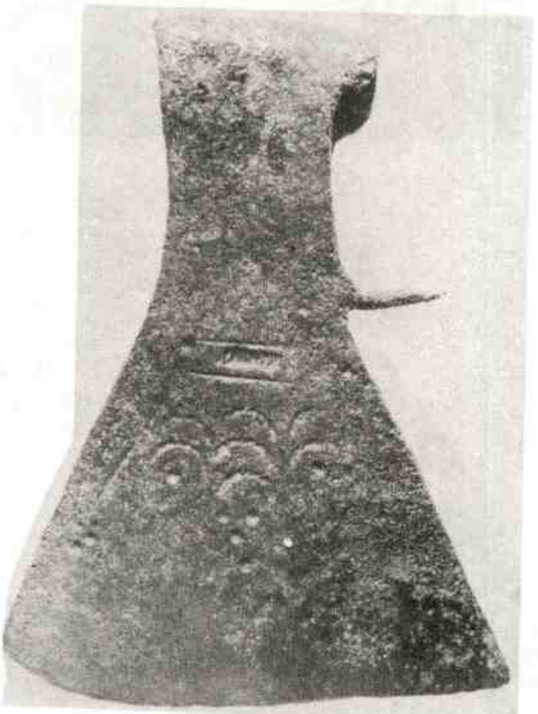
الـصـفـحـة الـتـالـيـة إلى أعلى: في جـزيـرة جـوتـلاند Gotland في البحر البلطيقي، عثر على هذه المتاهة منقوشة على جلمود في تروجابورج Trojaborg، وهي على ما يبدو قد أنشئت على نمط متاهة كنوسوس. لقد كانت جزيرة جوترند مركزاً تجارياً هاماً في العصور الكلاسيكية، وعثر على آلاف الـقـطـع الـنـقـديـة القديمة في ترابها. ولعل المتاهة قد أنقشت على نمط احدى القطع الـنـقـدية من كنوسوس. ومن الممكن أن المتاهة اللولبية الجلمودية قرب لوكبورت، مانيتوبا، هي بمثابة تذكر مرتبك لمتاهة من نمط تروجابورج أقامها فايكنج فينلاند.

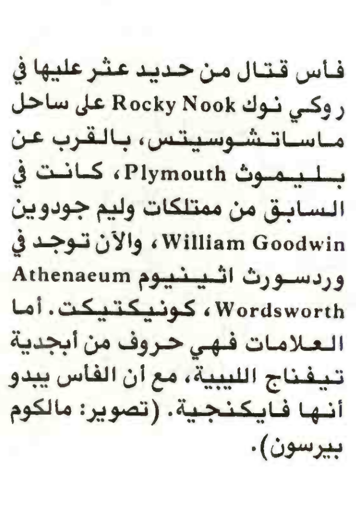
الـصـفـحـة الـتـالية إلى أسفل: ثعبان طوله ٢٠٠٠ قدم، ملتو ليشكل لولباً طول قطره ١٠٠ قدم. تـوجـد مـتـاهـات عـديـدة بـنيت بالجلمود في السويد، لابلاندا، فنلندا وايسلاندا. يعود تاريخ بـعـضها إلى العصر البرونزي، أما تاريخ البعض فليس معروفاً حتى الآن. (وهناك أثر معاصر مـشـابـه هـو الـخط الجلمودي المبيض الذي يذلم الدائرة القطبية في السويد). أما في بريطانيا فـان المـتـاهـات كانت تقدم عادة عن طريق رفع التراب، وعلى هذا فقد دمر الكثير منها نتيجة لأعـمـال الـحـرث. ولا يـعـرف الـغـرض مـن هذه المنشآت. وتوجد متاهة جلمودية عرضها ١٠٠ قدم، وهـي تـشـبـه المـتـاهـة المـوضـحـة على الـصـفـحـة المـقـابـلـة، بين بوسيجور Beauséjour ولوكبورت، مانيتوبا. (الرواية: بيتي نيكرسون Betty Nickerson، أوتاوا).


West



فـريـدرك ج. بـوهـل J. Pohl Frederick مـن نـيـويـورك، المؤرخ البـارز لـعصر الفـايكـينـج بأمريكا وصاحب خمسة كتب تتناول رحلات الفـايكـنـج ومستوطناتهم وله كتاب آخـر حـول رحلة الأمير هنري سنكلير مـن جـزر أوركـينـز Orkneys سـنـة ١٣٩٨. ومنذ ان شرع بوهل في التأليف عـام ١٩٤٢ لاحظ ان مـوقـف مـعـظـم المؤرخـيـن قـد تـحـول مـن الـشـك في الـثـلاثـيـنـات والأربذينات الى القول الصريح.





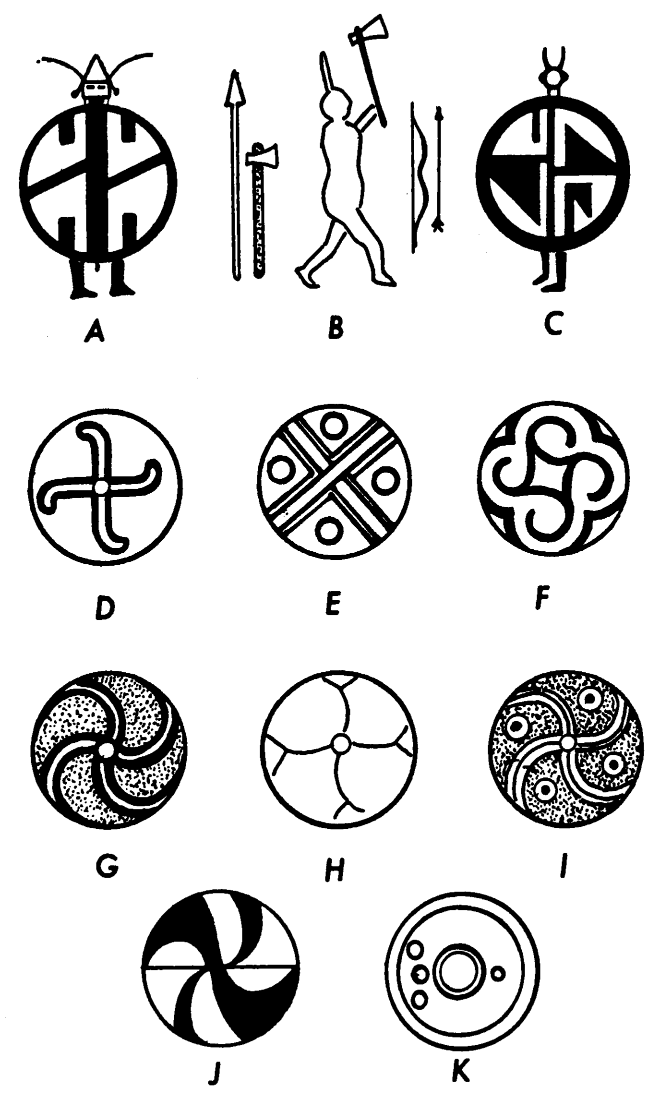
فـاس قـتـال مـن حـديـد عـثـر عليها في روكـي نـوك Rocky Nook على ساحل مـاسـاتـشـوسـيـتـس، بـالـقـرب عـن بـلـيـمـوث Plymouth، كـانـت في الـسـابـق من ممتلكات وليم جودوين William Goodwin، والآن تـوجـد في وردسـورث اثـيـنـيـوم Athenaeum Wordsworth، كـونـيـكـتـيـكـت. أمـا الـعـلامـات فـهـي حـروف من أبجدية تـيـفـنـاج الليبية، مع أن الفأس يبدو أنـهـا فـايـكـنـجـيـة. (تصوير: مالكوم بيرسون).



سجل الاستاذ إ. ب. رينود، خلال سنة ١٩٣٨، هذا النقش الحجري لمحارب مستخدماً فاس قتال يبدو أنه أحد الفايكنج في موقعه N.M.51 بوادي ريوجراندي، نيو مكسيكو. (النسخة من متحف النقوش، تصوير الدكتور جوليان فيل).



فاس قتال حديدية أخرى، ويبدو من الواضح انها من أصل ليبي أو فايكنجي، وجد في ميناء كول Cole، نوفا سكوشيا، وفيما بعد في مجموعة وليام جودوين، وتوجد الآن في وردسورث اثينيوم، كونيكتيكت. (تصوير: مالكوم بيرسون من صقل قام به نفسه).




A، B، C- نقوش حجرية في كولورادو يبدو أنها تصور الفايكنج وأسلحتهم. لاحظها وسجلها الاستاذان إ. ب رينود وجوليان ويلارد Julian Willard. أما D، E، F- فهي تروس قتال مستديرة جلدية لقبيلة بيما Pima، أريزونا، المعهد السميثسوني. G، H، I- تروس قتال ليبية مشابهة رسمت بفسيفساء شمال أفريقيا، فيل Fell. و J، K- تروس قتال تعود الى المحاربين النورسيين الأوائل، رسمت بالكتابة التصويرية على نصب تذكارية في جوتلاند، السويد.

أمريكية لنقود أدخلت في الأصل مباشرة بعد سنة ١٠٠٠م، ومن ثم تكون مجلوبة من قبل ليف وخلفائه. أن النقود القديمة الموجودة في أمريكا تحمل في غالب الأحيان ثقبا في طرفها لتعلق كالقلادة ويكون الثقب في مكان يجعل الرسم في الوضع الصحيح عند تعليق القلادة. وربما استعملت نقود القرون الوسطى لذلك الغرض وعندما انقطع الاستيراد عمد فنانو الهنود الحمر لصنع نسخ محلية من الصدف.

يمثل أحد الرسوم المميزة يدا محاطة باطار دائري مكون من ثعبانين (ثعابين الأجراس) وكانت الرسوم الأسكنديناقية (ونقوش المدافن) مطوقة بثعابين متماسكين. أما رسم اليد فيعود لعام ١٠٠٠م إذ بثت اشاعات باقتراب سنة ٩٩٩م في أوروبا بانه قد حان آخر عام في عمر العالم، فقيل أن سنة ألف الداخلة كانت مقررة لقيام مملكة الله وأن الموتى سيبعثون ويحاكم المذنبون ويدخلون نار جهنم الأبدية.

واكتشف بعض الرهبان ذوي النوعية التجارية الفائقة بأن البارونات الأغنياء وغيرهم من الملاك كانوا مستعدين للوصول مع الكنيسة لتسوية بالتنازل عن قطع كبيرة من عقاراتهم لصالح الأديرة المحلية مقابل الصفح الذي يحتاجون إليه عن ذنوب قديمة. وقد اندهش الجيولوجي لييل (Lyell) مثلا أثناء رحلته عبر صقلية في بداية القرن التاسع عشر من كثرة عدد الأوقاف التابعة للأديرة الراجع تاريخها لسنة ٩٩٩م وعند استقصائه الأمر عرضت عليه حجج الملكية التي تبتدىء جميعها بلا اختلاف بالعبارات «لما كانت نهاية العالم وشيكة» (باللاتينية Munde Termino Appropinquante) «لما كان يوم القيامة الكبرى وشيكاً» (باللاتينية Macno Judicii Appropinquante Die) وقد زاد اغراء المتقين من قبل مصدري العملة (عادة الأساقفة) بسك نقود عليها يد الله ممتدة من قبة السماء.

وهكذا، أني وجدت نماذج كالتي وصفناها منحوتة على قرص في الأكوام الأمريكية أو مستعملة في العقود أو القلائد من طرف القبائل الشرقية من الهنود الحمر، فاني أميل إلى ربطها بدخول النقود والبدائل المسكوكة حوالي سنة ١٠٠٠م والتي انتقلت إلى أمريكا في أكياس نقود الأسكنديناقيين. وقد استقر الكثير من الشماليين في انجلترا واسكوتلاندا وتزوجوا من بنات السكسون والكلت وكونوا

عائلات بريطانية كثيرة لا زالت تحمل أسماء اسكاندينافية. فهل هناك ما يمنع الاسكندينافيين بأمريكا الشرقية من أن يفعلوا مثلهم؟ ربما لا يوجد، فان هنود الشمال الشرقي ذوي العيون الزرق الذين لاقاهم العديد من المستكشفين الأوائل والجثث ذوات الرؤوس الشقراء الذين عراها «الحجاج» (Pilgrims) عندما نقبوا في الأكوام بقرب بليموث (Plymouth) والأقوام ذوي البشرة البيضاء برود أيلاند (Island Rhode) الذين أعجبت بهم طواقم البحارة الايطاليين بعد ثلاثين سنة من رحلة كولومبوس.وربماكانوا جميعاً سليلي الاسكندينافيين كما ألمح بعض الكتاب.

ومع أنه ليس من المتيسر كشف أي ذكر للأحداث في الأساطير الباقية، إلا أنه يبدو أن أولئك الشماليين الأوائل قد أبحروا نحو الجنوب الى خليج المكسيك وصعدوا نهر المسيسيبي. إذ أنه بعد أن عمرت أوكلاهوما من طرف الشيروكي المرحلين وغيرهم من القبائل الشرقية في مطلع سنة ١٨٠٠م اكشتفت نقوش غريبة على الصخور. فزف الخبر إلى المعمرين الأوروبيين الذين قبلوا فيما بعد داخل الأراضي الهندية وقاموا هم بدورهم بارشاد أبنائهم وأحفادهم إلى الكتابات. ومن بين هؤلاء غلوريا فارلي. فانها، وهي تستحضر في كبرها ما رأته في الصغر، ولم تجد من يتذكر موقع الكتابات، اعتزمت القيام باستكشافها. واتضح أن الحروف الغربية كانت رونية الأصل.

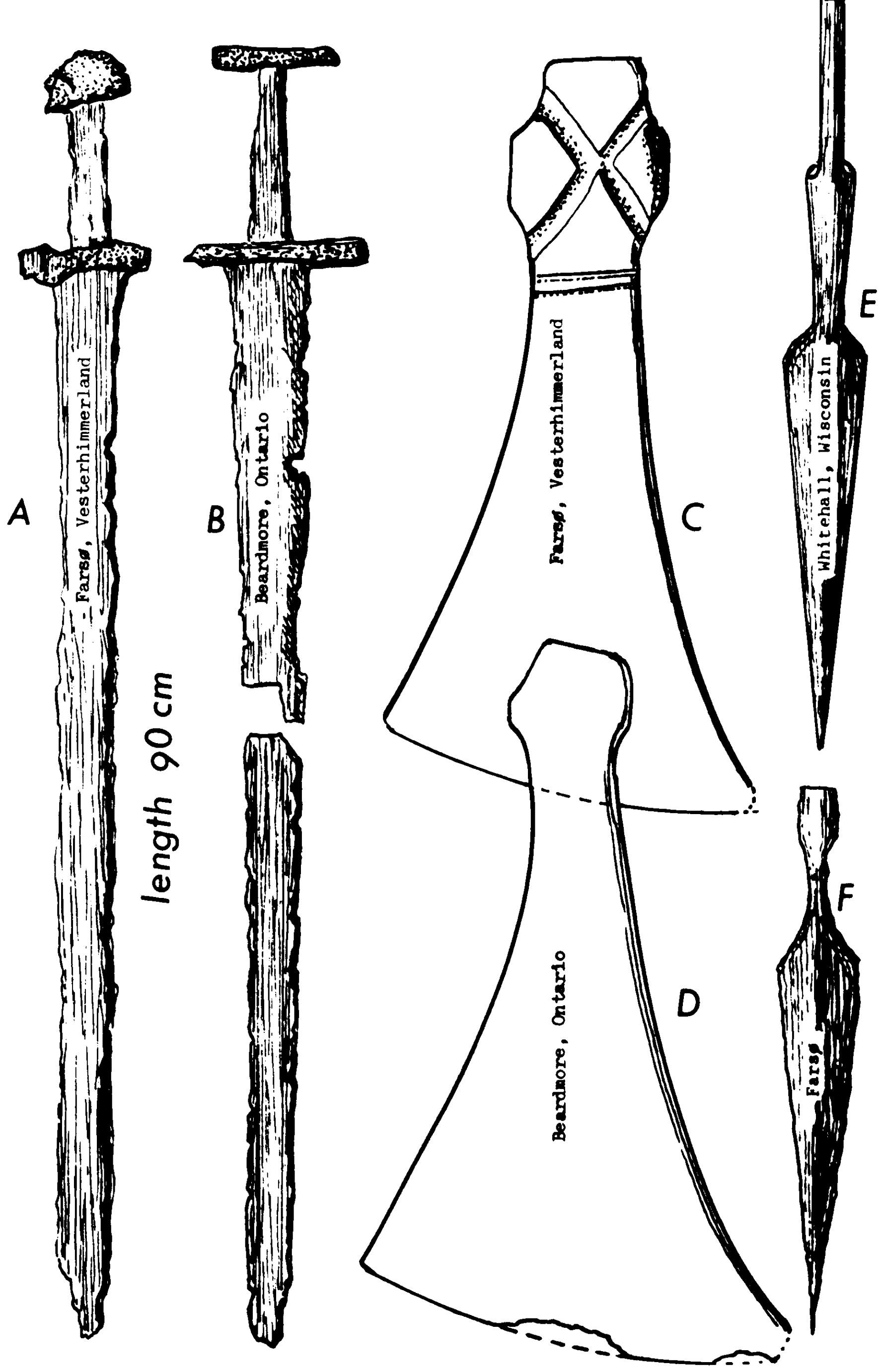
تقع أحسن هذه النصوص المنقوشة بدقة بالحروف الرونية الراجعة لعصر الفايكسنيغ والتي لا تكون بكل احتمال أقدم من عام ١٠٥٠م، بقرب هيفينر (Heavener) و بوطو (Poteau). كما وجد نقش في شوني (Shawnee) بأوكلاهوما وهي مبينة بصفحة (٣٦٩). وهناك نقش رابع شبيه. لكنه يحمل حروفاً تشبه الأبجدية السبئية (من سبأ) بجزيرة العرب. إلا أنها لم تسفر عن معنى ملموس. وقد كانت هذه الكتابات مثار نقاش كبير وحيرة، ليس من ناحية قدمها، ولكن من ناحية صعوبة تفسيرها. و يبدو الافتراض السابق بأنها تمثل تواريخ خفية محتملة لي وللخبراء الاسكندينافيين. فان مادوك (Madok) اسم كلتي متداول في ايرلاندا واسكوتلاندا. وو يلز وقد ورثه الاسكندينافيون القدماء على الأرجح من الكلت عن طريق أصل كلتي. ولكن ما دون في أوكلاهوما تصعب علاقته بأمير و يلز الذي قيل أنه جاء إلى أمريكا بعد بضعة قرون من ذلك لأن «الرونات» قديمة النمط جداً. ونجد في صفحة (٣٦٩) شاهد قبر بحروف أوغمية ساكنة يحمل نفس الاسم واني مدين بهذا الأخير لزميلي جيمس هو يتال.

بعد القرن الحادي عشر، طرأ على الحروف الرونية المستعملة في أسكنديفنيا تغير بليغ كما خفض عدد حروف الأبجدية. وقد ظهرت فروق حتى بين الأبجديات الخاصة في أقطار مختلفة في أسكندينافيا، ولذا يجب تحديد تواريخ تقريبية للكتابات الرونية بمجرد معاينة نوع الحروف المستعملة وبهذه الطريقة كشف الدارسون الأسكندينافيين جيلا متأخرا من كتبة الرونية في غرينلاند وفي المناطق المجاورة في أمريكا الشمالية، وهم خطاطون نقشوا كتابات قصيرة في عام ١٣٠٠م، لكن النصوص قليلة جداً وتتعلق بوقائع تافهة مدونة باقتضاب وتفيدنا قليلا جداً عن الأحداث التاريخية، أما في غرينلاند أو شمال أمريكا.

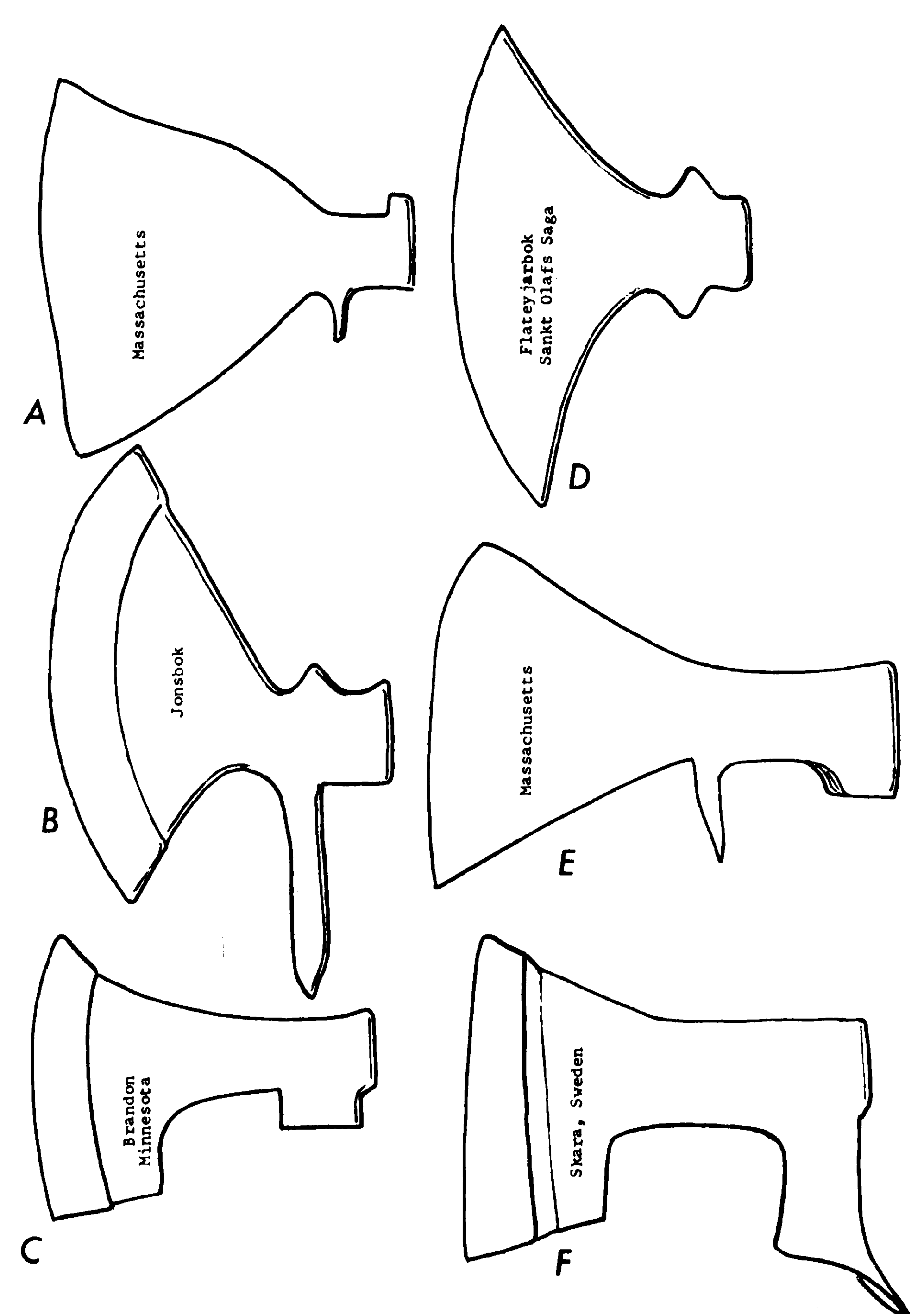
ان سبب تلك القلة يجب البحث عنه، عما أعتقد، ليس في أمية الاسكندينافيين في غرينلاند ولا أقاربهم في فينلند (Vinland) في أمريكا الشمالية، بل يجب ربطه بتسلسل الأحداث في أقرب الأراضي الاسكندينافية المجاورة ألا وهي آيسلاند، حيث بطل استعمال الرونية وحل الرق محل الحجر كرقعة للكتابة.

فان الايسلانديين بعد قرن أو قرنين من النزاعات الدامية التي لا مثل لها والحزازات الداخلية، اذ لم يحصل أي منافس لهم على غار السبق في مضمار الخيلاء، قد طرأ عليهم تغير غامض، فعمدوا بفضل تبدل وراثي أو هبة ربانية لانتاج فصيلة من العمالقة الآدميين وهبوا العالم الشمالي بأكمله مجموعة الأساطير الرائعة المتعلقة بتاريخ زمانهم وأجدادهم، بل بكامل الوجود منذ أن خلقه (في زعمهم) الآلهة. وقد دونت هذه الميثولوجيا الوثنية على الرق بخط الكتبة الكلتيين البديع الذي كيف ليناسب اللغة الاسكندينافية. وهي مع التاريخ الحقيقي والقصصي الموضح له تمثل صلب الأدب الشمالي في القرون الوسطى. وتبعا للتحضر المفاجىء لتلك الأرض الأكثر انعزالا من أوروبا، اختفى الخط الروني من الوجود واحتلت مكانه الحروف المنمقة التي ذكرناها، وبناء عليه، يجب علينا البحث في مقاطعة آبلاند (Upplani) بالسويد عن أحسن الكتابات الرونية حيث يوجد منها حوالي ثلاثة آلاف مثل.

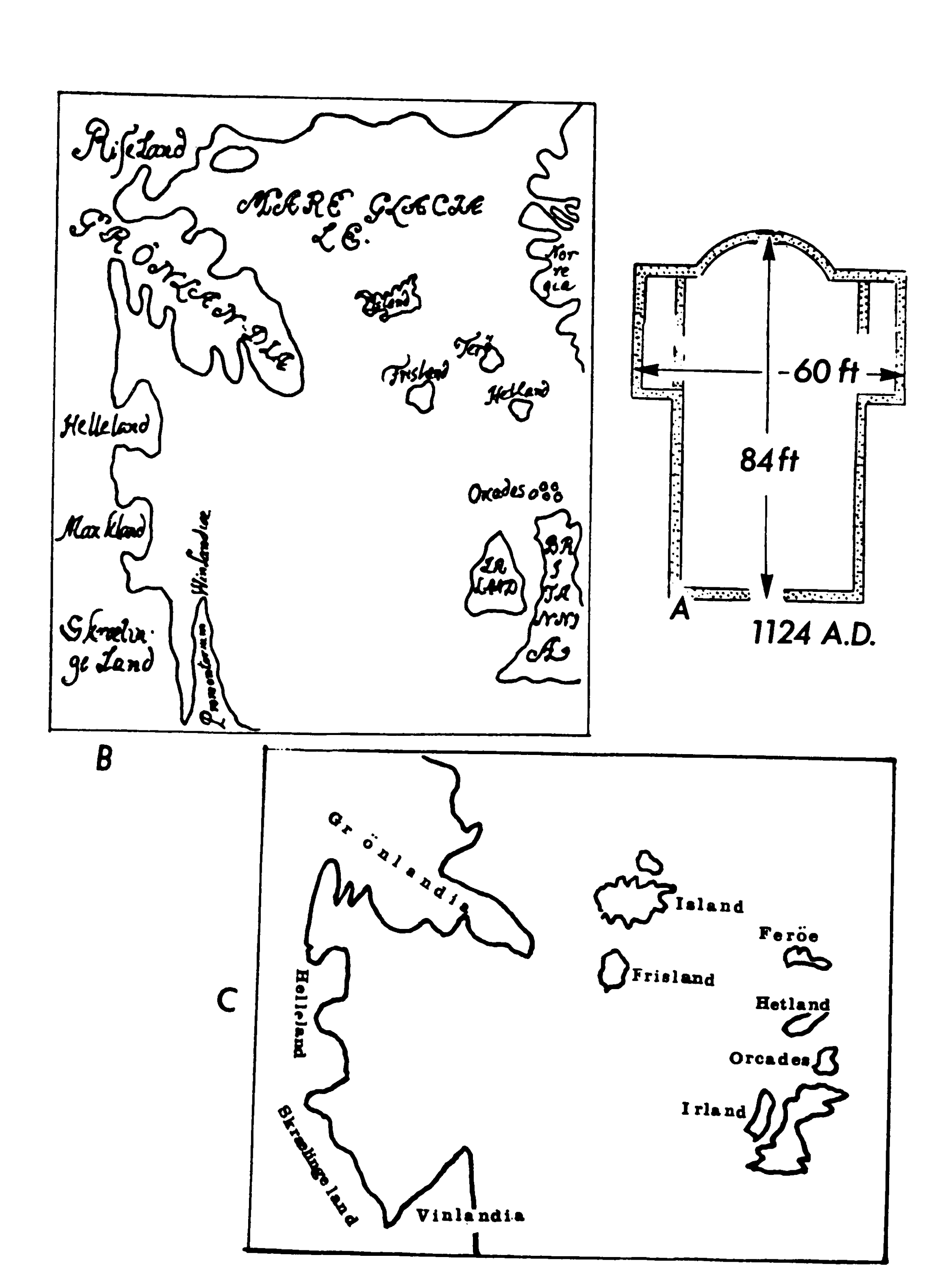
وربما لنفس السبب لا توجد كتابات شمالية كثيرة تستخدم النمط الروني المتأخر في غرينلاند أو في المناطق الأمريكية المجاورة. أما الأمثلة التي قبلت على أساس أنها أصلية فموجودة بصفحتي (٣٦٩) و(٣٧٠). ولتعويض ذلك جزئياً، برزت للوجود كمية متزايدة من المصنوعات الاسكندينافية، وخاصة الأسلحة مثل الشواقير الحربية والسيوف، على القارة الأمريكية بكندا ونيوانجلند، وتجدون النماذج التي اعتبرها



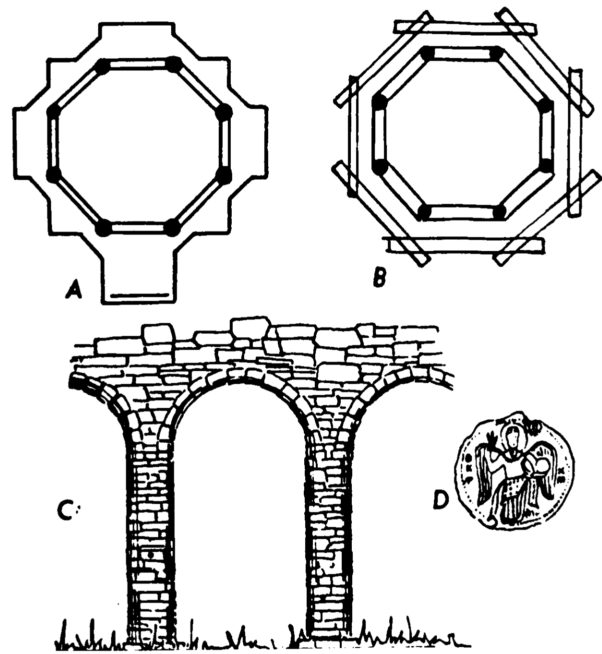

سيف وفاس قتال وراس حربة من بيردمور Beardmore، اونتاريو. A و D ومن وايتهول، وسكنسون، E، بالمقارنة بالادوات النورسية المقابلة من جزر فاروس Faeroes، الأشكال A، F، C.




فؤوس قتال اكتشفت في امريكا الشمالية A و E بماساتشوسيتس، و C- عثر عليها في براندون Brandon، مينيسوتا، مقارنة مع اشكال مقابلة من سكارا Skara بالسويد F. وتوضيحات لنسخ من كوبنهاجن لملحمة Jonsbok، الشكل B، وملحمتي فرتيجاربوك Flateyjarbok وسانكت أولاف Sankt Olaf الشكل D.

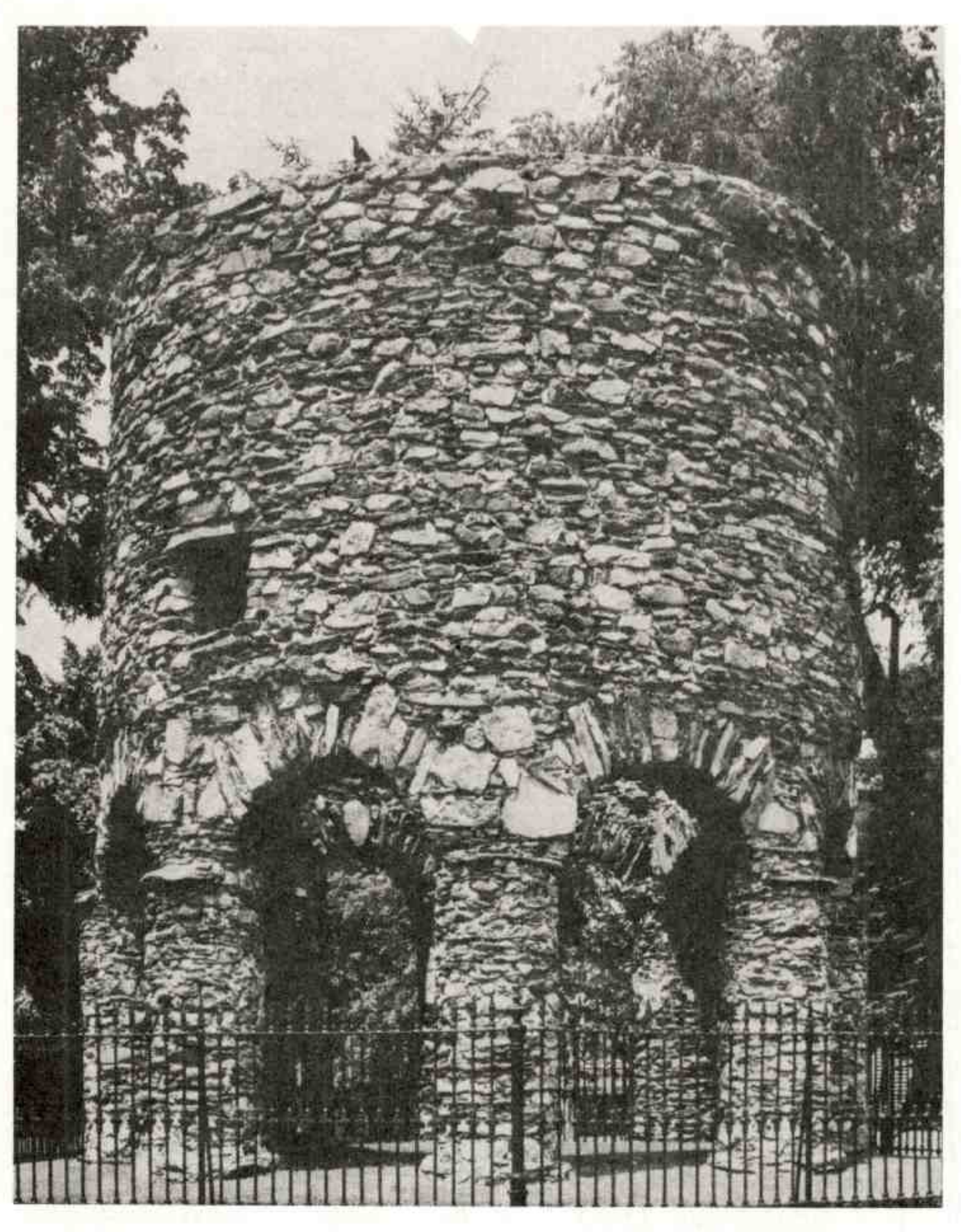


Riseland
MARE GLACIALE
Helleland
Markland
Skrælinge Land
Winlandia
Frisland
Hetland
Orcades
IRLAND
BRITANNIA
B
60 ft
84 ft
A
1124 A.D.
Grönlandia
Island
Feröe
Frisland
Hetland
Orcades
Irland
Helleland
Skrælinge land
Vinlandia
C

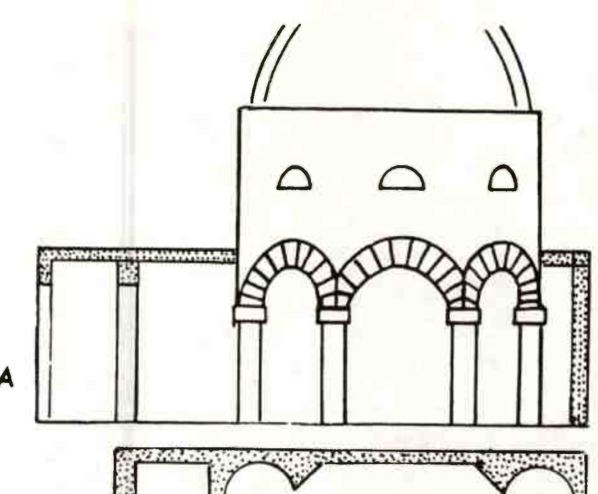


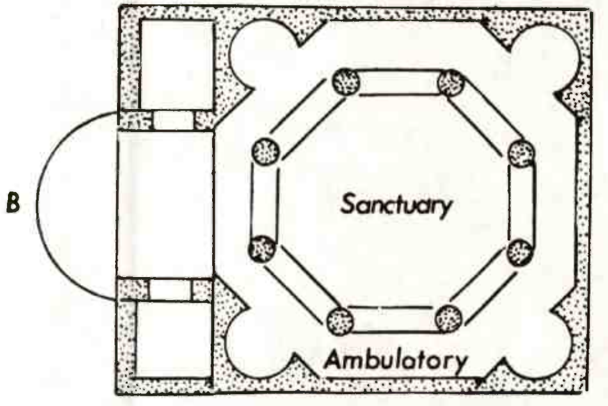

زودت الكنائس النورسية منذ بداية القرن الثاني عشر باقواس رومانيسكية وبنيت بتأثير الفن المعماري البيزنطي المبكر الذي كان معروفاً لدى الكثير من النورسيين عندما عملوا في حراسة القصر بالقسطنطينية. A- كنيسة بزنطية صغيرة ومشتقاتها اللاحقة في الشمال الاوروبي. A- كنيسة بماستارا Mastara، ارمينيا سنة ٦٥٠ ميلادية (عن دي فوجو De Vogüé). برج جرس تسيفوزيرو Tsyvozero الخشبي، سنة ١٦٥٨ ميلادية، القشرة الخارجية من جذوع شجر الصنوبر. C- أقواس بالأنماط الرومانيسكية في آثار دومكيركي Domkirke، هامار Hamar بالنرويج (١١٥٢ ميلادية). D- ختم بزنطي لميخائيل الثالث، أصدر يحرس القصر من النورسيين بالقسطنطينية، عثر عليه في الدانمارك.

الصفحة المقابلة: صادق البابا كاليكستوس الثاني Callixtus، خلال سنة ١١٢٤ ميلادية، على تاسيس كرسي أسقف دائم في جاردار Gardar، خاص بمستوطنات جرينلاند. وتكشف آثار الكتدرائية A، التي حفرها الدكتور بول نورلاند Poul Nörlund، المبنى الحجري الصليبي الشكل الرائع لخدمة الكنائس الست عشرة الحجرية لأبرشيات جرينلاند. ان مسكن الأسقف الواسع أكبر حجماً من الكتدرائية، ويشتمل على حظيرة تتسع لأكثر من مئة راس من ابقار الأسقف، مع ما يحتاجه السكان من أخشاب ـ تطلب بدون شك القيام برحلات مستمرة الى فينلاند لاحضار الامدادت المطلوبة. ومع ذلك فان أقدم خريطتين لجرينلاند وفينلاند ـ يملكهما أسقف سكاهولت Skaholt في ايسلاندا ويعود تاريخهما الى ١٥٧٠ ميلادية، ويظهر ان في الشكلين B و C- تدلان على معرفة غير كاملة للساحل الشرقي الامريكي وهي ليست أفضل مما يمكن استنتاجه من سجل رحلة ليف اركسون Eriksson Leif الأصلية لسنة ١٠٠٠ ميلادية. ويبدو أن اساقفة جرينلاند وفينلاند لم يكشفوا عن مدى اتساع أبرشياتهم للأساقفة الايسلنديين. ان رود ايلاند Rhode Islgnd، حيث توجد كنيسة أسقفية ثم بناؤها من الحجر في القرن الرابع عشر لا تظهر بتاتاً في أي خريطة من خرائط الايسلانديين والتي تنتهي عند الرأس الشمالي لنيوفاوندلاند. وكذلك لا يظهر المضيق الذي يؤدي الى خليج هدسون. وتوجد نسخ لاحقة للخريطتين الآن في المكتبة الملكية بكوبنهاجن. ولا بد أن جزيرة فريسلاند Friesland غير الموجودة قد كانت نتيجة لبعض مشاهدات خاطئة أشير إليها حوالي سنة ١٠٠٠ ميلادية. وكان تحديد خط العرض معروفاً للسابق لدى البحارة النورسيين، وعلى هذا، فان الاجزاء التي ظهرت من الساحل الامريكي في نفس خط العرض مع بريطانيا يمكن التعرف عليها بانها لابرادور Labrador.



أقدم بنى مسيحي أمريكي، برج كنيسة نورسية يعود تاريخها الى القرن الرابع عشر، بنيوبورت، رود أيلاند. (صورت في صيف ١٩٤٢ من قبل مالكوم بيرسون، بمناسبة اكتشاف الحروف الرونية Runes النورسية منقوشة على البرج).

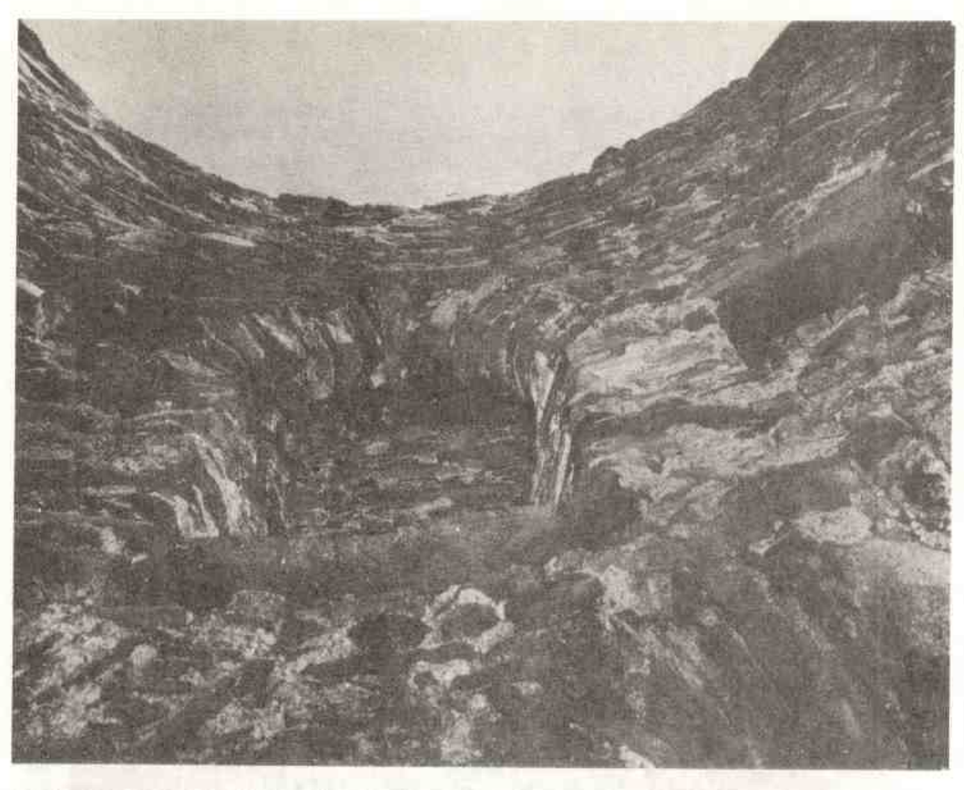


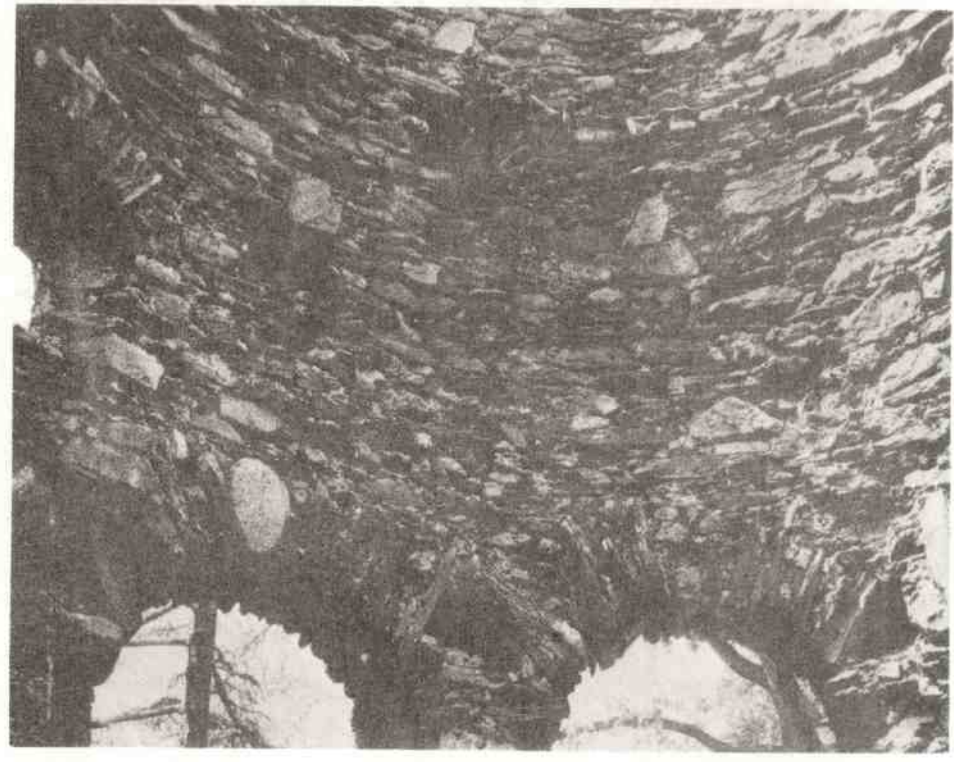




كنيسة بزنطية مبكرة للقديس جورج في عزرا Ezra، سوريا. ان البرج المستقل المثمن الاضلاع، مع ثمانية دعائم تدعم الأقواس الرومانية يحيط بالحرم. ويعود تاريخ البناء الى سنة ٥١٥ ميلادية. ولما كان برج نيوبورت سليماً فانه يبدو بانه كان قائماً داخل غلاف خارجي من الخشب. لقد كان التأثير البزنطي في اسكنديناقيا قوياً، وذكر الزوار الأوائل وجود مباني كنيسة حيطانها الخارجية من الخشب. A- الارتفاع. B- خريطة المبنى (عن دي فوجو).




لقد عرف النورسيون الذين عملوا عند الاغريق البزنطيين بعد سنة ٨٩٣ ميلادية باسم الفايرنجير Baeringer، وكانوا يشكلون مع غيرهم حرس القصر بالقسطنطينية. ان هذا الختم يرجع الى عهد ميخائيل السكير، الامبراطور من سنة ٨٤٢ الى سنة ٨٦٧ ميلادية، وقد حمله مترجم اسمه لانسيلوت Lancelot لذله انجليزياً. ويقرأ: «اذن للانسيلوت للدخول الى القصر. وذلك من أجل حل مشاكل تتعلق بالترجمة حراس القصر المؤجرين. ميخائيل». (المعلومات من: جوهان أوتوسن Johan Ottosen، كوبنهاجن، ترجمة: فيل Fell). من المحتمل ان ضم الحروف الاتينية والاغريقية معاً كان للحيلولة دون التزوير، حيث توجد استبدالات عشوائية لحرف بحرف آخر.

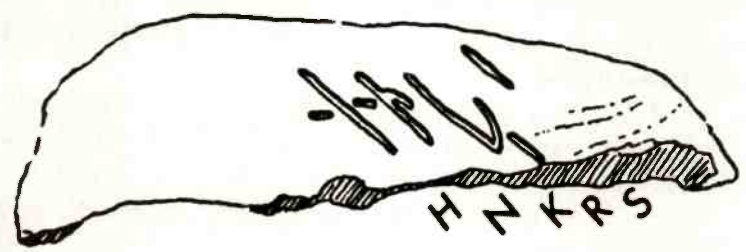




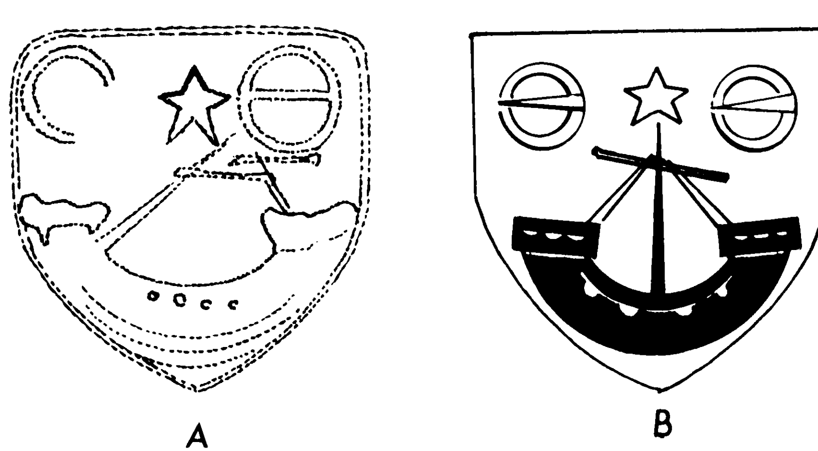


برج نيوبورت في الفصل البارد، عندما تكون الاشجار حوله دون أوراق. (تصوير: ايرل سيفيرسون Earl Syverson).

الصفحة السابقة: منظران لتفاصيل بناء برج الكنيسة المسيحية النورسية في نيوبورت، رود ايلاند. (تصوير: مالكوم بيرسون).




حروف رونية نورسية، تقرأ: H-N-K-R-S وتدل على ان الكنيسة «كرسي الاسقف» الى كنيسة كتدرائية، عثر عليها ماجنوس بوجورندال Magnus Bjorndal وبير لوفقالد Lovfald Peer، وصورها في يوم اكتشافها التاريخي مالكوم بيرسون.




آثار آخر الرحلات الكلتية النورسية الى أمريكا، ويعود تاريخها الى سنة ١٣٩٦. ٨- شعار نقش كجزء من معدات شكل مرسوم على نحو باهت لفارس من القرن الرابع عشر، اكتشفه المرحوم فرانك جلين Frank Glynn، في ويستفورد، ماساتشوسيتس في سنة ١٩٥٦. واقترح تشارلز م. بولاند وفريدرك ج. بوهل، من جهتهما، وجود علاقة بينه وبين رحلة سنكلير، ايرل أوركني في القرن الرابع عشر. وعرف السير ايان مونكريفي ـ وهو خبير استكلندي في شعارات القبائل الاسكتلندية الشعار على انه كشعارات احدى قبائل السنكليريين، وهي قنز Guns من الكيثنيس Caithness، وهي في الأصل نورسية، وشكل الاسم بها قنر Gunnr. ومن المعروف أن ايرل سنكلير كان وثيق الصلة بكرونير جون Crowner Gunn، الذي يظهر دبوسه المشهور المربع النقش على الشعار B. (من صورة لجيمس واتول). حول الرواية المدونة عن آخر رحلة عبر المحيط الاطلسي هذه قبل كولومبس في سنة ١٣٩٨، أنظر:

Frederick J. Pohl, *Prince Henry Sinclair* (London: Davis-Poynter, 1974).

الخبراء الاسكندينافيون أصلية بصفحتي (٣٧٩) و (٩٨٠). كما أن نقشا معروفا جداً، يسمى «حجر كينسيغتون» (Kensington Stone) يرجع تاريخه لما بعد سنة ١٣٠٠م كتب بلهجة قريبة للغة السويدية الأمريكية للقرن التاسع عشر إلى درجة حدت بالدارسين الاسكندينافيين إلى اعتباره نقشا مزيفا بناء على تحليل لغته وعلاماته، قام به الدكتور سفين جانسون (١٩٥٠) ولا شك أن للغته طابعاً حديثاً وغير مشابه لطابع الحجارة الرونية الأخرى، ويمكن تشبيه هذا النص بنص يشير إلى حادثة وقعت في زمن تشوسر، كتب بالنمط الانجليزي الذي استعمله جورج واشنطن. على كل، يمكن مراجعة مقالات هجالمارر. هولاند (Hjalmar R. Holand) من أجل رأي مخالف، لأنه قد ظهرت في بعض جهات انجلترا في القرون الوسطى لهجة شبيهة إلى حد كبير بالانجليزية الحديثة، وأصبحت فعلا أم الانجليزية المعاصرة. ولذا يحتمل أن يعتبر حجر كينسنغتون يوما ما نصا صحيحاً (وهو يروي عن معركة دامية بين طلائع من الاسكندينياف والهنود)، ولكن حالياً ينكر أغلب المتخصصين اصالته.

وتبعا لازدهار التعليم في آيسلاند واتخاذ الرق والحروف الكلتية في الكتابة، يبدو محتملا أن اسكندينياف غرينلاند سايروا الركب أيضاً. وعلى هذا، يفترض أن يحل سلوك المجتمع المتحضر مكان عنف ووحشية العهود السابقة. وبناء على شهادات زوار من رجال الدين الموثوق بهم نعلم أن مستعمرات غرينلاند بالقرن الرابع عشر كانت مزارع وقرى رعوية آمنة حيث تربى الأبقار والغنم والدواجن تحت الهيمنة الروحية للقساوسة والأساقفة. إلا أنه كانت تعوزهم الأشجار ذات الحجم المناسب لبناء بيوتهم وحظائرهم، وأقرب المصادر كانت غابات لابرادور، وهم لا شك أبحروا إلى هناك. وهناك أيضاً بنوا سفنهم الجديدة للتعويض عن تلك التي تم تلفها، وهناك قد لاقوا الهنود الأمريكان وبناء على حسن طباعهم، يفترض أنهم ربطوا علاقات ودية ذات فائدة متبادلة معهم. وتحت تشجيع مثل تلك الظروف وعلى ضوء ما وجده اسكندينافيو غرينلاند عندما صعدوا مجرى المسيسيبي، نستطيع الاستنتاج أن ذلك الجيل الجديد من اسكندينافي غرينلاند قد اتبعوا نفس طرق الملاحة.

وسواء كانت تلك الاستنتاجات صحيحة أم لا، فلا شك أن النقوش التي يمكن فقط نسبتها إلى تلك التي تعد باقية في الأساطير البطولة، نستطيع أن نجدها الآن في كلورادو. وأورد لكم منتخبات منها ابتداء من صفحة (٣٩٧) وحتى صفحة (٤٠٠). وكان الكثير منها قد اكتشفه البروفيسور أي. بي. رينوه (E.B. Renaud) من هذا

القرن، ولو أنه لم يستطع التعرف عن صلاتها الاسكندينافية. وانطباعي هو أن بعض الصفحات المستقلة من مخطوطات معينة للأساطير البطولية هي الأصول التي نقلت عنها نقوش كولورادو، وانني أفترض أن اسكندينافي غرينلاند امتلكوا نسخا من الرق لبعض الأساطير التي حفظت كاملة في آيسلاند والتي توجد حالياً بالمكتبة الملكية وغيرها من دور المكتبات في كوبنهاجن.

وانه لمن الطبيعي أن تشوب روح السخرية عمل الفنانين الذين قاموا بنقش النسخ الحجرية، ومن الصعوبة بمكان أن تعزي مثل تلك الاستعارات من الفن المسيحي لسذاجة الناقلين الهنود الحمر. ان اعتقادي الشخصي أن سلالة مختلفة من الهنود الحمر والاسكندنافيين قد صنعوا النقوش في زمن كانت المسيحية مرفوضة، إذ أنها لا تشبه شيئاً أكثر من الخدوش المناوئة للمسيحية التي نراها على جدران بومبي (Pompei) وهي تصور مثلا عبادة حمار مصلوباً وما شابه ذلك من المعاني.

ويمكن أن تتعلق تلك النقوش، التي لا مناص من تفسيرها كسخرية مناوئة للمسيحية أو للدين عامة، بالوثائق الكنسية من العصور الوسطى التي كشف عنها البحاثون الاسكندينافيون، وسأناقش ذلك في الفصل القادم.



# 15

# هل انتصر الوثنيون ؟

في سنة ١٨٤٥م قدم لمعهد الباني (Albany Academy) جلمود نقشت عليه حروف لا تينية اكتشفه أهالي أونونداغا (Onondaga) بقرب بحيرة أونتاريو، وقد نشر النقوش سكولكرافت (Schoolcraft) في كتابه «تاريخ القبائل الهندية» الذي قدمه للكونغرس. وقرأ الكتابة (ص ٣٩٥) الأثريون آنذاك على أنها: ليو السادس ١٥٢٠ (Leo Vi 1520)، ومنذ ذلك الحين لم يعر ذلك النص العديم الفحوي انتباهاًأحد، وقد ظن أنه شاهد قبر مستكشف مجهول اسمه ليو السادس، دخل نهر» سان لورنس» (St. Lawrence) قبل جاك كارتييه (Jacques Cartier) بأربعة عشر عاما. أما بقية الخطوط على الحجر فكانت غامضة.

في الواقع أن الحجر قابل للتفسير إذا قرىء النص اللاتيني أفقياً كما هو في العادة بدلا من قراءته رأسياً كما فعل المكتشفون. فالنص كما كتب مختصراً يقول: ليو العاشر ــ سادس من ١٥٢٠، وقد انتخب البابا ليو العاشر في يوليو ١٥٢٠ وهناك شعاره منقوش على يمين النص اللاتيني وتظهر تأشيرته ل ــ ١٠ مضفورة مع نيرومزي (Iugum) يعلوه لوجس اشارى (مكان الكلمة اللاتينية عطر) بحيث ينتج عنه: «نيري عطر» و يبدو أن الرسم المنحوت على الطرف الأسفل على اليمين هو تاج البابا الثلاثي بمعنى الحبر الأعظم (Pontifex).

الظاهر أن الحجر يخلد رحلة تمت تحت رعاية البابا ليو العاشر، لكن لم يعلن عنها رسمياً. التاريخ يرجع لعهد تال لكولومبوس، أي بعد الفترة الواقعة في نطاق هذا الكتاب، لكنه يتعلق بأمر يدخل ضمن موضوع المستعمرات الاسكندينافية. إذ أنه، كما تؤكد الوثائق التاريخية الدانمركية والنرو يجية قبل كولومبوس بوقت طو يل، كانت الكنيسة جد مهتمة بالتقارير عن الوثنية من قبل المسيحيين الاسكندينافيين من غرينلاند وفنلاند، بحيث وجب القيام برحلات للوقوف على صحة الأخبار المزعجة و يمكن نسبة حجر أونانداغا لتلك الأمور إما تحقق أو تلغى أن رحلة قد تمت مستوحاة من تعليمات باباو ية ولم يبلغ عنها العالم أجمع.

ويبدو أنه قبل سنة ١٣٤١م بقليل، فقد أساقفة غرينلاند وفينلاند اتصالاتهم بأبرشيات الساحل الغربي من مركزهم بغاردار ولا نعلم السبب. والمحتمل أنه التغير في توزيع السكان. ففي ذلك العام كلف قسيس نرويجي اسمه ايفار باردسون (Ivar Bardson) من قبل أسقف بيرغن للابحار إلى غرينلاند للتحري حول الموضوع. وقد أسفر تقريره الذي نشره المؤرخون الدانمركيون إلى أن كاتيدرائية المستعمرة الغربية السابقة لا زالت قائمة لكن مهجورة ولم يتمكن من مصادفة مخلوق حي، لا من المسيحيين ولا الاسكيمو وأن لم يكن هناك أي علامات مجازر، ويبدو أن تلك المستعمرة قد هجرت بأكملها من طرف السكان الذين تركوا وراءهم رغم ذلك قسماً من حيواناتهم لأنه وجد البقر والغنم والدواجن تنطلق بشكل بري، وقد قبض باردسون ورفاقه على بعض الرؤوس وجروها إلى المستعمرة الشرقية، وبقي باردسون كمساعد للأسقف آرن (Arne) في غرينلاند وقص تجربته على المستطلعين اللاحقين.

فكر المؤرخون فيما جرى بعد ذلك لأهل غرينلاند الغربية، هل ركبوا السفن إلى آيسلاند وماتوا في الطريق، أو أنهم انتقلوا إلى فينلاند حيث اندمجوا بالهنود؟. والرأي يميل غالباً للاحتمال الأخير ولو انعدم الدليل.

وهناك وثيقة يرجع تاريخها لسنة ١٣٤٢، أي بعد مضى عام عن زيارة ايفاباردسون، لا زالت سليمة حتى القرن السابع عشر، عندما كتب لها الأسقف جيزلي أودسون (Gisle Oddson) ملخصا باللاتينية لا زال باقياً، وتقول الوثيقة أنه في سنة ١٣٤١م تخلى أهالي غرينلاند تلقائياً عن الدين المسيحي: وبعد تفريطهم في السلوك الفاضل والأخلاق الحميدة، انضموا إلى أهالي فينلاند.

في سنة ١٣٤٧م نشأت مشاكل في المستعمرة الشرقية الباقية، ربما بسبب هجمات الأسكيمو، وفي ذلك العام وصلت آيسلند سفينة عليها سبعة عشر بحاراً قالوا أنهم أبحروا من ماركلاند (Markland) بلابرادور، فبلغوا بيرغن، العاصمة النرويجية، العام التالي ويبدو أنهم ناشدوا الملك الغوث، وهو ماغنوس ايريكسون (Magnus Erikson) الذي كلفه البابا كلمنت السادس (Clement VI) بتجهيز حملة بحرية ضد روسيا لادخال الكنيسة الأرثودكسية تحت روما، إلا أن الطاعون في أوروبا وروسيا حال دون ذلك بحيث وجه الملك ماعنوس مال الشعب الى تمويل حملة أمرة بول كنوتسون (Paul Knutsson) الى غرينلاند لاعادة الايمان المسيحي الى

هناك. و يعتقد المؤرخون النرو يجيون أن الحملة أقلعت سنة ١٣٥٥م وغابت عن النرو يج لمدة ثمان سنين، ولم يعثر بعد عن وثائق الحملة هذه، و يعتقد المؤرخون النرو يجيون أن كنوتسون بعد أن وجد غرينلاند مهجورة جزئياً تجول في المياه الأمريكية بحثاً عن النرو يجيين.

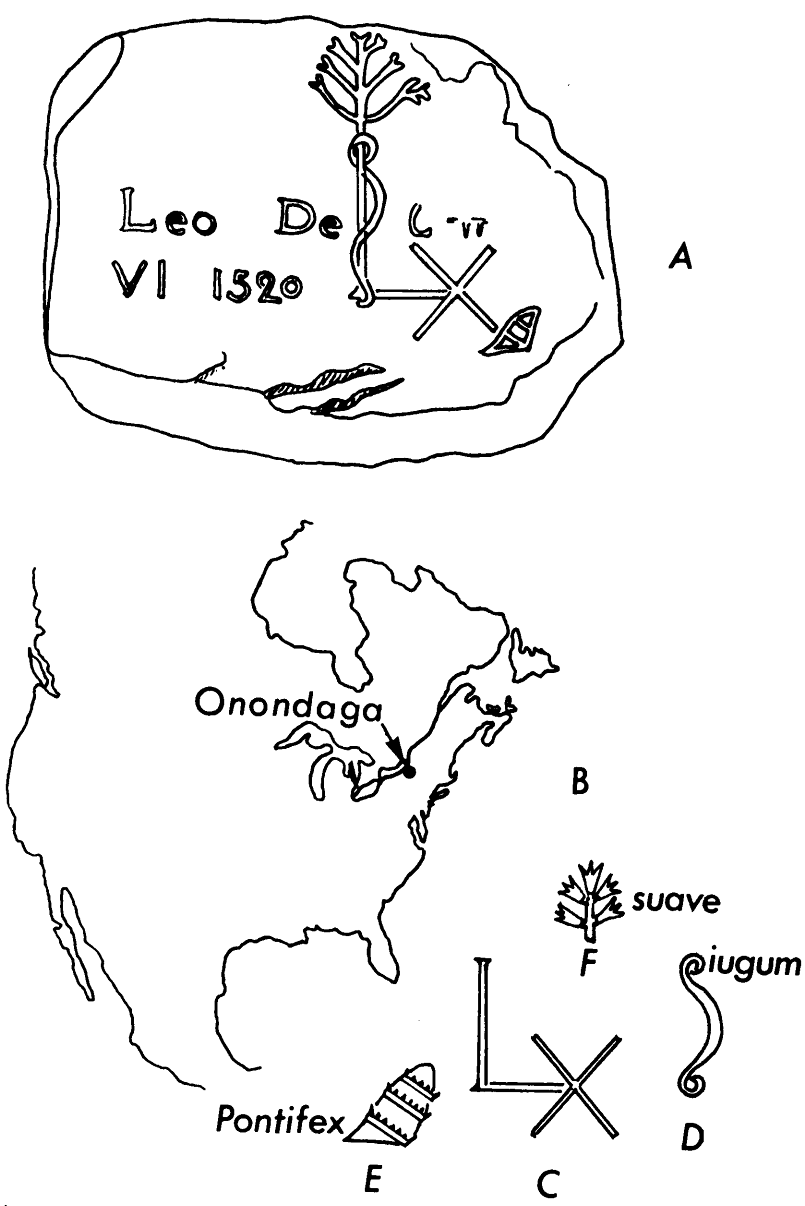
وحتى الآن، ما نملكه من المعلومات عن الموضوع يأتي من رحلة المستكشف الايطالي جوفاني دي فيراتسانو (Giovanni De Verazzano) سنة ١٥٢٤م، الذي أبحر نحو الشمال من فلوريدا الى لابرادور وكانت احدى اكتشافاته أن لونغ آيلاند البحري (Long Island Sound) ونهر الهدسون (Hudson) هو (نهر ديل سوي R. Del Soie) وهناك الآن جسر في نيو يورك يخلد مأثرته. وقد ساقت المسيرة فيراتسانو بطول ساحل ناراغانسيت (Narragansett) حيث اندهش لرؤية «فيلا نورمندية» شماء من الحجر، ونزل الى الشاطىء ليتحرى، فوجد المنطقة مسكونة من هنود آمنين برهنوا على أنهم أكثر الأهالي تحضراً ممن صادفهم في أمريكا وكان لبعضهم بشرات بيضاء ولكنهم لم يتذكروا كيف شيدت «الفيلا النورمندية».

وعند عودته الى أيطاليا هيأ أخوه جيرولامو (Girolamo) عدة خرط وكرة أرضية تبين ما اكتشفه شقيقه، و يقال بالاجماع أن جوفاني كان في خدمة ملك فرنسا فرانسيس الأول (Francis I) و يبدو أنه خدم عدة ملوك مما يظهر من الأصل المزعوم لخريطته لسواحل أمريكا الموجود في مكتبة بالفاتيكان. وقد رأى المؤرخ الانجليزي ريتشارد هاكلو يت (Richard Hakluyt) خريطة أخرى في حوزة لوك ناستر (Locke Naster) أمين الخرط للملك هنري الثامن (Henry VIII) بلندن عليها: «خارطة قديمة ممتازة للسيد جون فيراتسانو، الذي زار تلك السواحل ثلاث مرات، أعطاها للملك هنري». وقد ظهرت طبعة لاكتشافات فيراتسانو سنة ١٥٤٢م، وكتبت بمزيج من اللاتينية والانجليزية والايطالية والأسبانية. ويظهر صفحة(٣٩٦) قسم منها يوضح الأرض التي أسماها فيراتسانا، أو فرنسا الجديدة، وتشمل الفيلا النورماندية. ولا شك أن الفيلا النورماندية هي البرج المستدير (Round Tower) بنيو برت، بجزيرة رود آيلاند (Rhode Island) وأشير إليها أيضاً في وثيقة انجليزية يقترح فيها بانشاء مستعمرة في رود آيلاند ذاكرة وجود البرج كأحد الأسباب لوجوب تأسيس المستعمرة و يرد عادة الاسم المحلي للبناء باسم «طاحونة الوالي ارنولد (Arnold's Mill Governor) وهو أول وال استعمل البرج ليجعل منه طاحونة للدقيق.

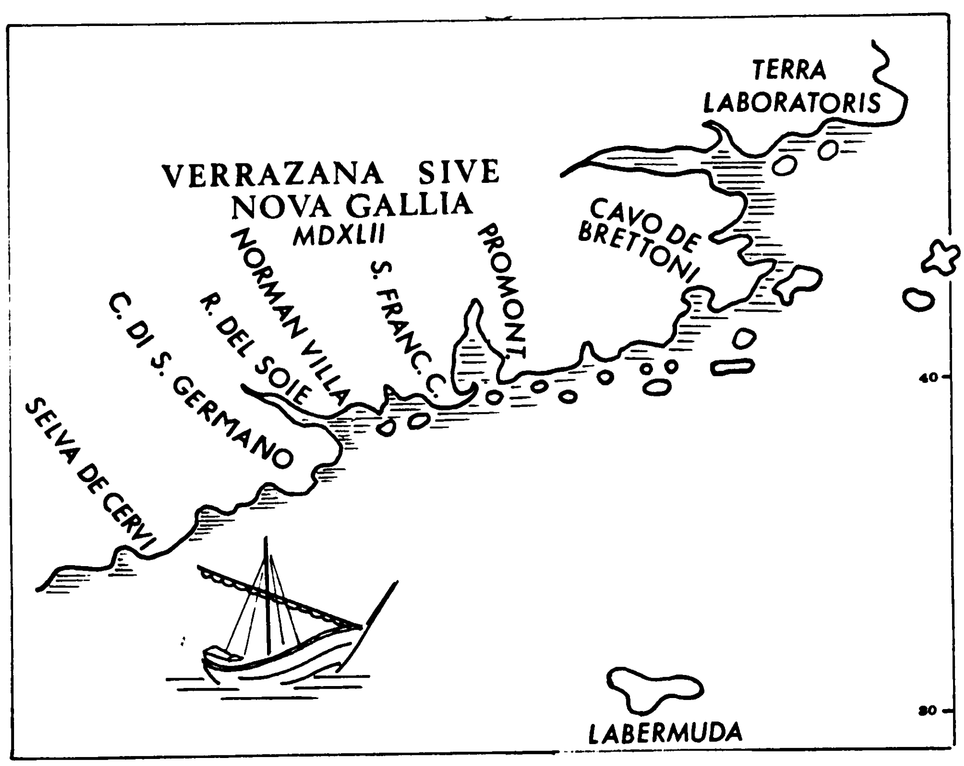
إن الدارسين الموثوق بهم في مضمار المعمار الكنائسي والتاريخ الاسكندينافي في جميعهم متفقون على أن البرج يطابق المواصفات المتبعة في الانشاءات المشابهة باسكنديناڤيا حوالي سنة ١٣٠٠م. وفعلا، يرجع تاريخ مثل تلك المباني للاستعمال الديني للعهد البيزنطي، و يمكن مشاهدتها حتى الآن في نماذج مصنوعة من زند الخشب في أوروبا الشمالية وروسيا. وكل ما يوجد منه حالياً هو البرج الأوسط مرتكز على ثمانية أعمدة تحمل ثمانية أقواس كانت أصلا تحوي الحرم الأوسط. أما المبنى الخشبي ذو الطابق الواحد المحيط به لتغطية ممشى الكنيسة، فقد هلك من مدة، إلا أن الحفر التي كانت قد غرست بها الأعمدة التي تحمل السقف لا زالت ظاهرة. واستعمل الجزء الأعلى من البرج كمنارة لهداية السفن القاصدة المرفأة.

هكذا يعتبر برج نيوبورت أقدم كنيسة أمريكية وهو مبنى من القرن الرابع عشر يجب أن يكون قد شيده الاسكنديناڤيون، لكن هل هم الاسكنديناڤيون الأمريكيون الذين لم يتخلوا عن الدين المسيحي المنبثقون عن مستعمرة غرينلاند الشرقية التي لم تترك عقيدتها؟ أو هم اسكندناڤيون آخرون ــ أي على سبيل المثال ــ أولئك الرجال الذين كانوا على متن سفينة بول كنوتسون وغابوا عن النرويج بدون خبر مدة ثمان سنوات؟.

وفي سنة ١٩٤٦م زودنا ماغنوس بجورندال (Magnus Bjorndal) وبيير لوفلد (Peer Lovfald) بلمحة عن كيفية اجابة هذا السؤال عندما اكتشفوا خمس رونات منقوشة على أحد أحجار البرج. كان من بين الحاضرين تلك المناسبة مالكولم بيرسون (Malcolm Pearson) الذي جاء ذكره في كتاب «أمريكا ق م» كمسئول أول عن أرشاد علماء الآثار للمواقع المشيدة بالحجارة في الشمال الشرقي والذي أصبح خبيراً في تصوير الكتابات الغامضة، كان موجوداً بين الحاضرين وتجدون الصور التي التقطها في صفحة (٣٨٧) والتي تبين رونات من النوع المتأخر. الأمر الذي يتمشى مع التاريخ المتأخر للمباني نفسها وتقرأ: «هـ ن ك ر س» وأعتقد البعض أنها اختصار غير مضبوط لاسم هينريكوس اللاتيني (Henricus) ولذلك نسبوها الى الأسقف هينريكوس بغرينلاند وفينلاند، والمعروف أكثر اسمه الاسكنديناڤي: ايريك غنوبسون (Erik Gnupsson)، إلا أن هذا الأسقف عين في سنة ١١١٢م من قبل البابا باسكال الثاني، وكان لقبه «أسقف غرينلاند وفينلاند في الأراضي الوثنية (Episxopus Groenlandiae Et Vinlandiae In Partibus Infidelium). فالمكان مطابق.

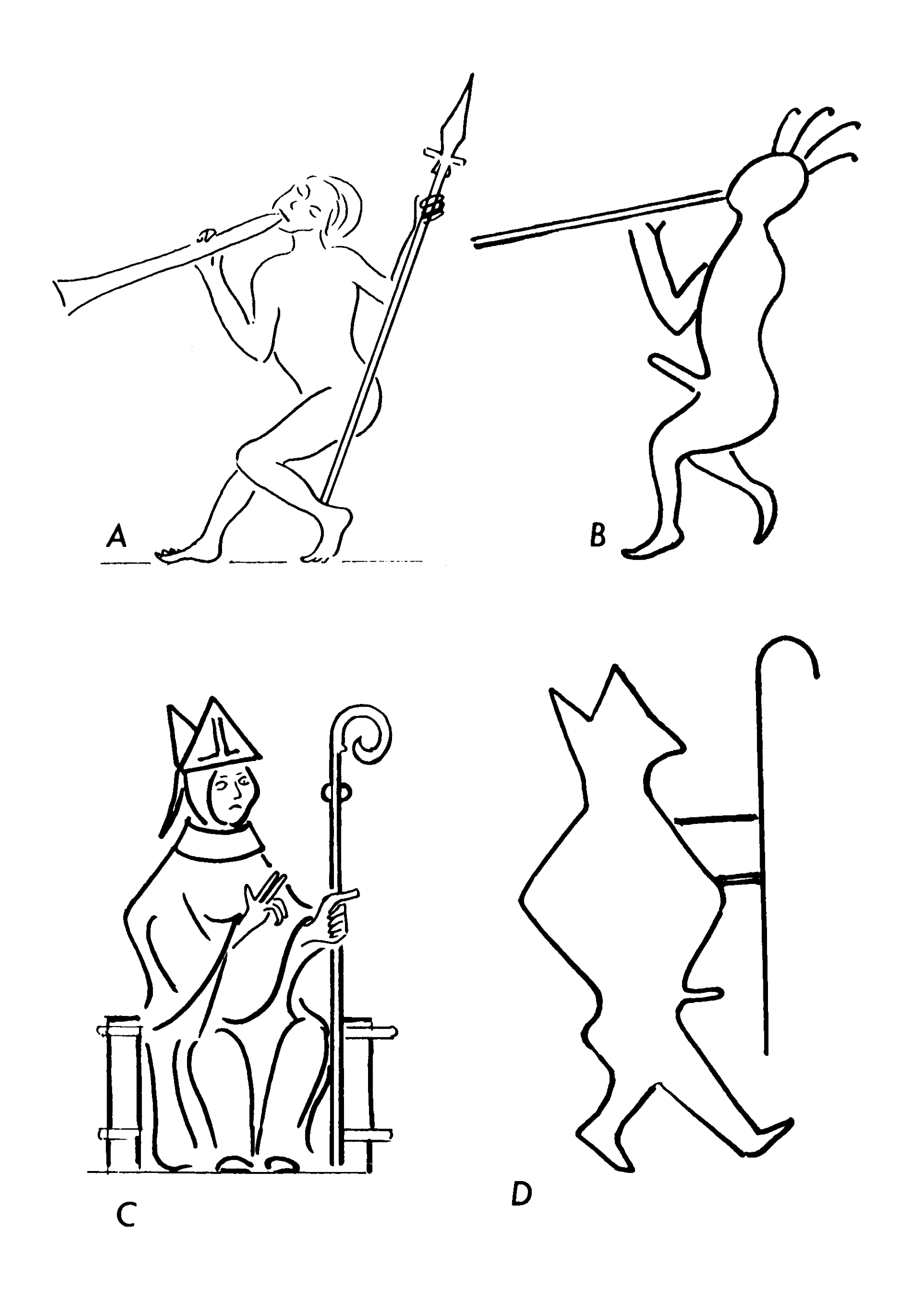


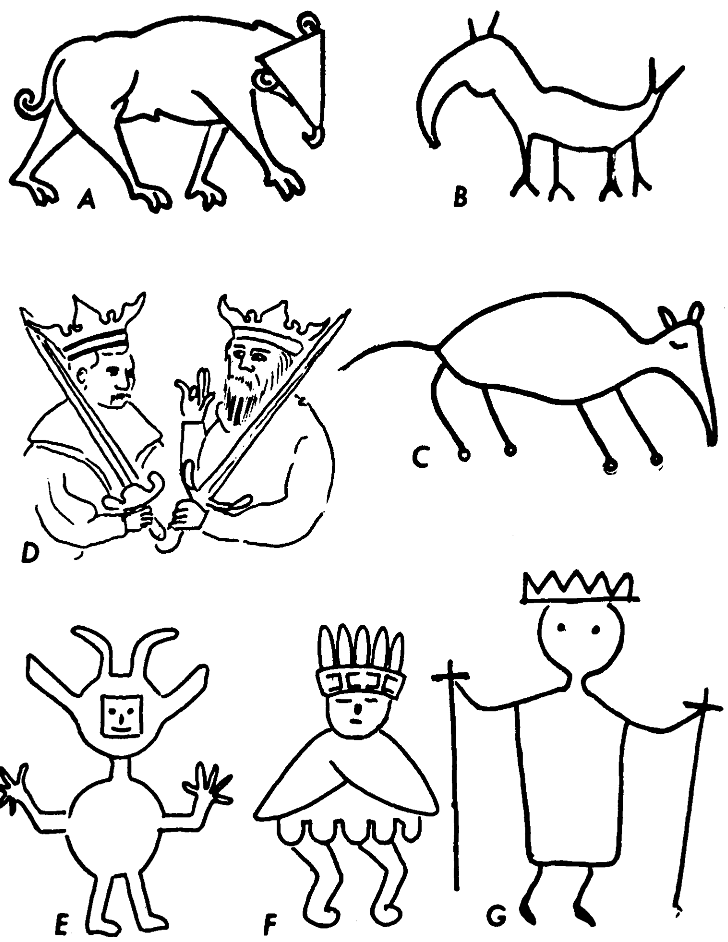

نقش أونوداجا Onadaga يسجل مرحلة غير معروفة في السابق قامت بها سفينة استكشاف دخلت نهر سانت لورانست في شهر يونيه عام ١٥٢٠، وخلفت وراءها الحجر الذي نقش عليه الاسم، والألقاب والأحرف الاولى من الاسم، والشعار للباب ليو العاشر. (أنظر: صفحة ٣٧١).



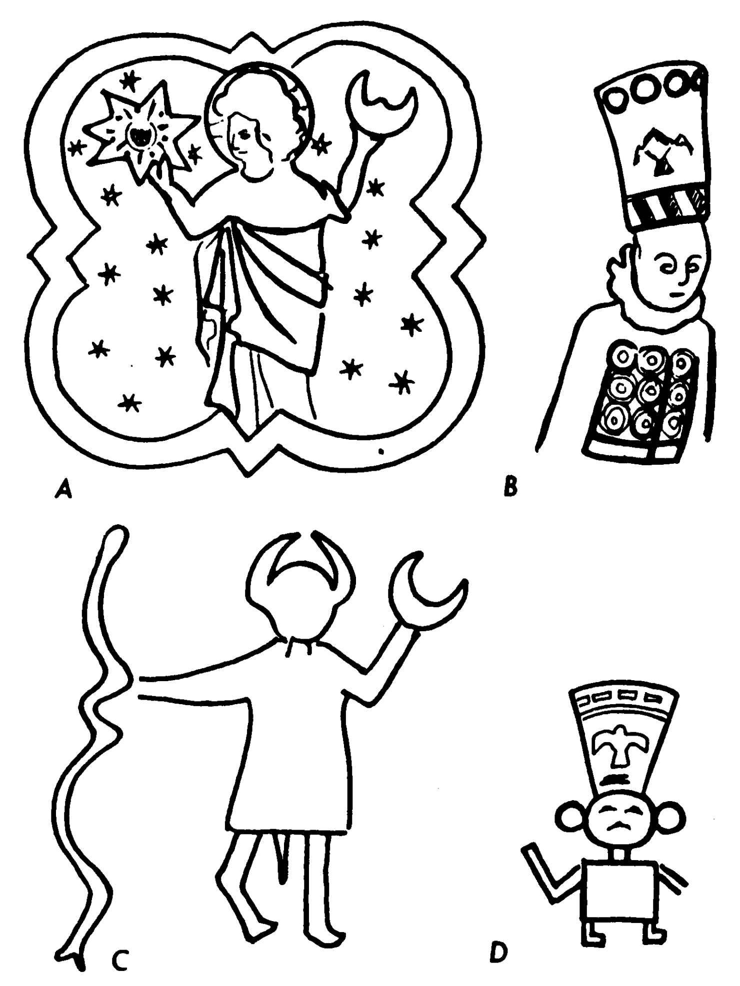

جزء من خريطة جيوفاني فيرازانو Giovanni Verrazano لسنة ١٥٤٢، يمثل «فيرازانا Verrazana أو فرنسا الجديدة» وتظهر عليها فرجينيا (Selva de Cervi, Deer Forest) كما يظهر أيضا اللسان البحري لجزيرة لونج Long Island (R. del Soie) مع برج نيوبورت (Narman Villa). رسمت الخريطة في سنة ١٥٢٤، ويبدو أن الأصل موجود في مكتبة الفاتيكان. وتضع مشاهدات فيرازانو وتحقيقاته على اليابسة معلوماته عن برج نيوبورت قرنا سابقا للحاكم بينيدكت أرنولد Benedict Arnold، الذي كان ينسب اليه تقليديا تشييد هذه الكنيسة النورسية.

الصفحة المقابلة: ان التقارير التي تنذر بخطر الارتداد الى الوثنية من قبل النورسيين بفنلاند والتي وصلت النرويج والدانمارك والفاتيكان في سنة ١٣٤٢، قد يبدو ان تؤكدها سلسلة من النقوش الحجرية، من مواقع في كولورادو، قد سجلها أول مرة الاستاذ إ. ب. رينود. وبمقارنتها مع رسومات في النسخ الموجودة للملاحم الايسلندية فانه يبدو بان نقوش كولورادو قد نسخت من مجموعة ثانية للملاحم. ومن المحتمل أنها كانت لدى نورسيي جرينلاند، ثم أحضرت فيما بعد الى فينلاند. وتحتوي المخطوطات الايسلندية من القرن الرابع عشر على النماذج الأولية A و C لنقوش كولورادو B و D التي سجلها الاستاذ إ. ب. رينود في سنة ١٩٣٨ من مواقعه ٢٣٥ و ٢٢٤ .N.M. يمثل الشكل A عازف فلوت من القرون الوسطى في زخرف هامشي لكتاب فلاتيجاربوك الموجود حاليا في مكتبة Kongelige بكوبنهاجن. B- أول تقليد له بكولورادو تم التعرف عليه، ثم تكرر الموضوع على نحو واسع فيما بعد في نيو مكسيكو مع زيادة التاكيد على التواء جذع الانسان في الأصل ليقدم الرسم المعروف لـ «عازف الفلوت الأحدب». C- أسقف ايسلاند كما صور في كتاب جونسبوك، ارناماجنين ساملنج Arnamagnean Samling، كوبنهاجن. ويستنتج بأن نسخا من المخطوطات الايسلندية قد نقلت الى مستوطنة جرينلاند، ثم وقعت فيما بعد في يدي رسام كولورادو الذي عادت نقوشهم الساخرة إلى مقارنتها بالرسوم المضادة للمسيحية التي وجدت منقوشة على الجدران في مدينة بومبي. أما التفسير البديل فهو أن قطعا من المخطوطات قد تكون قامت بدور نماذج لنحات أمي أساء فهم موضوع النقش.

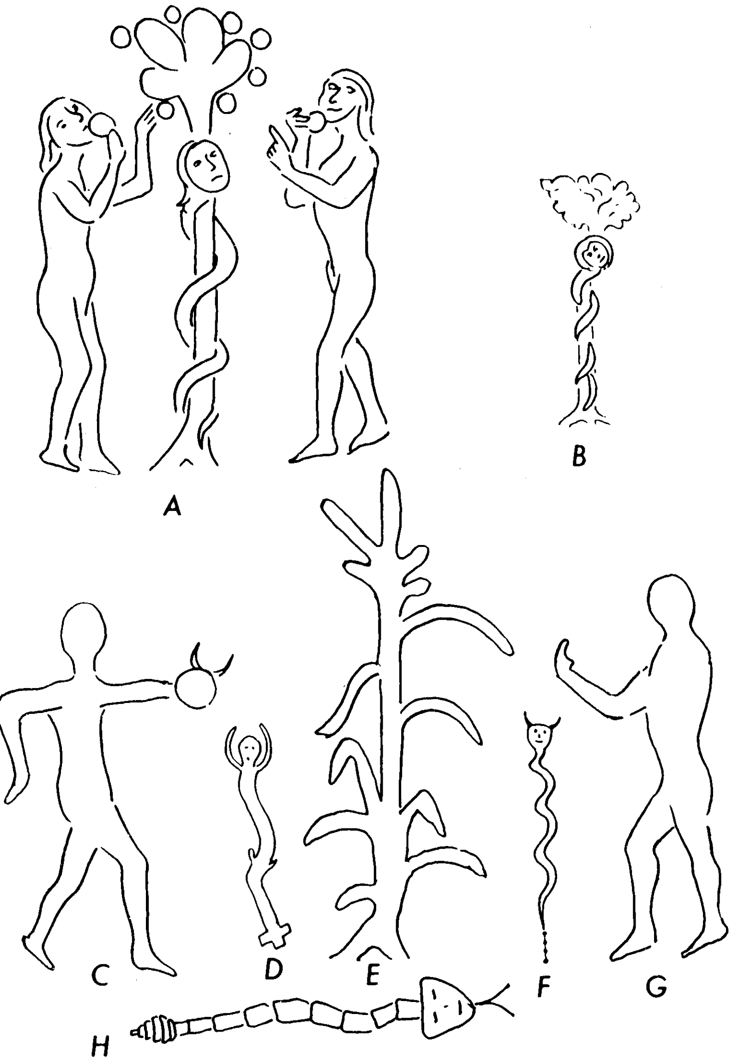

A
B
C
D



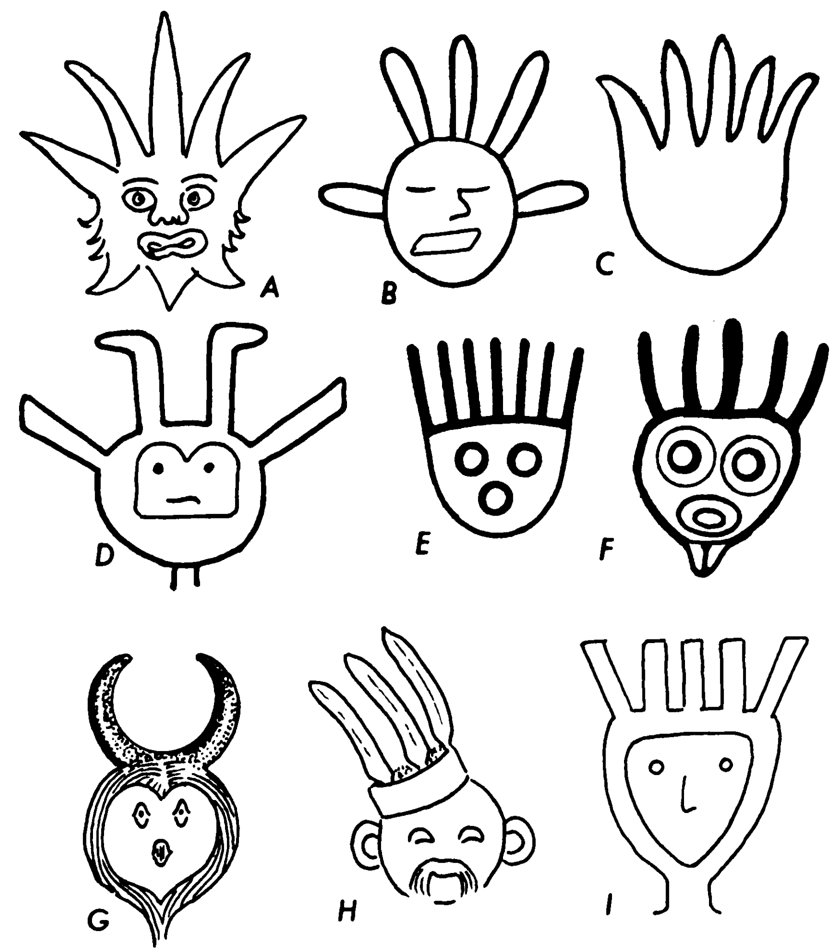

ان معرفة الفيل جاءت الى أمريكا بطرق مختلفة: على القطع النقدية لروما (أنظر: صفحة ٢١٤)، وكتماثيل صغيرة مستوردة من الصين (انظر: صفحة ٢٨٧)، وكذلك بهذه الطريقة غير العادية عن طريق المخطوطات الايسلندية. ان عملا أغريقيا قديماً هو Physiologus ترجم تلى اللغة العربية، ولما كان يحتوي على صور للحيوانات فقد اتخذ كتاباً للتاريخ الطبيعي في العصور المظلمة. ان الاسم العربي للفيل ورد في مخطوطة ايسلندية من القرن الثالث عشر في رسم غريب A حيث يذكر بانه «يسمى في لغتنا فيل، ولكنه باللغة اللاتينية elephans». وهذا يدل على أن الكاتب الايلسندي قد نقله مباشرة من العربية دون ان يقوم بتعديل كلمة «لغتنا» في الترجمة. ولا توجد في اللغة النورسية كلمة تعني فيلا: ولعل كلمة «فيل» الايسلندية كانت النموذج لنسخة جرينلاندية، والتي اصبحت بدورها نموذجاً لنسخ كولورادو، أما الشكلان B و C فهما من مواقع رينود، كما تم اكتشاف أشكال أخرى عن طريق جلوريا فارلي على صخور سيمارون، فاصلة كولورادو على أوكلاهوما. ولسنوات عديدة كان النقش المحير يسمى لدى جلوريا فارلي «الطائر ذا الاربعة أرجل» الى ان عرف فيل Fill في سنة ١٩٧٨ على ان «الفيل» الايسلندي. D- يمثل فكرة الايسلنديين عن الملوك كما صور في كتاب جونزبوك في اواخر القرن الرابع عشر. أما الاشكال E، F، G فهي من مواقع رينود بكولورادو ٣٣٧. N.M و ٣٣٦. N.M، ويبدو أنها نسخ مستوحات إما من كتاب جونزبوك أو من عمل مشابه كان في أيدي نورسيمية جرينلاند على ما يفترض. G- لعله ذكر نسخة لقديس كما صور على الوجه المقابل لكثير من القطع النقدية البزنطية والتي ـ كما نعرف من شواهد أخرى ـ كانت العملة الرئيسية في كلو رادو في فترة العصور الوسطى.



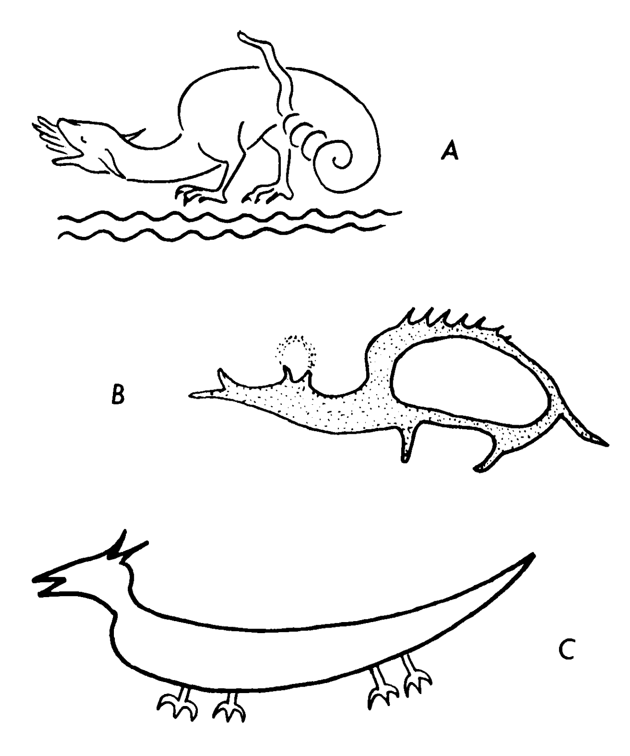

مواضيع أخرى من كتاب جونزبوك الايسلندي، كما ظهرت في نقوش كولورادو، ورواية من كولورادو عن «خلق العالم» كما ظهرت في الرسومات الايسلندية. A- من نسخة لاحقة. انجزت في القرن الخامس عشر، وتوجد الآن في ارناماجنين ساملنج. كوبنهاجن. C- نسختها في كولورادو في موقع رينود ٣٣٦. N. M، وهي بدورها نموذج لروايات أخرى. B- امرأة ايسلندية في ملابس مهرجانية، من نسخة كتاب جونزبوك في ارناماجنين ساملنج. كوبنهاجن. D- نسخة كولورادو المقلدة لها بموقع رينود ٢٣٥. N.M. وفي C فسر الناسخ الكولورادي الصورة كساحر ثعابين، موحيا بانه النموذج قد تعرض لأضرار ففقد جزءا من اطاره الزخرفي قبل أن يشاهده الحفار الامريكي.




سلسلة رسوم هزلية عن تراجم للانجيل، من أجل تنوير الاميين من المسيحيين كانت منتشرة في ايسلاندة تحت الاسم العام Stjorn. ويبدو ان مشهد جنة عدن في الشكل ٨، والذي يصور أبوينا الاولين وهما يخرجان من النعيم كان نموذجاً لنقوش عديدة من كولورادو، G ، F ، E ، D ، C ، B عثر عليها في مواقع رينود حيث يلوح رجال ونساء عراة باشياء مستديرة تشبه التفاح، في حين تظهر ثعابين ملتوية لها رؤوس ووجوه دائرية كثعبان جنة عدن. وعلى وجه العموم، فان المرء يخرج بانطباع عن مشهد الاغواء المتقطع الذي ينتشر فيه المشاركون، وهم يحملون التفاح، في جميع الاتجاهات.




ان الشيطان النورسي العابس، بمسامير في مكان الشعر، والذي تزين صورة كتاب سنور ـ ادا Snora-Edda، يبدو انه كان النموذج لعدد غير محدود من النقوش المشابهة التي تنتشر في المنطقة بكاملها حيث توجد رسومات نورسية أخرى، من كولورادو في الشمال الى كولومبيا البريطانية. إن أشكالا مثل E و F تفسح المجال بدورها أمام أشكال مختلفة متعددة على طول الساحل الشمالي الغربي حتى ألاسكا. أما الأشكال D، G، H، I- فهي نسخ من كولورادو غريبة الاطوار، والتي اختلط بعضها بما يبدو أنه صور المهرجين من العصور الوسطى.




٨- ان تمساح النيل ـ كما رسم في النسخة الايسلندية عن النسخة العربية لكتاب فيسولوجوس Physiologus، ويعود تاريخه الى القرن الاول الميلادي ـ وصل الى أمريكا الشمالية في شكله الايسلندي، ولعل ذلك كان عن طريق المستوطنات النورسية في جرينلاند. وهو يظهر على نطاق واسع في أشكال مشابهة للشكل B وجدت على طول المناطق التي تسرب اليها النورسيون الفين دخلوا خليج سانت لورانس، وكرر ذلك من قبل النحاتين والرسامين على الصخور من اللاجونكوينيين في أقليم البحيرات العظمى. ومن المحتمل أن الشكل الجنوبي C ـ كما عدله منقح كولارادي ـ قد أخذ بعين الاعتبار الملاحظات النقدية التي وجهها رعاة الفن الذين كانوا قد لاقوا التمساح الذي كان في الازمنة السابقة ينتشر الى الشمال أكثر من انتشاره حاليا.

لكن ليس التاريخ، لأنه يستحيل بناء كنيسة حجرية بأقواس قبل أن تصبح مألوفة في الأرض الاسكندينافية بقرنين من الزمن. على كل حال. فتسلسل الحروف غير صحيح.

أعتقد أنه في هذه الحالة، كما كانت الحال بالنسبة لرونات أولاهوما القديمة. يجب علينا قراءة الرونات كما تظهر، أي أن «ه ن أ ك ر» كلمة اسكندينافية قديمة معناها كرسي (Stool)، وإلى يومنا هذا كلمة كرسي (Stool) في الاسكندينافية يتهجى بها (Stol) تعني مقر (عرش) الأسقف و يقصد به الكنيسة أو الكاتيدرائية حيث كرسي الأسقف، ويقابل الكلمة اللاتينية «كاثدرا» (Cathedral) بمثابة كرسي الأسقف (وحالياً عرش الأسقف) والصفة كاثيدرائية (Cathedra) (نسبة الى كرسي Stool)، تدل على كنيسة الأسقف التي ندعوها بالانجليزية حالياً كاتدرائية (Cathedral). وهكذا في اللغة الاسكندينافية القديمة صفة الملكية لعبارة (Hnakr) هي (Hnacrs) ومعناها «بالكرسي» وعند اطلاقها على كنيسة تعني كاثدرائية.

إذا قبلت هذه القراءة التي أعتقد أنها صحيحة، يصبح برج نورفولك آخر قسم باق من كاثدرائية فينلاند في أوائل القرن الرابع عشر عندما كانت العقيدة الكاثوليكية منتشرة وكان الأساقفة يمارسون سلطتهم في غرينلاند على المؤمنيين في أمريكا، وهذا يسبق حركة الاصلاح (Reformation) طبعاً، وربما شجع هذا «الآباء البيوريتان» بنيوانجلند على اغفال حقيقة وجوده قبل أن ترسو سفينة «مايفلاور». وفي عصرنا المميز بالتسامح واحترام المخلفات القديمة، لا يسع جميع الأمريكان مهما كان مشربهم إلا أن يسروا ببقاء كنيسة مسيحية تاريخية بعد مرور سبعة قرون، تثير فينا الغبطة اليوم.

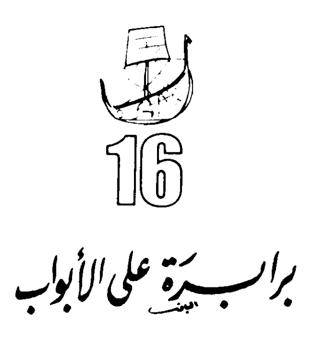
اننا لا زلنا نجهل، رغم ذلك، أسماء المشيدين، وإن كنا نعلم استحالة ارجاعهم الى ما قبل سنة ١٣٠٠م.

ورغم بقاء الكنيسة، كانت المسيحية في نيوانجلاند ولوفاسكوشيا قد تلاشت كلياً وبعد مائتي سنة من بنائها لاحظ المبشرون الجزويت الأوائل أن هنود الميكماك (Micmac) كانوا يبجلون الصليب و يعتقدون بوجود أب روحي في السماء. قد تكون تلك العقائد ناتجة عن الماضي المسيحي ولو شبه مؤكد، إذ نجدها في عبادات أخرى من زمن أقدم. و يقوم حالياً كل من جون غالالاغير (John Callagher) وفريدريك ج. بوهل (Frederick J. Pohl) بالتحري في موقع في كونيكتكات يبدو أنه كان في الماضي كنيسة مسيحية. و يدعى التشيروكي الشرقيون معرفة بعض القصص من الكتاب المقدس تسبق المبشرين المسيحيين في فترة الأستعمار. لا زال الأمر يحتاج لمزيد من الاستقصاء.

اتجه الآن إلى الولايات القفرة الجنوبية الغربية، و بالأخص إلى كولورادو حيث توجد نقوش تنم عن حضور الاسكندنافيين كما أسلفنا في الفصل السابق. و يعني ذلك دخول مفاهيم مسيحية واسكنديناڤية وثنية عن طريق نسخ من الملاحم الآيسلندية فيما يظهر، و يبدو أن تلك النسخ كانت تحتوي على نفس الصور التي بقيت في آيسلاندا وهي محفوظة في كوبنهاجن. ولما كنا نعلم أن اثنين، على الأقل، من اسكندنافي غرينلاند أصبحا شاعرين، فيحتمل أن يكون أهل غرينلاند قد تأدبوا في حقبهم الأخيرة وقد استعملوا مخطوطات الرق الذي صنعوه بأنفسهم من أدم الخراف وكتب عليه كتابهم، وربما عمل أولئك الكتاب على تزويد المستعمرات في غرينلاند بنسخ من انتاج الشعراء ومؤرخي الحوليات الآيسلنديين.

و بطريقة ما جلبت هذه الأعمال إلى كولورادو ــ ربما عن طريق أوكلاهوما ــ و بطريقة ما وقعت في حوزة أناس لم يراعوا بعد العقيدة المسيحية، فرسموا رسوما ساخرة للصور الأصلية على صفحات الملاحم، فهل كان ذلك من عمل نفس أهل غرينلاند الغربيين الذين أرسلت بشأنهم الشكايات إلى الأساقفة وإلى روما؟ ــ. أولئك الذين «هجروا السلوك الصالح والفضائل الحميدة وانضموا إلى أهل فينلاند؟» ربما، لأني لا أستطيع التفكير في أي تفسير آخر.

فالوثنية هي في لغة الكنيسة الاعتقاد في أي دين يختلف عن المعتمد لديها. هناك وثنيون كثيرون مثل فرجيل و يوليوس قيصر والأمبراطور تراجان وجمهرة من رجال غيرهم شهيرين قد لا يشعرون بعزلة في مجتمعنا الحديث إذ كانت قيمهم الخلقية هي تلك القيم العالمية التي يقبلها معظمنا اليوم. وكانوا أكثر تسامحاً مع العقائد الأخرى مما كان عليه المسيحيون. وليس لنا أن نصدر حكما. إذا كانت المسيحية قد أصبحت أكثر قبولا لدى المسيحيين الأوائل الذين وجدوا في أمريكا ملجأ.



# برابرة على الأبواب

عندما نظرنا إلى وحشية الاسكندنافيين ـ الذين غزوا بريطانيا وايرلاندا تركوا ذكريات لا تمحى من الضراوة ـ في الفترة التي ابتدأت فيها المستوطنات الأولى في فينلاندا، نتساءل ما إذا كان علينا أن نضع أولئك القوم بين طلائع الهمج الذين سرعان ما أنزلوا الدمار بالجماعات المتمدينة الأولى بشمال أمريكا.

يرجع كتاب هارولد غلادوين (Harold Gladwin) ـ وهو كتاب متخصص لكنه شيق القراءة ـ «تاريخ الجنوب الغربي القديم History Of The Ancient Southwest لأواخر القرن العاشر الميلادي بداية الغارات الجادة لقبائل الأثاباسكان (Athapascan) على مناطق البو يبلو (Poeblo) و يعتبر هذا تاريخا موثوقا به ـ وهو أساس كل تتابع مفصل للأحداث بالولايات القاحلة ـ و يعتمد على فحص حلقات الأشجار الذي اكتسب فيه مهارة لا تضاهي يفوق دقة أحسن ما وفق إليه التأريخ بواسطة الكربون.

وفي نفس الوقت، طفقت قبائل المسيسيبي المستقرة تحسن على الأرجح بضرر هجمات ايروكو يس (Iroquois) ـ ليس من الشمال، كما كانت الحال بعدئذ ـ بل من الجنوب، إذ هناك من الأسباب ما يدعو إلى الظن بأن أولئك المحاربين الشرسين قد جاؤوا إلى شمال أمريكا عبر خليج المكسيك، بكل احتمال من أمريكا الجنوبية.

ان تنقلات القبائل هذه فتحت عهداً جديداً في أمريكا الشمالية وهو عهد انتفاضات كما كان في حالات عدة عهد كوارث. والمسألة معقدة، لا يمكن بحث عواقبها على القبائل المتحضرة في الجنوب الشرقي هنا، لأن قبائل الجنوب الشرقي لم تدخل في مجرى التاريخ موضوع كتابنا، ولذا أتركه لتأليف آخر، ولا أقول أكثر من أنه باقتراب عام ألف تلبد الأفق بالسحب. وقد استمرت الحضارات التي عالجنا جذورها في عدة أماكن لقرن أو أكثر آخرين ولكن مستقبلها كان مظلماً، كتب فيه للجزء الغالب من القارة الوقوع في الهمجية أو شبه الهمجية بشكل يشبه إلى حد

كبير ما حدث لأوروبا في القرن الخامس بعد الميلاد، ولذا دعنا نودع ساحة أمريكا الشمالية وهي لا زالت في أيامها الرغدة، كقارة هانئة بها جماعات مختلفة ـ منها الأصلية الحقة ومنها الخاضعة للاستعمار الأجنبي، وأغلبها مختلطة النشأة ـ قارة آمنة، حيث كانت المنشآت التعليمية مزدهرة وحيث كان الشباب ينطلقون في مغامرات بحرية إلى الخارج.

كان يكفي ذلك الوقت مصابه، وهو زمن غير داخل في نطاق هذا الكتاب. هناك الكثير من حضارات أمريكا الشمالية تحتاج للبحث قبل أن نتناول مأساة الانهيار الواسع النطاق للحضارة التي سبقت مجيء كولومبوس والمحتلين (Ccnquistadores) ولنترك في الوقت الحاضر اذن المساحين الغربيين يجتهدون في تقسيم الدائرة والفلكيين لبروجهم وحركات الشمس والقمر، إذ هناك الكثير ما يقال عن ذلك أيضاً ولكن لا مجال له في هذه الصفحات.

وأين أقف بهذا الكتاب الذي هو بذاته فصل واحد من سجل أطول من الرحلات والاستكشافات. لقد علمت أين سأقف في احدى ليالي ديسمبر قبل اطلاق سراح قلمي على الورق. فبينما كانت الشمس تغيب خلف قورينا، المدينة الأم التاريخية للكات مصريات وبحارة وفلكيين ليبيين، شعرت بأن هذا المكان من حيث ابتدأ كل شيء يجب أن يكون منطلقي الجديد.

# الخاتمة

## غروب في قورينا

لا يمكن لقورينا أن تتمثل الآن بجلالها البهيج التي كانت تتمتع به في القرن الخامس قبل الميلاد إلا في خيالنا لمسحة الكآبة التي تعلو اليوم أنقاضها رغم جمالها الأثري. ولأجل الاطلاع على روعة ليبيا القديمة على المرء أن يزور مدينتي لبدة وصبراتة الرومانيتين محبوبتي أباطرة روما من شمال أفريقيا الذين ما بخلوا في أغداق المال على اقليم طرابلس.

أما قورينا، فهي أقدم زمنا في حساب الانسان، ومبنية على النمط الدوري الأعرق والأمتن، وكان أول ملك لها هو معمر أغريقي اسمه أرسطاطاليس (Aristatle) لكن الليبيين دعوه باطوس (Battus). و يقول هيرودوت أن كلمة باطوس هي التسمية الليبية لكلمة ملك، وقد أثبتت لوحة أمريكة أنه على حق لأن احدى الملكات الليبيات ذكرت بلقب باطوط وهو الشكل المؤنث لنفس اللقب. وتروي الأسطورة أن الليبيين الكرماء قادوا باطوس هذا إلى الموقع الذي اختاره لانشاء مدينته حيث كان به نبع بديع تتدفق منه المياه كل المواسم، وهو نعمة بالغة بالنسبة لمدينة صحراو ية. ولا زال النبع يسيل كما فعل طيلة العصور التاريخية المعروفة، وهو نبع جوفي يتدفق من غار في أسفل ربوة الأكرو بوليس (Acropolis) مكونا جدول منسابا في منحدر التلال ليملأ، في طريق، أحواضاً صنعها الانسان. كان يسميه القدامى «نبع أبولو»، وكافأ رب عرائس الفن قورينا بمنح ملكة الالهام المقدسة لأحد أبنائها، ألا وهو كاليماخوس، أعظم شاعر ليبي وسلف ايراتوستين كأمين مكتبة الاسكندرية، لأن قورينا في أيام أوج البطالمة الأوائل كانت ترسل جميع شبانها الموهو بين إلى مصر.

و تبدو قورينا الآن معزولة، صامتة، مهجورة، (ولو لخلو طرقاتها وردهاتها من الناس، ما عدا حراس الآثار). وحولنا من كل مكان كانت الظلال الطو يلة لأمسيات منتصف الشتاء، عندما يصبح شمال أفريقية في برودة الخريف المتأخر في نيوانجلند،

وسيعود صخب الحياة للمدينة القديمة في الصيف المقبل عندما يعود الأثريون ويستأنف الزملاء من جامعتي أوبرلين (Oberlin) وبنيسلفانيا (Pennsylvania) حفرياتهم في معبد ديميتر (Demeter) وبيرسيفوني (Persephone) الواقعين خلف الأكروبوليس. ويذكرني ذلك بالبيما (Pima) في أريزونا النائية حيث لا زالت تحدثنا أناشيدهم عن ربة الغلال وابنتها اللتين يزورهما اله الظلمات. ان قورينا مدينة ارسطقراتية مناسبة لانجاب الملكات ـ وفعلا كانت عدة ملكات مصريات من أميرات قورينا مثل برينيكي (Berenike) وأرسينوي (Arsinoe) المتزوجتين من البطالمة الأولين ـ.

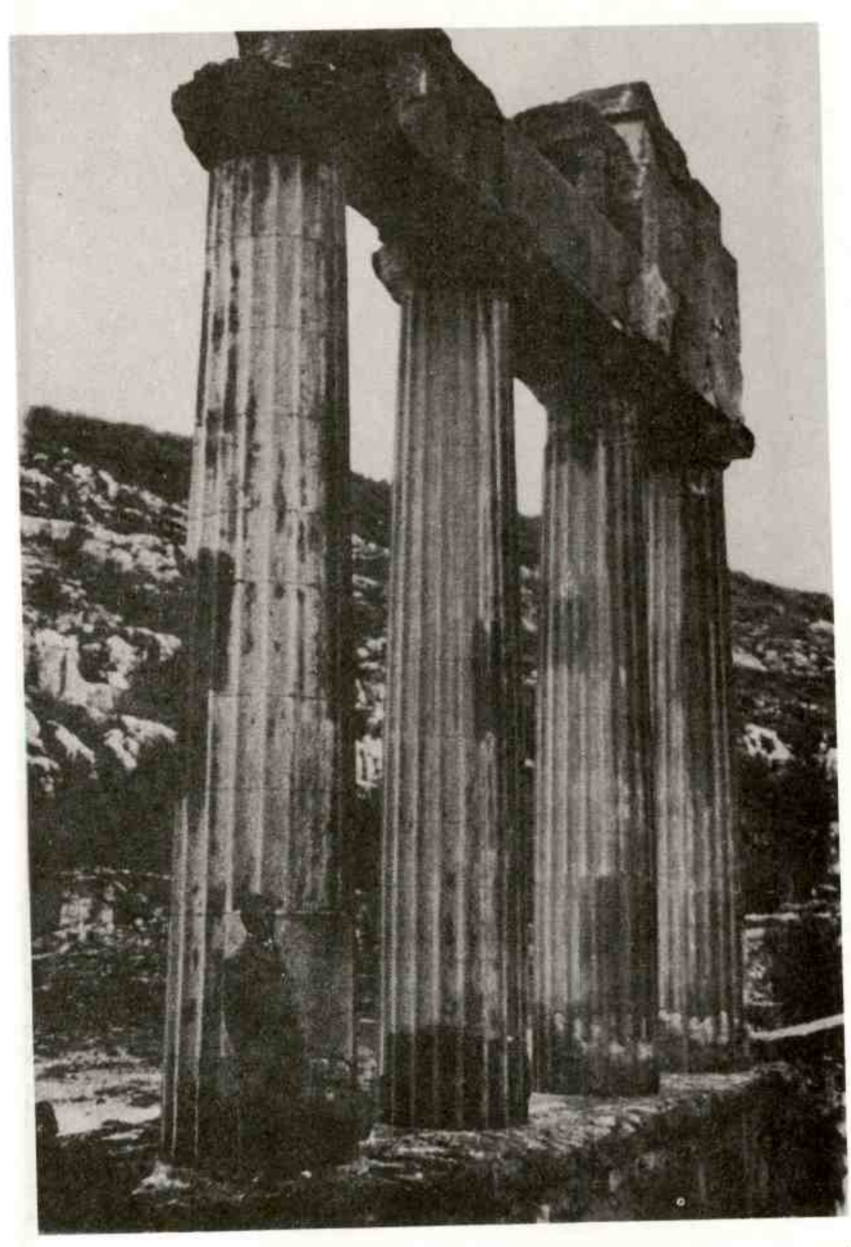
ان قورينا بالنسبة للزائر الأمريكي أرض مقدسة من شتى الوجوه. هنا عاش الآباء الأوائل الذين أوفدوا أبناءهم لاكتشاف وتعمير وتحضير أرضنا. وهنا ولد ايراتوستين. ويمكننا ارتياد نفس الطرقات التي سلكها وأن نزور نفس معبدي أبولو وآرتيميس، كما فعل وأن نرتوي من نفس النبع المقدس. انها لمدينة نبيلة شيدت على التلال المطلة على السفح البحري للجبل الأخضر والمحاطة بالروابي الرعوية والشعاب الصخرية، نثير جميعها شعوراً بالغيب والوحدانية والسحر، فمن يتوقع أن يلقى معابد وأعمدة وساقيات في اطار وعر كهذا؟. وبالنسبة لمن ينزع للأفكار الدينية، فقورينا معروفة بأنها مسقط رأس سايمون (Simon) الذي حمل الصليب في الطريق إلى جبل الجلجثة، وتقول الرواية المحلية أن القديس مرقس قد كتب قسما من انجيله هنا قبل سفره إلى القاهرة ومن ثم استشهاده.

هناك جو طاغ من الكآبة بقورينا، وهكذا بدا لي، مع أفول الشمس وتعمق الظلال في ردهات المعابد المهشمة. وبانحباس الأضواء ألقى بيتر آلة التصوير جانباً واتجه رفقاؤنا من طرابلس وبنغازي نحو سياراتهم، وكنت ممتنا لتركي وحدي برهة للتمتع بذلك المشهد البديع المفعم بقدم التاريخ. يا لها من تلال طرية خضراء مختلفة كل الاختلاف عن بقية ليبيا رغم قرب رمال الصحراء اليها.

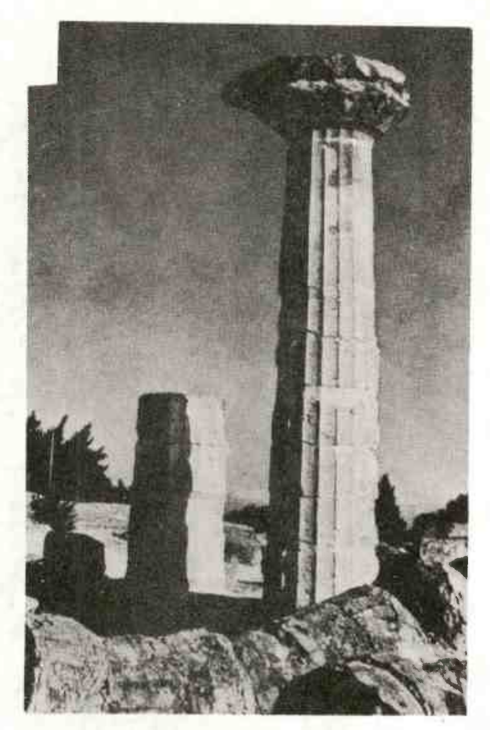
فكم من أبناء قورينا ركبوا البحر لئلا يعودوا إليها ثانياً؟ فهل علم الأهل أو الأبناء إذا ما هلك أعزاؤهم في البحر؟ لا شك أنه كانت هناك مآس كثيرة، لأن كالتماخوس نفسه قد دعى مرارا لنظم رثاء لمثل هذه المناسبات وقد ضاعت أغلب أشعاره مثل الكثير مما كتب في قورينا، ونجده في المقتطفات الباقية يبكي صديقاً أو أحد معارفه غرق في المحيط أو فقد بدون أثر. ولم يكن الوجه الآخر من مآسي البحار مجهولا هنا، ألا وهي جثث غرباء من مدن أخرى يدفع بها الموج إلى شاطىء قورينا. وقد كتب كاليماخوس مرثية لأحدهم بطلب من صديقه ليونتيخوس (Leontichus)



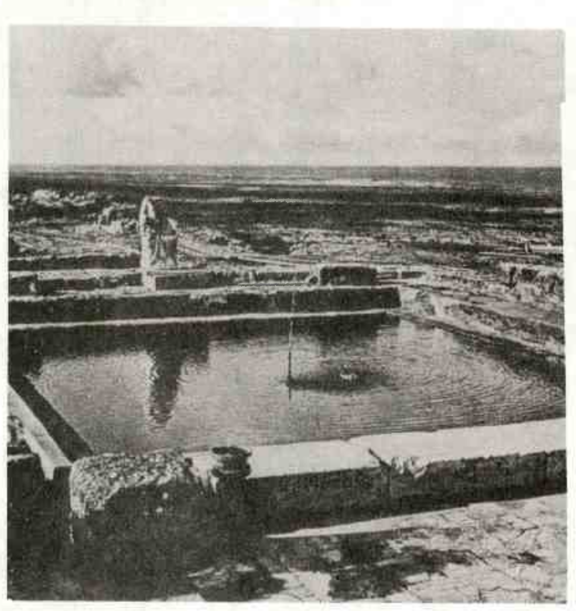
شحات:
الأعمدة المخددة (كالفلوت) لرواق بروبيليا Propylea، مدخل الـ أكروبولس Acropolis شحات، أقيمت في القرن الرابع قبل الميلاد. وكان هذا أكثر اجزاء المدينة قدسية، ويقع في أكثر المناطق ارتفاعاً، نع انه كان يعلوه الجبل الأخضر، أقصى امتداد من ناحية الشرق لجبال الأطلسي.



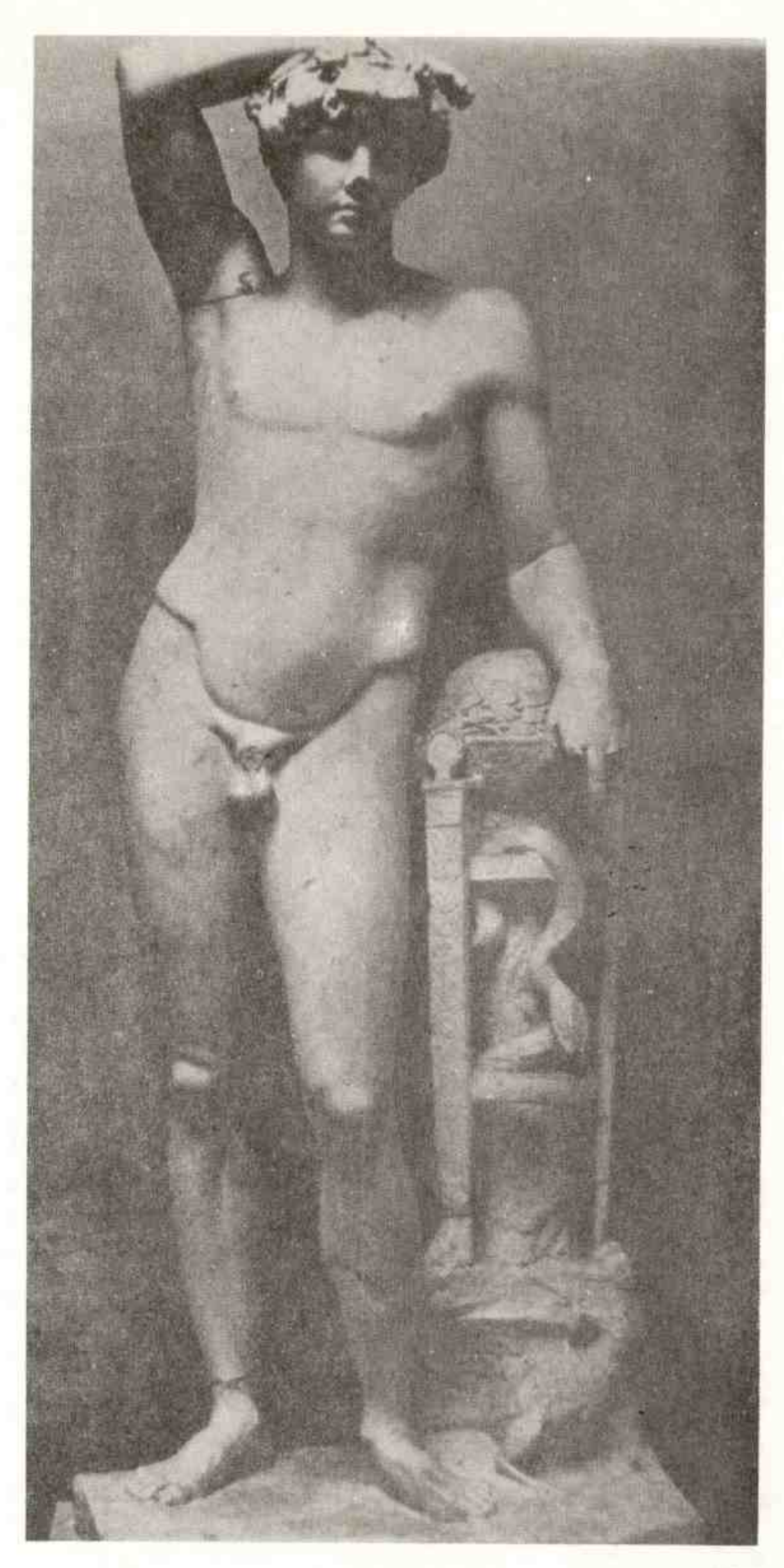
شحات:
منظر آخر لرواق بروبيليا Propylea. ويظهر في مقدمة الصورة الدكتور محمد الجراري المدير العام لمركز الدراسات الليبية، جامعة الفاتح، ووراء الأعمدة تبدو المنحدرات الشمالية للجبل الأخضر. (تصوير: بيتر ج. جارفل).



شحات:
يقف العمود الوحيد المهجور بين اثار معبد زيوس Zeus بشحات، وأشعة الأصل تضيء ذلك الموقع. أقدم المباني المقدسة، ويعود تاريخها الى القرن الخامس قبل الميلاد، معبدا أبوللو Apollo وأرتيميس Artemis، وبالقرب منهما المعبد الذي كرس للتوأمين المقدسين Twins Heavenly (Dioscuri).



شحات:
ان المياه المقدسة لنافورة أبوللو تنساب من كهف في الصخور المواجهة خلف الاكروبولس في حوض طبيعي اولا، ثم تنزل المياه عن طريق قنوات طبيعية الى السفح من خلال منطقة معبد الاكروبولس لتصل الى هذا الحوض الصناعي، ومن ثم تحمل قنوات أخرى المياه الى نوافير صناعية في انخفاضات متتالية. ولا بد أن الرحالة الى العالم الجديد قد مروا أكثر من مرة في هذه الطريق، بعد تقديم احترماتهم لآلهة المدينة.



شاب اغريقي ليبي من العصور الكلاسيكية يبدو أنه يرمز الى روح المغامرة في الاستكشاف ـ شاب طموح مع كرة، لعلها تمثل الكرة الارضية كما شرحها اراتوستينيس. (تصوير: بيتر ج. جارفل، المتحف التاريخي، طرابلس).




شاهد قبر رجل بقي ولم يرسل الى العالم الجديد. ان النقش الاغريقي على هذا النصب، في شحات، يفيد بانه يعلم مكان ضريح رجل سمي فيليكس بيترانوس Felix Betranos مات وهو في الثامنة والخمسين من عمره. (تصوير: بيتر ج. جارفل).



ASKHOLOS MNEIA, Askholos, In Memoriam ثناء أمريكي خلفه رفقاء سفينة لذلك الذي لم يعد أبداً الى احبائه. ان هذا النقش الاغريقي الذي تعوزه البراعة الفنية، عثر عليه الاستاذ دي سيلفا راموس Da Silva Ramos، محفوراً في صخرة بسييرا دي بارينتن Serra de Parentin، البرازيل. لعله أحد أبناء شحات المفقودين الذين بكاهم كاليماخوس Callimachos (نموذج طبق الأصل، متحف النقوش، تصوير: الدكتور جوليان فيل).

الذي تحمل تحاليف الدفن. وكتب قصيدة على روح ليكوس (Lycus) ونقشت على حجر قبره الفارغ لأنه لم يعد من رحلته. وقد لاقى صديق آخر اسمه سوبوليس (Sopolis) نفس المصير فكتب كاليماخوس عنه أبياتا حزينة.

وكان هناك شعراء آخرون في الجوار، لم يكن جميعهم من أصل أقديفي. وقد أنشد كاليماخوس مع أبولو الشهير بدون أن يهمل ذكر أنه هو نفسه من سلالة باطوس، الأمير المؤسس للمدينة الحرة. واني أتذكر ذلك البيت منقوشا بيد بربري مجهول:

**«أنا أيضاً شربت من هذا النبع»**

توالت القرون وتوافد على قورينا رجال أتوا بأخبار أفكار دينية مثيرة جديدة. فقبل البطالمة، كان الفرس قد غزوا مصر زمن دارا (Darius) وأدخل جنودهم العديدين من شمال أفريقيا في عقيدتهم في التآخي الانساني تحت هيمنة الاله الواحد «أهورمازدا» رب الشمس وصنوه مثراس (Mithras) ثم جاء مرقس ورفقاؤه المسيحيون واعتنق الكثيرون دينه الذي تحدث هو الآخر عن اخاء البشر بصفتهم أبناء الله، لكن العديدين منهم قتلوا بسبب تلك العقيدة.

وبعد مضي ثلاثة قرون. أعلن قسطنطين العاهل الروماني ملكه بأكمله مسيحياً فشيدت الكنائس في قورينا التي أصبحت مركز أسقف. أما الفندال، المدعون بأنهم مسيحيون، ولو على خلاف مع روما، فقد بثوا الدمار في شمال أفريقيا إلا أن قبيلة بربرية من طرابلس سدت الطريق إلى قورينا وصدت الموجة الهمجية. ثم وقعت روما تحت سطوة الجحافل الغازية وخلفتها بيزنطة كمركز لادارة شمال أفريقيا. لكن العهد كان عهد فساد عندما لمع نجم جديد في الشرق كان يبشر باتجاه المد الاسلامي إلى ربوع الغرب. كان مبشر الايمان الجديد بالاله الواحد أحد رفاق محمد عليه الصلاة والسلام اسمه رويفع أمام المسلمين الليبيين وهو مدفون بين الهضاب الواقعة غربي قورينا حيث مزاره الورع.

وابان تلك القرون الانتقالية وطيلة العهد الاسلامي، شعر الانسان دائماً بالدافع القديم لعبور المحيطات بحثا عن جنات عدن، وهكذا حدث أن أولئك المغاوير المتقين توغلوا في البحر حتى وجدوا ملاذا في أمريكا ومقاما بين الجبال الكبرى. ومن خلال ما بقي لنا مما سجلوه عن معتقداتهم وأعمالهم لا يساورنا شك في أنهم رتلوا هذه السورة في العالم الجديد شاكرين:

آيات كريمات متفرقة من سورة النحل

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**خلق السموات والأرض بالحق عما يشركون (٣) وسخر لكم الليل والنها**
**والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (١٢) وه**
**الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلل**
**مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١٤) وألقى في الأرض رواسي ار**
**تميد بكم وأنهاراً وسبلا لعلكم تهتدون (١٥) وعلامات وبالنجم هم يهتدون (١٦**
**والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الانعام بيوتاً تستخفونها يو**
**ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين (٨٠**
**والله جعل لكم مما خلق ظلا وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيك**
**الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون (٨١) ان الله م**
**الذين إتقوا والذين هم محسنون (١٢٨).**

«صدق الله العظيم

يقول لي أصدقائي العرب أن هذه الكلمات الجميلة كتبت لأول مرة نقلا عن املاء محمد (صلعم) مباشرة بعد عام ٦٢٢م، فهل كانت تعني جزئياً أولئك الذين عبروا المحيط لنصب خيمتهم فيما وراء سلسلة سيرا الكبيرة؟.

بودي أن يكون كذلك. واني لأتوق لليوم الذي يتسلق فيه زملائي العرب جبال سيرا لزيارة الوهاد المعلقة حيث اسم النبي (صلعم) يوجد منحوتا على صخرة أمريكية على أيدي بحارة اهتدوا إلى السلامة هناك منذ زمن بعيد.

فان كان معظم الرحالة ابان القرون المتأخرة من المسلمين. فان بعضهم كان لا شك من المسيحيين واليهود، كما نعلم من نقوش واحة فقيق وكما تقول لنا النقوش الأمريكية أيضاً. ونفهم من المؤرخين العرب أيضاً أن اليهود والمسيحيين قد عاشوا بين المسلمين في شمال أفريقيا كما يفعل الكثيرون حتى يومنا هذا. لأن الاسلام دين متسامح و يذكر القرآن الكريم ــ ٣) ابراهيم وعيسى لنبي الله كبيرين و بهذه العقائد المختلفة جاء رجال قورينا إلى العالم الجديد.

لقد شاعت الظلمة حولي ونادى مؤذن قرية شحات المجاورة المؤمنين للصلاة. فأعادني صوته إلى الحاضر وقد أصبح الدكتور محمد و بقية أصحابي قلقين وأخذوا ينادونني من أعلى الطريق على الرابية خلف الأكرو بوليس، فعدت أدراجي نحو بوابة المدينة المهجورة، فحياني على غفلة مني في الغسق شخص مدثر بتلو يحة ودية، ثم سمعت الأقفال توصد خلفي. ولكن عندما سألت من يكون الرجل، قيل لي أنه بدوي برقوي، ولكنه لم يرتد أي دثار بل معطفا عسكريا قديما. فلم الجدال؟ فقد رأيت ما رأيت، وهكذا أتذكره. ربما الشرح لدى بر بري آخر حيث قال:

ⵣⵜⵣⴷⵛ ⵏⵜⵎⵎ:.:ⵜ ⵣⵓⵍ:ⵓⵣⵜ

:ⵔⵛⵎⵔⵢ ·ⵔ· ·ⴷⵛⵔⵢ ⵜ·ⵎⵎ·ⵜ

**كنت مجهورا بوهج الشمس الآفلة. فلا تشخص ثانياً للضوء الباهر.**

وكان كوكب الجبار، الصياد القوي، الذي نسميه أور بون، طالعا فوق مصر بينما كنا ننزلق تدريجياً نحو الليل. وهكذا عدت إلى ثلوج شتاء نيوانجلند، إلى بيتنا ذي العماد بقرب البحيرة لتأليف هذا الكتاب.

# ملحق

## لغة إغـريق بلوطارخ

ليست القواميس مادة يمكن أن تستخرج منها فصول شيقة. لكنها ضرورية للدراسات في أصول اللغات الأميريندية (الهندية الأمريكية) وقد كتب لي العديد من قراء «أمريكا ق م» مستفسرين عن تفاصيل اضافية في الموضوع والرد المختصر هو: «راجع النشرات الطارئة (Occasional Publications) لجمعية النقوش التي يمكن الحصول عليها من مكتب الجمعية برقم ٦ من وود لاند ستريت. أرلنغتون. م أ ٠٢١٧٤ —

(Epigraphic Society 6 Woodland Street, Arligton, MA. 02174). أما فيما يخص الجذور الأغريقية في اللهجات الألغونكية بالشمال الشرقي المطابقة للهجة التي قال عنها بلوطارخ أنها مكونة من الأغريقية الفصحى واللغة المحلية. فالجداول التالية تؤيد ادعاء بلوطارخ. و يجب الملاحظة أن «البطلمية» تعني تلك اللهجة. ومعظمها يونانية، التي كانت مستعملة في مصر وأجزاء من ليبيا لعدة قرون قبل وبعد زمن المسيح. وهي لغة مختلطة مشتقة من الأغريقية لكنها موسعة بكلمات مصرية مثل التي ترد في اللغة القبطية المتأخرة. وفضلا عن ذلك فان المعاجم تنم عن مقدار منتظم من الجذور العربية، فتشير هذه إلى أصل ليبي أكثر منه مصري، لأن المتحدثين بالعربية كانوا موجودين في ليبيا قبل الفتح الاسلامي لمصر وشمال أفريقيا في القرن السابع بعد الميلاد. وكما ذكرنا في الفصل. قد نقى الدكتور سيلاس راند (Silas Rand)، دارس لسان المكماك المبرز بعض العناصر الأغريقية في الألغونكية ولفت النظر اليها. وكما تبين لنا هذه المعاجم، تعتبر التصريحات المتأخرة بعدم وجود مفردات من العالم القديم في اللغة الألغونكية تصريحات خالية من الأساس.

وتظهر الكتابات أيضاً أن الحروف الأغريقية كانت مستعملة في السابق بشمال أفريقيا. إلا أنه لم يرث أي فرع من اللغة الألغونكية نظاماً خطياً مقتبساً من الأغريقية. لكن هناك بالعكس عدد كبير من الجذور الأغريقية في قسم من معجم الهنود الألغونكيين. وهذه الكلمات، إذا كتبت بالحروف الأغريقية بدلا من اللاتينية (كما هي العادة) تصبح مفهومة لدى الأغريق. وأنه من الصعوبة بمكان أن نعطي هنا أكثر من قائمة من الأمثلة النموذجية لتلك الكلمات المأخوذة من اللهجات الألغونكية بالشمال الشرقي منتقاه من قاموس داند:

| أغريقي | الغونكي * | المعنى | أغريقي | الغونكي | المعنى |
|---|---|---|---|---|---|
| أباكنيس | أباكت | شط بعيد | أبودو | أبادا | وضع جانباً |
| ابيتيليس | ابيتاليسا | منقذ ممرر | بونوس | بينا | وجع |
| أديكوس | أدآجي | ظالم | أجو | أجا | فعل |
| ألو | آلا | سفر | بين | بين | كل |
| أروكا | أيرجون | عمل | انيكوس | انيكوت | وحيد |
| أنودومينوس | أنودومينا | ذاهل | أنتي | أنتي | ضد |
| أيبي | أبي | على. عند | باو | بايو | وصل |
| بينوس | بينجوي | رماد | أسكوس | أسكون | جلد |
| باو | با | ذهب | ميجا | ميج | كبير |
| مينيوتيس | مينادو | مكشوف | ني | نا | صغير |
| مينبسكوس | جاء | لامع | بايو | | باو |
| كاتاكولز | كيت كوكوا | مقلوب | ميليسو | ميليس | تكلم |
| مينيتوس | مينيدي | خوفا | بيلوس | بليس | حمامة |
| كاتاباسيس | كاتاباسي | قفز | نيبسيس | نيي | ماء |
| ثوما | ليوم | رأي | جي | كي | أرض |
| اكهو | أبيك | ملك | أوون | وو ين | بيضة |
| كيشاي | ايكاسي | جثا | كابوسوس | كيزي | حمما |
| بيسكاباسكو | قضيب | سمك | أو بدون | | رابدون |
| بسودا | بودا | أقدم. أرجل | بيجنيومي | بيكوأسي | تجمد |
| تيترابودا | تاو يسبودا | مائدة | باجيوس | بوجوي | صلب |
| أديازو | أدوزيك | أخبر. قال | كايبسيس | كيسوي | حار |
| كاهيرامز | كلنوس | ممسوك | باجوس | بيجسي | ثلج |
| كاتاتمنو | كيتكوتام | نحت الخشب | كاتوايكا | كيشكوني | أقام |
| كاتاكوازو | كأتاكيسي | عمل شاق. أو إضافي | كونوس | كوندايو | حجر |

| أغريقي | الغونكي * | المعنى | أغريقي | الغونكي | المعنى |
|---|---|---|---|---|---|
| لاليو | لالومو | تحدث | نو يمي | نامي | رأي |
| ميكيس | ميسكاسي | اختلط | أودي | أدا | ولبس |

وهذه أمثلة من مفردات الألغونكية البحرية في نيوانجلند تبين أنه كانت توجد اصطلاحات بحرية من أصل مصري ليبي في شمال أمريكا قبل مجيء المعمرين الأوروبيين الجدد. فلاحظ أنه لم تستعر العبارات الانجليزية أو الفرنسية للدلالة على معدات مثل البوصلة المغناطيسية التي وجدت لوحات منها في أسبانيا وأمريكا الشمالية.

## الملاحة والبحرية

| أبيناكي/مكماك | بطلمي | عربي قديم | المعنى |
|---|---|---|---|
| أليل | أليو، اليوماي | | سافر |
| ألاتيجوي | آليتيس | | بحار |
| سو با جوي | | سو با جوي | بحار ساحلية |
| أيل ــ يوجو يش | | الحكك | بصلة مغناطيسية |
| ايل ــ أمكادو | | الامام | مستوى |
| أيل سدوكاد يجوي | | الدقال | سارية، جبال السارية |
| سيبا | | صابيح | شراع، ينشر الشراع |
| ربانيي | ريبي | | حبل، مخطاف |
| بيليوم | | بارين | أحبال |
| كاتاباس | كاتاباسيس | | قفز في الماء |
| أكسيت | | أقصى | سافر بعيداً |
| كي | جي | | العالم ــ الأرض |
| تيجواك | تيجو | | أمواج |
| أوما | أو يمي (فيشهوك) | | صاد بالسنارة |
| بوتو | بوتزيو | | نفخ، نفث |
| بوتوب | بوتزيو (توسبوت) | | حوت |
| أبي | أبو | | شبكة صيد |

| أبيناكي/مكماك | بطلمي | عربي قديم | المعنى |
|---|---|---|---|
| مين أدو | مينيوتس | | عرى ـ كشف عن |
| ميك | موكها (حساس) | | نشط |
| ميتستيج | موتي | | أكتاف |
| نا | نوس، نيا | | طفل |
| نا ـ كابيت | | نا + كبر | شاب |
| ناكوهيمو | | نكام | عطس، سعل |
| نامي | نومي | | أنظر ـ نظر |
| نانام | نو ين | | ارتعاش |
| نسواو ين | نوث | | تنفس |
| تيتكو يت | تيتيكاتين | | حامل |
| و يلالو | لالو (تكلم) | | لسان |
| سيجي | سيك | | بول |
| و بنودومانا | أنودومينوس | | خيل |
| كيسوي | كايوسيس | | محموم ـ ساخن |
| باسولو | بسيلوس | | فأفأ، تلعثم، أصيب بالفواق |

# البيت والملابس

| أبيناكي/مكماك | بطلمي | عربي قديم | المعنى |
|---|---|---|---|
| تاكتيك (بيما تكاك) (بيما قبيلة هندية في أيزونا) | | تيكاك | طوق |
| مبيدي ـ نومبي | بيدي نوب | | سوار |
| مونيدو (أوجيبواي) (قبيلة الغونكية) | مونك | | قماش |
| نيسنك | | نزالا ـ عنق | عصابة (قشطة) |
| كاو يت | كوت | | حوض |
| آبا ـ زنودا | أبو سنود | | قفه |
| ولجن | ليكاني | | صحن |
| كوساوك | كيس ـ ووش | | حديد، عدة حديدية |
| نيبي، نابا | نيبيسيس | نابا (ربيع) | شرب، ماء |
| كيتكوني | كاتوايكو | | سكن، أقام |
| أو ين، الوا | أون | | بيضة |
| وجد | وانت | | قبل، حيا |
| سيجيس | سيكي | | رحا ـ طحن |
| كوندو | كوتسوس | | حجر |
| لوم | | لمس | مسك، استعمل |
| موزي | موسي | | غوط فواكه |
| تاو يبودي | تيرابودي | | طاولة، مائدة |
| نابا | | نفد | سلك، نظم |
| بكي | باجومي | | غسل |
| أنك ـ أموسدا | أنخ ـ أونك | | مرآة |
| ولجنس | ليكانيس | | صحن صغير |

| أبيناكي/مكماك | بطلمي | عربي قديم | المعنى |
|---|---|---|---|
| آبي ــ أجو | آبي ــ أجو | | صنع شبكة |
| كومي | كيمي | | طاقم سفينة |
| ناتك ــ ابيا | هينتوك ــ أبو | | سحب شبكة صيد |
| سينوجيوي | شانا | | شاطىء |
| باسك | بيسكا | | سمك |
| أو ين | | أهوا | ريح، جو |
| و بيان | و بيين | | شرق |
| لامي جوسن | لام شت | | زفت، راتنج |
| أوا | أواوا | | دائرة، منتصف النهار |
| كيتكوكوي | كاتاكولسي | | انقلب |

## الفلك والارصاد الجوية

| أبيناكي/مكماك | بطلمي | عربي قديم | المعنى |
|---|---|---|---|
| أشاكيوو يكي | ايشاكيك | | اليوم التالي |
| | | | اليوم بعد غد |
| نيبسكات | | ناباساكت | الطلل |
| أو يسالوسك | اواولوكيس | | الهالة |
| بيجي | باجيس | | البرد |
| لوسك | لوكيس | | الضوء |
| سبوسوي | | الصباح | طلوع الشمس |
| نيتا | نتايح | | مباشرة |
| نيبين | نيبيي | | الصيف ــ حر |
| نيبووي | | نابيها | ليلا |
| ابيولي | ايبليا | | أخطأ |
| ألاكيوس | | علاق (تو ينكلج) | نجمة |
| مون، ميون | ميوي | | الدب، نجم القطب |
| كولوك أو يشك | | القيكاب | برج |
| تيبي | تيبب | | قاس |
| تيك، تيج | تيكو (ذوبان الثلج) | | جو بارد |
| متراً | ميتي | | عشرة |
| باكوميك | بيجنيومي (تج) | | ابرجليد |
| نن | نوني | | مطر هاطل |

| أبيناكي/مكماك | بطلمي | عربي قديم | المعنى |
|---|---|---|---|
| سوجلون | | سكلابا | مطر هاطل |
| رين | رينيس | | رذاذ مطر |
| ماناجون | | منطقة (جيرديل) | قوس قزح |
| سابا | | سباح | غدأ |

وعندما أدخل المعمرون الانجليز والفرنسيون الاجراءات القانونية الى نيوانجلند استمر استعمال اصطلاحات قانونية سابقة ليبية الأصل (بطلمية جزئياً) بين الألغونكيين الذين ، ولذا لم تنشأ حاجة لاستعارة مفرادات انجليزية أو فرنسية. فالجدول التالي يشير الى سابق وجود ادارة منظمة للقضاء والحكم في أمريكا قبل وصول الاستعمار الأوروبي الحديث.

## عدل وادارة

| ابيناكي/مكمال | بطلمي | عربي قديم | المعنى |
|---|---|---|---|
| كابا | كابا | | عمل أجباري ــ سخرة |
| تشانو | تيشنو | | ايقاف |
| كيتوكاتي | كاتي كازو | | تحقيق |
| يكمي | كيمي | | سري |
| هودوي | هتور | | حبس |
| كينيب (مقاتل) | كينيس | | قاتل |
| ابدون | رابدون | | قضيب |
| تاجوس | تاجوس | | حاكم |
| أو بيوليا | أو بيولوس | | جنحة |
| أنتي | أنتي | | ضد، مقابل |
| أبا ــ جيكيلوس | أبو ــ كرينيستاي | | استجاب |
| ايل ايستوم | ايل أتسوتم | | ثائر |
| بوجوي | باجوس | | ساري |
| أداجي | أديكوس | | غير قانوني |
| تاتيبي | تيبي | | انصاف |
| أوجيو | أو بيشا | | اعلان |

| أبيناكي/مكماك | بطلمي | عربي قديم | المعنى |
|---|---|---|---|
| ايدو ـ زيك | اديزو | | أدلة |
| كاباوا | | كابوا | كذب |
| كالاما | | كلال | جزاء |
| ماجيجو | | مالك ماجن | وقاحة |
| ماليكي | | مالك | سلطة، ملك |
| ايل ـ أجاو يت | | الأجليد (ليبي) | ملك |
| السيسيت | | الأستاذ | سيد، معلم |
| كيستيجو | أوكيتيس | | عبد |
| بد ـ أديجا | أديكوس (غير قانوني) + بادا (مهنة) | | اعتداء |
| كيلوس ـ كاباوا | كيلوزو (تكلم) + كبوا (خطوة خاطئة) | | كذب |
| كيلو ـ لاوا | كيلوزو (تكلم) + لوعه (حب). | | خطوبة |
| ساساجي | سوشي | | مناسب |
| مادام ألسو | ميت أميليسي | | ندم |
| ميلسي | ميليسا | | كلام |
| جوك | تشوك | | انهيار |

## الطب والتشريع

| ابيناكي/مكماك | بطلمي | عربي قديم | المعنى |
|---|---|---|---|
| ميبي ـ سونا | ميبي ـ سابين | | طبيب |
| بينا | بوني | | ألم، تألم |
| كلاما | | كلل | كدر |
| زابيزي | سبيبيسيس | | حمى شديد، ملاريا برودة بعد حمى شديدة |
| كيز ـ زابيزي | كيوس (حمى) + سيبيسيس | | ملاريا |
| بوجوي | بوجون | | لحية |
| وجي | واكيب | | كسر |
| ميمو ـ كيك | مامين ـ ليكانوس | | صدر (أنثى) ـ أرضع |

| أبيناكي/مكماك | بطلمي | عربي قديم | المعنى |
| --- | --- | --- | --- |
| مين سك | مينوس (رغبة) + سوك (سال). | | خصى |
| لامو | لام | | جماع |
| ليجواسووجين | لوجيسموس، بار الوجيسموس | | هلوسة |
| تشاتشا | تشاتشي | | بح |
| مادام ألسو | | مداد، مل | مريض |
| مالا جازيل | مالاكسيا | | أمعاء، احشاء |
| ميكاسي | مكسيس | | مضاجعة |
| كوجو | خوردي | | وريد، عصب |
| سايو با | سايو | | سم |
| هن جن | هوني | | قناة |
| أتيكوي | أوتن | | قذف (مني) |
| ميتو ـ لو يجن | ميتا ـ ليكهونز | | أصبع |
| كيمو | كومف | | وسخ |
| لاوا | | | رعشة |
| كيلولاجي | كو يليزو | | اخراج الأمعاء |
| كيتونمي | كاتانومي | | انهاك |
| كيابس | | كبر | مراهق |
| كيتام | كيتم | | أنف |
| لودا ويهانجان | ادو يا + هوني | | قضيب (عضو التذكير) |
| وريسوا | ورشاف | | خصية |
| و يراجى | أورا | | قضيب (آلة الرجل) |
| السوك | ألـ (خصية) + سوك (كيس) | | الصفن (وعاء الخصيتين) |
| ماس | ميترا | | الرحم |
| كو يت | | كتكوتة | شابة |
| كازا ـ لامو | | كيسا (يشتاق الى) + لام | رغبة |
| لاجون | لايجيس | | فض |
| ايكاسي | كيشاي | | نوم |
| ماجوزو | ميجيسونو | | انتفاخ |
| ميلجي | مارشوشي (قفاز) | | يد |

الصفحة المقابلة: ان الحفريات في بوجول Pujol، كاستيلون دي لا بلانا de la Plana Castellon، قرب ساحل فلنسية في الجنوب الشرقي رسبانيا. قد كشف عن صفيحة رصاصية رقيقة طولها حوالي ١٥ بوصة وعرضها ٣ بوصات، ويعتقد أن تاريخها يعود الى حوالي القرن الثالث قبل الميلاد. وفيها أربعة سطور من الكتابة بالحروف الايبيرية، والتي تعذر تفسيرها في أي شكل معروف من اللغة الايبيرية. وتعرض الآن في المتحف القومي للآثار بمدريد. وقد قام جيمس واتول بنسخ المكتوبة على هذا النقش، وأحضرها الى جامعة هارفرد للتحليل. وتبين في نهاية الأمر بأن اللغة لهجة اغريقية، ولعلها من المستوطنات الاغريقية في قطالونيا Catalonia. ونشر فيل Fell تحليها سنة ١٩٧٦، وهو يدل على أنها كانت تقريراً قصيراً عن رحلة من ليبيا الى مصر. وسرعان ما أيد صحة التحليل الاستاذ لينوس برونير، من سويسرا، واقترح بعض القراءات البديلة الممكنة لبعض العبارات وقام بنشر النص معدلا بلغة أتيكا اليونانية الكلاسيكية.

Λ Ι Φ Τ Λ Υ Μ Σ Λ Ι Β Υ Ε Υ Ξ Β

(1) Leaving Ptolemaios, from Libya (we) departed.

Ξ Υ Ν Κ Ρ ΤΙ Ν ΟΥ Φ Ι Σ Θ Ε Β Ε

In collision (was) the ship after (we left) Thebes.

Λ ΟΥ Ν Υ Ρ Υ Ο Λ Υ.

Was broken everything.

Λ Σ Θ Ρ Υ Ψ Λ Υ Ν : Ε Λ Φ Υ ΟΥ Κ Λ Ε Υ Ζ Θ

(2) Thieves cast aboard a net (and) unloaded and removed a locked

Σ Μ Ε Ο Σ ΟΥ Ξ Η Σ Υ Ν Λ ΟΥ Φ ΟΥ :

cabin trunk of Jose's. The lawless ruffians were barefooted.

(3) Κ Φ Ρ Ο Ν Ζ Ε ΟΥ Χ Σ Η Ϊ Γ Ι Ν C Ζ Μ :

"Kephronesiou" (so-called), banded together in order to rob;

Ρ Β Υ Δ Φ Σ Τ Ν Σ Ε : ΟΥ Γ ΤΙ Θ Σ ΔΗ Λ Υ Α Σ Ε:

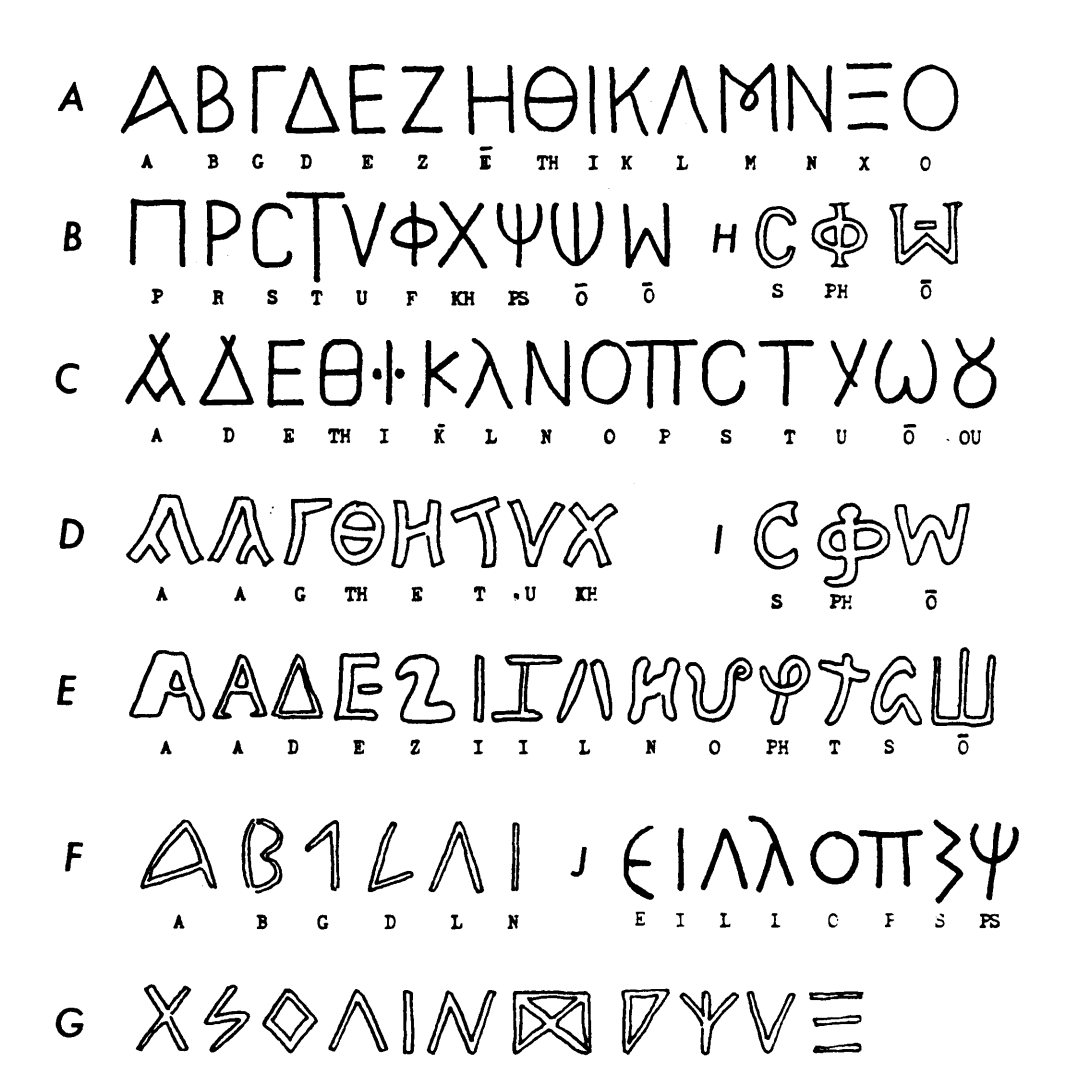
A magistrate I sought, (?) an Egyptian, desiring him

(4) Λ Ο Σ ΙΤ Σ Λ Ε Φ Σ. Ι Δ Ο Δ ΟΥ Φ Λ Υ Κ Σ

to have them seized. The arrest was authorized, and into prison

Ι Ν Θ Σ Ι Ν Υ Λ Α Φ Σ Ε.

they were placed forthwith.




أبجديات اغريقية وايبيرية. A و B- قستنطنية (الجزائر) حوالي ٤٠٠ ميلادية. C- كريبل كريك Cripple Creek، كولورادو، تظهر التاثير القبطي، حوالي ٥٠٠ ميلادية. D- طرابلس (ليبيا) حوالي ٢٠٠ ميلادية. E- مقاطعة طرطوس انيو، كاليفورنيا، حوالي ٥٠٠ ميلادية. F- ايبرية (قادس)، ميديسن روك Medicine Rock، مقاطعة بيرشنج Pershing، نيفادا، حوالي ٢٠٠ قبل الميلاد ـ ١٠٠ ميلادية. G- ايبيرية، خليج جراند ترافيرس، ميشجان، حوالي ٢٠٠ قبل الميلاد ـ ١٠٠ ميلادية. ملاحظة: تنتشر أنماط أقدم في فترات لاحقة بامريكا، مما جعل تاريخها غير أكيد، إلا اذا توفرت أدلة أخرى. H- البيضاء (ليبيا) حوالي ٢٥٠ ميلادية. I- موقع جريمس، مقاطعة تشرتشل، نيفادا (قارن مع الشكل H). J- لاجومار يسينو، نيفادا.

المصادر والمراجع

# BIBLIOGRAPHY


## PERIODICALS

Archaeoastronomy, Center for, University of Maryland, *Bulletin* (1978-cont., since vol. 2 (1979) renamed *Archaeoastronomy*). Reports research on ancient astronomical sites and buildings, espec. of America.

Early Sites Research Society, RFD-2, Danielson, CT. Issues *Bulletins*, a *Newsletter* and *Work Reports*.

Epigraphic Society, International, with European, African and American offices. Issues *Occasional Publications* (1974-cont., vol. 7–1979) and special publications, on decipherment of ancient inscriptions. Numerous papers on ancient sites in Mediterranean, North Africa, North America and Pacific Islands.

Antiquities, Department of, Tripoli, Libya. Issues *Libiya al-Qadima* (Arabic and other languages) on ancient Libyan sites, and special publications.

## OTHER PUBLICATIONS

*Works dealing with ancient megalithic ruins of America and ancient inscriptions:*

Fell, Barry: *America B.C.* (Times Books, New York, 1976; softcover ed. Pocket Books, Simon and Schuster, New York, 1978; also British ed., Wildwood House, London, and other foreign editions).

Fell, Barry: *Inscriptiones Gadeliçae Americanae* (National Decipherment Center, 1978).

Trento, Salvatore Michael: *The Search for Lost America* (Contemporary Books, Chicago, 1978).

Whittall, James: *Sean Seomrai Cloiche de an Nua-Sasana* (Early Sites Research Society, 1977).

*Research reports on Amerindian and North African linguistics:*

Fell, Barry, various papers in *Occasional Publications* of the Epigraphic Society, in particular: *Arabic Dialect in Ancient Moroccan Inscriptions,* vol. 3; *The Roots of Libyan,* vol. 3; *The Pima Myth of Persephone,* vol. 3; *Takhelne, a Living Celtiberian Language,* vol. 4; *Libyan Expedition papers,* vol. 6; *Medical Terminology of the Micmac and Abenaki Lan-*

*guages*, vol. 7; *Radicals in Takhelne, a North American Celtic Language*, vol. 7; *The Micmac Manuscripts*, vol. 7.

*Research reports on artifacts in North American sites:*

Johnson, Gertrude: *Comparison between ancient western North African and New England Sherds and Artifacts*, Work Report on the Early Sites Research Society, (in) *Occasional Publications* of the Epigraphic Society, vol. 7.

Totten, Norman: *Carthaginian coins found in Arkansas and Alabama, Occasional Publications* of the Epigraphic Society, vol. 4.

Whittall, James and Fell, Barry: *Amphorettas from Maine, ibid.*, vol. 4.

Whittall, James: *Naufragrium Romanum, AVC M, Ipswich, Bulletin*, vol. 7, no. 2, Early Sites Research Society (1979).

*North African archeology:*

Anag, Giuma M.: *Horizons on Libyan Culture*, Department of Antiquities, Libya, 1977.

Bakir, Taha: *Leptis Magna*, Department of Antiquities, Libya (N.D.).

Goodchild, Richard: *Cyrene and Apollonia*, Department of Antiquities, Libya, 1970.

Haynes, D. E. L.: *Antiquities of Tripolitania*, Department of Antiquities, Libya, 1965.

Kane, Susan: *The Sanctuary of Demeter and Persephone in Cyrene, Archaeology*, March 1979.

White, Donald: *Reports on University of Pennsylvania excavations at the Temple of Demeter and Persephone in Cyrene*, (in) *Libiya al-Qadima (Libya Antiqua)*, vol. 8 (1971), vol. 9 (1977); and in *American Journal of Archaeology*, vol. 79 (1975), vol. 80 (1976); also in *Expedition*, vol. 17 (1975), vol. 18 (1976).

*American petroglyphs:*

Corner, John: *Pictographs in the Interior of British Columbia* (Corner, R. R. 6, Vernon, B.C., Canada, 1968).

Duff, Wilson: *Images Stone B.C.* (Hancock House, Saanichton, B.C., Canada, 1975).

Farley, Gloria: various reports of field research and discovery, especially papers in *Occasional Publications* of the Epigraphic Society.

Grant, Campbell, Baird, James W., and Pringle, J. Kenneth: *Rock Drawings of the Coso Range* (Maturango Museum Publications, no. 4, 1968).

Heizer, Robert F., and Baumhoff, Martin A.: *Prehistoric Rock Art of Nevada and Eastern California* (Univ. of California Press, 1962).

Hill, Beth and Ray: *Indian Petroglyphs of the Pacific Northwest* (Hancock House, Saanichton, B.C., Canada, 1974).

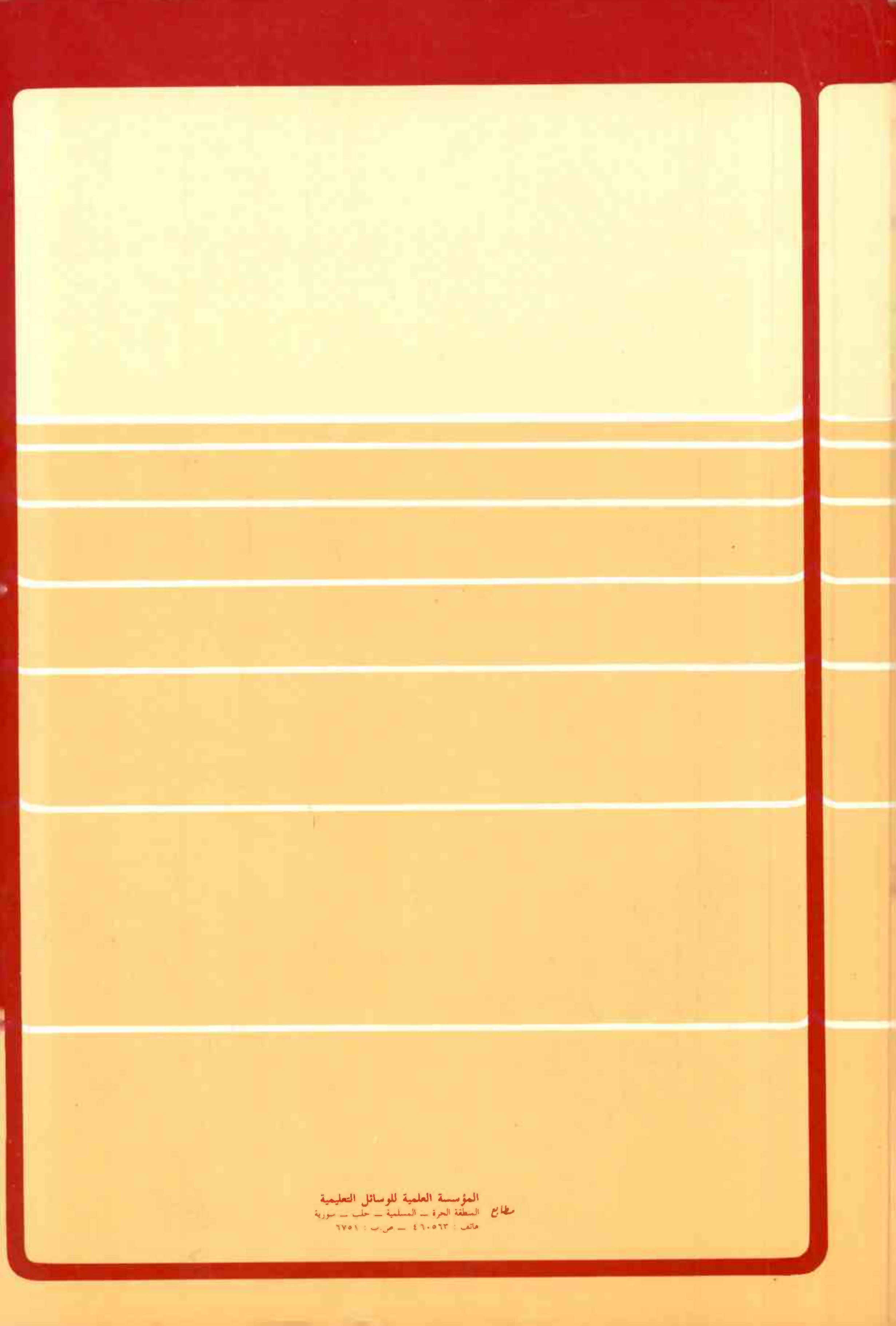
Meade, Edward: *Indian Rock Carvings of the Pacific Northwest* (Grays Publishing Ltd., Sidney, B.C., Canada, 1971).

*Radio carbon dating:*

Whittall, James: *Archaeological Survey, Drystone Chamber WD-16, Windham County,* Vermont. *Bulletin*, Early Sites Research Society, vol. 7, no. 1.

# تصويبات كتاب
# اكتشاف أمريكا قبل كولومبس

| رقم الصفحة | السطر | الخطأ | الصواب |
|---|---|---|---|
| ٦١ | الفقرة الأخيرة | | تجدر الاشارة إلى أن هذا الشرح يعود للصورة العليا من الصفحة رقم (٦٢) |
| ٩٩ | ١ | صانعوا | صانعو |
| ٩٩ | ٣ | الصناعة | صناعة |
| ٩٩ | ٩ | الشعوب | شعوب |
| ٩٩ | ١٢ | – | إلدورادو (كلمة واحدة) |
| ٩٩ | ٧ مقطع ثاني | نقص كلمة لاحظت قبل كلمة كاتي | تضاف كلمة لاحظت فتصبح الجملة لاحظت كاتي ابنة حفيدة المكتشف |
| ٩٩ | ٢٠ مقطع ثاني | الشبونة | لشبونة |
| ١٠٠ | ٥ | طريق تجار | عن طريق تجار |
| ١٠٣ | الفقرة (٣) | الاتقال | الاتقان |
| ١٠٦ | ١٤ | باناما | بنما |
| ١٦٩ | ٦ | المعلونتان | العلويتان |
| ١٧٠ | ١ | تهجء | تهاجي |
| ١٧٠ | ٣ | تفي | تحذف كلمة تفي |
| ١٧١ | ١ | للكلتيين | للسلتيين |



مطابع المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية
المنطقة الحرة ـ المسلمية ـ حلب ـ سورية
هاتف : ٤٦٠٥٦٣ ـ ص.ب : ٦٧٥١